



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه  
صباح  
الرمضان

www. **Ghaemiyeh** .com  
www. **Ghaemiyeh** .org  
www. **Ghaemiyeh** .net  
www. **Ghaemiyeh** .ir

# حياة الشيخان

تأليف  
العلامة العراقي

جلد ١

مؤسسة الأمل للطبوعات  
بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# جامع السعادات

كاتب:

ملا محمد مهدي نراقي

نشرت في الطباعة:

اعلمي

رقم الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

٥	الفهرس
١٧	جامع السعادات المجلد ١
١٧	اشاره
١٧	[مقدمه محمد رضا المظفر]
١٧	اشاره
١٩	حياه المؤلف ١١٢٨-١٢٠٩
١٩	اشاره
٢٠	مولده و وفاته
٢١	نشأته العلميه و أساتذته
٢٣	عصره
٢٤	شخصيه المترجم له و أخلاقه
٢٩	مؤلفاته
٢٩	اشاره
٣٣	جامع السعادات و علم الأخلاق
٣٣	اشاره
٣٤	النواحي الفنيه في الكتاب
٣٩	تصحیح الكتاب و مراجعه
٤٣	[مقدمه المصحح]
٤٣	اشاره
٤٣	مراجع البحث في ترجمه:
٤٤	ملاحظه:
٤٩	مقدمه المؤلف
٥٢	الباب الأول في المقدمات
٥٢	اشاره

٥٣	فصل (انقسام حقيقه الإنسان و حالاته بالاعتبار)
٥٣	فصل (فى تجرد النفس و بقائها)
٥٦	فصل (فى بيان تلذذ النفس و تألمها)
٥٧	فصل (فى فضائل الأخلاق و رذائلها)
٥٩	فصل (الأخلاق الذميمة تحجب عن المعارف)
٦٣	فصل (أن العمل نفس الجزاء)
٦٩	فصل (تأثير المزاج على الأخلاق)
٧١	فصل (تأثير التربيه على الأخلاق)
٧٥	فصل (شرف علم الأخلاق بشرف موضوعه و غايته)
٧٧	فصل (النفس و أسماؤها و قواها الأربع)
٧٧	اشاره
٨٣	وصل
٨٥	فصل (الأقوال فى الخير و السعاده و التوفيق بينها)
٨٨	فصل (لا تحصل السعاده إلا بإصلاح جميع الصفات و القوى دائما)
٨٨	اشاره
٩٠	وصل (غايه السعاده التشبه بالمبدأ)
٩١	فصل (بإزاء كل واحد من القوى الأربع لذه و ألم)
٩١	اشاره
٩٤	إيقاظ (فيه موعظه و نصيحه)
٩٩	الباب الثانى فى بيان أقسام الأخلاقى و تفصيل القول فيها
٩٩	اشاره
١٠٠	فصل (أجناس الفضائل الأربع و الأقوال فى حقيقه العداله)
١٠٠	اشاره
١٠١	(بطريق آخر)
١٠٣	تكملة (العداله انقياد العقل العملى للعقل النظرى)
١٠٧	وصل العقل النظرى هو المدرك للفضائل و الرذائل

١٠٩	دفع الإشكال فى تقسيم الحكمة
١١٠	فصل تحقيق الوسط و الأطراف
١١٥	فصل (أجناس الرذائل و أنواعها)
١١٥	اشاره
١٢٤	فصل الفرق بين الفضيله و الرذيله
١٢٨	فصل العدالة أشرف الفضائل
١٢٨	اشاره
١٣٤	يقاظ
١٣٤	[دفع اشكال]
١٣٤	تتميم
١٣٩	تنوير (لا حاجه إلى العدالة مع رابطة المحبه)
١٣٩	وصل (التكميل الصناعى لاكتساب الفضائل على طبق ترتيب الكمال الطبيعى)
١٤٣	الباب الثالث فى طريق حفظ اعتدال الأخلاق المحموده و استحصالها بإزاله نقائصها المذمومه
١٤٣	اشاره
١٤٣	[المقدمه]
١٤٣	اشاره
١٤٤	فصل (الطريق لحفظ اعتدال الفضائل)
١٤٤	اشاره
١٤٤	(منها)اختيار مصاحبه الأخيار،
١٤٤	(و منها)إعمال القوى فى شرائف الصفات،
١٤٥	(و منها)أن يقدم التروى على كل ما يفعله،
١٤٦	(و منها)أن يحترز عما يهيج الشهوه و الغضب رؤيه و سماعا و تخيلا،
١٤٦	(و منها)أن يستقصى فى طلب خفايا عيوب نفسه،
١٤٧	قانون العلاج فى الطب الروحانى
١٤٧	اشاره
١٤٧	فصل (طريق معرفه الأمراض النفسانيه)

- ١٤٨ ----- فصل (أسباب الأمراض النفسانية) -----
- ١٤٩ ----- فصل (المعالجات الكلية لمرض النفس) -----
- ١٥٠ ----- المعالجات الخاصة لمرض النفس -----
- ١٥١ ----- المقام الأول (فى معالجه الرذائل المتعلقة بالقوه العاقله) -----
- ١٥١ ----- اشاره -----
- ١٥٢ ----- أما جنسا رذائلها -----
- ١٥٢ ----- اشاره -----
- ١٥٢ ----- [فأولهما]: -----
- ١٥٢ ----- [و ثانيهما]: -----
- ١٥٢ ----- اشاره -----
- ١٥٣ ----- فصل (شرف العلم والحكمه) -----
- ١٥٨ ----- آداب التعلم والتعليم -----
- ١٥٨ ----- [أما آداب التعلم]: -----
- ١٥٨ ----- (فمنها) أن يجتنب المتعلم عن اتباع الشهوات و الهوى و الاختلاط بأبناء الدنيا. -----
- ١٥٩ ----- (و منها) أن يكون تعلمه لمجرد التقرب إلى الله و الفوز بالسعادات الأخرويه، -----
- ١٦٠ ----- (و منها) أن يعمل بما يفهم و يعلم، -----
- ١٦٠ ----- (و منها) أن يحافظ شرائط الخضوع و الأدب للمعلم، -----
- ١٦١ ----- (و أما آداب التعليم): -----
- ١٦١ ----- (فمنها) أن يخلص المعلم تعليمه لله سبحانه -----
- ١٦١ ----- (و منها) أن يكون مشفقاً على المتعلم ناصحاً له، -----
- ١٦١ ----- (و منها) أن لا يرضن العلم من أهله و يمنعه عن غير أهله، -----
- ١٦١ ----- (و منها) أن يقول ما يعلم و يسكت عما لا يعلم -----
- ١٦٣ ----- تتميم (العلم الإلهى و علم الأخلاق و الفقه أشرف العلوم). -----
- ١٦٤ ----- أصول العقائد المجمع عليها -----
- ١٦٩ ----- أنواع الرذائل المتعلقة بالعاقله -----
- ١٦٩ ----- اشاره -----



- ١٦٩ ..... فمناها:
- ١٧٠ ..... ومنها الشك و الحيره
- ١٧٠ ..... اشارة
- ١٧١ ..... وصل اليقين
- ١٧٣ ..... علامات صاحب اليقين
- ١٧٣ ..... (منها)ألا يلتفت في أموره إلى غير الله سبحانه.
- ١٧٤ ..... (و منها)أن يكون في جميع الأحوال خاضعا لله سبحانه.
- ١٧٦ ..... ( و منها)أن يكون مستجاب الدعوات،
- ١٧٧ ..... مراتب اليقين
- ١٨٠ ..... ومنها:
- ١٨٠ ..... اشارة
- ١٨١ ..... وصل (التوحيد في الفعل)
- ١٨٤ ..... فصل (ابتناء التوكل على حصر المؤثر في الله تعالى)
- ١٨٧ ..... فصل مناجاه السر لأرباب القلوب)
- ١٩٥ ..... ومنها:
- ١٩٥ ..... اشارة
- ١٩٦ ..... فصل (أقسام الخواطر و منها الإلهام)
- ١٩٨ ..... فصل (المطارده بين جندي الملائكه و الشياطين في معركة النفس)
- ٢٠٠ ..... فصل (تسويات الشيطان و وساوسه)
- ٢٠٢ ..... فصل (العلائم الفارقه بين الإلهام و الوسوسه)
- ٢٠٣ ..... فصل (علاج الوسواس)
- ٢٠٦ ..... فصل (ما يتم به علاج الوسواس)
- ٢٠٦ ..... (الأول)سد الأبواب العظيمه للشيطان في القلب،
- ٢٠٧ ..... (الثاني)عمارته القلب بأضدادها
- ٢٠٧ ..... (الثالث)كثره الذكر بالقلب و اللسان،
- ٢٠٩ ..... فصل (ما يتوقف عليه قطع الوسواس)

- ٢١١ ..... فصل (حديث النفس لا مؤاخذه عليه) -
- ٢١٦ ..... وصل (الخاطر المحمود و التفكير) -
- ٢٢٠ ..... تكمله (مجارى التفكير فى المخلوقات) -
- ٢٢٢ ..... أما(البعوض) -
- ٢٢٣ ..... أما(النحل) -
- ٢٢٤ ..... و أما(الإنسان) -
- ٢٣٩ ..... تذييب -
- ٢٤٣ ..... فانظر -أولا-إلى(رواسى الجبال)و شوامخ الصم الصلاب، -
- ٢٤٣ ..... ثم انظر إلى(أنواع النبات) -
- ٢٤٤ ..... ثم انظر إلى(أنواع الحيوانات) -
- ٢٤٥ ..... ثم ارفع رأسك إلى هذا(السقف الأخضر) -
- ٢٤٦ ..... ثم انظر إلى حركه(الشمس) -
- ٢٤٦ ..... ثم انظر إلى عظم أقدار هذه الأجرام السماويه، -
- ٢٤٧ ..... ثم انظر مع هذا العظم إلى سرعه حركتها و خفتها، -
- ٢٤٨ ..... تتميم -
- ٢٥٣ ..... نصيحه -
- ٢٥٤ ..... (و منها)-أى و من ردائل القوه العاقله-استنباط وجوده. -
- ٢٥٨ ..... المقام الثانى (فيما يتعلق بالقوه الغضبيه من الرذائل و الفضائل و كيفيه العلاج) -
- ٢٥٨ ..... اشاره -
- ٢٥٩ ..... فنقول: أما جنسا رذائلها -
- ٢٥٩ ..... اشاره -
- ٢٥٩ ..... «فأحدهما»: -
- ٢٦٠ ..... «و ثانيهما»: -
- ٢٦٠ ..... اشاره -
- ٢٦١ ..... وصل الشجاعه -
- ٢٦٢ ..... و أما الأنواع و لوازمها المتعلقة بالقوه الغضبيه -

- ٢٦٢ ..... اشارة
- ٢٦٢ ..... فمناها:
- ٢٦٢ ..... اشارة
- ٢٦٣ ..... فصل الخوف المذموم و أقسامه
- ٢٦٣ ..... (الأول) أن يكون أمرا ضروريا لازم الوقوع،
- ٢٦٣ ..... (الثاني) أن يكون أمرا ممكنا لم يجزم بشيء من طرفيه،
- ٢٦٣ ..... (الثالث) أن يكون أمرا ممكنا فاعله هذا الشخص،
- ٢٦٤ ..... (الرابع) أن يكون مما توحش منه الطباع، بلا داع عقلي و لا باعث نفس أمري،
- ٢٦٤ ..... باعث خوف الموت يحتمل أمورا:
- ٢٦٤ ..... (الأول) تصور فناء ذاته بالكليه
- ٢٦٥ ..... (الثاني) تصور إيجابه ألما جسمانيا عظيما لا يتحمل مثله و لم يدرك في الحياه شبيهه.
- ٢٦٥ ..... (الثالث) تصور عروض نقصان لأجله.
- ٢٦٦ ..... (الرابع) صعوبه قطع علاقته من الأولاد و الأموال و المناصب و الأحباب
- ٢٦٦ ..... (الخامس) تصور سرور الأعداء و شماتتهم بموته.
- ٢٦٧ ..... (السادس) تصور تضييع الأولاد و العيال، و هلاك الأعوان و الأنصار
- ٢٦٩ ..... (السابع) تصور العذاب الجسماني و الروحاني المترتب على ذمائم الأعمال و قبائح الأفعال.
- ٢٧٠ ..... فصل الخوف المحمود و أقسامه و درجاته
- ٢٧٣ ..... فصل بم يتحقق الخوف
- ٢٧٦ ..... فصل الخوف من الله أفضل الفضائل
- ٢٨٣ ..... فصل الخوف إذا جاوز حده كان مذموما
- ٢٨٥ ..... فصل طرق تحصيل الخوف الممدوح
- ٢٨٥ ..... (الأول) أن يجتهد في تحصيل اليقين.
- ٢٨٦ ..... (الثاني) ملازمه التفكير في أحوال القيامة،
- ٢٨٦ ..... (الثالث) أن يتأمل في أن الوقف على كنه صفات الله في حيز المحال،
- ٢٨٧ ..... فصل خوف سوء الخاتمه و أسبابه
- ٢٨٧ ..... (الأول) و هو الأعظم، و هو أن يغلب على القلب عند سكرات الموت و ظهور أهواله،

- ٢٩٠ ..... (الثاني) ضعف الإيمان في الأصل،
- ٢٩١ ..... (و الثالث) كثرة المعاصي و غلبه الشهوات، و إن قوى الإيمان.
- ٢٩٧ ..... فصل الفرق بين الاطمئنان و الأمن من مكر الله
- ٢٩٨ ..... تتميم التلازم بين الخوف و الرجاء
- ٣٠١ ..... الظواهر الواردة في الرجاء أكثر من أن تحصى، و هي على أقسام:
- ٣٠١ ..... (الأول) ما ورد في النهي عن القنوط و اليأس من رحمه الله
- ٣٠١ ..... (الثاني) ما ورد في الترغيب على خصوص الرجاء و كونه سبب النجاة،
- ٣٠٤ ..... (الثالث) ما ورد في استغفار الملائكة و الأنبياء للمؤمنين
- ٣٠٤ ..... (الرابع) ما ورد في تأجيل المذنب إلى أن يستغفر،
- ٣٠٥ ..... (الخامس) ما ورد في شفاعه النبي -صلى الله عليه و آله و سلم-
- ٣٠٥ ..... (السادس) ما ورد من البشارات للشيعة و من عدم خلودهم في النار،
- ٣٠٥ ..... (السابع) ما دل على أن النار إما أعدها الله لأعدائه من الكافرين،
- ٣٠٧ ..... (الثامن) ما ورد في سعه عفو الله و مغفرته و وفور رأفته و رحمته،
- ٣٠٩ ..... (التاسع) ما دل على أن ابتلاء المؤمن في الدنيا بالبلايا و الأمراض كفاره لذنوبه،
- ٣٠٩ ..... (العاشر) -ما ورد في أن الإيمان لا يضر معه عمل،
- ٣٠٩ ..... (الحادى عشر) ما ورد في الترغيب على حسن الظن بالله،
- ٣٠٩ ..... (الثاني عشر) ما دل على أن الكافر أو النصاب يكونون يوم القيامة فداء للمؤمنين أو الشيعة،
- ٣١٠ ..... و أما (الثاني) -أعنى ما يدل على أن رجاء المغفرة و العفو و الرحمة إنما هو بعد العمل
- ٣١١ ..... فصل مواقع الخوف و الرجاء و ترجيح أحدهما على الآخر
- ٣١٣ ..... فصل العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف
- ٣١٤ ..... فصل مداواه الناس بالخوف أو الرجاء على اختلاف أمراضهم
- ٣١٧ ..... و منها:
- ٣١٨ ..... وصل كبر النفس و صلابتها
- ٣١٩ ..... تتميم الثبات أخص من كبر النفس
- ٣٢٠ ..... و منها:
- ٣٢١ ..... و منها:

- ٣٢٣ ..... وصل الغيره و الحميه
- ٣٢٤ ..... فصل الغيره على الدين و الحريم و الأولاد
- ٣٢٤ ..... مقتضى الغيره و الحميه فى (الدين)
- ٣٢٤ ..... و مقتضى الغيره على (الحريم)
- ٣٢٧ ..... و أما مقتضى الغيره على (الأولاد):
- ٣٣١ ..... و أما الغيره على (المال)،
- ٣٣٢ ..... و منها:
- ٣٣٧ ..... وصل الأناه و التوقف و الوقار و السكينه
- ٣٣٨ ..... و منها:
- ٣٤٢ ..... وصل حسن الظن
- ٣٤٣ ..... و منها:
- ٣٤٤ ..... فصل الإفراط و التفريط و الاعتدال فى قوه الغضب
- ٣٤٤ ..... فصل (الغضب)
- ٣٤٨ ..... فصل (إمكان إزاله الغضب و طرق علاجه)
- ٣٤٨ ..... ثم علاجه يتوقف على أمور،
- ٣٤٨ ..... (الأول) إزاله أسبابه المهيجه له،
- ٣٤٨ ..... (الثانى) أن يتذكر قبح الغضب و سوء عاقبته،
- ٣٤٩ ..... (الثالث) أن يتذكر ما ورد من المدح و الثواب على دفع الغضب فى موارد،
- ٣٤٩ ..... (الرابع) ان يتذكر فوائد ضد الغضب، أعتى الحلم و كظم الغيظ،
- ٣٤٩ ..... (الخامس)
- ٣٥١ ..... (السادس) أن يحترز عن مصاحبه أرباب الغضب،
- ٣٥١ ..... (السابع) أن يعلم أن ما يقع إنما هو بقضاء الله و قدره،
- ٣٥١ ..... (الثامن) أن يتذكر أن الغضب مرض قلب و نقصان عقل،
- ٣٥٢ ..... (التاسع) أن يتذكر أن قدره الله عليه أقوى و أشد من قدرته
- ٣٥٢ ..... (العاشر)
- ٣٥٢ ..... (الحادى عشر) أن يتفكر فى السبب الذى يدعوه إلى الغيظ و الغضب

- ٣٥٤ ..... (الثاني عشر) أن يعلم أن الله يحب منه ألا يغضب،
- ٣٥٤ ..... (الثالث عشر) أن يتفكر في قبح صورته و حركاته عند غضبه،
- ٣٥٤ ..... تتميم
- ٣٥٤ ..... وصل (فضيله الحلم و كظم الغيظ)
- ٣٥٥ ..... أما (الحلم)
- ٣٥٦ ..... و اما (كظم الغيظ)
- ٣٥٩ ..... ومنها:
- ٣٦١ ..... وصل (العفو)
- ٣٦٢ ..... ومنها:
- ٣٦٣ ..... وصل (فضيله الرفق)
- ٣٦٥ ..... تكمله (المداراه)
- ٣٦٦ ..... ومنها:
- ٣٦٧ ..... وصل (طرق اكتساب حسن الخلق)
- ٣٧١ ..... ومنها:
- ٣٧٣ ..... ومنها:
- ٣٧٣ ..... ومنها:
- ٣٧٤ ..... أما (الضرب)
- ٣٧٤ ..... و أما (الفحش و السب و بذاءه اللسان)
- ٣٧٧ ..... و أما (اللعن)
- ٣٨١ ..... و أما (الطعن)
- ٣٨٢ ..... و منها-أى و من رذائل القوه الغضبيه:-
- ٣٨٤ ..... فصل (ذم العجب)
- ٣٨٦ ..... فصل (آفات العجب)
- ٣٨٧ ..... فصل (علاج العجب إجمالاً و تفصيلاً)
- ٣٨٧ ..... أما العلاج الإجمالى
- ٣٩١ ..... و أما التفصيلى

- ٣٩١ ----- أما(العجب بالعلم):
- ٣٩٤ ----- و أما(العجب بالعباده و الطاعه):
- ٣٩٤ ----- و أما(العجب بالورع،و التقوى،و الصبر،و الشكر،و السخاوه، و الشجاعه،و غيرها من الفضائل النفسيه):
- ٣٩٧ ----- و أما(العجب بالحسب و النسب):فعلاجه يتم بمعرفه أمور:
- ٣٩٧ ----- الأول- أن يعلم أن التعزز بكمال الغير غايه السفاهه و الجهل،
- ٣٩٨ ----- الثاني- أن يعرف نسبه الحقيقي،
- ٣٩٩ ----- الثالث -
- ٣٩٩ ----- و أما(العجب بالجمال):
- ٤٠٠ ----- و أما(العجب بالمال):
- ٤٠١ ----- و أما(العجب بالقوه و شده البطش):
- ٤٠٢ ----- و أما(العجب بالجاه،و المنصب،و ولايه السلاطين،و كثره الأتباع و الأنصار):
- ٤٠٢ ----- و أما(العجب بالعقل و الكياسه و التفطن لدقائق الأمور):
- ٤٠٢ ----- و أما(العجب بالرأى الخطأ الذى يزين له بجهله):
- ٤٠٤ ----- وصل (انكسار النفس)
- ٤٠٥ ----- و منها:
- ٤٠٦ ----- فصل (ذم الكبر)
- ٤١٠ ----- فصل (التكبر على الله و على الناس)
- ٤١١ ----- فصل (درجات الكبر)
- ٤١٢ ----- (الثانيه)كالأولى،إلا فى إظهاره على اللسان،
- ٤١٢ ----- (الثالثه)ان يكون مستقرا فى قلبه
- ٤١٢ ----- فصل (علاج الكبر علما و عملا)
- ٤١٣ ----- اشكال و حل
- ٤١٥ ----- تذييب (العلاج العملى للكبر)
- ٤١٥ ----- (الأول)ان يناظر مع أقرانه فى بعض المسائل،
- ٤١٦ ----- (الثاني)ان يقدم الأقران و الأمثال على نفسه فى المحافل،
- ٤١٦ ----- (الثالث)أن يجيب دعوه الفقير،

٤١٧ ----- (الرابع) ان يلبس ثيابا بذله،

٤١٧ ----- (الخامس) أن يأكل مع خدامه و غلمانه،

٤١٩ ----- وصل (التواضع و مدحه)

٤٢٣ ----- تتميم (الذله)

٤٢٤ ----- ومنها:

٤٢٥ ----- ومنها:

٤٢٦ ----- ومنها:

٤٢٧ ----- ومنها:

٤٢٨ ----- ومنها:

٤٢٩ ----- وصل (الإيصاد و الاستقامه على الحق).

٤٣٠ ----- ومنها:

٤٣٨ ----- تعريف مركز



سرشناسه : نراقي، مهدي بن ابي ذر، ق ١٢٠٩ - ١١٢٨

عنوان و نام پديدآور : جامع السعادات / محمد مهدي النراقي؛ قدم محمدرضا المظفر؛ علق عليه محمد كلانتر

مشخصات نشر : بيروت.

مشخصات ظاهري : ج ٢

وضعيت فهرست نويسي : فهرست نويسي قبلي

يادداشت : عربي.

يادداشت : كتابنامه

شماره كتابشناسي ملي : ١٢٦٠٣٠

ص : ١

[مقدمه محمد رضا المظفر]



### اشاره

هو الشيخ الجليل المولى (محمد مهدي بن أبي ذر النراقي) أحد أعلام المجتهدين في القرنين الثاني عشر و الثالث عشر من الهجره، و من أصحاب التأليفات القيمه. و يكاد أن يعد في الدرجه الثانيه أو الثالثه من مشاهير علماء القرنين.

و هو عصامي لا- يعرف عن والده (أبي ذر) إلا- أنه كان موظفا في الدوله الإيرانيه بوظيفه صغيره في قريه (نراق)، و لولا ابنه هذا لذهب ذكره في طيات التاريخ كملايين البشر من أمثاله، و لا يعلم ما إذا كان لشيخنا النراقي أخوه، و لكن له ولد نابه الذكر، هو المولى أحمد النراقي المتوفى ١٢٤٤، صاحب (مستند الشيعه) المشهور في الفقه، و صاحب التأليفات الثمينه، أحد أقطاب العلماء في القرن الثالث عشر. و كفاه فخرا أنه أحد أساتذه الشيخ العظيم المولى مرتضى الأنصاري المتوفى ١٢٨١.

و لعل النراقي الصغير هذا هو من أهم أسباب شهره والده و ذبوع صيته، لما وطئ عقبه و ناف عليه بدقه النظر و جوده التأليف. كما حذا حذوه في تأليفاته. فان الأب المكرم ألف في الفقه (معتمد الشيعه).

و الابن الجليل ألف مستندها.و ذاك ألف فى الأخلاق(جامع السعادات) -هذا الكتاب الذى نقدمه-و هذا ألف (معراج السعاده)فى الفارسيه.

و ذاك ألف (مشكلات العلوم)و هذا ألف (الخزائن)...و هكذا نسج على منواله و أحكم النسج.

### مولده و وفاته

ولد الشيخ المترجم له-رحمه الله تعالى-فى (نراق) كعراق (1)، و هى قريه من قرى كاشان بإيران، تبعد عنها عشره فراسخ.و كذا كانت مسقط رأس ولده المتقدم الذكر.و لم يذكر التأريخ سنه ولادته،و على التقريب يمكن استخراجها من بعض المقارنات التأريخيه، فإنه تلمذ-فى أول نشأته على ما يظهر-على الشيخ المحقق الحكيم المولى إسماعيل الخاجوئى ثلاثين سنه، مع العلم أن أستاذه هذا توفى عام ١١٧٣، فتكون أول تلمذته عليه عام ١١٤٣ على أقل تقدير، إذا فرضنا أنه لازمه إلى حين وفاته.

و لنفرض على أقرب تقدير أنه قد حضر عليه و هو فى سن ١٥ عاما، و عليه فتكون ولادته عام ١١٢٨، أو قبل ذلك.

أما وفاته فقد كانت عام ١٢٠٩ فى النجف الأشرف، و دفن فيها، فىكون قد بقى بعد وفاه أستاذه الوحيد البهبهانى سنه واحده،و يكون عمره ٨١ عاما على الأقل.

و فى (رياض الجنه)المخطوط، تأليف السيد حسن الزنوزى المعاصر للمترجم له-حسب نقل الأستاذ حسن النراقى-: أن عمره كان ٦٣ سنه، فتكون ولادته سنه ١١٤٦ هـ.و هذا لا يتفق أبدا مع ما هو معروف فى

ص: ٤

---

(١-١) و فى أعيان الشيعة-ج ١٠ ص ٢٥٠:-انها بفتح النون.

تأريخه: أنه تلمذ على المولى إسماعيل الخاجوئي ثلاثين سنة، لأنه يكون عمره على حسب هذا التأريخ حين وفاه أستاذه ٢٧ سنة فقط.

## نشأته العلمية و أساتذته

عاش شيخنا كما يعيش عشرات الآلاف من أمثاله من طلاب العلم:

خامل الذكر، فقير الحال منزويا في مدرسته، لا يعرف من حاله إلا أنه طالب مهاجر، ولا يتصل به إلا أقرانه في دروسه، الذين لا يهمهم من شأنه إلا أنه طالب كسائر الطلاب، يتردد في حياه رتيبه بين غرفته و مجالس دروسه، ثم بعد ذلك لا ينكشف لهم من حاله إلا بزته الرثه التي ألفوا منظرها في آلاف طلاب العلم، فلا تثير اهتمامهم و لا اهتمام الناس.

و بطبيعته الحال لا يسجل له التأريخ شيئا في هذه النشأه، وكذلك كل طالب علم لا يسجل حتى اسمه ما لم يبلغ درجه يرجع إليه الطلاب في التدريس، أو الناس في تقليد، أو تكون له مؤلفات تشتهر. و من هنا تبدئ معرفه حياه الرجل العالم، و تظهر آثاره و يلمع اسمه.

و مع ذلك، فإننا نعرف عن شيخنا: أن أسبق أساتذته و أكثرهم حضورا عنده هو المولى إسماعيل الخاجوئي المتقدم الذكر. و هذا الأستاذ كان مقره في أصفهان، و فيها توفي و دفن، و الظاهر أنه لم ينتقل عنها حتى في الكارثه التأريخيه المفجعه التي أصابتها من الأفغانيين الذين انتهكوها بما لم يحدث التأريخ عن مثلها، و ذلك سنة ١١٣٤. فتكون نشأه شيخنا المترجم له العلميه في مبدأ تحصيله في أصفهان على هذا الشيخ الجليل. و الظاهر أنه عليه قرأ الفلسفه، لأن هذا الشيخ من أساتذه الفلسفه المعروفين الذين تنتهى تلمذتهم في ذلك العصر إلى المولى صدر الدين الشيرازى صاحب الأسفار.

و كفى أن من تلاميذه المولى محراب، الإلهي المعروف، الذي طورد لقوله

بوحده الوجود، و لما جاء إلى إحدى العتبات المقدسه متخفيا. وجد فى الحرم شيئا ناسكا يسبح بلعن ملا صدرا و ملا محراب، و لما سأله عن السبب فى لعنهما قال: لأنهما يقولان (بوحده واجب الوجود)، فقال له ساخرا:

إنهما حقا يستحقان منك اللعن! و درس أيضا شيخنا المترجم له- و الظاهر أن ذلك فى أصفهان أيضا- على العالمين الكبيرين: الشيخ محمد بن الحكيم العالم الحاج محمد زمان، و الشيخ محمد مهدى الهرندى. و هما من أساتذه الفيلسوفه على ما يظهر.

و لا شك أنه انتقل إلى كربلاء و النجف، فدرس على الأعلام و الثلاثة:

الوحيد البهبهاني الآتى ذكره- و هو آخر أساتذته و أعظمهم، و تخريجه كان على يديه- و الفقيه العالم صاحب الحدائق الشيخ يوسف البحراني المتوفى ١١٨٦، و المحقق الجليل الشيخ مهدى الفتونى المتوفى ١١٨٣.

فجمله أساتذته سبعة، سماهم ولده فى بعض إجازاته على ما نقل عنه ب(الكواكب السبعة). و هم خيره علماء ذلك العصر، و على رأسهم الآفاه الوحيد أستاذ الأساتذه.

و لما فرغ هذا الشيخ من التحصيل فى كربلاء، رجع إلى بلاده و استقام فى كاشان. و هناك أسس له مركزا علميا تشد إليه الرحال، بعد أن كانت كاشان مقفله من العلم و العلماء، و استمرت بعده على ذلك مركزا من مراكز العلم فى إيران، و ليس لدينا ما يشير إلى تأريخ انتقاله إلى كاشان.

و رجع إلى العراق، و توفى فى النجف الأشرف و دفن فيها. و الظاهر أن مجيئه هذا كان- و كان معه ولده- بعد أستاذه الوحيد، جاء لزياره المشاهد المقدسه فتوفى، أما ولده فقد بقى بعده ليدرس العلم على أعلامه يومئذ، كبحر العلوم، و كاشف الغطاء.

يمضى القرن الثاني عشر للهجرة على العتبات المقدسه فى العراق، بل على أكثر المدن الشيعيه فى إيران التى فيها مركز الدراسه الدينيه العاليه - كإصفهان و شیراز و خراسان - و تطغى فيه ظاهر تان غريبتان على السلوك الدينى: الأولى: النزعه الصوفيه التى جرّت إلى مغالاه فرقه الكشفيه.

و الثانيه: النزعه الأخباريه.

و هذه الأخيره خاصه ظهرت فى ذلك القرن قويه مسيطره على التفكير الدراسى، و تدعو إلى نفسها بصراحه لا هواده فيها، حتى أن الطالب الدينى فى مدينه كربلا خاصه أصبح يجاهر بتطرفه و يغالى، فلا يحمل مؤلفات العلماء الأصوليين إلا بمنديل، خشيه أن تنجس يده من ملامسه حتى جلدها الجاف، و كربلا يومئذ أكبر مركز علمى للبلاد الشيعيه.

و فى الحقيقه أن هذا القرن يمر و الروح العلميه فاتره إلى حد بعيد، حتى أنه بعد الشيخ المجلسى صاحب البحار المتوفى فى أول هذا القرن عام ١١١٠، لم تجد واحدا من الفقهاء الأصوليين من يلمع اسمه و يستحق أن يجعل فى الطبقة الأولى، أو تكون له الرئاسة العامه، إلا من ظهر فى أواخر القرن كالشيخ الفتونى الجليل فى النجف المتوفى ١١٨٣، ثم الشيخ آقا الوحيد البهبهانى فى كربلا المتوفى ١٢٠٨، الذى تم على يديه تحول العلم إلى ناحيه جديده من التحقيق.

و هذا الفتور العلمى، و طغيان نزعه التصوف من جهه، و نزعه الأخباريه من جهه أخرى فى هذا القرن بالخصوص، مما يدعو إلى التفكير و العجب، و ليس بأيدينا من المصادر ما يكفى للجزم بأسباب ذلك. و أغلب الظن أن أهم الأسباب التى نستطيع الوثوق بها هو الوضع السياسى و الاجتماعى

اللذان آلت إليهما البلاد الإسلاميه فى ذلك القرن، من نحو التفكك و اختلال الأمن فى جميع أطراف البلاد، و الحروب الطاحنه بين الأمراء و الدول، لا- سيما بين الحكومتين الإيرانيه و العثمانيه، و بين الإيرانيه و الأفغانيه، تلك الحروب التى اصطبغت على الأكثر بصبغه مذهبيه. و هذا كله مما يسبب البلبله فى الأفكار و الاتجاهات، و ضعف الروح العامه المعنويه.

فأوجب ذلك من جهه ضعف ارتباط رجال الدين بالحياه الواقعيه، و السلطان الزمنيه. و يدعو ذلك عاده إلى الزهد المغالى فى جميع شئون الحياه، و اليأس من الإصلاح. فتنشأ هنا نزعه التصوف، و تتخذ يومئذ صرحا علميا على انقاض الفلسفه الإشراقيه الإسلاميه المطارده المكبوته، التى سبق أن دعا لها أنصار أقوياء، كالمولى صدر الدين الشيرازى المتوفى عام ١٠٥٠، و أضرابه و أتباعه، مع المغالاه فى أفكارها. و ساند طريقه التصوف مبدئيا أن السلطه الزمنيه فى إيران- و هى (سلطه الصفويين)- قامت على أساس الدعوه إلى التصوف. و ظلت تؤيدها و تمددها سرا.

و من جهه أخرى يحدث رد فعل لهذا الغلو، فينكر على الناس أن يركنوا إلى العقل و تفكيره، و يلتجأ إلى تفسير التعبد بما جاء به الشارع المقدس بمعنى الاقتصار على الأخبار الوارده فى الكتب الموثوق بها فى كل شىء و الجمود على ظواهرها. ثم يدعو الغلو بهؤلاء إلى ادعاء أن كل تلك الأخبار مقطوعه الصدور على ما فيها من اختلاف. ثم يشتد بهم الغلو.

فيقولون بعدم جواز الأخذ بظواهر القرآن و حده، من دون الرجوع إلى الأخبار الوارده. ثم ضربوا بعد ذلك علم الأصول عرض الجدار، بادعاء أن مبانيه كلها عقليه لا تستند إلى الأخبار، و العقل أبدا لا يجوز الركون اليه فى كل شىء، ثم ينكرون الاجتهاد و جواز التقليد. و هكذا تنشأ فكره الأخباريه الحديثه التى أول من دعا إليها أو غالى فى الدعوه إليها المولى



أمين الدين الأسترابادى المتوفى ١٠٣٣. ثم يظهر آخر شخص لهذه النزعه له مكانته العلميه المحترمه فى الفقه هو صاحب الحدائق المتقدم ذكره. وهذا الثانى- وإن كان أكثر اعتدالا من الأول و أضرا به- كاد أن يتم على يديه تحول الاتجاه الفكرى بين طلاب العلم فى كربلا إلى اعتناق فكره الأخباريه هذه.

و عند ما وصلت هذه الفكره الأخباريه إلى أوجها، ظهر فى كربلاء علم الأعلام الشيخ الوحيد الآقا البهبهانى، الذى قيل عنه بحق: مجدد المذهب على رأس المائه الثالثه عشره. فإن هذا العالم الجليل كان لبقا مفوها و مجاهدا خيرا، فقد شن على الأخباريه هجوما عنيفا بمؤلفاته، و بمحاججاته الشفويه الحاده مع علمائها- و قد نقل فى بعض فوائده الحائريه و رسائله نماذج منها- و بدروسه القيمه التى يلقونها على تلامذته الكثيرين الذين التفوا حوله، و على يديه كان ابتداء تطور علم الأصول الحديث، و خروجه عن جموده الذى ألفه عدده قرون، و اتجه التفكير العلمى إلى ناحيه جديده غير مألوفه.

فانكملت فى عصره النزعه الأخباريه على نفسها، و لم تستطع أن تثبت أمام قوه حجته. و تخرج على يديه جماعه كبيره من أعلام الأمم، كبحر العلوم، و كاشف الغطاء، و المحقق القمى، و الشيخ النراقى- المترجم له- و أشباههم.

فيرز شيخنا المترجم له فى عنفوان المعركه الأخباريه و الأصوليه، و ساحتها كربلا، و فى عنفوان معركه الدعوه إلى التصوف، و ساحتها أصفهان على الأكثر، فىكون أحد أبطال هاتين المعركتين، بل أحد القواد الذين رفعوا رايه الجهاد بمؤلفاته و تدريسه، و ساعده على ذلك أنه- رحمه الله- كان متفنا فى دراسه العلوم، و لم يقتصر على الفقه و الأصول و مقدماتهما، فقد شارك العلوم الرياضيه، كالهندسه و الحساب و الهيئه، و له مؤلفات فيها

سيأتي ذكرها. كما درس الفلسفه، و يظهر أثر تضلعه في الفلسفه في كتابه هذا(جامع السعادات)، لا سيما في الباب الأول، و في تقسيمه لأبواب الكتاب و فصوله على أساس علمي متقن برز فيه على كتاب الأخلاق السابقه عليه من هذه الناحيه. و سيأتي بيان ذلك.

كما أن تأليف لهذا الكتاب بشعرنا بأمرين:

(الأول) طغيان التصوف من جهه، و طغيان التفكك الأخلاقي عند العامه من جهه أخرى، و أنهما هما اللذان ألجآه إلى أن يرشد الناس إلى الاعتدال في السلوك الأخلاقي المستقي من منابعه الشرعيه، فإنه في الوقت الذي يبنى كتابه على مبادئ الفلسفه الإشراقيه، حارب فيه من طرف خفي نزعه التصوف، و جعل آراءه و دعوته إلى الأخلاق على أساس الذوق الإسلامي الذي يتمثل في الأحاديث النبويه و ما جاء عن آل البيت عليهم السلام- فهو في وقت واحد هادم و بان، و بهذا يختلف كتابه عن مثل (إحياء العلوم) الذي يعتمد بالدرجه الأولى على الروح الصوفيه، و هي غايته المثلى.

و(الثاني) من الأمرين حسن اختيار صاحب الترجمة، فإنه لم يسبقه أحد من علماء الإماميه- بعد خريت هذه الصناعه ابن مسكويه المتوفى ٤٢١، و الشيخ المولى محسن الفيض المتوفى ١٠٩١- إلى تأليف كتاب كامل في الأخلاق مبنى على أساس علمي فلسفي موجود بين أيدينا.

### شخصيه المترجم له و أخلاقه

إن أعظم الناس و نوابغهم لا- تأتيهم العظمه و النبوغ عفوا و مصادفه، من دون قوه كامنه في شخصيتهم أو ملكه راسخه في نفوسهم، هي سر عظمتهم و تفوقهم على سائر الناس. و ما كلمه الحظ في هذا الباب إلا تعبير مبهم عن تلك القوه التي أودعها الله تعالى في شخص النابغه. و قد تكون

تلك القوه مجهوله حتى لشخص صاحبها الذى يتحلى بها، بل على الأكثر هى كذلك، فيندفع العبقري إلى تلك القمه التى خلقت له أو خلق لها بدافع تلك القوه الكامنه اندفاعا لا شعوريا، وإن أعماله الجزئيه التى يقوم بها هى شعريه بمحض اختياره.

و تلاحظ قوه شخصيه شيخنا المترجم له فى صبره وقوه إرادته و تفانيه فى طلب العلم، ثم عزه نفسه، و إن كانت هذه الفاظ عامه قد يعبر بها عن كثير من الناس، و يصح التعبير بها بلا كذب و لا خداع، إلا أن للدرجه الخاصه من الصبر و الإراده و الحب و العزه و نحوها التى بها يمتاز الشخص النابغ تضيق اللغه عن التعبير عنها بخصوصها إلا بهذه الألفاظ العامه الدارجه و تظهر الدرجه الخاصه التى يختص بها صاحبنا من هذه الأمور فى ثلاث حوادث منقوله عنه:

(الأولى)- فيما ينقل أنه كان فى أيام التحصيل فى غايه الفقر و الفاقه -و الفقر دائما شيمه العلماء، بل هو من أول شروط النبوغ فى العلم، و هو الذى يصقل النفس فيظهر جوهر الحقيقى- فكان صاحبنا قد تشتد به الفاقه فيعجز عن تدبير ثمن السراج الذى لا يتجاوز فى عصره عن أن يكون من زيت أو شمع، فيدعوه حرصه على العلم إلى الدخول فى بيوت فى مراحل المدرسه، ليطالع على سراجها، و لكنه تآبى عزته أن يدع غيره يشعر بما هو فيه، فيوهم الداخلىن- بالتنحج- أنه جالس للحاجه الخاصه. و تتجلى فى هذه الحادثه الصغيره عزه نفسه و قوه إرادته و صبره على طلب العلم بدرجه غير اعتياديه إلا للنوابغ الأفاضل.

(الحادثه الثانيه)- أن أحد الكسبه الذى كان حانوته فى طريق المدرسه بكاشان التى كان يسكنها هذا الطالب النراقى، أن هذا الكاسب المؤمن لاحظ على هذا الطالب انه رث الثياب. و كان معجبا به، إذ كان

يشترى منه بعض الحاجيات كسائر الطلاب، فرأى أن يكسبه تقرباً إلى الله فهباً له ملبوساً يليق بشأنه، وقدمه له عند ما اجتاز عليه، فقبله بإلحاح.

و لكن هذا الطالب الأبى فى اليوم الثانى رجع إلى رفيقه الكاسب و ارجع له هذا الملبوس قائلاً: إنى لما لبسته لاحظت على نفسى ضعه لا أطيعها، لا سيما حينما اجتاز عليك، فلم أحد نفسى تتحمل هذا الشعور المؤلم، و ألقاه عليه و مضى معتزاً بكرامته.

(الحادثه الثالثه)-فيما ينقل عنه أيضاً- و هى أهم من الأولى و الثانيه-أنه كان لا يفض الكتب الوارده إليه، بل يطرحها تحت فراشه مختومه، لئلا يقرأ فيها ما يشغل باله عن طلب العلم. و الصبر على هذا الأمر يتطلب قوه إراديه عظيمه ليست اعتياديه لسائر البشر. و يتفق أن يقتل والده (أبو ذر) المقيم فى نراق و طنه الأصلي، و هو يومئذ فى أصفهان، يحضر على أستاذه الجليل المولى إسماعيل الخاجوى، فكتبوا إليه من هناك بالنبا ليحضر إلى نراق، لتصفيه التركه و قسمه المواريث و شئون أخرى، و لكنه على عادته لم يفض هذا الكتاب، و لم يعلم بكل ما جرى. و لما طالت المده على من فى نراق، كتبوا له مره أخرى، و لكن لم يجبههم أيضاً. و لما يسوا منه كتبوا بالواقع إلى أستاذه المذكور ليخبره بالنبا و يحمله على المجيء. و الأستاذ فى دوره-على عادته الناس-خشى أن يفاجئه بالنبا، و عند ما حضر مجلس درسه أظهر له-تمهيدا لإخباره-الحزن و الكآبه، ثم ذكر له: أن والده مجروح، و رجح له الذهاب إلى بلاده و لكن هذا الولد الصلب القوى الشكيمه لم تلن قناته، و لم يزد أن دعا بالعافيه، طالبا من أستاذه أن يعفيه من الذهاب. و عندئذ اضطر الأستاذ إلى أن يصرح له بالواقع، و لكن الولد أيضا لم يعبأ بالأمر، و أصر على البقاء لتحصيل العلم. إلا أن الأستاذ هذه المره لم يجد بدا من أن يفرض

عليه السفر، فسافر امتثالاً لأمره المطاع، ولم يمكث في نراق أكثر من ثلاثة أيام، على بعد الشقه وزياده المشقه، ثم رجع إلى دار هجرته. وهذه الحادثه لها مغزاها العميق في فهم نفسه هذا العالم الإلهي، و تدل على استهانته بالمال و جميع شئون الحياه في سبيل طلب العلم.

## مؤلفاته

## اشاره

لشيخنا المترجم له عدده مؤلفات نافعه، تدل على قابليه في التأليف و صبر على البحث و التتبع، و على علم غزير. و نحن نعدّ منها ما وصل بحثنا إليه، و أكثر اعتمادنا في تعدادها و بعض أوصافها على كتاب (رياض الجنه) المذكور في مصادر هذه الطبعه:  
(في الفقه):

١- (لوامع الأحكام في فقه شريعه الإسلام): و هو كتاب استدلالى مبسوط، و قد خرج منه كتاب الطهاره في مجلدين يقرب من (٣٠) ألف بيت.

٢- (معتمد الشيعه في أحكام الشريعه): هو أتم استدلالا و اخصر تعبيراً من كتاب اللوامع السالف الذكر، خرج منه كتاب الطهاره و نبذ من الصلاه و الحج و التجاره و القضاء. قال في الروضات عن الكتابين:  
«ينقل عنهما ولده المحقق في المستند و العوائد كثيراً».

٣- (التحفه الرضويه في المسائل الدينيه): في الطهاره و الصلاه، فارسي، يقرب من (١٠) آلاف بيت.

٤- (أنيس التجار): في المعاملات، فارسي، يقرب من (٨) آلاف بيت.

٥- (أنيس الحجاج): في مسائل الحج و الزيارات، فارسي، يقرب

من (٤) آلاف بيت.

٦- (المناسك المكيه): فى مسائل الحج أيضا، يقرب من ألف بيت.

٧- (رساله صلاه الجمعه): ذكرها و ما قبلها حفيده (الأستاذ حسن النراقى) فى رسالته لنا.

(فى أصول الفقه):

٨- (تجريد الأصول): مشتمل على جميع مسائل الأصول مع اختصاره، يقرب من (٣) آلاف بيت. قال عنه فى الروضات: «شرح ولدته فى مجلدات غفيره جمه»، ٩- (أنس المجتهدين): توجد منه نسخه مخطوطه فى مكتبه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامه بالنجف الأشرف (برقم ٤٠٨-سجل المخطوطات)، تقع فى ٤١١ صفحه، بخط محمد حسين بن على نقى البزاز فرغ منها بتاريخ ٣ صفر من سنه ١١٨١. و فى تقدير رياض الجنه يقرب من (١٠) آلاف بيت.

١٠- (جامعه الأصول): يقرب من (٥) آلاف بيت.

١١- (رساله فى الإجماع): يقرب من (٣) آلاف بيت.

(فى الحكمه و الكلام):

١٢- (جامع الأفكار): فى الإلهيات، يقرب من (٣٠) الف بيت قد فرغ من تأليفه سنه ١١٩٣، و عليه فليس هو من أوائل مؤلفاته، كما قال عنه صاحب (رياض الجنه)، و ستجد راموزا للصفحتين الأولى و الأخيره منه بخط المؤلف، منقولتين عن النسخه التى هى بحرزه أحد أحفاده (الأستاذ حسن النراقى). و الذى يجلب الانتباه فى الصفحه الأخيره ما ذكره من الحوادث المروعه فى الوباء و غيره التى وقعت فى تلك الفتره.

١٣- (قره العيون): فى أحكام و الوجود و الماهيه، يقرب من

ص: ١٤

(٥)آلاف بيت، ١٤- (اللمعات العرشية):فى حكمه الإشراق، يقرب من (٢٥) الف بيت.

١٥- (اللمعه):و هو مختصر اللمعات، يقرب من الفى بيت.

١٦- (الكلمات الوجيزه):و هو مختصر اللمعه، يقرب من ثمانمائه بيت.

١٧- (أنيس الحكماء):فى المعقول،و هو من أواخر تأليفاته، لم يتم.احتوى على نبذ من الأمور العامه و الطبيعيات، يقرب من (٤) آلاف بيت.

١٨- (أنيس الموحدين):فى أصول الدين،فارسى، يقرب من (٤)آلاف بيت.

١٩- (شرح الشفا):فى الإلهيات،النسخه الأصلية بخط المؤلف موجوده عند أحد أحفاده(الأستاذ حسن النراقى).

٢٠- (الشهاب الثاقب):فى الإمامه، فى رد رساله الفاضل البخارى، يقرب من (٥)آلاف بيت.

(فى الرياضيات):

٢١- (المستقصى):فى علوم الهيئه، خرج منه مجلدان إلى مبحث اسناد الحركات. يقرب من (٤٠)ألف بيت،قال عنه فى رياض الجنه:

«لم يعمل أبسط و أدق منه فى علم الهيئه،و لقد طبق فيه أكثر البراهين الهندسيه بالدلائل العقلية،لم يتم».

٢٢- (المحصل):كتاب مختصر فى علم الهيئه، يقرب من (٥) آلاف بيت.

٢٣- (توضيح الإشكال):فى شرح تحرير أفليدس الصورى

فى الهندسه، و قد شرحه إلى مقاله السابعه، فارسى، يقرب من (١٦) ألف بيت.

٢٤- (شرح تحرير اكرثا ذوسنيوس): يقرب من (٣) آلاف بيت.

٢٥- (رساله فى علم عقود الأناقل): فارسى، تقرب من ألف بيت.

٢٦- (رساله فى الحساب): ذكرها فى روضات الجنات.

(فى الأخلاق و المواعظ):

٢٧- (جامع السعادات): هذا المطبوع بثلاثه أجزاء- حسب تقسيمنا له- قال عنه فى رياض الجنه: «يقرب من (٢٥) ألف بيت».

و قد طبع فى إيران على الحجر سنه ١٣١٢ بجزءين، و سيأتى وصفه، و قد تقدم شىء من وصفه. و هذه الطبعة الثلاثه له على الحروف بالنجف الأشرف ٢٨- (جامع المواعظ): فى الوعظ، يقرب من (٤٠) الف بيت لم يتم.

(فى المتفرقات):

٢٩- (محرق القلوب): فى مصائب آل البيت، فارسى، يقرب من (١٨) ألف بيت، قال عنه فى روضات الجنات: «طريف الأسلوب» ٣٠- (مشكلات العلوم): فى المسائل المشكله من علوم شتى، مطبوع على الحجر بإيران، يشبه بعض الشىء كشكول البهائى. و قد نسج على منواله ولده المحقق فى كتابه (الخزائن) المطبوع على الحجر بإيران.

٣١- (رساله نخبه البيان): ذكرها حفيده (الأستاذ حسن النراقى) ٣٢- (معراج السماء): ذكره أيضا حفيده المذكور.



لا شك أن قدره على التأليف موهبه من الله تعالى فوق موهبه العلم و الفهم، و ليس كل من كان عالما استطاع التأليف.

و التأليف فى حد ذاته من أبرز الخدمات التى يؤديها العالم للناس فى حياته، و من أعظم الحظوظ للإنسانيه، و بسببه استطاعت أن تتقدم على مرور الأجيال. و مع ذلك ليس كل تأليف يعد خدمه للناس و حظا للإنسانيه.

و إذا أردنا أن نضع المؤلفات فى رفوف حسب قيمتها، فإنما فى فترات منقطعه تظهر مؤلفات من النوابع يصح أن نضعها فى الرف الأعلى و يصدق عليها بحق أنها مما ينفع الناس، فتمكث فى الأرض، و تفرض نفسها للخلود و البقاء إذا سلمت من عوادي الدهر الغاشمه. و من سوء الحظ أن الفراغ لا يزال كثيرا فى هذا الرف الأعلى.

و من بين الفترات لا- بد أن تبرز فى كل علم من المؤلفات هى من حقها أن توضع فى الرف الثانى أو ما دونه. و حظها أن تنسج على منوال غيرها لتحيتها و تهىء انتهاء الفتره لظهور الأثر الخالد مما يوضع فى الرف الأعلى.

و هذه غير العشاء الذى يذهب جفاء، و من حقه أن يلتقى فى سله المهملات و ما أكثر هذا النوع الرخيص، لا سيما فى عصرنا الحاضر الذى سهلت له الطباعة الاسفاف.

و يجب ألا نغالى فى مؤلفات شيخنا النراقى فنضعها فى الرف الأعلى، و لكن (جامع السعادات) الذى نقدمه، هو بالخصوص من الآثار الخالده، و إن لم يكن موضعه هذا الرف الأعلى كسائر الكتب الأخلاقيه فى الدوره الإسلاميه. و لا- ندرى السر فى ذلك، لأن الفتره بعد لم تنته لعلم الأخلاق بخصوصه كيما يظهر الأثر الخالد المنتظر الذى سيكون فى الرف الأعلى،

أم لأن هذا العلم ليس له تلك الفترات، بل كله في فتره مستديمه لياس العلماء الأخلاقيين من التأثير على الناس بمجرد التأليف؟! وهذا الثاني هو الأقرب إلى الواقع. و الحق مع الأخلاقيين في ياسهم فإن الأخلاق لا تكتسب بالعلم و قراءه الكتب، و إنما هي صفات و ملكات لا تحصل للإنسان إلا بالتمرينات القاسيه و التربيه الطويله، لا سيما في أيام الطفوله و في السن المبكره قبل أن يفرض في الإنسان أن يكون أهلا للقراءه، و لو كانت قراءه الكتب وحدها كافيه لخلق الفضيله في النفس أو تنميتها لكانت كتب الأخلاق من أثن ما خلق الله و لأغنى البشريه كتاب واحد يفى بذكر الأخلاق الفاضله، بل لاكتفينا بالقرآن الكريم وحده، أو ينهج البلاغه بعده الذي تريد خطبه و مواظبه أن تصهر الناس في بوتقتها الملتهبه لتخرجهم إبريزا صافيا كصاحبها، و لكن البشريه الظالمه لنفسها بدل أن تنصهر بهذا اللهب تخبو جذوتها و تزيد جمودا على مساوئها.

و ليس هذا الرأي عن الكتب الأخلاقيه فيه شىء من المغالاه على ما اعتقد، إلا أنى مع ذلك لا أظلم بعض زمره صالحه من أهل الفتوه و أرباب القلوب الحيه، إذ نجدهم يتأثرون بالكلمه الأخلاقيه الموجهه إليهم ممن يعول على قوله، و يتتبعون بإخلاص مجهودات المؤلفين فى الأخلاق، ليرسموا خطاهم فيهدبوا أنفسهم.

و من هنا نجد السبيل إلى انصاف الأخلاقيين و إعطاء مؤلفاتهم حقه من التقدير، لنعقد أنهم لم يعملوا عملا باطلا لا نفع فيه، بل الحق أن له قيمته العظيمه، و كفى أن يتأثر بدعوتهم بعض فتیان كرام برره. و هذا التأثير على قلته له قيمه معنويه لا توازن بشىء فى الدنيا، بل سير الحياه و تقدمها يتوقف مبدئيا على هذا التأثير، و إن كان محدودا. و ما التقدم الاجتماعى الذى يحصل فى أمه فى بعض الفترات من الزمن إلا نتيجه من

نتائج هذا التأثير المحدود.

و مع ذلك، فإن تأثير الدعوه الأخلاقيه هذا التأثير المحدود لا يأتي من مجرد شحن الكتاب بالنظريات الأخلاقيه المجرده. بل لروحيه المؤلف أعظم الأثر في اجتذاب قلوب الفتیان الكرام إلى الخير. و من هنا اشترطوا في الواعظ أن يكون متعظا.

و على هذا الأساس ينبغي أن توضع كتب الأخلاق في رفوفها، فليس للنظريات الفلسفيه و رصانه التأليف و تركيزه على المبادئ العلميه-في نظر أرباب القلوب- تلك الأهميه الأخلاقيه التي تعلق عليها. و لا- تقاس بالأثر الأخلاقي الذي يحصل من روجيه المؤلف و مقدار تأثيره هو بأقواله، و ما كانت شهره (مجموعه ورام)، و ما كانت أهميتها إلا لأنها ناشئه من قلب صادق، ذلك قلب الأمير الزاهد الإلهي (الشيخ ورام ابن أبي فراس المالكي الأشتري)، و ليس فيها صفة علميه أو فنيه تقضى بهذا الاهتمام.

و من العجيب أن قلب الرجل الأخلاقي يبرز ظاهرا على قلمه في مؤلفاته، فتلمسه في ثنايا كلماته. و بالعكس ذلك الذي لا قلب له، فإنك لا تقرأ منه إلا كلاما جافا لا روح فيه، مهما بلغت قيمته في حساب النظريات الفلسفيه.

و في نظري أن قيمه (جامع السعادات) في الروح المؤمنه التي تقرأها في ثناياها أكثر بكثير من قيمته العلميه. و إنني لأتحدى قارئ هذا الكتاب إذا كان مستعدا للخير أن يخرج منه غير متأثر بدعوته، و هذا هو السر في إقبال الناس عليه و في شهرته، على أنه لا يزيد من ناحيه علميه على بعض الكتب المتداوله التي لا نجد فيها هذا الذوق و الروحانيه. و الكتاب نفسه يكشف لنا عن نفسيه المؤلف، و ما كان عليه من خلق عال و إيمان صادق.

و إنني لأؤمن إيمانا لا يقبل الشك: أن انتشار هذا الكتاب بين الناس

فى هذا العصر سىكون له أثره المحسوس فى توجيه أمتنا نحو الخير، بعد أن نفذت طبعته الأولى و عزت نسخته، ولا سيما أن خطباء المنابر-فىما اعتقد- ستكون لهم الحصة الوفرة فى التأثير به و نقل تأثيرهم إلى سواد الأمة الذين هم المعول عليهم فى نهضتنا الأخلاقية المقبلة.

و هذا ما دفعنى-و الله هو الشاهد على- إلى السهر على تصحيح الكتاب و تدقيقه، ليخرج بهذه الحلقة، و إن كانت ظروفى الخاصة كادت أن تحول دون التفرغ له، لو لا- أنى توكلت على الله و وطنت نفسى على تجاهلها و إهمال كثير مما يجب العناية به، و الحمد لله على توفيقه.

### النواحي الفنية فى الكتاب

من أهم ما يؤخذ به كتابنا هذا، اعتماده على المراسيل فى الأحاديث، و تسجيل كل ما يرى أمامه من المنقولات: غثها و سمينها، من دون إشاره إلى التمييز و لا- إلى المصادر، حتى نقل كثيرا عن إحياء العلوم. و تعتمد النقل عن مثل جامع الأخبار و مصباح الشريعة، اللذين يشهد أسلوبهما على وضع أكثر ما فيهما. و قد وجدنا صعوبه كبيره فى العثور على جملة من مصادر هذه المنقولات لتصحيحها، و قد يستغرق البحث للعثور على مصدر خبر واحد أياما، كما قد يذهب البحث سدى. و ما كان يهمنى من الرجوع إلى المصادر إلا تصحيح المنقولات لا إثبات مصادرها، فلذلك لا نشير فى الحاشية إلى المصدر إلا إذا وجدنا اختلافا فى نصه فى النسخ، فنقول:

صححناه على كذا مصدر. و بهذه المناسبة لا بد من الاعتراف بالجميل، فنذكر الأستاذ الفاضل السيد عبد الرزاق المقرم بالشكر لما أعاننا عليه من الفحص عن بعض الروايات.

و الذى يهون الخطب فى هذه المؤاخذه-على أن لها قيمتها الفنية-

أنها لا تختص بهذا الكتاب وحده من بين كتب الأخلاق الإسلامية، بل هذا ديدنها، و كأن هم أصحابها من الاستشهاد بالمنقولات نفس أداء الفكره فإذا كانت بحسب نظرهم صحيحه مقبوله فى نفسها فلا يجب عندهم أن يكون الحديث الذى يتضمنها صحيحا مقبولا- فى عرف أهل الحديث، فإذا قال المحدث: «قال النبى و الإمام كذا»، يعنى بذلك أن هذا القول ثابت بالنقل الصحيح الموثوق به، و إلا فيقول «روى عنه كذا» أو ما يشبه ذلك أما الأخلاق فلا يعنى بذلك القول إلا أنه مروى عنه بأى طريق كان.

و لعل لهذا التسامح عذرا مقبولا فى مذهبهم على ما قدمنا، لو لم تكن فيه إساءه إلى أمانه النقل فى أهم تراث إسلامى دينى، فى حين كان من الممكن تحشيتها بقليل من التحقيق و البحث، على أن فى الثابت الصحيح عن آل البيت- عليهم السلام- ما فيه الكفايه للإمام بنواحي الأخلاق المطلوبه، و ما فى (الكافى) كاف وحده فى هذا الباب. و كنا نتمنى -أثناء التصحيح- على صاحب كتابنا هذا ألا يتبع هذه العاده عند الأخلاقيين، فيزيد على فائدته الأخلاقيه فائده أخرى فى تحقيق الأحاديث الصحيحه.

اما أسلوب الكتاب الأدبى، فهو يمثل إلى حد ما عصره الذى ضعفت فيه اللغه إلى حد كبير، بالرغم على أن الفلاسفه الإشراقيين اشتهروا فى تلك العصور بحسن البيان و قوه الأسلوب، لا- سيما فى العصر السابق على عصر المؤلف، كالسيد الداماد العظيم المتوفى ١٠٤١، و تلميذه النابغه الجليل المولى صدر المتقدم ذكره، حتى كان يسمى الأول: أمير البيان، و لعل الثانى أحق بهذا اللقب. غير أن صاحبنا لا- يحسب فى عداد الفلاسفه و إن ارتشف من منهلهم. على أنه كان يقتبس كثيرا نص عبارات غيره استراحه إليها.

و هذه سنه مستساغه عند المؤلفين الأخلاقيين، و كأن كتبهم يجدونها مشاعه

بين الجميع، أو لأن همهم أداء الفكره كما كان عذرهم في مراسيل الأحاديث.

و بهذه المناسبه نقول:إنا وجدنا أثناء تصحيح الكتاب كثيرا من الألفاظ و العبارات مما لم نجد له مسوغا من اللغه العربيه، ككلمه (القادسه) و(الهلا-كه،فضلنا أن نبقئها على ما وجدناها،حرصا على أمانه النقل، و أهملنا التنبيه عليها، و مثل كلمه(سيما)فضلنا أن نصححها و نضع كلمه (لا)بين قوسين إشاره إلى زيادتها منا.

و إذا كانت أمانه النقل هي العذر لنا في ذلك،فهي التي تقضى علينا أن نصرح أن عناوين الكتاب على الأكثر هي من وضعنا لا من وضع المؤلف.

و أما أسلوبه العلمى،فقد بناه مؤلفه من أوله إلى آخره على نظريه الوسط و الأطراف في الأخلاق،تلك النظرية الموروثة من الفيلسفه اليونانيه و قد بحث عنها المؤلف في(الجزء الأول ص ٥٩).و ليس من حقنا أن نناقشها،و لا- يمتاز بها هذا الكتاب وحده،فإن شأنه في الاعتماد على هذه النظرية الأساسيه شأن ساير كتب الأخلاق الإسلاميه العلميه.

و لكن الذى امتاز به كتابنا-بعد أن بحث مؤلفه بحثا فلسفيا متوسطا عن النفس و قواها،و الخير و السعاده،و الفضائل و الرذائل،في البابين الأول و الثانى،كما صنع أسلافه-أن جعل أساس تقسيمه للكتاب على القوى الثلاث:العاقله و الشهويه و الغضبيه،و معللا ذلك بأن«جميع الفضائل و الرذائل لا تخرج عن التعلق بالقوى الثلاث»(١-٦٦).و ذكر لكل قوه ما يتعلق بها من أجناس الفضائل و الرذائل منفرده و منضمه إلى الأخرى ثم ذكر أنواعها،و استقصى ذكر الأنواع،مطبقا على كل نوع نظريه الوسط و الأطراف،فجاء فى استقصائه و إلحاقه كل فضيله و رذيله بالقوه التى تتعلق بها،بما لم يجىء به غيره و لم يسبقه إليه أحد فيما نعلم،و هو نفسه ادعى

ذلك فقال: «ان احصاء الفضائل و الرذائل و ضبطهما، و إدخال البعض فى البعض، و الإشاره إلى القوه الموجه لها على ما فصلناه، مما لم يتعرض له علماء الأخلاق» (١-٧١).

و هذه أهم ناحيه فنيه فى الكتاب، و فتح جديد فى تحقيق منشأ حدوث خلق الفضيله و الرذيله، لو اتفق لغيره أن يترسم خطاه، و يتم ما فتحه من هذا الباب من التحقيق، لتقدم على يديه علم الأخلاق كبيرا. و على أساس تحقيقه هذا أسقط فضيله العدالة من حسابه، فلم يجعلها جنسا مقابلا- لأجناس الفضائل الثلاث الأخرى، و هى الحكمة و العفه و الشجاعه، باعتبار أن العدالة جامعته لجميع الكمالات بأسرها، لا أنها فى مقابلها، و قد فصل هذا الرأى فى الباب الثانى، و لا أظن أحدا يقره عليه، و لا يثبت أمام النقد. و لكن هذه المقدمه تضيق عن مثل هذه الأبحاث الدقيقه، كما تضيق عن مقارنة هذا التأليف بالمؤلفات الأخلاقيه الأخرى. و قصدنا أن هذا التقسيم من المؤلف، و إرجاع الفضائل و الرذائل إلى أسبابها، و جعل مواضيع الأبحاث تلك القوى، و إحصاء أنواع الأخلاق بنوعيتها و لوازمها، كل ذلك مستجد و هى طريقه علميه امتاز بها الكتاب.

### تصحيح الكتاب و مراجعه

وعدت الأخ الفاضل الألمعى السيد محمد كلانتر، ناشر الكتاب و ملتزمه تصحيحا و تعليقا- جزاه الله خير ما يجرى العاملون-: على الاشتراك معه و إعانتته على تدقيق و تحقيق هذا السفر الجليل و تصحيحه أيضا عند الطبع، إذا توفق لتهيئه ما يلزم لطبعه، و ذلك قبل سنتين. و شاء التوفيق أن يحقق هذه الأمنيّه، فلم أجد للتخلى عن الوفاء بالوعد سبيلا مهما كلفنى الأمر.

و يعجبنى من هذا الرجل صبره و جلده على المشاق فى سبيل نشره، باعتباره أحد الكتب التى يجب إحيائها فى هذا العصر، و هذا منه أحد شواهدى على تأثر الفتیان الكرام الأبرار بهذا السفر الأخلاقى. و قد شاهدت صبره لأول مره فى إيران فى صيف العام الماضى، لما اشترك هو و العلامة الأخ بالروح الشيخ محمد شيخ الشريعة، فى تصحيح قسم من الكتاب على النسخه المخطوطه الآتى ذكرها فى المراجع رقم ٢ إلى حد ص ١٧٦ من الجزء الأول من هذا المطبوع، فأودعا فى التعليقه آراءهما القيمه فى تحقيقه و تصحيحه. و لئن عدنا فى التصحيح من أوله لما استقبلت المطبعه النسخه للطبع، فإننا اعتمدنا كثيرا على تلك التحقيقات القيمه الماضيه.

و لا ننسى أن نذكر أن للنسخه المطبوعه فى إيران على الحجر، فيها من التحريف و التصحيف ما يذهب بالاطمئنان إليها، و يشوه المقصود و المعنى. و من الغريب أن نجد التحريف حتى فى الآيات القرآنيه و الأحاديث الشريفه. أما تذكير المؤنث و تأنيث المذكر، و تشويه الإملاء و التبويب، فهذه أمور حدّث عنها و لا حرج. و يكفى أن تقارن صفحه واحده منها بمطبوعنا، لتعرف أى مجهود بذل للتصحيح و الإخراج، و تجد العنايه على كل سطر منه، بل كل كلمه.

و من سوء الحظ، أن النسخه المخطوطه المرجع رقم (٢) لم تكن أكثر حظا فى الصحه من أختها المطبوعه. و هذا ما دعانا إلى أن نرجع إلى كتب أخرى تمتّ بالموضوع بصله لتحقيق الكتاب، كالكتب الأخلاقيه و كتب الحديث. و أكثر ما كان يعنيننا تصحيح الأحاديث الشريفه بالرجوع إلى مصادرها الذى جشمنا بحثا مضنيا كان يستغرق أكثر أوقاتنا، و قد نذكر أحيانا فى التعليقه المصدر المرجوع إليه، و على الأكثر لا نذكر المرجع إلا عند ما يكون مخالفا لنسخ الكتاب. و يحسن الآن أن نذكر أهم المراجع



التي اعتمدنا عليها لتصحيح الكتاب، و هي:

- ١- النسخه من الكتاب-المشار إليها آنفا-المطبوعه على الحجر بإيران سنه ١٣١٢.
- ٢- النسخه المخطوطه منه التي تفضل بها شيخنا الحجه الشيخ محمد محسن الشهير ب(آغا بزرك) مؤلف الذريعه، و قد نسخت سنه ١٢٠٨. و نعبّر عنها في التعليقه ب(نسختنا الخطيه). ٣- النسخه المخطوطه منه في مكتبه سپه سالار بطهران. و لا يحضرنا الآن تأريخ نسخها و رقمها في المكتبه. و قد قوبلت النسخه إلى حد صفحه ١٧٦ من الجزء الأول.
- ٤- النسخه المطبوعه، التي يملكها الخطيب السيد جواد شبر، و فيها بعض التقييدات و التصحيحات.
- ٥- إحياء العلوم-للشيخ أبي حامد الغزالي.
- ٦- إحياء الإحياء-المجلد الرابع المطبوع في إيران على الحجر سنه ١٣٢٦، للشيخ المولى محسن الفيض الكاشاني.
- ٧- نسخه أصول الكافي-المخطوطه سنه ١١٠٣، في مكتبه منتدى النشر برقم (٤٤٦)، و هي نسخه ظاهر عليها التصحيح و دقه المقابله على نسخ صحيحه.
- ٨- نسخه أصول الكافي-المخطوطه التي تحت تصرفنا.
- ٩- فروع الكافي-المطبوع بالحجر سنه ١٣١٥، و هو من المطبوعات الحجريه الصحيحه، ١٠- الوسائل-المطبوعه سنه ١٣٢٣، المعروفه بطبعه عين الدوله.
- ١١- البحار-المجلد ١٥ بجميع أجزاءه الأربعة، المطبوع على الحجر.
- ١٢- كنز العمال-المطبوع بحيدرآباد دكن سنه ١٣١٢.

١٣- مستدرک الوسائل- للشيخ المحدّث النورى، المطبوع على الحجر سنة ١٣١٩.

١٤- الوافى- للشيخ المولى محسن الفيض، المطبوع على الحجر سنة ١٣٢٥. و هو من المطبوعات الحجرية الصحيحة.

١٥- سفينه البحار- المطبوع على الحجر بالنجف الأشرف سنة ١٣٥٢ للمحدث الثقة الجليل الشيخ عباس القمى.

١٦- جامع الأخبار- المطبوع بالهند على الحجر.

١٧- مصباح الشريعة- المطبوع بالهند على الحجر، و هذه غير المراجع التى رجعنا إليها نادرا: كمجموعه الشيخ ورام، و الحقائق للفيض، و مجمع البحرين للشيخ فخر الدين الطريحي، و نهايه ابن الأثير... و نحوها كثير لا فائده فى إحصائه. و هذه المراجع هى التى روجعت لتصحيح أجزاء الكتاب، و الله تعالى هو الموفق للصواب.

و يجب ألا ننسى فى الختام شكر الشيخ عبد الهادى الأسدى على جهوده التى بذلها فى تصحيح الكتاب عند الطبع، و الاشتراك فى مقابله النسخه الأصلية و تدقيقها، جزاه الله خير ما يجزى العالمين.

النجف الأشرف محمد رضا المظفر ٢٠ رجب ١٣٦٨ هـ

مراجع البحث فى الترجمة:

- ١- (روضات الجنات): للسيد محمد باقر الخوانسارى، المطبوع بايران على الحجر سنة ١٣١٦ ، ٢- (الروضه البهيه): للسيد محمد شفيح الحسينى، المطبوع بايران على الحجر.
- ٣- (أعيان الشيعة): للسيد محسن الأمين -الطبعه الأولى- فى ترجمه الشيخين: أحمد النراقى و إسماعيل الخاجوئى.
- ٤- (مستدرک الوسائل): -الجزء الثالث- للمحدث ميرزا حسين النورى.
- ٥- (الذريعه): للشيخ محمد محسن الشهير بأغا بزرگ الطهرانى.
- ٦- (الاسناد المصفى): له أيضا. المطبوع بالنجف الأشرف سنة ١٣٥٦.
- ٧- (رياض الجنة): المخطوط، للسيد حسن الزنوزى المعاصر للمؤلف، و من تلامذه الوحيد البهبهانى، نسخه منه محفوظه بخزانة الحاج حسين آغا ملك العامه بطهران تحت رقم (٤٣٨٠). وقد اعتمدنا عليها فى تجديد النظر فى ترجمه سنة ١٣٨٣، على ما نقله لنا عنها مكاتبه أحد أحفاد المترجم له (الأستاذ حسن النراقى). و أكثر ما اعتمدنا على هذا المصدر فى تعداد مؤلفات المترجم له.
- ٨- (قصص العلماء): للميرزا محمد بن سليمان التتكانبى، المطبوع على الحجر بطهران.

فى سفرتى الأخره إلى إيران فى العام الماضى-لأمر تخص:

(جامعه النجف الدينيه)-التقى مع الأخ الأستاذ(حسن النراقى)-دام ظلّه-من أحفاد المؤلف-قدس سره-،جرى الحديث معه حول شيخنا المؤلف و عظمته.

فأرانى الأخ النراقى نموذجاً من خطوط المؤلف الرّاقية،فجذبنى حسن الخط و روعته،و لا سيما تلكم الصفحات من كتاب.

(جامع الأفكار و ناقد الأنظار) ففكرت فى طبع نموذج الصفحة الأولى و الأخيره من الكتاب المذكور تثبتاً لعظمه ناحيه أخرى من نواحي حياه المؤلف المليئه بجلال الفنون الروائع.و قد أبدى الأستاذ النراقى موافقته على ذلك فى اطار من التبجيل الصادق و الأدب...مما يخص نفسيته الواسعه.

فشكرا له و تقديرًا.

السيد محمد كلانتر

نموذج الصفءه الأولى من كتاب (جامع الأفكار و ناقد الأنظار) بخط المؤلف (قده)

ص: ٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى دل على ذاته بذاته و تجلى لخلقه ببدايع مصنوعاته، أظهر من عجائب قدرته ما حير ثواقب العقول و الأفهام، و أبرز من غرائب عظمتة ما بهر نوافذ المدارك و الأوهام خرق علمه باطن غيب السترات و أحاط بغموض عقائد السريرات، و الصلاه على مهابط المعارف و الأسرار و وسائط الفيوضات و الأنوار، من الأنبياء المكرمين الأخيار و خلفائهم الراشدين الأطهار.

و بعد فيقول أضعف المحتاجين: مهدي بن أبى ذر النراقى - نور الله قلبه بنور اليقين و جعله من الصادقين المقربين -: هذا يا إخوانى ما أردتم من أصول المعارف الحقيقيه و جوامع العقائد اليقنيه: من العلم بالله و صفات كماله و معرفه أسمائه و نعوت جلاله، و ما يتلوهما من المباحث الإلهيه العالیه و المطالب الحقه المتعالیه مما يرتقى به إلى منازل الأخيار و يعرج به إلى عوالم العقول و الأنوار، و يتوجه به إلى شطر كعبه الملكوت و يسلك به إلى صقع عالم الجبروت. و قد بعث الله السفراء لأجله، و انعقد إجماع الأمم على وجوب أخذه، فيلزم على الكل حمله و لا يسع لأحد جهله، و أسأل الله أن يجعله خالصا لوجهه و يحرسه عن غير أهله، و لاشتماله على جمع الأفكار الإلهيه و نقدها، سيما ما تعلق بالشرح الجديد للتحريك من الحواشى، و سميته ب(جامع الأفكار و ناقد الأنظار) و رتبته على مقدمات و مقالات.

المقدمه الأولى فى إبطال ترجح المساوى و المرجوح و ترجيحهما.

بيان الأول: أن معنى المساوات كون شيئين فى مرتبه واحده بالنظر إلى ثالث، و معنى المرجوحيه كون الشيئين أحدهما أبعد من الآخر، و الراجحيه كونه أقرب منه، فلو ترجح المساوى أو المرجوح لزم التناقض.

نموذج الصفحة الأخيره من كتاب (جامع الأفكار و ناقد الأنظار) بخط المؤلف (قده)

ص: ٣١

و بعد ما ثبت أن الواجب-سبحانه-صرف الوجود و محض الوجود و ليس فيه نقص و لا-ممازجه،و أنه ليس جسما و جسمانيا،ثبت معه نفى التحيز و الجبهه و الحلول و الاتحاد و الألم و اللذه المزاجيه عنه سبحانه، و بذلك تم مباحث الصفات السليبيه،و هو آخر ما أردنا إيراده فى هذا الكتاب و الحمد لله على تأييده على الإتمام،و الصلاه على سيد الأنام و على عترته امناء الإسلام و وقع إتمامه فى أول يوم من شهر ربيع الأول من سنه ١١٩٣-ثلاث و تسعين و مائه بعد الألف من الهجره المباركه النبويه-و قد كان ذلك عند تراكم الهموم و الأحزان و تفاقم الغموم و الأشجان،و فرط الملل و ضيق البال،من هجوم المصائب و المحن و تواتر النوائب و الفتن،من ابتلائنا أولا- فى بلده كاشان-حماها الله عن طوارق الحدثن-بالزلازل الهائله المفزعه و الرجفات المزعزه المزعجه،و انهدام جميع الأبنيه و المساكن و جلّ البيوت و المواطن،و هلاك كثير من الأصدقاء و الأحباب و ذهاب غير واحد من الأحبه و الأصحاب،ثم ابتلائنا بالأمراض الشديده الغريبه و الأسقام الوبائيه العجيبه،بعد ارتحالنا لعدم السكنى و غيره من اختلال الأمور إلى بعض القرى،و احتراق فؤادى بذهاب بعض أولادى الذى تقر به عينى فى ظلمات الأ-حزان و الهموم و يسكن الله قلبى عند اضطرابه من هجوم الأشجان و الغموم ثم وقوعنا فى الداهيه العظمى و الفتنه الكبرى:أعنى موت السلطان و وقوع الاضطراب و الوحشه بين أهل إيران.فأحمد الله على السراء و الضراء و الشده و الرخاء و العافيه و البلاء،و نسأله أن يكون ذلك آخر الرزايا و المصائب و خاتمه البلايا و النوائب،و أن يصلح جميع أمور المسلمين بمحمد و آله سادات الخلق أجمعين.



## مقدمه المؤلف

الحمد لله الذى خلق الإنسان، وجعله أفضل أنواع الأكوان، وصيره نسخه لما أوجده من عوالم الإمكان، أظهر فيه عجائب قدرته القاهرة، و أبرز فيه غرائب عظمته الباهره، ربط به الناسوت باللاهوت، و أودع فيه حقائق الملك و الملكوت، خمّر طينته من الظلمات و النور، و ركب فيه دواعى الخير و الشرور، عجنه من المواد المتخالفه، و جمع فيه القوى و الأوصاف المتناقضه، ثم ندبه إلى تهذيبها بالتقويم و التعديل، و حثه على تحسينها بعد ما سهل له السبيل، و الصلاة على نبينا الذى أوتى جوامع الحكم، و بعث لتتميم محاسن الأخلاق و الشيم، و على آله مصابيح الظلم، و مفاتيح أبواب السعاده و الكرم صلى الله عليه و عليهم و سلم.

أما بعد فيقول طالب السعاده الحقيقيه (مهدي بن أبى ذر النراقى) بصيره الله بعيوب نفسه، و جعل يومه خيرا من أمسه: إنه لا ريب فى أن الغايه من وضع النواميس و الأديان، و بعثه المصطفين من عظماء الإنسان، هو سوق الناس من مراتع البهائم و الشياطين، و إيصالهم إلى روضات العليين،

و ردعهم عن مشاركته أسراء ذل الناسوت، و مصاحبه قرناء جب الطاغوت إلى مجاوره سكان صقع الملكوت، و مرافقه قطان قدس الجيروت، و لا يتيسر ذلك إلا بالتخلي عن ذمائم الأخلاق و رذائلها، و التحلى بشرائف الصفات و فضائلها، فيجب على كل عاقل أن يأخذ أهبطه، و يبذل همته فى تطهير قلبه عن أوساخ الطبيعه و أرجاسها، و تغسيل نفسه عن أقذار الجسميه و أنجاسها قبل أن يتيه فى ببداء الشقاق، و يهوى فى مهاوى الضلاله و الهلاكه، و يصرف جده و يجتهد جهده فى استخلاص نفسه عن لصوص القوى الأماره ما دام الاختيار بيده، إذ لا تنفعه الندامه و الحسره فى غده.

ثم لا ريب فى أن التزكيه موقوفه على معرفه مهلكات الصفات و منجياتها، و العلم بأسبابها و معالجاتها، و هذا هو الحكمه الحقه التى مدح الله أهلها، و لم يرخص لأحد جهلها، و هى الموجبه للحياه الحقيقه، و السعاده السرمديه، و التارك لها على شفا جرف الهلكات، و ربما أحرقتة نيران الشهوات.

و قد كان السلف من الحكماء يبالغون فى نشرها و تدوينها. و جمعها و تبينها، على ما أدت إليه قوه أنظارهم، و أدركوه بقرائحهم و أفكارهم.

و لما جاءت الشريعه النبويه «على صادعها ألف صلاه و تحيه» حثت على تحسين الأخلاق و تهذيبها، و بينت دقائقها و تفصيلها بحيث اضمحل فى جنبها ما قرره أساطين الحكمه و العرفان، و غيرهم من أهل الملل و الأديان، إلا أنه لما كان ما ورد منها منتشرًا فى موارد مختلفه، و متفرقا فى مواضع متعدده، تعسّر أن يحيط به الجمل فلا بد من ضبطه فى موضع واحد ليسهل تناوله للكل، فجمعت فى هذا الكتاب خلاصه ما ورد من الشريعه الحقه مع زبده ما أورده أهل العرفان و الحكمه على نهج تقرّ به أعين الطالبين، و تسر به أفئده الراغبين.

و نذكر أولاً بعض المقدمات النافعه في المطلوب ثم نشير إلى أقسام الأخلاق، و مبادئها من القوى و نضبطها بأجناسها و أنواعها و نتائجها و ثمراتها ثم إلى المعالجه الكليه لذمائم الأخلاق و الجزئيه لكل خلق مذموم، مما له اسم مشهور، و ما ينشأ عنه من الأفعال المذمومه، و في تلوه نذكر ضده المحمود، و ما يدل على فضله عقلاً و نقلاً، لأن العلم بفضيله كل خلق و مداومه على آثاره أقوى علاج لإزاله ضده، و لا نتابع القوم من تقديم الرذائل بأسرها على الفضائل، بل نذكر أولاً ما يتعلق بالقوه العقليه من الفضائل و الرذائل على النحو المذكور، ثم ما يتعلق بالغضبيه، ثم ما يتعلق بالشهويه، ثم ما يتعلق باثنتين منها أو ثلاث، لأن ذلك أدخل في ضبط الأخلاق، و معرفه أضدادها، و العلم بمبادئها و أجناسها، و هو من أهم الأمور لطالبي هذا الفن.

و ما تعرضت لتدبير المنزل و سياسه المدن، لأن غرضنا في هذا الكتاب إنما هو مجرد إصلاح النفس و تهذيب الأخلاق، و سميته «بجامع السعادات» و رتبته على ثلاثه أبواب.

انقسام حقيقه الإنسان و حالاته بالاعتبار-تجرد النفس و بقاءؤها-التذاذ النفس و تألمها-فضائل الأخلاق و رذائلها-الأخلاق الذميمة تحجب عن المعارف-حصول الملكات بتضاعف الأعمال-العمل نفس الجزاء-القول يتجسد الأعمال و الملكات-المضاده بين الدنيا و الآخرة-للجبله و المزاج دخل فى جوده الملكات و رداءتها-حقيقه الخلق و ماهيه الملائكه-الأقوال فى تبدل الأخلاق و الملكات-شرف علم الأخلاق-تعريف النفس و أساميتها باختلاف الاعتبارات-فى الإشاره إلى اعتبار مدافعه القوى الأربع-انقهار النفس بتسخير القوه العاليه-اختلاف الصفات يوجب اختلاف النفوس-ائتلاف حقيقه الإنسان من الجهات المتقابله-حقيقه الخير و السعاده-و الجمع بين الأقوال المختلفه فيها-شرائط حصول السعاده-غايه ما يمكن الوصول إليه من السعاده-تقسيم اللذات و الآلام-اللذه فى الحقيقه هى العقلية دون الحسيه-إيقاظ فيه موعظه و نصيحه-التنبيه على أن الفائت لا يتدارك.

## فصل (انقسام حقيقه الإنسان و حالاته بالاعتبار)

اعلم أن الإنسان منقسم إلى سر و علن، و روح و بدن و لكل منهما منافيات و ملائمتان، و آلام و لذات، و مهلكات و منجيات.

و منافيات البدن و آلامه هي الأمراض الجسمانية. و ملائماته هي الصحة و اللذات الجسمانية. و المتكفل لبيان تفاصيل هذه الأمراض و معالجاتها هو علم الطب. و منافيات الروح و آلامه هي رذائل الأخلاق التي تهلكه و تشقيه، و صحته رجوعه إلى فضائلها التي تسعده و تنجيه و توصله إلى مجاوره أهل الله و مقربيه. و المتكفل لبيان هذه الرذائل و معالجاتها هو (علم الأخلاق).

ثم إن البدن مادي فإن، و الروح مجرد باق، فإن اتصف بشرائف الصفات كان في البهجه و السعاده أبداً، و إن اتصف برذائلها كان في العذاب و الشقاوه مخلداً، و لا بد لنا من الإشارة إلى تجرده و بقاءه بعد خراب البدن ترغيباً للطالبيين على السعى في تزكيتهم و حفظهم عن الشقاوه الأبدية.

## فصل (في تجرد النفس و بقائها)

لا ريب في تجرد النفس و بقائها بعد مفارقتها عن البدن. أما الأول (و المراد به عدم كونها جسماً و جسمانية) فيدل عليه وجوه:

(منها) أن كل جسم لا يقبل صوراً و أشكالاً كثيرة لزوال كل صورته أو شكل فيه بطريان مثله، و النفس تقبل الصور المتعدده المختلفه من المحسوسات و المعقولات من دون أن تزول الأولى بورود الأخرى، بل كلما قبلت صورته

ازدادت قوتها على قبول الأخرى، و لذلك تزيد القوه على إدراك الأشياء بالرياضيات الفكرية و كثره النظر، فثبت عدم كونها جسما.

و(منها) أن حصول الأبعاد الثلاثة للجسم لا يتصور إلا بأن يصير طويلا عريضا عميقا و حصول الألوان و الطعوم و الروائح له لا يتصور إلا- بأن يصير ذا لون و طعم و رائحه و هى تحصل للنفس و قوتها الوهميه بالإدراك من غير أن تصير كذلك، و أيضا حصول بعضها للجسم يمنع من حصول مقابله له، و لا يمنع ذلك فى النفس بل تقبلها كلها فى آن واحد على السواء.

و(منها) أن النفس تلتذ بما لا- يلائم الجسم من الأمور الإلهيه و المعارف الحقيقيه، و لا تميل إلى اللذات الجسميه و الخياليه و الوهميه، بل تحن أبدا إلى الابتهاجات العقلية الصرفة التى ليس فى الجسم و قواه فيها نصيب، و هذا أوضح دليل على أنها غيرهما، إذ لا ريب فى أن ما يحصل لبعض النفوس الصافيه عن شوائب الطبيعه من البهجه و السرور بإدراك العلوم الحقه الكليه و الذوات المجرده النوريه القدسيه، و بالمناجاه و العباده و المواظبه على الأذكار فى الخلوات مع صفاء النيات لا مدخلية للجسم فيها و قواه الخياليه و الوهميه و غيرهما، إذ النفس قد تغفل فى تلك الحاله عنها بالكليه، و ربما استغرقت بحيث لا تشعر بالبدن و لا تدرى أن لها بدنا فكأنها منخلعه عنه، فهذا يدل على أنها من عالم آخر غير عالم الجسم و قواه، إذ التذاذهما منحصر بالملائمات الجزئيه التى تدركها الحواس الظاهره و الباطنه.

و(منها) أن النفس تدرك الصور الكليه المجرده فتكون محلا- لها، و لا ريب فى أن المادى لا يكون محلا للمجرد إذ كل مادى ذو وضع قابل للإنقسام، و كون المحل ذا وضع قابل للإنقسام يستلزم أن يكون حاله أيضا كذلك كما ثبت فى محله، و المجرد لا يمكن أن يكون كذلك و إلا خرج عن حقيقته، فالنفس لا تكون ماديه و إذا لم تكن ماديه كانت مجردة لعدم الواسطه.

و(منها) أن القوى الجسميه الباطنيه لا تكتسب العلوم إلا من طريق الحواس الظاهره إذ ما لم يدرك الشئء بها لم تتمكن الحواس الباطنه أن تدركه و هذا وجداني و ضروري. و النفس قد تدرك ما لا طريق لشئء من الحواس إلى إدراكه كالأمر المجرد و المعاني البسيطه الكلبيه، و أسباب الاتفاقات و الاختلافات التي بين المحسوسات، و الضروره العقلية قاضيه بأنه لا مدخلية لشئء من الحواس في إدراك شئء من ذلك.

و أيضا نحكم بأنه لا- واسطه بين النقيضين، و هذا الحكم غير مأخوذ من مبادئ حسيه إذ لو كان مأخوذا منها لم يكن قياسا أوليا، فمثله مأخوذ من المبادئ الشريفه العاليه التي تبنى عليها القياسات الصحيحه.

و أيضا هي حاكمه على الحس في صدقه و كذبه و قد تخطئه في أفعاله و تردّ عليه أحكامه كتخطئه للبصر فيما يراه أصغر مما هو عليه في الواقع أو بالعكس، و فيما يراه مستديرا و هو مربع، أو مكسورا و هو صحيح، أو معوجا و هو مستقيم، أو منكوسا و هو منتصب، أو مختلفا في وضعه الواقعي، و في رؤيته للأشياء المتحركه على الاستداره كالحلقه و الطوق، و كتخطئه للسمع فيما يدركه في المواضع الصقيه المستديره عند الصدى، و للذوق في ادراكه الحلو مرا و مثله، كذا الحال في الشم و اللمس، و لا ريب في أن تخطئه النفس الحواس في هذه الإدراكات و حكمها بما هو المطابق للواقع إنما يكون مسبوقا بالعلم الذي لا يكون مأخوذا من الحس، لأن الحاكم على الشئء أعلى رتبه منه فلا يكون علمه الذي هو مناط الحكم مأخوذا عنه.

و مما يؤكد ذلك أنها عالمه بذاتها و بكونها مدرکه لمعقولاتها. و معلوم أن هذا العلم مأخوذ من جوهرها دون مبادئ آخر.

و(منها) أنا نشاهد أن البدن و قواه يضعفان في أفعالهما و آثارهما، و النفس تقوى في إدراكاتها و صفاتها، كما في سن الكهوله، أو يكونان

قويين فى الأفعال مع كونها ضعيفه فيها كما فى سن الشباب، فلو كانت جسما أو جسمانيا لكانت تابعه لهما فى الضعف و القوه.  
(فإن قلت) الإدراك و سائر الصفات الكماله للنفس يضعف أو يختل بضعف البدن أو اختلاله كما نشاهد فى المشايخ و المرضى و تجردها ينافى ذلك.

(قلنا) الضعف أو الاختلال إنما يحدث فى الإدراك و الأفعال المتعلقة بالقوى الجسميه، و أما ما يحصل للنفس بجوهرها أو بواسطه القوى الجسميه بعد صيرورته ملكه لها فلا يحصل فيه اختلال و ضعف، بل يصير ظهوره أشد و تأثيره أقوى.

و أما الثانى أعنى بقائها بعد المفارقه عن البدن فالدليل عليه بعد ثبوت تجردها أن المجرّد لا يتطرق إليه الفساد لأنه حقيقه و الحقيقه لا تبيد كما صرح به المعلم الأول و غيره، و وجهه ظاهر.

### فصل (فى بيان تلذذ النفس و تألمها)

إذا عرفت تجرد النفس و بقاءها أبدا، فاعلم أنها ملتذذه متنعمه دائما أو معذبه متألمه كذلك. و التذاذها يتوقف على كمالها الذى يخصها، و لما كانت لها قوتان: النظرية و العمليه، فكمال القوه النظرية الإحاطه بحقائق الموجودات بمراتبها و الاطلاع على الجزئيات غير المتناهيه بإدراك كلياتها. و الترقى منه إلى معرفه المطلوب الحقيقى و غايه الكل حتى يصل إلى مقام التوحيد و يتخلص عن وساوس الشيطان و يطمئن قلبه بنور العرفان. و هذا الكمال هو الحكمه النظرية.

و كمال القوه العمليه التخلّى عن الصفات الرديه و التحلى بالأخلاق المرضيه ثم الترقى منه إلى تطهير السر و تخليته عما سوى الله سبحانه. و هذا هو الحكمه



العملية التي يشتمل هذا الكتاب على بيانها.

و كمال القوه النظرية بمنزله الصوره و كمال القوه العمليه بمنزله الماده، فلا يتم أحدهما بدون الآخر، و من حصل له الكمالان صار بانفراده عالما صغيرا مشابها للعالم الكبير، و هو الإنسان التام الكامل الذى تلاً قلبه بأنوار الشهود و به تتم دائره الوجود.

### فصل (فى فضائل الأخلاق و رذائلها)

فضائل الأخلاق من المنجيات الموصلة إلى السعاده الأبدية، و رذائلها من المهلكات الموجهه للشقاوه السرمديه، فالتخلى عن الثمانيه و التحلى بالأولى من أهم الواجبات. و الوصول إلى الحياه الحقيقيه بدونهما من المحالات، فيجب على كل عاقل أن يجتهد فى اكتساب فضائل الأخلاق التى هى الأوساط (١) المشتهه من صاحب الشريعة و الاجتناب عن رذائلها التى هى الأطراف، و لو قصير أدركته الهلاكه الأبدية، إذ كما أن الجنين لو خرج عن طاعه ملك الأرحام المتوسط فى الخلق لم يخرج إلى الدنيا سويًا سميعًا بصيرا ناطقًا كذلك من خرج عن طاعه نبي الأحكام المتوسط فى الخلق لم يخرج إلى عالم الآخرة كذلك.

وَ مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ

ص: ٤١

---

١ - ١) إشاره إلى أن الفضيله وسط بين رذيلتين و قد دعى الشارع إلى تحصيل الوسط بقوله صلى الله عليه و آله و سلم: «خير الأمور أوسطها». و سيأتى شرح المعنى من الوسط و الطرفين.

ثم ما لم تحصل التخليه لم تحصل التحليه و لم تستعد النفس للفيوضات القدسيه، كما أن المرآه ما لم تذهب الكدورات عنها لم تستعد لارتسام الصور فيها، و البدن ما لم تزل عنه العله لم تتصور له إفاضه الصحه، و الثوب ما لم ينقّ عن الأوساخ لم يقبل لونا من الألوان، فالمواظبه على الطاعات الظاهره لا تنفع ما لم تتطهر النفس من الصفات المذمومه كالكبر و الحسد و الرياء، و طلب الرياسه و العلى و إرادته السوء للأقران و الشركاء، و طلب الشهرة فى البلاد و فى العباد، و أى فائده فى تزيين الظواهر مع إهمال البواطن، و مثل من يواظب على الطاعات الظاهره و يترك تفقد قلبه كبر الحش (٢) ظاهرها جص و باطنها نتن، و كقبور الموتى ظاهرها مزينه و باطنها جيفه، أو كبيت مظلم وضع السراج على ظاهره فاستنار ظاهره و باطنه مظلم، أو كرجل زرع زرعاً فنبت و نبت معه حشيش يفسده فأمر بتنقيه الزرع عن الحشيش بقلعه عن أصله فأخذ يجر رأسه و يقطعه فلا يزال يقوى أصله و ينبت، فإن الأخلاق المذمومه فى القلب هى مغارس المعاصى فمن لم يطهر قلبه منها لم تتم له الطاعات الظاهره، أو كمريض به جرب و قد أمر بالطلاء ليزيل ما على ظهره و يشرب الدواء ليقلع مادته من باطنه ففنع بالطلاء و ترك الدواء متناولاً ما يزيد فى المادة فلا يزال يطلى الظاهر و الجرب

ص: ٤٢

١ - ١) الإسراء الآيه ٧٢.

٢ - ٢) الحش بالفتح أو الضم ثم التشديد و الفتح أكثر من الضم: المخرج و موضع الحجاجه و أصله من الحش بمعنى البستان، لأنهم كانوا يتغوطون فى البساتين، فلما اتخذوا الكنيف اطلقوا عليها الاسم مجازاً، فالمراد هنا من بئر الحش خزانه الكنيف.

يتفجر من المادة التي في الباطن.

ثم إذا تخلت عن مساوئ الأخلاق و تحلت بمعاليتها على الترتيب العلمى استعدت لقبول الفيض من رب الأرباب، و لم يبق لشده القرب بينهما حجاب، فترتسم فيها صور الموجودات على ما هى عليها، على سبيل الكليه أى بحدودها و لوازمها الذاتيه لامتناع إحاطتها بالجزئيات من حيث الجزئيه، لعدم تناهيها، و إن علمت فى ضمن الكليات لعدم خروجها عنها، و حينئذ يصير (١) موجودا تاما أبدى الوجود سرمدى البقاء، فائزا بالرتبه العليا، و السعاده القصوى، قابلا للخلافه الإلهيه و الرئاسة المعنويه، فيصل إلى اللذات الحقيقيه، و الابتهاجات العقلية التي ما رأتها عيون الأعيان، و لم تتصورها عوالى الأذهان.

### فصل (الأخلاق الذميمة تحجب عن المعارف)

الأخلاق المذمومه هى الحجب المانع عن المعارف الإلهيه، و النفحات القدسيه إذ هى بمنزله الغطاء للنفوس فما لم يرتفع عنها لم تتضح لها جلوه الحال اتضاحا، كيف و القلوب كالأوانى فإذا كانت مملوءه بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغوله بغير الله لا تدخلها معرفه الله و حبه و أنسه، و إلى ذلك

أشار النبى صلى الله عليه و آله و سلم بقوله: «لو لا- أن الشياطين يحرمون إلى قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات و الأرض» فبقدر ما تتطهر القلوب هن هذه الخبائث تتحاذى شطر الحق الأول (٢) و تالأ فى حقائقه

ص: ٤٣

---

١- ١) تذكير الضمير باعتبار إرادته الإنسان لأنه صاحب النفس بل هو هى.

٢- ٢) المراد من الحق الأول هو الله تبارك و تعالى فكما ان الحق صفة له كذلك الأول فهو صفة بعد صفة.

كما أشار إليه صلى الله عليه وآله: «ان لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها» فإن التعرض لها إنما هو بتطهير القلوب عن الكدورات الحاصلة عن الأخلاق الرديئة (١) فكل إقبال على طاعه و إعراض عن سيئه يوجب جلاء و نورا للقلب يستعد به لإفاضه علم يقينى، و لذا قال سبحانه:

وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا

(٢)

و قال النبى صلى الله عليه وآله و سلم: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم» فالقلب إذا صفى عن الكدورات الطبيعیه بالكلية يظهر له من المزايا الإلهية و الإفاضات الرحمانية ما لا يمكن لأعظم العلماء

كما قال سيد الرسل: «إن لى مع الله حالات لا يحتملها ملك مقرب و لا نبى مرسل».

و كل سالك إلى الله إنما يعرف من الألفاظ الإلهية و النفحات الغيبية ما ظهر له على قدر استعداده، و أما ما فوقه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به إيماننا بالغيب كما انا نؤمن بالنبوه و خواصها و نصدق بوجودهما و لا نعرف حقيقتهما كما لا يعرف الجنين حال الطفل و الطفل حال المميز و المميز من العوام حال العلماء و العلماء حال الأنبياء و الأولياء.

فالرحمة الإلهية بحكم العناية الأزلية مبذولة على الكل غير مضمون بها على أحد، لكن حصولها موقوف على تصفيل مرآة القلب و تصفيتها عن الخبائث الطبيعیه، و مع تراكم صدها الحاصل منها لا يمكن أن يتجلى فيها شىء من الحقائق، فلا تحجب الأنوار العلميه و الأسرار الربوبية عن قلب من القلوب لبخل من جهه المنعم تعالى شأنه عن ذلك، بل الاحتجاب

ص: ٤٤

١-١) المراد من النفحات هى الإفاضات المعنوية لا النسمات كما وردت بالمعنى الثانى فى بعض الأخبار.

٢-٢) العنكبوت الآية: ٦٩.

إنما هو من جهة القلب لكدورته وخبثه و اشتغاله بما يضاد ذلك.

ثم ما يظهر للقلب من العلوم لطهارته و صفاء جوهره هو العلم الحقيقي النوراني الذي لا يقبل الشك و له غاية الظهور و الانجلاء لاستفادته من الأنوار الإلهية و الإلهامات الحقة الربانية، و هو المراد

بقوله عليه السلام: «إنما هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء

» و إليه أشار مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «ان من أحب عباد الله إليه عبدا أعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن و تجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى في قلبه» (الى أن قال):

«قد خلع سراويل الشهوات، و تخلى من الهموم إلاهما واحدا انفرد به، فخرج من صفه العمى و شاركه أهل الهوى، و صار من مفاتيح أبواب الهدى و مغاليق أبواب الردى، قد أبصر طريقه و سلك سبيله و عرف مناره، و قطع غماره (١)، و استمسك من العرى بأوثقها و من الحبال بأمتنها فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس»

و في كلام آخر له عليه السلام «قد أحى قلبه و أمات نفسه حتى دقَّ جليله (٢) و لطف غليظه، و برق له لامع كثير البرق، فأبان له الطريق و سلك به السبيل، و تدافعت الأبواب إلى باب السلامة و دار الإقامة، و ثبتت رجلاه لطمأنينه بدنه في قرار الأمن و الراحة بما استعمل قلبه و أرضى ربه».

و قال عليه السلام في وصف الراسخين من العلماء: «هجم بهم العلم على حقيقه البصيره و باشروا روح اليقين و استلانوا ما استوعره المترفون و أنسوا بما استوحش منه الجاهلون و صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقه بالمحل الأعلى».

ص: ٤٥

---

١-١) غمره الشيء شدته و مزدحمه جمعه غمرات و غمار و غمر و منه غمرات الموت أى مكارهه و شدائده.

٢-٢) الجليل: الكبير فى الحجم.

و بالجمله ما لم يحصل للقلب التزكيه لم يحصل له هذا القسم من المعرفه إذ العلم الحقيقى عباده القلب و قربه السر، و كما لا تصح الصلاه التى هى عباده الظاهر إلا بعد تطهيره من النجاسه الظاهره فكذلك لا تصح عباده الباطن إلا بعد تطهيره من النجاسه الباطنيه التى هى رذائل الأخلاق و خبائث الصفات، كيف و فيضان أنوار العلوم على القلوب إنما هو بواسطة الملائكه

و قد قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «لا تدخل الملائكه بيتا فيه كلب» فإذا كان بيت القلب مشحونا بالصفات الخبيثه التى هى كلاب نابحه لم تدخل فيه الملائكه القادسه و الحكم بثبوت النجاسه الظاهره للمشرك، مع كونه مغسول الثوب نظيف البدن، إنما هو لسرايه نجاسه الباطنيه

فقوله صلى الله عليه و آله و سلم: «بنى الدين على النظافه» يتناول زوال النجاستين،

و ما ورد من «أن الطهور نصف الإيمان» المراد به طهاره الباطن عن خبائث الأخلاق، و كان النصف الآخر تحليته بشرائف الصفات و عمارته بوظائف الطاعات.

و بما ذكر ظهر أن العلم الذى يحصل من طريق المجادلات الكلاميه و الاستدلالات الفكرية، من دون تصقيط لجوهر النفس، لا يخلو عن الكدره و الظلمه، و لا يستحق اسم اليقين الحقيقى الذى يحصل للنفوس الصافيه فما يظنه كثير من أهل التعلق بقادورات الدنيا انهم على حقيقه اليقين فى معرفه الله سبحانه خلاف الواقع، لأن اليقين الحقيقى يلزمه «روح» (1) و نور و بهجه و سرور، و عدم الالتفات إلى ما سوى الله، و الاستغراق فى أبحر عظمه الله، و ليس شىء من ذلك حاصلًا لهم، فما ظنوه يقينا إما تصديق مشوب بالشبهه، أو اعتقاد جازم لم تحصل له نورانيه و جلاء و ظهور

ص: ٤٤

---

(١ - ١) هذه الكلمه غير موجوده فى نسختنا الخطيه لكنها موجوده فى نسخه خطيه أخرى.

و ضياء، لكدره قلوبهم الحاصله من خباث الصفات.

و السر فى ذلك أن منشأ العلم و مناطه هو التجرد كما بين فى مقامه، فكلما تزداد النفس تجردا تزداد إيماننا و يقينا، و لا ريب فى أنه ما لم ترتفع عنها أستار السيئات و حجب الخطيئات لم يحصل لها التجرد الذى هو مناط حقيقه اليقين فلا بد من المجاهده العظيمه فى التزكيه و التحليه حتى تفتح أبواب الهدايه و تتضح سبل المعرفه كما قال سبحانه:

وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا

(١)

### فصل (أن العمل نفس الجزاء)

كل نفس فى بدء الخلقه خاليه عن الملكات بأسرها، و إنما تتحقق كل ملكه بتكرر الأفعال و الآثار الخاصه به (٢) بيان ذلك أن كل قول أو فعل ما دام وجوده فى الأكوان الحسيه لا حظ له من الثبات لأن الدنيا دار التجدد و الزوال، و لكنه يحصل منه أثر فى النفس فإذا تكرر استحكم الأثر فصار ملكه راسخه، مثاله الحراره التى تحدث فى الفحم فانها ضعيفه أولا و إذا اشتدت تجمرت ثم استضاءت، ثم صارت صورته ناريه محرقه لما قارنها مضيئه لما قابلها، و كذلك الأحوال النفسانيه إذا تضاعفت قوتها صارت ملكات راسخه و صورها باطنه تكون مبادئ للآثار المختصه بها،

ص: ٤٧

١-١) العنكبوت الآيه ٦٩؟.

٢-٢) هكذا وجدت فى النسخه المطبوعه و نسختنا الخطيه و الأصح «بها» و إن كانت الكلمه غير موجوده فى نسخه خطيه أخرى.

فالفوس الإنسانيه فى أوائل الفطره كصحائف خاليه من النقوش و الصور تقبل كل خلق بسهوله، و إذا استحكمت فيها الأخلاق تعسر قبولها لأضدادها، و لذلك سهل تعليم الأطفال و تأديبهم و تنقيش نفسهم بكل صوره و صفه و يتعسر أو يتعذر تعليم الرجال البالغين و ردهم عن الصفات الحاصله لهم لاستحكامها و رسوخها.

ثم لا- خلاف فى أن هذه الملكات و أفعالها اللازمه لها إن كانت فاضله كانت موجبه للالتذاذ و البهجه و مرافقه الملائكه و الأخيار، و إن كانت رديه كانت مقتضيه للألم و العذاب و مصاحبه الشياطين و الأشرار، و إنما الخلاف فى كيفية إيجابها للثواب أو العذاب، فمن قال إن الجزاء مغاير للعمل قال إن كل ملكه و فعل يصير منشأ لترتب ثواب أو عقاب مغاير له بفعل الله سبحانه على التفصيل الوارد فى الشريعه.

و من قال إن العمل نفس الجزاء قال: إن الهيئات النفسانيه اشتدت و صارت ملكه تصير ممثله و متصوره فى عالم البياض و الملكوت بصوره يناسبها، إذ كل شىء يظهر فى كل عالم بصوره خاصه، فان العلم فى عالم اليقظه أمر عرضى يدرك بالعقل أو الوهم و فى عالم النوم يظهر بصوره اللين فالظاهر فى العالمين شىء واحد و هو العلم لكنه تجلى فى كل عالم بصوره، و السرور يظهر فى عالم النوم بصوره البكاء، و منه يظهر أنه قد يسرك فى عالم ما يسوءك فى عالم آخر، فاللذات الجسمانيه التى تسرك فى هذا العالم تظهر فى دار الجزاء بصوره تسوؤك و تؤذيك، و تركها و تحمل مشاق العبادات و الطاعات و الصبر على المصائب و البليات يسرك فى عالم الآخره مع كونها مؤذيه فى هذا العالم.

ثم القائل بهذا المذهب قد يطلق على هذه الصوره اسم الملك إن كانت من فضائل الأخلاق أو فواضل الأعمال. و اسم الشيطان إن كانت من أضدادها



وقد يطلق على الأولى اسم الغلمان والحوار و أمثالهما، و على الثانية اسم الحيات و العقارب و أشباههما، و لا فرق بين الإطلاقين فى المعنى، و إنما الاختلاف فى الاسم.

و هذا المذهب يرجع إلى القول بتجسد الأعمال بصورة مأنوسه مفرّحه أو صورته موحشه معذبه، و قد ورد بذلك أخبار كثيرة: منها:

ما روى أصحابنا عن قيس بن عاصم عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال:

يا قيس «إن مع العز ذلاً، و مع الحياه موتاً، و مع الدنيا آخره، و إن لكل شىء رقيبا و على كل شىء حسيباً، و إن لكل أجل كتاباً، و انه لا- بد لك من قرين يمدن معك و هو حى و تدفن معه و أنت ميت، فإن كان كريماً أكرمك، و إن كان لثيماً أأمك، ثم لا يحشر إلا معك و لا تحشر إلا معه و لا تسأل إلا عنه، فلا تجعله إلا صالحاً، فإنه إن صلح أنست به و إن فسد لا تستوحش إلا منه و هو فعلك». و منها: ما استفاض من

قولهم عليهم السلام: «إن من فعل كذا خلق الله تعالى ملكاً يستغفر له إلى يوم القيامة». و منها:

ما ورد «ان الجنة قيعان و غراسها سبحان الله».

و منها:

ما روى «ان الكافر خلق من ذنب المؤمن». و منها

قولهم «المرء مرهون بعمله». و منها

قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «الذى يشرب فى آنيه الذهب و الفضه إنما يجرى فى بطنه نار جهنم». و يدل عليه قوله سبحانه.

وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (١).

و ربما كان فى قوله تعالى:

ص: ٤٩

وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

(١)

و قوله تعالى:

إِنَّمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

(٢)

إشارة إليه حيث قال عز وجل: «مَا كُنتُمْ» و لم يقل بما كنتم.

و قال فيثاغورس الحكيم: «ستعارض لك في أفعالك و أقوالك و أفكارك (٣) و سيظهر لك من كل حركة فكريه أو قوليه أو عمليه صورته روحانيه، فان كانت الحركة غضبيه أو شهويه صارت ماده لشيطان يؤذيك في حياتك و يحجبك عن ملاقاته النور بعد وفاتك، و إن كانت الحركة عقليه صارت ملكا تلتذ بمنادته في دنياك و تهتدى به في أخراك إلى جواز الله و كرامته» انتهى.

و هذه الكلمات صريحه في أن مواد الأشخاص الأخرويه هي التصورات الباطنيه و التيات القلبيه و الملكات النفسيه المتصوره بصوره روحانيه وجودها وجود إدراكي، و الإنسان إذا انقطع تعلقه عن هذه الدار و حان وقت مسافرتة إلى دار القرار و خلص عن شواغل الدنيا الدنيه و كشف عن بصره غشاوه الطبيعه. فوقع بصره على وجه ذاته و التفت إلى صفحه باطنه و صحيفه نفسه و لوح قلبه و هو المراد بقوله سبحانه:

وَ إِذَا الصُّحُفُ نُشِّرَتْ

(٤)

و قوله تعالى: فَكَشَفْنَا

ص: ٥٠

١-١ (١) يس الآية: ٥٤.

١٦-٢ (٢) الطور الآية: ١٦.

٣-٣ (٣) هكذا وجدنا العبارة في النسخة الخطيه و المطبوعه و لا يخفى ما فيها من الإجمال.

١٠-٤ (٤) التكوير الآية: ١٠.

عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصُرَكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ

(١)

صار إدراكه فعلا و علمه عينا و سره عيانا، فيشاهد ثمرات أفكاره و أعماله، و يرى نتائج انظاره و أفعاله و يطلع على جزاء حسناته و سيئاته، و يحضر عنده جميع حر كاته و سكناته، و يدرك حقيقه قوله سبحانه:

وَ كُلِّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا. اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا

(٢)

فمن كان في غفله عن أحوال نفسه و مضيعا لساعات يومه و أمسه يقول:

مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَ وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَ لَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا

(٣)

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَ مَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَ بَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا

(٤)

ص: ٥١

١-١) ق الآية: ٢٢.

٢-٢) الإسراء الآية ١٣-١٤.

٣-٣) الكهف الآية ٤٩.

٤-٤) آل عمران الآية: ٣٠.

وقد أيد هذا المذهب أعنى صيروره الملكات صوراً روحانية باقية أبد الدهر موجهه للبهجه و الالتذاذ و التوحش و التألم، بأنه لو لم تكن تلك الملكات و النيات باقيه أبداً لم يكن للخلود فى الجنه أو النار وجه صحيح، إذ لو كان المقتضى للثواب أو للعذاب نفس العمل و القول، و هما زائلان لزم بقاء المسبب مع زوال السبب و هو باطل، و كيف يجوز للحكيم أن يعذب عباده أبد الدهر لأجل المعصيه فى زمان قصير، فإذا منشأ الخلود هو الثبات فى النيات و الرسوخ فى الملكات. و مع ذلك فمن يعمل مثقال ذره من الخير أو الشر يرى أثره فى صحيفه نفسه أو فى صحيفه أعلى و أرفع من ذاته أبداً كما قال سبحانه:

فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ

(١)

و السرفيه أن الأمر الذى يبقى مع النفس إلى حين مفارقتها من الدنيا و لم يرتفع عنها فى دار التكليف يبقى معها أبداً و لا يرتفع عنها أصلاً لعدم تجدد ما يوجب إزالته بعد مفارقتها عن عالم التكليف.

ثم الظاهر أن هذا المذهب-عند من قال به من أهل الشرائع- بيان لكيفيه الثواب و العقاب الروحانيين مع إذعانه بالجنه و النار الجسمانيين» إذ لو كان مراده قصر اللذه و الثواب و الألم و العقاب و الجنات و القصور و الغلمان و الحور و النار و الحجيم و الزقوم و الضريع و ساير ما ورد فى الشريعه القادسه من أمور القيامه على ما ذكر فهو مخالف لضروره الدين، (تنبيه)الدنيا و الآخره متضادتان، و كل ما يقرب العبد إلى أحدهما يبعد عن الأخرى و بالعكس، كما دلت عليه البراهين الحكيمه و الشواهد الذوقيه و الأدله السمعيه، فكل ملكه أو حركه أو قول أو فعل يقرب العبد

ص: ٥٢

(١-١) عبس الآية: ١٣-١٥.

إلى دار الطبيعه و الغرور يبعده عن عالم البهجه و السرور، و بالعكس، فأسوأ الناس حالا من لم يعرف حقيقه الدنيا و الآخره و تضادهما و لم يخف سوء العاقبه و أفنى عمره فى طلب الدنيا و إصلاح أمر المعاش و قصر سعيه على جر المنفعه لبدنه من نيل شهوه أو بلوغ لذه أو اكتساب ترفع، و رئاسه أو جمع المال من غير تصور لما يصل إليه من فائدته، كما هو عاده أكثر أبناء الدنيا، و لم يعرف غير هذه الأمور من المعارف الحقيقيه و الفضائل الخلقيه و الأعمال الصالحه المقربه إلى عالم البقاء فكأنه يعلم خلوده فى الدنيا، و لا- يرجو بعد الموت ثواب عمل، و لا جزاء فعل، و لا يعتقد بما يرجوه المؤمنون و يؤمله المتقون من الخير الدائم، و اللذات المخالفه لهذه اللذات الفانيه التى يشارك فيها السباع و البهائم، فإذا أدركه الموت مات على حسره و ندامه آيسا من رحمه الله قائلا:

يا حَسْرَتِي عَلَيَّ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ

(١)

أعاذنا الله تعالى من سوء الخاتمه و وقفنا لتحصيل السعاده الدائمه

### فصل (تأثير المزاج على الأخلاق)

للمزاج مدخلية تامه فى الصفات: فبعض الأمزجه فى أصل الخلقه مستعد لبعض الأخلاق، و بعضها مقتضى لخلافه، فإننا نقطع بأن بعض الأشخاص بحسب جبلته، و لو خلى عن الأسباب الخارجيه، بحيث يغضب و يخاف و يحزن بأدنى سبب، و يضحك بأدنى تعجب، و بعضهم بخلاف ذلك.

ص: ٥٣

(١ - ١) الزمر الآية: ٥٦.

وقد يكون اعتدال القوى فطريا بحيث يبلغ الإنسان كامل العقل،فاضل الأخلاق غالبه قوته العاقله على قوتى الغضب و الشهوه،كما فى الأنبياء و الأئمه عليهم السلام.وقد يكون مجاوزتها عن الوسط كذلك بحيث يبلغ ناقص العقل ردى الصفات مغلوبه عاقلته تحت سلطان الغضب و الشهوه،كما فى بعض الناس.

إلا أن الحق- كما يأتى-إمكان زوالها بالمعالجات المقرره فى علم الأخلاق،فيجب السعى فى إزاله نقائصها و تحصيل فضائلها.و عجبا لأقوام يبالبغون فى إعاده الصحه الجسمانيه الفانيه،و لا يجتهدون فى تحصيل الصحه الروحانيه الباقيه،يطيعون قول الطبيب المجوسى فى شرب الأشياء الكريهه و مزاوله الأعمال القبيحه،لأجل صحه زائله،و لا يطيعون أمر الطبيب الإلهى لتحصيل السعاده الدائمه.

و بقاء النفس على النقصان إما لعدم صرفها إلى طلب المقصود لملايسه العوائق و الموانع،أو مزاوله النقيض لتمكن موجه،أو لكثرة اشتغالها بالشواغل المحسوسه،أو لضعف القوه العاقله،فإن لم تدركها العنايه الإلهيه فلا يزال يتزايد النقصان و يبعد عن الكمال الذى خلق لأجله،إلى أن تدركها الهلاكه الأبدية و الشقاوه السرمديه،نعوذ بالله من ذلك و إن أدركته الرحمه الأزليه،فيصرف همه فى إزاله النقائص،و اكتساب الفضائل، فلا يزال يتصاعد من مرتبه من الكمال إلى فوقها،حتى يصير من أهل مشاهده الجلال و الجمال،و يتشرف بجواز الرب المتعال و يصل إلى السرور الحقيقى،الذى لا عين رأت،و لا أذن سمعت،و لا خطر على قلب بشر و إلى قره الأعين التى يشير إليها فى قوله سبحانه:

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ

(١)

ص: ٥٤

(١ - ١) السجده الآيه: ١٧،

## فصل (تأثير التربه على الأخلاق)

الخلق عباره عن «ملكه للنفس مقضيه لصدور الأفعال بسهوله من دون احتياج إلى فكر و رويه» (١). و الملكه: كيفيه نفسانيه بطيئه الزوال.

و بالقيد الأخير خرج الحال لأنها كيفيه نفسانيه سريعه الزوال، و سبب وجود الخلق إما المزاج كما مر، أو العاده بأن يفعل فعلا بالرويه، أو التكلف و يصبر عليه إلى أن يصير ملكه له و يصدر عنه بسهوله و إن كان مخالفا لمقتضى المزاج.

و اختلف الأوائل فى إمكان إزاله الأخلاق و عدمه، و ثالث الأقوال أن بعضها طبعى يمتنع زواله و بعضها غير طبعى حاصل من أسباب خارجه يمكن زواله. و رجح المتأخرون الأول و قالوا: ليس شىء من الأخلاق طبعيا و لا مخالفا للطبيعه. بل النفس بالنظر إلى ذاتها قابله للاتصاف بكل من طرفى التضاد، إما بسهوله إن كان موافقا للمزاج، أو بعسر إن كان مخالفا له، فاختلاف الناس فى الأخلاق لاختلافهم فى الاختيار و المزاوله لأسباب خارجه.

(حجه القول الأول) أن كل خلق قابل للتغيير و كل قابل للتغيير ليس طبعيا فينتج لا شىء من الخلق بطبعى و الكبرى بديهيه، و الصغرى وجدانيه، فإنه نجد أن الشرير يصير بمصاحبه الخير خيرا، و الخير بمجالسه

ص: ٥٥

---

١- ١) ما بين القوسين فى الموضوع غير موجود فى نسختنا الخطيه لكنه موجود فى نسخه خطيه أخرى و فى المطبوعه.

الشريير شريرا. و نرى أن التأديب «فى السياسات (١)» فيه أثر عظيم فى زوال الأخلاق، و لولا أنه لم يكن لقوه الرويه فائده و بطلت التأديبات و السياسات و لغت الشرايع و الديانات، و لما قال الله سبحانه: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا» (٢).

و لما قال النبى صلى الله عليه و آله: «حسنوا أخلاقكم»

و لما قال: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، و رد: بمنع كليه الصغرى فإننا نشاهد أن بعض الأخلاق فى بعض الأشخاص غير قابل للتبديل (لا) سيما ما يتعلق بالقوه النظرية، كالحدس و التحفظ، و جوده الذهن، و حسن التعقل، و مقابلاتها كما هو معلوم من حال بعض الطلبة، فإنه لا ينجح سعيهم فى التبديل مع مبالغتهم فى المجاهده.

و ما قيل: من لزوم تعطل القوه المميزه و بطلان التأديب و السياسات مردود: بأن هذا اللزوم إذا لم يكن شىء من الأخلاق قابلا للتغيير، و أما مع قبول بعضها أو أكثرها له فلا يلزم شىء مما ذكر، و لو كان عدم قبول بعض الأخلاق التغيير موجبا لبطلان علم الشرائع و الأخلاق لكان عدم قبول بعض الأمراض للصحة مقتضيا لبطلان علم الطب، مع أننا نعلم بديهه أن بعض الأمراض لا يقبل العلاج.

(و حجه القول الثانى) أن الأخلاق بأسرها تابعه للمزاج، و المزاج لا يتبدل، و اختلاف مزاج شخص واحد فى مراتب سنه لا ينافى ذلك، لجواز تابعيتها لجميع مراتب عرض المزاج، و أيد ذلك

بقوله صلى الله عليه و آله:

(الناس معادن كمعادن الذهب و الفضة خيارهم فى الجاهليه خيارهم

ص: ٥٦

---

١- ١) ما بين القوسين فى الموضوعين غير موجود فى نسختنا الخطيه لكنه موجود فى نسخه خطيه أخرى و فى المطبوعه.

٢- ٢) الشمس الآيه: ٩.



و بقوله صلى الله عليه و آله: «إذا سمعتم أن جبلا- زال عن مكانه فصدقوه، وإذا سمعتم برجل زال عن خلقه فلا تصدقوه، فإنه سيعود إلى ما جبل عليه».

و(الجواب) أن توابع المزاج من المقتضيات التي يمكن زوالها، لا- من اللوازم التي يمتنع انفكاكها، لما ثبت في الحكمة من أن النفوس الإنسانيه متفقه في الحقيقه، و في بدو فطرتها خاليه عن جميع الأخلاق و الأحوال كما هو شأن العقل الهيولاني. ثم ما يحصل لها منهما أما من مقتضيات الاختيار و العاده أو استعدادات الأبدان و الأمزجه و المقتضى ما يمكن زواله كالبروده للماء، لا ما يمتنع انفكاكه كالزوجيه للأربعه و الخير الأول لا- يفيد المطلوب بوجه. و الثاني مع عدم ثبوته عندنا يدل على خلاف مطلوبهم، لأن قوله:

«سيعود إلى ما جبل عليه» يفيد إمكان إزاله الخلق بالأسباب الخارجيه من التأديب و النصائح و غيرهما، و بعد إزالته بها يعود بارتفاعها كبروده الماء التي تزول ببعض الأسباب و تعود بعد زوال السبب، فلو دام على حفظ الأسباب و إبقائها لم يحصل العود أصلا.

و إذا ثبت بطلان القولين الأولين فالحق القول بالتفصيل، يعنى قبول بعض الأخلاق بل أكثرها بالنسبه إلى الأكثر التبديل للحس و العيان، و لبطلان السياسات و الشرائع لولاه و لإمكان تغير خلق البهائم، إذ ينتقل الصيد من التوحش إلى الأنس و الفرس من الجماع إلى الانقياد و الكلب من الهراشه إلى التأديب، فكيف لا يمكن في حق الإنسان، و عدم قبول بعضها بالنسبه إلى البعض له، للمشاهده و التجربه، و هذا البعض مما لا يكون التعلق التكليف كالأخلاق المتعلقة بالقوه العقلية من الذكاء و الحفظ و حسن التعلق و غيرها.

و التصفح يعطى اختلاف الأشخاص و الأخلاق في الإزاله و الاتصاف بالضد بالإمكان و التعذر و السهوله و التعسر و بالتقليل و الرفع بالمره، و لذا لو تصفحت

أشخاص العالم لم تجد شخصين متشابهين في جميع الأخلاق، كما لا تجد اثنين متماثلين في الصورة. ويشير إلى ذلك

قوله صلى الله عليه وآله:

«اعملوا فكل ميسر لما خلق له».

وقال أرسطاطاليس: «يمكن صيروره الأشرار أخيارا بالتأديب إلا أن هذا ليس كلياً. فإنه ربما أثر في بعضهم بالزوال و في بعضهم بالتقليل و ربما لم يؤثر أصلاً».

ثم المراد من التغيير ليس رفع الغضب و الشهوه مثلاً- و إماطتهما بالكليه فإن ذلك محال لأنهما مخلوقتان لفائده ضروريه في الجبله، إذ لو انقطع الغضب عن الإنسان بالكليه لم يدفع عن نفسه ما يهلكه و يؤذيه و امتنع جهاد الكفار، و لو انعدم عنه شهوه الطعام لم تبق حياته، و لو بطل عنه شهوه الوقاع بالمره لضاع النسل، بل المراد ردهما من الإفراط و التفريط إلى الوسط فالمطلوب في صفه الغضب خلو النفس عن الجبن و التهور و الاتصاف بحس الحميه، و هو أن يحصل إذا استحسن حصوله شرعا و عقلا، و لا يحصل إذا استحسن عدمه كذلك. و كذا الحال في صفه الشهوه.

و لا ريب في أن رد بعض الموجودات الناقصه من القوى و غيرها إذا وجدت فيه قوه الكمال إلى كماله ممكن إذا كان له شرط يرتبط باختيار العبد فكما أن النواه يمكن أن تصير نخلا بالتربيه، لوجود قوه النخليه فيه، و توقف فعليتها على شرط التربيه التي بيد العبد، فكذلك يمكن تعديل قوتي الغضب و الشهوه بالرياضه و المجاهده، لوجود قوه التعديل فيهما، و توقف فعليتهما على شرط ارتبط باختيار العبد أعنى الرياضه و المجاهده، و إن لم يمكن لنا قلعهما بالكليه، كما لا يمكن لنا إعدام شيء من الموجودات و لا إيجاد شيء من المعدومات.

ثم شرائط الرد تختلف بالنسبه إلى الأشخاص و الأخلاق، و لذا نرى

أن التبديل يختلف باختلاف مراتب السياسات و التأديب، فيمكن أن لا يرتفع مذموم خلق بمرتبته من التأديب، و يرتفع بمرتبته منه فوقها، و الأسهل قبولاً- لكل خلق الأطفال لخلو نفوسهم عن الأضداد المانعه من القبول، فيجب على الآباء تأديبهم بالآداب الجميله، و صونهم عن ارتكاب الأعمال القبيحه حتى تعتاد نفوسهم بترك الرذائل، و ارتكاب الفضائل، و المؤدب الأول هو الناموس الإلهي، و الثاني أولو الأذهان القويمه من أهل المعارف الحقه، فيجب تقييد من يراد تأديبه بالنواميس الربانيه أولاً، و تنبيهه بالحكم و المواعظ ثانياً.

### فصل (شرف علم الأخلاق بشرف موضوعه و غايته)

لما عرفت أن الحياه الحقيقيه للإنسان تتوقف على تهذيب الأخلاق الممكن بالمعالجات المقرره فى هذه الصناعه، تعرف أنها أشرف العلوم و أنفعها لأن شرف كل علم إنما بشرف موضوعه أو غايته، فشرف صناعه الطب على صناعه الدباغه بقدر شرف بدن الإنسان و إصلاحه على جلود البهائم، و موضوع هذا العلم هو النفس الناطقه التى هى حقيقه الإنسان و لئنه، و هو أشرف الأنواع الكونيه كما برهن عليه فى العلوم العقليه، و غايته إكمال و إيصاله من أول أفق الإنسان إلى آخره، و لكونه ذا عرض عريض متصللاً، أوله بأفق البهائم، و آخره بأفق الملائكه لا يكاد أن يوجد التفاوت الذى بين أشخاص هذا النوع فى أفراد سائر الأنواع، فإن فيه أحسن الموجودات و منه أشرف الكائنات كما قيل:

و لم أر أمثال الرجال تفاوتت. لدى المجد حتى عدّ ألف بواحد

و بالفارسيه:

أى نقد أصل و فرع ندانم چه گوهرى

کز آسمان بلندتر و از خاک كمتري

و إلى ذلك التفاوت يشير

قول سيد الرسل صلى الله عليه و آله و سلم:

«إنى وزنت بأمتى فرجحت بهم»، و لا- ريب فى أن هذا التفاوت لأجل الاختلاف فى الأخلاق و الصفات، لا اشتراك الكل فى الجسميه و لواحقها.

و هذا العلم هو الباعث للوصول إلى أعلى مراتبهما، و به تتم الإنسانيه و يعرج من حضيض البهيميه إلى ذرى الرتب الملكيه، و أى صناعه أشرف مما يوصل أحسن الموجودات إلى أشرفها، و لذلك كان السلف من الحكماء لا يطلقون العلم حقيقه إلا عليه، و يسمونه بالإكسير الأعظم، و كان أول تعاليمهم، و يبالغون فى تدوينه و تعليمه، و البحث عن إجماله و تفصيله، و يعتقدون أن المتعلم ما لم يهذب أخلاقه لا تنفعه سائر العلوم.

و كما أن البدن الذى ليس بالنقى كلما غدوته فقد زدته شرا، فكذاك النفس التى ليست نقيه عن ذمائم الأخلاق لا يزيده تعلم العلوم إلا فسادا.

و لذا ترى أكثر المتشبهين بزى العلماء أسوأ حالا من العوام مائلين عن وظائف الإيمان و الإسلام، إما لشده حرصهم على جمع المال، غافلين عن حقيقه المآل، أو لغلبيه جبهم الجاه و المنصب، ظنا منهم أنه ترويح للدين و المذهب، أو لوقوعهم فى الضلاله و الحيره لكثرة الشك و الشبهه، أو لشوقهم إلى المراء و الجدل فى أنديه الرجال، إظهارا لتفوقهم على الأقران و الأمثال أو لإطلاق ألسنتهم على الآباء المعنويه من أكابر العلماء و أعظم الحكماء، و لعدم تعبدهم برسوم الشرع و المله، ظنا منهم أنه مقتضى قواعد الحكمة، و لم يعلموا أن الحكمة الحقيقه ما أعطته النواميس الإلهيه و الشرائع الثبويه، فكأنهم لم يعلموا أن العلم بدون العمل ضلال، و لم يتفطنوا

قول نبيهم صلى الله عليه و آله و سلم: «قصم ظهري رجلا، عالم متهتك، و جاهل

متنسك» و لم يتذكروا

قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «البلايه أدنى إلى الإخلاص من فطانه بتراء»، و كل ذلك ليس إلا لعدم سعيهم فى تهذيب الأخلاق و تحسينها و عدم الامتثال لقوله سبحانه:

وَ اتُّوا النَّبِيُّتَ مِنْ أَبْوَابِهَا

(١)

## فصل (النفس و أسماؤها و قواها الأربع)

### إشاره

ما عرفت من تجرد النفس إنما هو التجرد فى الذات دون الفعل لافتقارها فعلا- إلى الجسم و الآله، فحدّها: أنها جوهر ملكوتى يستخدم البدن فى حاجاته، و هو حقيقه الإنسان و ذاته و الأعضاء و القوى آلاته التى يتوقف فعله عليها، و له أسماء مختلفه بحسب اختلاف الاعتبارات، فيسمى (روحا) لتوقف حياه البدن عليه و(عقلا) لإدراكه المعقولات و(قلبا) لتقلبه فى الخواطر، و قد تستعمل هذه الألفاظ فى معان أخرى تعرف بالقرائن.

و له قوى أربع: قوه عقلية ملكيه، و قوه غضبيه سبعيه، و قوه شهويه بهيميه، و قوه وهميه شيطانيه. و(الأولى) شأنها إدراك حقائق الأمور، و التمييز بين الخيرات و الشرور، و الأمر بالأفعال الجميله، و النهى عن الصفات الذميه. و(الثانيه) موجه لصدور أفعال السباع من الغضب و البغضاء و التوثب على الناس بأنواع الأذى. و(الثالثه) لا- يصدر عنها إلا أفعال البهائم من عبوديه الفرج و البطن، و الحرص على الجماع و الأكل.

ص: ٦١

١- ١) البقره الآيه: ١٢٩.

و(الرابعة) شأنها استنباط وجوه المكر والحيل، والتوصل إلى الأغراض بالتليس و الخدع، و الفائدة في وجود القوه الشهويه بقاء البدن الذى هو آله تحصيل كمال النفس، و فى وجود الغضبيه أن يكسر سوره الشهويه و الشيطانيه، و يقهرهما عند انغمارهما فى الخداع و الشهوات، و اصرارهما عليهما، لأنهما لتمردهما لا- تطيعان العاقله بسهولة، بخلاف الغضبيه فإنهما تطيعانها و تتأدبان بتأديبها بسهولة.

و لذا قال أفلاطون فى صفه السبعيه و البهيميه: «أما هذه أى السبعيه فهى بمنزله الذهب فى اللين و الانعطاف، و أما تلك أى البهيميه فهى بمنزله الحديد فى الكثافه و الامتناع» و قال أيضا: «ما أصعب أن يصير الخائض فى الشهوات فاضلا، فمن لا تطيعه الواهمه و الشهويه فى إثثار الوسط فليستعن بالقوه الغضبيه المهيجه للغيره، و الحميه حتى يقهرهما» فلو لم يمتثلا مع الاستعانه فإن لم تحصل له ندامه بعد ارتكاب مقتضاهما دل على غلبتهما على العاقله و مقهوريتها عنهما، و حينئذ لا يرجى صلاحه، و إلا فالإصلاح ممكن فليجتهد فيه و لا ييأس من روح الله، فإن سبل الخيرات مفتوحه، و أبواب الرحمه الإلهيه غير مسدوده.

وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا

(١)

و الفائدة فى القوه الوهميه إدراك المعانى الجزئيه، و استنباط الحيل و الدقائق التى يتوصل بها إلى المقاصد الصحيحه.

و بيان ذلك أن الواهمه و الخيال و المتخيله ثلاث قوى متباينه، و ميانه للقوى للثلاث الأول، و شأن الأولى إدراك المعانى الجزئيه، و شأن الثانيه إدراك الصور، و شأن الثالثه التركيب و التفصيل بينهما. و كل من مدركاتهما

ص: ٦٢

١- ١) العنكبوت الآيه: ٦٩.

إما مطابق للواقع، أو مخترع من عند أنفسها من غير تحقق له في نفس الأمر أيضا، وإما من مقتضيات العقل و الشريعة، و من الوسائل إلى المقاصد الصحيحة، أو من دواعي الشيطان و ما يقتضيه الغضب و الشهوه، و على الأول يكون وجودها خيرا و كمالا، و إن كان وجودها على الثاني شرا و فسادا. و الحال في جميع القوى كذلك.

هذا و قيل: ما ورد في القرآن من النفس المطمئنه و اللوامه و الأماره بالسوء، إشاره إلى القوى الثلاث أعنى العاقله و السبعيه و البهيميه، و الحق أنها أوصاف ثلاثه للنفس بحسب اختلاف أحوالها، فإذا غلبت قوتها العاقله على الثلاث الأخر، و صارت منقادها لها مقهوره منها، و زال اضطرابها الحاصل من مدافعتها سميت «مطمئنه»، لسكونها حينئذ تحت الأوامر و النواهي، و ميلها إلى ملائمتها التي تقتضى جبلتها، و إذا لم تتم غلبتها و كان بينها تنازع و تدافع، و كلما صارت مغلوبه عنها بارتكاب المعاصي حصلت للنفس لوم و ندامه سميت «لوامه». و إذا صارت مغلوبه منها مذعنه لها من دون دفاع سميت «أماره بالسوء» لأنه لما اضمحلت قوتها العاقله و أذعنت للقوى الشيطانيه من دون مدافعه، فكانما هي الأمره بالسوء.

ثم مثل اجتماع هذه القوى في الإنسان كمثل اجتماع ملك، أو حكيم و كلب و خنزير و شيطان في مرتبط واحد، و كان بينها منازعه، و أيها صار غالبا كان الحكم له، و لم يظهر من الأفعال و الصفات إلا ما تقتضيه جبلته فكان إهاب الإنسان و عاء اجتماع فيه هذه الأربعم، فالملك أو الحكيم هو القوه العاقله، و الكلب هو القوه الغضبيه، فإن الكلب ليس كلبا و مذموما للونه و صورته بل لروح معنى الكلبيه و السبعيه أعنى الضراوه و التكلب على الناس بالعقر و الجرح، و القوه الغضبيه موجب له لذلك، فمن غلب فيه هذه

القوه هو الكلب حقيقه، و إن أطلق عليه اسم الإنسان مجازاً، و الخنزير هو القوه الشهويه، و الشيطان هو القوه الوهميه، و التقريب فيهما كما ذكر، و النفس لا تزال محل تنازع هذه القوى و تدافعها إلى أن يغلب إحداها، فالغضبيه تدعوه إلى الظلم و الإيذاء، و العداوه و البغضاء، و البهيميه تدعوه إلى المنكر و الفواحش، و الحرص على المآكل و المناكح، و الشيطانيه تهيج غضب السبعيه و شهوه البهيميه، و تزيد (1) فعلهما، و تغري إحداهما بالأخرى و العقل شأنه أن يدفع غيظ السبعيه بتسليط الشهويه عليها، و يكسر سوره الشهويه بتسليط السبعيه عليها، و يرد كيد الشيطان و مكره بالكشف عن تلبسه ببصيرته النافذه، و نورانيته الباهره، فإن غلب على الكل يجعلها مقهوره تحت سياسته غير مقدمه على فعل إلا بإشارته جرى الكل على المنهج الوسط، و ظهر العدل فى مملكه البدن، و إن لم يغلب عليها و عجز عن قهرها قهروه و استخدموه فلا يزال الكلب فى العقر و الإيذاء، و الخنزير فى المنكر و الفحشاء، و الشيطان فى استنباط الحيل، و تدقيق الفكر فى وجوه المكر و الخدع، ليرضى الكلب و يشبع الخنزير، فلا يزال فى عباده كلب عقور أو خنزير هلوع أو شيطان عنود، فتدركه الهلاكه الأبدية، و الشقاوه السرمديه، إن لم تغنه العنايه الإلهيه، و الرحمه الأزليه.

و قد يمثل اجتماع هذه القوى فى الإنسان براكب بهيمه طالب للصيد يكون معه كلب و عين من قطاع الطريق، فالراكب هو العقل، و البهيمه هى الشهوه، و الكلب هو الغضب، و العين هو القوه الوهميه التى هى من جواسيس الشيطان، فإن كان الكل تحت سياسه الراكب فعل ما يصلح للكل و نال ما بصدده، و إن كانت الغلبه و الحكم للبهيمه أو الكلب لهلك الراكب بندهابه معهما فيما لا يصلح له من التلال و الوهاد، و اقتحامه فى موارد

ص: ٦٤

١- ١) و فى نسختنا الخطيه هكذا «تزين».



الهلكات، وإن كان الكل تحت نهى العين و أمره، و افتتنوا بخدعه و مكره لأضلهم بتليسه عن سواء السبيل حتى يوصلهم إلى أيدي السارقين.

و كذلك لو كانت القوى بأسرها تحت إشاره العقل و قهرها و غلب عليها وقعت لانقيادها له المسالمة و الممازجه بين الكل، و صار الجميع كالواحد لأن المؤثر و المدبر حينئذ ليس إلا- قوه واحده تستعمل كلا- منها في المواضع اللائقة و الأوقات المناسبة، فيصدر عن كل منها ما خلق لأجله، على ما ينبغي من القدر و الوقت و الكيفيه، فتصلح النفس و قواها.

فَدَّ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا

(١)

و لو لم يغلب العقل حصل التدافع و التجاذب بينه و بين سائر القوى، و يتزايد ذلك إلى أن يؤدي إلى انحلال الآله و القوه لو يصير العقل مغلوبا فتهلك النفس و قواها، وَ قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (٢).

(تتميم) لما تبين أن للنفس اربع قوى متخالفه، و لها قوى آخر أيضا كما تبين في العلم الطبيعي. فيحسب غلبه بعض هذه القوى على بعض يحصل في النفس اختلاف عظيم، و الاختلاف في النفوس إنما هو باختلاف صفاتها الحاصله من غلبه بعض قواها المتخالفه. إذ هي في بدو فطرتها خاليه عن جميع الأخلاق و الملكات، و ليس لها فعليه، بل هي محض القوه، و لذا ليس لها قوام بذاتها و إنما تتقوم بالبدن، ثم بتوسط قواها تكتسب العلوم و الأخلاق، و ترسم بالصور و الأعمال إلى أن تتقوم بها، و تصل إلى

ص: ٦٥

١-١) الشمس الآيه: ٩.

١٠-٢) الشمس الآيه: ١٠.

و لما كانت قواها متخالفه متنازعه فما لم يغلب إحداها لم تدخل النفس فى عالمه (1)الذى يخصه فلا تزال من تنازعها معركه للآثار المختلفه و الأحكام المتباينه إلى أن يغلب إحداها فتظهر فى النفس آثاره و يدخل فى عالمه الخاص.

و لما كانت القوه العاقله من سنخ الملائكته،و الواهمه من حزب الأبالسه و الغضبيه من أفق السباع،و الشهويه من عالم البهائم،فبحسب غلبه واحده منها تكون النفس إما ملكا أو شيطانا أو كلبا أو خنزيرا،فلو كانت الغلبه و السلطنه لقهر مان العقل ظهر فى مملكه النفس أحكامه و آثاره،و انتظمت أحوالها،و لو كانت لغيره من القوى ظهر فيها آثاره فتهلك النفس و يحتل معاشها و معادها.

ثم المنشأ للتنازع و التجاذب و البقاء فى نفس الإنسانيه إنما هو قوتها العقليه لأن التدافع إنما بينها و بين سائر القوى،فليس فى نفوس سائر الحيوانات لفقدانها العاقله ننازع و تجاذب و إن اختلفت فى غلبه ما فيها من القوى،فإن الغلبه فى الشياطين للواهمه،و فى السباع للغضب،و فى البهائم للشهوه،و أما الملائكته فتتخصص قوتها بالعاقله فليس فيها سائر القوى فلا يتحقق فيها تدافع و تنازع.فالجامع لعوالم الكل هو الإنسان و هو المخصوص من بين المخلوقات بالصفات المتقابله،و لذلك صار مظهرا للأسماء المتقابله الإلهيه،و قابلا للخلافه الربانيه،و قائما بعماره عالمى الصوره و المعنى.

و الملائكته و إن كانوا مخصوصين بالجنه الروحانيه و لوازمها من الإشراقات العلميه،و توابعها من اللذات العقليه،إلا أنه ليس لهم جهه جسمانيه و لوازمها.و الأجسام الفلكيه و ان كانت لها نفوس ناطقه على قواعد الحكمه إلا أنها خاليه عن الطبائع المختلفه،و الكيفيات المتباينه،و ليس لها

فى المدارج المتخالفه، و المراتب المتفاوته، و لا- تقلب فى أطوار النقص و الكمال، و لا- تحول فى جميع التقاليب و الأحوال، بخلاف الإنسان فإنه محيط بجميع المراتب المختلفه، و سائر فى الأطوار المتباينه من الجماديه و النباتيه و الحيوانيه و الملكيه، و له الترقى عن جميع تلك المراتب بأن تتحقق له مرتبه مشاهده الوحده الصرفيه فيتجاوز عن أفق الملائكه، فهو النسخه الجامعه لحقائق الملك و الملكوت، و المعجون المركب من عالمى الأمر و الخلق

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الله خص الملك بالعقل دون الشهوه و الغضب، و خص الحيوانات بهما دونه و شرف الإنسان بإعطاء الجميع فإن انقادت شهوته و غضبه لعقله صار أفضل من الملائكه لوصوله إلى هذه المرتبه مع وجود المنازع و الملائكه ليس لهم مزاحم».

## وصل

قد ظهر بما ذكر أن الإنسان ذو جنبه روحانيه يناسب بها الأرواح الطيبه و الملائكه القادسه، و ذو جنبه جسمانيه يشابه بها السباع و الأنعام، فبالجزء الجسماني أقيم فى هذه العالم الحسى مده قصيره، و بالجزء الروحاني ينتقل إلى العالم العلوى، و يقيم فيه أبدا فى مصاحبه الأرواح القدسيه، بشرط أن يتحرك بقواه نحو كمالاتها الخاصه، حتى يغلب الجزء الروحاني على الجسماني، و ينفذ عن نفسه كدورات الطبيعه، و تظهر فيه آثار الروحانيات من العلم بحقائق الأشياء و الأنس بالله تعالى و الحب له و التحلى بفضائل الصفات. و حينئذ يقوم بغلبه روحانيته بين الملائك الأعلى يستمد منهم لطائف الحكمه، و يستنير بالنور الإلهى و يزيد ذلك بحسب رفع العلائق الجسميه، حتى إذا ارتفعت عنه حجب الغواسق الطبيعيه بأسرها، و أزيلت عنه استار العوائق الهيولانيه برمتها، خلى عن جميع الآلام و الحسرات،

و كان أبدا مسرورا بذاته،مغتبطا بحاله،مبتهجا بما يرد عليه من فيوضات النور الأول،و لا يسرّ إلا بتلك اللذات،و لا يغتبط إلا بها،و لا- يهش إلا- بإظهار الحكمة الحقه بين أهلها،و لا يرتاح إلا بمن ناسبه و أحب الاقتباس منه،و لا يبالي بمفارقة الدنيا و ما فيها،و يرى جسمه و ماله و جميع خيرات الدنيا وبالا و كلا عليه إلا ما هو ضرورى يحتاج إليه بدنه الذى الذى يفتقر إليه فى تحصيل كماله،و يحن أبدا إلى مصاحبه الذوات النورية، و لا يفعل إلا ما أراد الله تعالى منه،و لا يتعرض إلا لما يقربه إليه،و لا يخالفه فى متابعه الشهوات الرديه،و لا- ينخدع بخدائع الطبيعه،و لا- يلتفت إلى شىء يعوقه عن سعاده،و لا- يحزن على فقد محبوب،و لا فوت مطلوب و إذا صفى من الأمور الطبيعه بالكلية زالت عنه العوارض النفسانيه، و الخواطر الشيطانيه بأسرها،و فنى عنه إرادته المتعلقة بالأمر.و حينئذ يمتلى من المعارف الإلهيه،و الشوق الإلهى و البهجه الإلهيه،و الشعار الإلهى، و تتقرر الحقائق فى عقله كتقرر القضايا الأوليه فيه،بل يكون علمه بها أشد إشراقا و ظهورا من علمه بها.و إذا بلغ هذه الغايه فقد استعد للوصول إلى المرتبه القصوى،و مجاوره الملاء الأعلى،فيصل إلى ما لا عين رأت، و لا أذن سمعت،و لا خطر على قلب بشر،و يفوز بما أشير إليه فى الكتاب الإلهى بقوله:

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ

(١)

ص: ٦٨

١- ١) السجده الآيه: ١٧.

## فصل (الأقوال فى الخير و السعاده و التوفيق بينها)

اعلم أن الغايه فى تهذيب النفس عن الرذائل و تكميلها بالفضائل هو الوصول إلى الخير و السعاده. و السلف من الحكماء قالوا: إن (الخير) على قسمين مطلق و مضاف، و المطلق هو المقصود من إيجاد الكل، إذ الكل يتشوقه و هو غايه الغايات، و المضاف ما يتوصل به إلى المطلق. و (السعاده) هو وصول كل شخص بحركته الإراديه النفسانيه إلى كماله الكامن فى جبلته و على هذا فالفرق بين الخير و السعاده أن الخير لا يختلف بالنسبه إلى الأشخاص، و السعاده تختلف بالقياس إليهم.

ثم الظاهر من كلام أرسطاطاليس أن الخير المطلق هو الكمالات النفسيه و المضاف ما يكون معدا لتحصيلها كالتعلم و الصحه، أو نافعا فيه كالمكته و الثروه.

و أما السعاده فعند الأقدمين من الحكماء راجعه إلى النفوس فقط، و قالوا ليس للبدن فيها حظ، فحصروها فى الأخلاق الفاضله، و احتجوا على ذلك بأن حقيقه الإنسان هى النفس الناطقه و البدن آله لها، فلا يكون ما يعد كمالا له سعاده للإنسان. و عند المتأخرين منهم كأرسطو و من تابعه راجعه إلى الشخص حيث التركيب، سواء تعلقت بنفسه أو بدنه، لأن كل ما يلائم جزءا من شخص معين فهو سعاده جزئيه بالنسبه إليه، مع أنه يتعسر صدور الأفعال الجميله بدون اليسار، و كثره الأعوان و الأنصار، و البخت المسعود، و غير ذلك مما لا يرجع إلى النفس، و لذا قسموا السعاده إلى ما يتعلق بالبدن من حيث هو كالصحه و اعتدال المزاج

و إلى ما يتوصل به إلى إفشاء العوارف و مثله مما يوجب استحقاق المدح كالمال و كثره الأَعوان، و إلى ما يوجب حسن الحديث و شيوع المحمده، و إلى ما يتعلق بإنجاح المقاصد و الأغراض على مقتضى الأمل، و إلى ما يرجع إلى النفس من الحكمة و الأخلاق المرضيه. و قالوا كمال السعاده لا يحصل بدون هذه الخمسه، و بقدر النقصان فيها تنقص. قالوا و فوق ذلك سعاده محضه لا تدانيها سعاده، و هو ما يفيض الله سبحانه على بعض عباده من المواهب، و الإشراقات العلميه، و الابتهاجات العقليه بدون سبب ظاهر.

ثم الأقدمون لذهابهم إلى نفي السعاده للبدن صرحوا بأن السعاده العظمى لا تحصل للنفس ما دامت متعلقه بالبدن، و ملوثه بالكدورات الطبيعیه، و الشواغل الماديه، بل حصولها موقوف عنها، لأن السعاده الطلقه لا تحصل لها ما لم تصر مشرقه بالإشراقات العقليه، و مضيئه بالأنوار الإلهيه، بحيث يطلق عليها اسم التام، و ذلك موقوف على تخليصها التام عن الظلمه الهيولانيه، و القصورات الماديه.

و أما المعلم الأول و اتباعه فقالوا إن السعاده العظمى تحصل للنفس مع تعلقها بالبدن أيضا، لبداهه حصولها لمن استجمع الفضائل بأسرها، و اشتغل بتكميل غيره. و ما أفبح أن يقال مثله ناقص و إذا مات يصير تاما، فالسعاده لها مراتب، و يحصل للنفس الترقى فى مدارجها بالمجاهده إلى أن تصل إلى أقصاها و حينئذ يحصل تمامها و إن كان قبل المفارقة، و تكون باقيه بعدها أيضا، ثم المتأخرون عن الطائفتين من حكماء الإسلام قالوا إن السعاده فى الأحياء لا تتم إلا باجتماع ما يتعلق بالروح و البدن، و أدناها أن تغلب السعاده البدنيه على النفسيه بالفعل، إلا أن الشوق إلى الثانيه، و الحرص على اكتسابها يكون أغلب، و أقصاها أن تكون الفعلية و الشوق كلاهما فى

الثانية أكثر، إلا أنه قد يقع الالتفات إلى هذا العالم و تنظيم أموره بالعرض.

و أما فى الأموات فيختص بما يتعلق بالنفس فقط لاستغنائهم عن الأمور البدنية، فتختص السعادة فيهم بالملكات الفاضله، و العلوم الحقه اليقنيه، و الوصول إلى مشاهده جمال الأبد، و معاينه جلال السرمد. و قالوا إن الأولى لشوبها بالزخارف الحسيه، و الكدورات الطبيعیه ناقصه كدره، و أما الثانيه فلخلوها عنها تامه صافيه، لأن المتصف بها يكون أبدا مستنيرا بالأنوار الإلهيه، مستضيئا بالأضواء العقلية، مستهترا (1) بذكر الله و أنسه مستغرقا فى بحر عظمته و قدسه، و ليس له التفات إلى ما سوى ذلك، و لا يتصور له تحسر على فقد لذه أو محبوب، و لا شوق إلى طلب شىء مرغوب، و لا رغبه إلى أمر من الأمور، و لا رهبه من وقوع محذور، بل يكون منصرفا بجزئه العقلى مقصورا همه على الأمور الإلهيه من دون التفات إلى غيرها.

و هذا القول ترجيح لطريقه المعلم الأول من حيث إثبات سعادته للبدن و لطريقه الأقدمين من حيث نفي حصول السعاده العظمى للنفس ما دامت متعلقه بالبدن. و هو (الحق المختار) عندنا، إذ لا ريب فى كون ما هو وصله إلى السعاده المطلقه سعاده إضافيه. و معلوم أن غرض القائل بكون متعلقات الأبدان كالصحه و المال و الأعوان سعادته أنها سعاده إذا جعلت آله لتحصيل السعاده الحقيقيه لا- مطلقا، إذ لا يقول عاقل إن الصحه الجسميه و الحطام الدنيوى سعادته، و لو جعلت وسيله إلى اكتساب سخط الله و عقابه و حاجبه عن الوصول إلى دار كرامته و ثوابه. و كذا لا ريب فى أن النفس ما دامت متعلقه بالبدن مقيده فى سجن الطبيعه لا يحصل لها العقل الفعلى، و لا تنكشف لها الحقائق كما هى عليه انكشافا تاما، و لا تصل إلى حقيقه

ص: ٧١

---

(١-١) مستهترا به على بناء اسم المفعول أى مولع به.

ما يترتب على العلم و العمل من الابتهاجات العقلية و اللذات الحقيقية. و لو حصلت لبعض المتجردين عن جلاباب البدن يكون فى آن واحد و يمرّ كالبرق الخاطف.

هذا و قد ظهر من كلمات الجميع أن حقيقه الخير و السعاده ليست إلا- المعارف الحقه، و الأخلاق الطيبه، و الأمر و إن كان كذلك من حيث إن حقيقتهما ما يكون مطلوباً لذاته، و باقياً مع النفس أبداً و هما كذلك، إلا أنه لا ريب فى أن ما يترتب عليهما من حب الله و أنسه، و الابتهاجات العقلانيه، و اللذات الروحانيه مغاير لهما من حيث الاعتبار، و إن لم ينفك عنهما و مطلوبيته لذاته أشد و أقوى، فهو باسم الخير و السعاده أولى و أخرى و إن كان الجميع خيراً و سعاده. و بذلك يحصل الجمع بين أقوال أرباب النظر و الاستدلال، و أصحاب الكشف و الحال، و اخوان الظاهر من أهل المقال، حيث ذهب (الفرقه الأولى) إلى أن حقيقه السعاده هو العقل و العلم، و (الثانيه) إلى أنها العشق، و (الثالثه) إلى أنها الزهد، و ترك الدنيا.

### فصل (لا تحصل السعاده إلا بإصلاح جميع الصفات و القوى دائماً)

#### إشاره

لا- تحصل السعاده إلا بإصلاح جميع الصفات و القوى دائماً، فلا تحصل بإصلاحها بعضاً دون بعض، و وقتاً دون وقت، كما أن الصحه الجسميه، و تدبير المنزل، و سياسه المدن لا- تحصل إلا- بإصلاح جميع الأعضاء و الأشخاص و الطوائف فى جميع الأوقات، فالسعيد المطلق من أصلح جميع صفاته و أفعاله على وجه الثبوت و الدوام بحيث لا يغيره تغير الأحوال



و الأزمان، فلا- يزول صبره بحدوث المصائب و الفتن، و لا- شكره بورود النوائب و المحن، و لا يقينه بكثرة الشبهات، و لا رضاه بأعظم النكبات، و لا- إحسانه بالإساءة، و لا صداقته بالعداوة. و بالجمله لا يحصل التفاوت فى حاله، و لو ورد عليه ما ورد على أيوب النبى عليه السلام أو على برناس الحكيم، لشهامه ذاته، و رسوخ أخلاقه و صفاته. و عدم مبالاته بعوارض الطبيعه، و ابتهاجه بنورانيتها و ملكاته الشريفه، بل السعيد الواقعى لتجرده و تعاليه عن الجسمانيات خارج عن تصرف الطبائع الفلكيه، متعال عن تأثير الكواكب و الأجرام الأثيريه فلا- يتأثر عن سعدها و نحسها، و لا ينفعل عن قمرها و شمسها. أهل التسييح و التقديس لا يبالون بالتثليث و التسديس، و ربما بلغ تجردهم و قوه نفوسهم مرتبه تحصل لهم ملكه الاقتدار على التصرف فى موارد الكائنات، و لو فى الأفلاك و ما فيها، كما حصل لفخر الأنبياء و سيد الأوصياء صلوات الله عليهما و آلهما من شق القمر و ردّ الشمس.

و قد ظهر مما ذكر أن من يجزع بورود المصائب الدنيويه، و يضطرب من الكدورات الطبيعيه، و يدخل نفسه فى معرض شماته الأعداء و ترحم الأحباء، خارج عن زمره السعداء، لضعف غريزته و غلبه الجبن على طبيعته، و عدم نبه بعد إلى الابتهاجات التى تدفع عن النفس أمثال ذلك.

و مثله لو تكلف الصبر و الرضا و تشبه ظاهرا بالسعداء لكان فى الباطن متألما مضطربا، و هذا ليس سعاده لأن السعاده الواقعيه إنما هو صيروره الأخلاق الفاضله ملكات راسخه بحيث لا تغيرها المغيرات ظاهرا و باطنا.

بلغنا الله و جميع الطالبين إلى هذا المقام الشريف.

صرح الحكماء بأن غايه المراتب للسعاده أن يتشبه الإنسان فى صفاته بالمبدأ: بأن يصدر عنه الجميل لكونه جميلا، لا لغرض آخر من جلب منفعه، أو دفع مضره، وإنما يتحقق ذلك إذا صارت حقيقته المعبر عنها بالعقل الإلهى و النفس الناطقه خيرا محضا، بأن يتطهر عن جميع الخبائث الجسمانيه، و الأقدار الحيوانيّه. و لا يحوم حوله شىء من العوارض الطبيعیه و الخواطر النفسانيه، و يمتلئ من الأنوار الإلهيه، و المعارف الحقيقيه، و يتيقن بالحقائق الحقه الواقعيه، و يصير عقلا محضا بحيث يصير جميع معقولاته كالقضايا الأوليه، بل يصير ظهورها أشد، و انكشافها أتم، و حينئذ يكون له أسوه حسنه بالله سبحانه، فى صدور الأفعال و تصير إلهيه أى شبيه بأفعال الله سبحانه فى أنه لصرافه حسنه يقتضى الحسن، و لمحوضه جماله يصدر عنه الجميل من دون داع خارجى، فتكون ذاته غايه فعله، و فعله غرضه بعينه، و كلما يصدر عنه بالذات و بالقصد الأول فإنما يصدر لأجل ذاته و ذات الفعل و إن ترشحت منه الفوائد الكثيره على الغير بالقصد الثانى و بالعرض. قالوا و إذا بلغ الإنسان هذه المرتبه فقد فاز بالبهجه الإلهيه، و اللذه الحقيقيه الذاتيه، فيشتمتر طبعه من اللذات الحسيه الحيوانيّه، لأن من أدرك اللذه الحقيقيه علم أنها لذّه ذاتيه، و الحسيه ليست لذه بالحقيقه لتصرمها و دثورها و كونها دفع ألم.

و أنت خبير بأن هذا التصريح محل تأمل المخالفته ظواهر الشرع فتأمل.

لما عرفت أن القوى فى الإنسان أربع: قوه نظريه عقليه، و قوه وهميه خياليه، و قوه سبعيه غضبيه، و قوه بهيميه شهويه-فاعلم أنه بإزاء كل واحده منها لذه و ألم، لأن اللذه إدراك الملائم، و الألم إدراك غير الملائم، فلكل من الغرائز المدركه لذه هو نيله مقتضى طبعه الذى خلق لأجله، و ألم هو إدراكه خلاف مقتضى طبعه:

(فغريزه العقل) لما خلقت لمعرفة حقائق الأمور، فلذتها فى المعرفه و العلم، و ألمها فى الجهل، و (غريزه الغضب) لما خلقت لتشفى و الانتقام فلذتها فى الغلبه التى يقتضيها طبعها و ألمها فى عدمها، و (غريزه الشهوه) لما خلقت لتحصيل الغذاء الذى به قوام البدن، فلذتها فى نيل الغذاء، و ألمها فى عدم نيله، و هكذا فى غيرها، فاللذات و الآلام أيضا على أربعة أقسام: العقليه و الخاليه و الغضبيه و البهيميه.

فاللذه العقليه كالانبساط (١) الحاصل من معرفه الأشياء الكليه و إدراك الذوات المجرده النوريه، و الألم العقلى كالانقباض الحاصل من الجهل، و اللذه الخياليه كالفرح الحاصل من إدراك الصور و المعانى الجزئيه الملائمه، و الألم الخيالى كإدراك غير الملائمه منها. و اللذه المتعلقه بالقوه الغضبيه كالانبساط الحاصل من الغلبه و نيل المناصب و الرياسات، و الألم المتعلق بها كالانقباض الحاصل من المغلوبيه و العزل و المرءوسيه. و اللذه البهيميه هى المدركه من الأكل و الجماع و أمثالهما، و الألم البهيمى ما يدرك من الجوع و العطش و الحر

و البرد و أشباهها. و هذه اللذات و الآلام تصل إلى النفس و هي الملتذذ و المتألمه حقيقه إلا أن كلا منها يصل إليها بواسطه القوه التي تتعلق بها. و الفرق بين الكل ظاهر.

و ربما يشتبه بين ما يتعلق بالوهم و الخيال و ما يتعلق بالقوه الغضبيه من حيث اشتراكهما في الترتب على التخيل.

و يدفع الاشتباه بأن ما يتعلق بالغضبيه و إن توقف على التخيل إلا أن المتأثر بالالتذاذ و التألم بعد التخيل هو الغضبيه و بواسطتها تتأثر النفس، ففي هذا النوع من اللذذ و الألم تتأثر الغضبيه ثم تتأثر النفس.

و أما ما يتعلق بالوهم و الخيال فالمتأثر بالالتذاذ و التألم هاتان القوتان و يصل التأثر منهما إلى النفس من دون توسط القوه الغضبيه.

و مما يوضح الفرق أن الالتذاذ و التألم الخياليين لا يتوقفان على وجود غلبه و مغلوبه مثلا في الخارج، و أما الغضبيان فيتوقفان عليهما.

ثم أقوى اللذات هي العقلية لكونها فعليه ذاتيه غير زائله باختلاف الأحوال، و غيرها من اللذات الحسيه انفعاليه عرضيه منفعله زائله، و هي في مبدإ الحال مرغوبه عند الطبيعه، و تتزايد بتزايد القوه الحيوانيه، و تتضعف بضعفها إلى أن تنتفى بالمره، و يظهر قبحها عند العقل، و أما العقلية فهي في البدايه منتفيه، لأن إدراكها لا يحصل إلا للنفوس الزكيه المتحليه بالأخلاق المرضيه، و بعد حصولها يظهر حسننها و شرفها، و تتزايد بتزايد القوه العقلية إلى أن ينتهى إلى أقصى المراتب، و لا يكون نقص و لا زوال.

و العجب ممن ظن انحصار اللذذ في الحسيه و جعلها غايه كمال الإنسان و سعادته القصوى. و المتشرعون منهم قصّروا اللذات الآخره على الجنه و الحور و الغلمان و أمثالها، و آلامها على النار و العقارب و الحيات و أشباهها، و جعلوا الوصول إلى الأولى و الخلاص عن الثانيه غايه في زهدهم و عبادتهم

و كأنهم لم يعلموا أن هذه عباده الأجراء و العبيد تركوا قليل المشتبهات ليصلوا إلى كثيرها. و ليت شعري أن ذلك كيف يدل على الكمال الحقيقي و القرب من الله سبحانه! أو لا أدري أن الباكي خوفا من النار و شوقا إلى اللذات الجسميه المطلوبه للنفس البهيميه كيف يعدّ من أهل التقرب إلى الله سبحانه و يستحق التعظيم و يوصف بعلو الرتبه! أو كأنهم لم يدركوا الابتهاجات الروحانيه، و لا لذه المعرفه بالله و حبه و أنسه و لم يسمعو

قول سيد الموحدين (1) صلى الله عليه و آله

«إلهي ما عبدتك خوفا من نارك و لا طمعا في جنتك و لكن وجدتك أهلا للعباده فعبدتك» .

و بالجملة لا ريب في أن الإنسان في اللذنه الجسميه يشارك الخنافس و الديدان و الهمج من الحيوان، و إنما يشابه الملائكه في البصيره الباطنه و الأخلاق الفاضله، و كيف يرتضى العاقل أن يجعل النفس الناطقه الشريفه خادمه للنفس البهيميه الحسيه.

و العجب من هؤلاء الجماعه (2) مع هذا الاعتقاد يعظمون من ينتزه عن الشهوات الحيوانيه و يستهين باللذات الحسيه و يتخضعون له و يعدون أنفسهم أشقياء بالنسبه إليه، و يذعنون أنه أقرب الناس إلى الله سبحانه و أعلى رتبه منهم بتنزهه عن الشهوات الطبيعيه، و قد اتفق كلهم على تنزه مبدع الكل و تعاليه عنها مستدلين بلزوم النقص فيه لولاه، و كل ذلك يناقض رأيهم الأول.

و السرفيه أنهم و إن ذهبوا إلى هذا الرأي الفاسد إلا أنه لما كانت غريزه العقل فيهم بعد موجوده، و إن كانت ضعيفه، فيرى ما هو كمال حقيقي لجوهرها كمالا، و يحكم بنورانيتها الذاتيه، على كون ما هو فضيله

ص: ٧٧

١-١) المعنى به هو أمير المؤمنين على عليه الصلاه و السلام.

٢-٢) المرادهم الذين حصروا اللذات في الحسيه و الكلام كله في هذا الرأي.

فى الواقع فضيله، و ما هو رذيله فى نفس الأمر رذيله، فيضطرهم إلى إكرام أهل التنزه عن الشهوات، و الاستهان به بالمكبين عليها.

و مما يدل على قبح اللذات الحيوانيه أن أهلها يكتمونها و يخفون ارتكابها و يستحيون عن إظهارها، و إذا وصفوا بذلك تتغير وجوههم، كما هو ظاهر من وصف الرجل بكثرة الأكل و الجماع، مع أن الجميل على الإطلاق يحسن إذاعته، و صاحبه يجب أن يظهره و يوصف به، هذا مع أن البديهة حاكمه بأن هذه اللذات ليست لذات حقيقيه، بل هى دفع آلام حادثه للبدن (1) فإن ما يتخيل لذه عند الأكل و الجماع إنما هو راحه من ألم الجوع و لذع المنى و لذا لا يلتذ الشبعان من الأكل، و معلوم أن الراحه من الألم ليس كمالا و خيرا، إذ الكمال الحقيقى و الخير المطلق ما يكون كمالا و خيرا أبدا.

### إيقاظ (فيه موعظه و نصيحه)

لما عرفت أن الإنسان فى اللذه العقليه يشارك الملائكه، و فى غيرها من الحسيه المتعلقه بالقوى الثلاث، أعنى السبعيه و البهيميه و الشيطانيه، يشارك السباع و البهائم و الشياطين - فاعلم أن من غلبت عليه إحدى اللذات

ص: ٧٨

١- ١) الحق أن كل لذه بدنيه و نفسيه إنما هى إشباع شهوه أو غريزه تتطلب الإشباع، حتى طلب المعارف و العلم إنما هو لإشباع غريزه حب الاستطلاع، إلا أن طلب العلم لا يصل إلى حد الإشباع أبدا، و لذا قال صلى الله عليه و آله و سلم: «منهومان لا يشبعان طالب علم، و طالب مال» و ليست كذلك الغريزه الجنسيه و غريزه حب الأكل و أمثالهما فإنها تصل إلى حد الإشباع فتكتفى.

الأربع كانت مشاركته لما ينسب إليه أكثر حتى إذا صارت الغلبه تامه لكان هو هو.

فانظر يا حبيبي أين تضع نفسك، فإن الغلبه لو كانت لقوتك الشهويه حتى يكون أكثر همك إلى الشهوات الحيوانيه كالأكل و الشرب و الجماع و سائر النزوات البهيميه، كنت واحدا من البهائم. و إن كانت لقوتك الغضبيه حتى يكون جلّ ميلك إلى المناصب و الرياسات الرديه، و إيذاء الناس بالضرب و الشتم، و باقى الحركات السبعيه، نزلت منزله السباع، و إن كانت لقوتك الشيطانيه حتى يكون غالب سعيك فى استنباط وجوه المكر و الحيل للوصول إلى مقتضيات قوتى الشهوه و الغضب بأنواع الخداع و التلبيسات الوهميه دخلت فى حزب الأبالسه. و إن كانت لقوتك العقلية حتى يكون جدك مقصورا على «أخذ» (١) المعارف الإلهيه و اقتفاء (٢) الفضائل الحلقية عرجت إلى أفق الملائكه القادسه، فمن كان عاقلا غير عدو لنفسه و جب عليه أن يصرف جلّ همه فى تحصيل السعاده العلميه و العمليه، و إزاله النقائص الكامنه فى نفسه، و ليقصر على الأمور الشهوانيه، و اللذات الجسمانيه بقدر الضروره، بأن يكتفى من الغذاء بما يحفظ اعتدال مزاجه و قوام حياته و لا يكون قصده منه الالتذاذ، بل سدّ الضروره و دفع الألم، و لا يضيع وقته فى تحصيل أزيد من ذلك، فإن تجاوز عنه فبقدر ما يحفظ رتبته، و لا يوجب مهانته و ذلته، و من اللباس بقدر ما يستر العوره، و يدفع الحر و البرد، فإن تجاوز عن ذلك فبقدر ما لا يؤدى إلى حقارته، و لا يوجب السقوط بين أقرانه و أهل طبقته، و من الجماع بقدر ما يحفظ نوعه «و يبقى

ص: ٧٩

---

١ - ١) لم توجد فى نسختنا الخطيه و لكنها موجوده فى نسخه خطيه أخرى و فى المطبوعه.

٢ - ٢) فى نسختنا الخطيه هكذا «و اقتناء».

نسله، و إن تعدى فبقدر ما لا يخرج منه عن السنه، و ليحذر عن الانهماك في مقتضيات قوتى الشهوه و الغضب، لأنه يوجب الشقاوه الدائمه و الهلاكه السرمديه. فالله الله في نفوسكم معاشر الإخوان أدركوها قبل أن تغرقوا في بحار المهالك، و تنبهوا عن نوم الغفله قبل أن تنسد عليكم السبل و المهالك و بادروا إلى تحصيل السعادات قبل أن تستحكم فيكم الملكات المهلكه، و العادات المفسده، فإن إزاله الرذائل بعد استحكامها في غايه الصعوبه و المجاهده مع أحزاب الشياطين بعد الكبر قلما يفيد الأثر، و الغلبه على النفس الأماره بعد ضعف الهرم في غايه الإشكال، إلا أنه في أى حال لا ينبغي أن تيأسوا من روح الله، فاجتهدوا بقدر القوه و الاستطاعه، فإنه خير من التمادى في الباطل، فلعل الله يدركم بعظيم رحمته.

و لقد قال الشيخ (1) الفاضل أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه،

ص : ٨٠

١ - ١) هو الحكيم الأعظم و الفيلسوف الأ-كبر «أبو على أحمد بن محمد» بن يعقوب ابن مسكويه الخازن «الرازى» الأصل و الأصفهاني المسكن و الخاتمه كان من أعيان العلماء و أركان الحكماء معاصرا للشيخ أبى على بن سينا، صحب الوزير المهلبى فى أيام شبابه و كان من خاصته إلى أن أتصل بصحبه «عضد الدوله» البويهى فصار من كبار ندمائه و رسله إلى نظرائه ثم اختص بالوزير «ابن العميد» و ابنه «أبى الفتح» له مؤلفات كثيره بعضها فى الحكمه و منه كتاب «الفوز الأكبر» و كتاب «الفوز الأصغر» و جاويدان خرد» بالفارسيه فى الحكمه و هو يقرب من خمسه آلاف بيت و بعضها فى التاريخ و منه «تجارب الأمم» و بعضها فى الأخلاق و منه كتاب «الطهاره» المشهور و هو الذى قصده «المصنف ره» هنا لأنه أول كتاب صنف فى علم الأخلاق، و قد مدحه أستاذ البشر و أعلم أهل البدو و الحضر الحجه الأعظم الفيلسوف المحقق الخواجه «نصير الدين الطوسى» قدس سره بأبيات. و كان (ره) من علمائنا الإماميه قدس الله أسرارهم و قبره (بأصفهان) على باب -



و هو الأستاذ فى علم الأخلاق، و أقدم الإسلاميين فى تدوينه، «إنى تنبته عن نوم الغفله بعد الكبر و استحكام العاده، فتوجهت إلى فطام نفسى عن رذائل الملكات، و جاهدت جهادا عظيما حتى وفقنى الله لاستخلاصها عما يهلكها، فلا ييأس أحد من رحمه الله، فإن النجاه لكل طالب مرجوه، و أبواب الإفاضه أبدا مفتوحه» فبادروا إخوانى إلى تهذيب نفوسكم قبل أن يصير الرئيس مرؤسا، و العقل مقهورا، فيفسد جوهركم، و تمسخ حقيقتكم، و يدرككم الانتكاس فى الخلق الذى هو خروج عن أفق الإنسان و دخول فى زمرة البهائم و السباع و الشياطين، نعوذ بالله من ذلك، و نسأله العصمه من الخسران الذى لا نهايه له. و قد شبه الحكماء من أهمل سياسه نفسه الغافله بمن له ياقوته شريفه حمراء، فرماها فى نار مضطرمه فيحرقها حتى تصير كلسا (1) لا منفعه فيها.

[تتميم] و لا تظن أن ما يفوت عن النفس من الصفاء و البهجه لأجل ما يعترىها من الكدره الحاصله معصيه من المعاصى يمكن تداركه، فإن ذلك محال، إذ غايه الأمر أن تتبع تلك المعصيه بحسنه تمحى آثارها، و تعيد النفس إلى ما كانت عليه قبل تلك المعصيه، فلا تزداد بتلك الحسنه إشراقا و سعادته، و لو جاء بها من دون سيئه لزداد بها نور القلب و بهجته، و حصلت له درجه فى الجنه، و لما تقدمت السيئه سقطت هذه الفائده و انحصرت

(1)

(درب جناد) و قد اشتهر أن السيد (الداماد) الذى كان من أعظم علمائنا و أكابر حكمائنا كان كلما اجتاز يقف على قبره و يقرأ الفاتحه (الترجمه عن الكنى و الألقاب للمحدث الشهير الحاج شيخ (عباس القمى) قدس سره مع تصرف يسير منا).

ص: ٨١

١-١) الكلس ما يقوم به الحجر و الرخام و نحوهما و يتخذ منها باحراقها.

فأثرتها فى مجرد عود القلب إلى ما كان عليه قبلها، وهذا نقصان لا حيله لجبره و مثال ذلك أن المرآه التى تدينست بالخبث و الصدأ إذا مسحت بالمصقله و إن زال به هذا الخبث، إلا أنه لا تزيد به جلاء و صفاء، بخلاف ما إذا لم تدينس أصلاً، فإن التصقيل يزيدها صفاء و جلاء، و إلى ما ذكر

أشار النبى صلى الله عليه و آله و سلم بقوله: «من قارف ذنبا فارقه عقل لم يعد إليه أبداً».

«و فيه فصول» أجناس الفضائل الأربعة و الأقوال في حقيقه العداله-حقيقه العداله انقياد العقل العملى للعقل النظرى و لوازم الأقوال في العداله-العقل النظرى هو المدرك للفضائل و الرذائل-دفع إشكال في تقسيم الحكمه- تحقيق الوسط و الأطراف- أجناس الرذائل و أنواعها-الفرق بين الفضيله و الرذيله-العداله أشرف الفضائل-إصلاح النفس قبل إصلاح الغير و أشرف وجوه العداله عداله السلطان-لا- حاجه إلى العداله مع رابطة المحبه- التكميل الصناعى لاكتساب الفضائل على طبق ترتيب الكمال الطبيعى.

قد تبين فى العلم الطبيعى أن للنفس الناطقه قوتين: «أولاهما»: قوه الإدراك و«ثانيتهما»: قوه التحريك، و لكل منهما شعبتان: (الشعبه الأولى) للأولى العقل النظرى، و هو مبدأ التأثير عن المبادئ العالیه بقبول الصور العلميه، و (الشعبه الثانيه) لها العقل العملى، و هو مبدأ تحريك البدن فى الأعمال الجزئيه بالرويه (1) و هذه الشعبه من حيث تعلقها بقوتى الشهوه و الغضب مبدأ «لحدوث» (2) بعض الكيفيات الموجهه لفعل أو انفعال، كالخجل و الضحك و البكاء و غير ذلك، و من حيث استعمالها الوهم و المتخيله مبدأ لاستنباط الآراء و الصنائع الجزئيه. و من حيث نسبتها بالعقل و حصول الازدواج بينهما سبب لحصول الآراء الكليه المتعلقه بالأعمال كحسن الصدق و قبح الكذب، و نظائرهما. (الشعبه الأولى) للثانيه قوه الغضب و هى مبدأ دفع غير الملائم على وجه الغلبه، و (الشعبه الثانيه) لها قوه الشهوه و هى مبدأ جلب الملائم.

ثم إذا كانت القوه الأولى غالبه على سائر القوى و لم تنفعل عنها، بل كانت هى مقهوره عنها مطيعه لها فيما تأمرها به و تنهاها عنه، كان تصرف كل منها على وجه الاعتدال، و انتظمت أمور النشأ الإنسانیه، و حصل تسالم

ص: ٨٤

---

١- ١) إذا كان العقل العملى مبدأ لتحريك البدن فهو قوه تحريك لا قوه إدراك و فى الحقيقه أن غرضهم من العقل العملى هو إدراك ما ينبغى أن يعمل.  
٢- ٢) و فى النسخه المخطوطه عندنا «الحصول».

القوى الأربع و تمازجها، فتهدب كل واحد منها، و يحصل له ما يخصه من الفضيله، فيحصل، من تهذيب العاقله العلم و تتبعه الحكمه، و من تهذيب العامله العداله، و من تهذيب الغضبيه الحلم و تتبعه الشجاعه، و من تهذيب الشهويه العفه و تتبعه السخاوه. و على هذا تكون العداله كامالا للقوه العمليه.

### (بطريق آخر)

قيل: إن النفس لما كانت ذات قوى أربع العاقله و العامله و الشهويه و الغضبيه، فإن كانت حرركاتها على وجه الاعتدال، و كانت الثلاث الأخيره مطيعه للأولى، و اقتصرت من الأفعال على ما تعين لها، حصلت أولا- فضائل ثلاث هي الحكمه و العفه و الشجاعه، ثم يحصل من حصولها المترتب على تسالم القوى الأربع، و انقهار الثلاث تحت الأولى حاله متشابهه هي كمال القوى الأربع و تمامها، و هي العداله. و على هذا لا تكون العداله كامالا للقوه العمليه فقط، بل تكون كامالا للقوى بأسرها:

و على الطريقتين تكون أجناس الفضائل أربعا: «الحكمه» و هي معرفه حقائق الموجودات على ما هي عليه، و الموجودات إن لم يكن وجودها بقدرتنا و اختيارنا فالعلم المتعلق بها هو الحكمه النظرية، و إن كان وجودها بقدرتنا و اختيارنا فالعلم المتعلق بها هو الحكمه العمليه. «و العفه» هي انقياد القوه الشهويه للعاقله فيما تأمرها به و تنهاها عنه حتى تكتسب الحريره، و تتخلص عن أسر عبوديه الهوى. «و الشجاعه» و هي إطاعه القوه الغضبيه للعاقله فى الأقدام على الأمور الهائله، و عدم اضطرابها بالخوض فيما يقتضيه رأيها حتى يكون فعلها ممدوحا، و صبرها محمودا. و تفسير هذه الفضائل الثلاث

لا يتفاوت بالنظر إلى الطريقتين.

و أما «العدالة» فتفسيرها على الطريق الأول هو انقياد العقل العملى للقوه العاقله و تبعيته لها فى جميع تصرفاته، أو ضبطه الغضب و الشهوه تحت إشاره العقل و الشرع الذى يحكم العقل أيضا بوجوب اطاعته، أو سياسه قوتى الغضب و الشهوه، و حملها على مقتضى الحكمة، و ضبطهما فى الاسترسال و الانقباض على حسب مقتضاه. و إلى هذا يرجع تعريف الغزالي «إنها حاله للنفس و قوه بها يسوس الغضب و الشهوه، و يحملهما على مقتضى الحكمة، و يضبطهما فى الاسترسال و الانقباض على حسب مقتضاها» إذ المراد من الحاله و القوه هنا قوه الاستعلاء التى للعقل العملى لا نفس القوه العمليه.

و تفسيرها على الطريق الثانى هو ائتلاف جميع القوى، و اتفاقها على امثالها للعاقله، بحيث يرتفع التخالف و التجاذب، و تحصل لكل منها فضيلته المختصه به. و لا ريب فى أن اتفاق جميع القوى و ائتلافها هو كمال لجميعها لا للقوه العمليه فقط.

اللهم إلا- أن يقال إن الائتلاف إنما يتحقق باستعمال كل من القوى على الوجه اللائق، و استعمال كل قوه و لو كانت قوه نظريه إنما يكون من القوه العمليه، لأن شأنها تصريف القوى فى المحال اللائقه على وجه الاعتدال، و بدونها لا يتحقق صدور فعل عن قوه.

ثم العدالة على الطريق الأول تكون أمرا بسيطا مستلزما للملكات الثلاث أعنى الحكمة و العفه و الشجاعه، و على الثانى تحتل البساطه و التركيب على الظاهر، و إن كانت البساطه أقرب نظرا إلى أن الاعتدال الخلقى بمنزله الاعتدال المزاجى الحاصل من ازدواج العناصر المتخالفه، و قد برهن فى

أصول الحكمة أن المزاج كيفيه بسيطه.

و تفصيل الكلام فى المقام أنه إذا حصلت الملكات الثلاث حصل للعقل العملى قوه الاستعلاء و التدبير على جميع القوى، بحيث كانت الجميع منقاداه له، و استعمل كلا منها على ما يقتضيه رأيه، فإن جعلت العدالة عباره عن نفس هذه القوه، أو نفس تدبير التصرف فى البدن و أمور المنزل و البلد، دون الملكات الثلاث كانت العدالة بسيطه و كانت كامالا للعقل العملى فقط، و إن جعلت نفس الملكات كانت مركبه، و حينئذ لا يناسب جعلها فضيله على حده معدوده فى إعداد الفضائل، لأن جميع الأقسام لا يكون قسما منها، و ليس الائتلاف و الامتزاج هيئه وحدانيه عارضه للملكات الثلاث حتى تكون شيئا على حده و نوعا مركبا.

ثم على الطريقتين يتحقق التلازم بين العدالة و الملكات الثلاث إلا أنه على الطريق الأول تكون العدالة عله، و الملكات الثلاث معلوله، و على الطريق الثانى ينعكس ذلك لتوقف حصول العدالة على وجود تلك الملكات و امتزاجها فهى أجزاء للعدالة او بمنزلتها.

### تكملة (العدالة انقياد العقل العملى للعقل النظرى)

الحق أن حقيقه العدالة هو التفسير الأول المذكور فى الطريق الأول، أعنى انقياد العقل العملى للقوه العاقله، و سائر التفاسير المذكوره فى الطريقتين لازمه له، إذا الانقياد المذكور يلزمه اتفاق القوى و قوه الاستعلاء و السياسه للعقل العملى على قوتى الغضب و الشهوه، أو نفس سياسته إياهما و ضبطهما تحت إشاره العقل النظرى، و أمثال ذلك، و على هذه التفاسير اللازمه

للأول يلزم أن تكون العدالة جامعاً لجميع الفضائل، و يتحقق معناها في كل فضيله حتى تكون فرداً لها.

و تحقيق المقام أن انقياد العقل العملي للعاقلة يستلزم ضبط قوتى الغضب و الشهوه تحت إشاره العقل، و سياسته إياهما، و استعلائه عليهما. و هذا يستلزم اتفاق جميع القوى و امتزاجها. فجميع الفضائل الصادره عن قوتى الغضب و الشهوه، بل عن العاقلة أيضاً إنما تكون بتوسط العقل العملي و ضبطه إياها، إلا أن ذلك لا يوجب كونها كاملاً له حتى يعد من فضائله، و وجهه ظاهر، و لا كون الضبط المذكور عداله.

فالحق أن حقيقه العدالة هو مجرد انقياد العامله للعاقله، و مثل الضبط و الاستعلاء و السياسه من لوازمه، و الفضائل الصادره عن القوى الأخرى بتوسط العقل العملي إنما تندرج تحت لازم العدالة، لا عينها، فمن أدرج جميع الفضائل تحت العدالة نظره إلى اعتبار ما يلزمها، و من لم يدرجه تحتها نظره إلى عدم اعتباره. و على هذا لا بأس بأن يقال إن للعداله إطلاقين (أحدهما) العدالة بالمعنى الأخص (و ثانيهما) العدالة بالمعنى الأعم.

ثم إن القوم ذكروا لكل واحد من الفضائل الأربع أنواعاً، فكما أدرجوا تحت كل من الحكمة و العفه و الشجاعه أنواعاً، فكذا أدرجوا تحت العدالة أيضاً أنواعاً كالوفاء و الصداقه و العباده و غيرها.

و أنت - بعد ما علمت أن العدالة بالتفسير الأول هو انقياد العامله للعاقله في استعمال نفس العاقله و قوتى الغضب و الشهوه - تعلم أن الفضائل بأسرها إنما تحصل باستعمال العامله القوى الثلاث، فكل فضيله إنما تتعلق حقيقتها بإحدى الثلاث، و إن كان حصولها بتوسط العامله و ضبطها الثلاث، إذ كون الاستعمال و الضبط منها لا يقتضى استناد ما يحصل من



الفضائل باستعمالها إليها مع صدورهما حقيقه عن سائر القوى. وكذا لا يقتضى استناد ما يحصل من الرذائل لعدم انقيادها للعاقله إليها. و معلوم أنه لا يترتب على مجرد انقيادها أو عدمه لها فضائل و رذائل لم يكن لها تعلق بالثلاث أصلاً، إذ كل فضيله و رذيله إما متعلق بالقوه العقلية، أو بقوتى الغضب و الشهوه بتوسط العامله، و ليس لها فى نفسها فضيله و رذيله على حده كما لا يخفى. مع أنه لو كان الاستعمال و الضبط منشأ لاستناد ما يحصل من الفضائل إليها لزم أن تستند إليها جميع الفضائل، فكان اللازم إدخال جميع الفضائل تحت العداله. وكذا الحال على تفسير العداله بالطريق الثانى كما ظهر.

و على هذا فيلزم من عدم بعض الفضائل من أنواع العداله دون بعض آخر تخصيص بلا مخصص، فالفضائل التى جعلوها أنواعاً مندرجه تحت العداله بعضها من أنواع الشجاعه أو لوازمها، و بعضها من أنواع العفه أو آثارها، و إن كان للعامله من حيث التوسط مدخله فى حصول الجميع.

فنحن لا نتابع القوم، و نجرى على مقتضى النظر من جعل أنواع الفضائل و الرذائل و أصنافها و نتائجها متعلقه بالقوى الثلاث دون العقل العملى، و إدخال جميعها تحت أجناسها على ما ينبغى من دون إدخال شىء منها تحت العداله و ضدها.

ثم إن الرذائل و الفضائل مع مدخله القوه العمليه فيها بالاستعمال، إما متعلقه بمجرد إحدى القوى الثلاث، أو بائنتين منها، أو بالثلاث.

و مثال المتعلق بإحداها ظاهر كالجهل و العلم المتعلقين بالعاقله، و الغضب و الحلم المتعلقين بالقوه الغضبيه، و الحرص و القناعه المتعلقين بالقوه الشهويه و أما ما يتعلق بائنتين منها أو الثلاث فإما أن يكون له أصناف يتعلق بعضها

ببعض و بعضها ببعض آخر، كحب الجاه أعنى طلب المنزل في القلوب: فإنه إن كان المقصود منه الاستيلاء على الخلق و التفوق عليهم، كان من رذائل قوه الغضب. و إن كان المقصود منه طلب المال ليتوسل به إلى شهوه البطن و الفرج، كان من رذائل قوه الشهوه، و كذا الحسد أعنى تمنى زوال النعمه عن الغير: إن كان باعثه العداوه كان من رذائل القوه الغضبيه. و إن كان باعثه مجرد وصول النعمه إليه كان من رذائل القوه الشهويه. أو يكون للثلاث أو الاثنتين مدخله بالاشتراك في نوع الفضيله و الرذيله أو بعض أصنافه، كالحسد الذى باعثه العداوه و توقع وصول النعمه إليه معاً، و كالغرور و هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى، و تميل النفس إليه بخدعه من الشيطان، فإن النفس إن كانت مائله بالطبع إلى شىء من مقتضيات الشهوه، و اعتقدت جهلاً كونه خيراً لها كان ذلك من رذائل قوتى العاقله و الشهوه، و كان كانت مائله إلى شىء من مقتضيات قوه الغضب. و اعتقدت جهلاً كونه خيراً لها كان ذلك من رذائل قوتى العاقله و الغضب، و إن كانت مائله إلى شىء من مقتضياتهما معاً مع اعتقادها كونه خيراً لها كان من رذائل الثلاث معاً.

ثم مرادنا من تعلق صفه بالقوى المتعدده و كونها معدوده من رذائلها أو فضائلها أن يكون لكل منها تأثير في حدودها و إيجادها، أى يكون من جمله عللها الفاعله الموجد، بحيث لو قطع النظر عن فعل واحده منها لم تتحقق هذه الصفه، فإن الغرور يتحقق بالميل و الاعتقاد، بمعنى أن كلا- منهما مؤثر في إيجاد و إحداثه، و لو لم يكن الاعتقاد المتعلق بالعاقله و الميل المتعلق بالشهوه و الغضب لم يوجد غرور. فلو كانت مدخله قوه فى صفه بمجرد

الباعثيه، أى كانت باعته لقوه أخرى على إيجاد هذه الصفه و إحداثها، بحيث أمكن تحقق هذه الصفه مع قطع النظر عن هذه القوه بباعث آخر لم يكن متعلقه بها، و لم نعداها من رذائلها أو فضائلها، بل كانت متعلقه بالقوه الأخرى التى هى مباشره لإحداثها و إيجادها، مثل الغضب الحاصل من فقد شىء من مقتضيات شهوه البطن و الفرج، و إن كان باعته قوه الشهوه إلا أنه ليس لقوه الشهوه و فعلها شركه فى إحداثه و إيجاده، بل الإحداث إنما هو من القوه الغضبيه، و مدخله الشهويه إنما هو بتحريكها و تهيجها الغضبيه للإحداث و الإيجاد، و لا ريب فى أن للعاقله هذه الباعثيه فى صدور أكثر الصفات مع عدم عدها من رذائلها «أو فضائلها» (١) و إذا عرفت ذلك فاعلم أنا نذكر أولاً ما يتعلق بالعاقله من الرذائل و الفضائل، ثم ما يتعلق بالقوه الغضبيه منهما، ثم ما يتعلق بالشهويه منهما ثم ما يتعلق بهما أو الثلاث.

### وصل العقل النظرى هو المدرک للفضائل و الرذائل

اعلم أن كل واحد من العقل العملى و العقل النظرى رئيس مطلق من وجه، أما «الأول» فمن حيث إن استعمال جميع القوى حتى العاقله على النحو الأصلح موكول إليه، و أما «الثانى» فمن حيث إن السعاده القصوى و غايه الغايات أعنى التحلى بحقائق الموجودات مستنده إليه، و أيضا إدراك ما هو الخير و الصلاح من شأنه فهو المرشد و الدليل للعقل العملى فى تصرفاته

ص: ٩١

---

(١- ١) لم توجد فى نسختنا الخطيه لكنها موجوده فى نسخه خطيه أخرى و فى المطبوعه.

وقيل: إن إدراك فضائل الأعمال و رذائلها من شأن العقل العملي، كما صرح به الشيخ في الشفاء بقوله: «إن كمال العقل العملي استنباط الآراء الكلية في الفضائل و الرذائل من الأعمال على وجه الابتداء على المشهورات المطابقة في الواقع للبرهان، و تحقيق ذلك البرهان متعلق بكمال القوه النظرية».

و الحق أن مطلق الإدراك و الإرشاد إنما هو من العقل النظري فهو بمنزلة المشير الناصح، و العقل العملي بمنزلة المنفذ الممضى لإشاراته و ما ينفذ فيه الإشاره فهو قوه الغضب و الشهوه.

إن قيل: إن القوم قسموا الحكمة أولاً إلى النظرية والعملية، ثم قسموا العملية إلى ثلاثة أقسام: واحد منها علم الأخلاق المشتمل على الفضائل الأربع التي إحداها الحكمة، فيلزم أن تكون الحكمة قسماً من نفسها.

قلنا: الحكمة التي هي المقسم هو العلم بأعيان الموجودات، سواء كانت الموجودات إلهية أى واقعه بقدره البارى سبحانه، أو موجودات إنسانية أى واقعه بقدرتنا واختيارنا، ولما كان هذا العلم أعنى الحكمة التي هي المقسم قسماً من الموجودات بالمعنى الثانى، فلا بأس بالبحث عنه فى علم الأخلاق، فإن غايه ما يلزم أن تكون الحكمة موضوعاً لمسأله هي جزؤها بأن يجعل عنوانا فيها و يحمل عليها كونها ملكه محموده، أو طريق اكتسابها كذا.

و بالجمله لا مانع من أن يجعل علم يبحث فيه عن أحوال الموجودات موضوعاً لمسأله، و يبحث عنه فيه بإثبات صفه له لأجل أنه أيضاً الموجودات كما أنه فى العلم الأعلى الذى يبحث فيه عن الموجودات من حيث وجودها يبحث عن نفس العلم لكونه من الموجودات، و يجعل موضوعاً لمسأله من مسائله، و لا يلزم من هذا كون الشئ جزءاً لنفسه. و أيضاً نقول كما أن الحكمة العملية قسم من مطلق الحكمة لتعلق العمل بالنظر، فكذا المطلق قسم منها لتعلق النظر بالعمل، و حينئذ كما أن العدالة من الحكمة باعتبار فكذا الحكمة من العدالة باعتبار آخر، فتختلف الحيثيه و لا يلزم محذور.

و قيل: فى الجواب إن المراد من الحكمة التي هي إحدى الفضائل الأربع

استعمال العقل على الوجه الأصح، وحينئذ فلا يرد اشكال أصلا لعدم كون الحكمه بهذا المعنى عين المقسم لأنها جزء له. وفيه أن الحكمه بهذا المعنى هي العدالة على ما تقرر، مع أن العدالة أيضا إحدى الفضائل الأربع (تنبيه) قد صرح علماء الأخلاق بأن صاحب الفضائل الأربع لا يستحق المدح ما لم تتعد فضائلها إلى الغير، ولذا لا يسمى صاحب ملكه السخاء بدون البذل سخيا بل منافقا، ولا صاحب ملكه الشجاعه بدون ظهور آثارها شجاعا بل غيورا، ولا صاحب ملكه الحكمه بدونها حكيمًا بل مستبصرا.

و الظاهر أن المراد باستحقاق المدح هو حكم العقل بوجوب المدح، فإن من تعدى أثره يرجى نفعه، ويخاف ضرره، فيحكم العقل بلزوم مدحه جلبا للنفع، أو دفعا للضرر، وأما من لا يرجى خيره و شره فلا يحكم العقل بوجوب مدحه و ان بلغ في الكمال ما بلغ.

## فصل تحقيق الوسط و الأطراف

لا-ريب في أنه بإزاء كل فضيله رذيله هي ضدها، ولما عرفت أن أجناس الفضائل أربعه فأجناس الرذائل أيضا في بادى النظر أربعه:

الجهل، و هو ضد الحكمه، و الجبن، و هو ضد الشجاعه، و الشره و هو ضد العفه، و الجور، و هو ضد العدالة. و عند التحقيق يظهر أن لكل فضيله حدا معينًا، و التجاوز عنه بالإفراط أو التفريط يؤدي إلى الرذيله، فالفضائل بمنزله الأوساط، و الرذائل بمتابته الأطراف، و الوسط واحد معين لا يقبل

التعدد، والأطراف غير متناهيه عددا. فالفضيله بمشابه مركز الدائره، و الرذائل بمشابه سائر النقاط المفروضه من المركز إلى المحيط، فإن المركز نقطه معينه، مع كونه أبعد النقاط من المحيط، و سائر النقاط المفروضه من جوانبه غير متناهيه، مع أن كلا منها أقرب منه من طرف إليه.

فعلى هذا يكون بإزاء كل فضيله رذائل غير متناهيه، لأن الوسط محدود معين، و الأطراف غير محدود، و تكون الفضيله فى غايه البعد عن الرذيله التى هى نهايه الرذائل، و يكون كل منها أقرب منها إلى النهايه (١)، و مجرد الانحراف عن الفضيله من أى طرف اتفق يوجب الوقوع فى رذيله.

و الثبات على الفضيله و الاستقامه فى سلوك طريقها بمنزله الحركه على الخط المستقيم، و ارتكاب الرذيله كالانحراف عنه، و لا ريب فى أن الخط المستقيم هو أقصر الخطوط الواصله بين النقطتين، و هو لا يكون إلا واحدا، و أما الخطوط المنحنيه بينهما فغير متناهيه، فلاستقامه فى طريق الفضيله و ملازمتها على نهج واحد، و الانحراف عنه تكون له مناهج غير متناهيه، و لذلك غلبت دواعى الشر على بواعث الخير.

و يظهر مما ذكر أن وجدان الوسط الحقيقى صعب، و الثبات عليه بعد الوجدان أصعب، لأن الاستقامه على جاده الاعتدال فى غايه الإشكال، و هذا معنى قول الحكماء «إصابه نقطه الهدف أعسر من العدول عنها، و لزوم الصوب (٢) بعد ذلك حتى لا يخطيها أسر» و لذلك لما أمر فخر

ص: ٩٥

---

١- ١) أى أن كلا من الرذائل أقرب من الفضيله إلى النهايه.

٢- ٢) الصواب: يقال فلان مستقيم الصوب إذا لم يزغ عن قصده يمينا و شمالا.

الرسـل بالاستقامه فى قوله تعالى:

فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ

(١)

قال شيبـتنى سورـه هود عليه السلام، إذ وجد أن الوسط الحقيقى فيما بين الأطراف الغير المتناهيـه المتقابله مشكل، و الثبات عليه بعد الوجدان أشكل.

وقال (المحقق الطوسى) و جماعه: «إن ما ورد فى إشارات النواميس من أن الصراط المستقيم أدق من الشعر، و أحد من السيف إشاره إلى هذا المعنى» و غير خفى بأن هذا التأويل جراه على الشريعه القويمه، و هتك لأستار السنه الكريمه، و الواجب الإذعان بظاهر ما ورد من أمور الآخره نعم يمكن أن يقال كما مر: إن الأمور الأخرويه التى حصل بها الوعد و الوعيد كلها أمور محققه ثابتـه على ما أخبر به، إلا أنها صور للأخلاق، و الصفات المكتسبه فى هذه النشأه قد ظهرت بتلك الصور فى دار العقبي بحسب المرتبه، إذ ظهورات الأشياء مختلفه بحسب اختلاف المراتب و النشآت فمواد ما يؤذى و يريح من الصور فى موطن المعاد انما هو الأخلاق و النيات المكتسبه فى هذه النشأه. و هذا المذهب بما استقر عليه آراء أساطين الحكمه و العرفان، و ذكرنا الظواهر الداله عليه من الآيات و الأخبار، و أشرنا إلى حقيقه الحال فيه. و على هذا فالصراط المستقيم الممدود كالجسر على الجحيم صورـه لتوسط الأخلاق، و الجحيم صورـه لأطرافها، فمن ثبت قدمه على الوسط هنا لم يزل عن الصراط هناك و وصل إلى الجنه التى وعدـها الله المتقين، و من مال إلى الأطراف هنا سقط هناك فى جهنم التى أحاطت بالكافرين.

ص: ٩٦

(١ - ١) هود الآيه: ١١٢.



ثم الوسط إما حقيقى و هو ما تكون نسبته إلى الطرفين على السواء كالأربعة بالنسبه إلى الاثنين و الستة، و هذا كالمعتدل الحقيقى الذى أنكر الأخطاء وجوده، أو إضافى و هو أقرب ما يمكن تحقيقه للنوع أو الشخص إلى الحقيقى و يتحقق به كمالهما «اللائق بحالهما» (١) و إن لم يصل إليه، فالتسميه بالوسط إنما هو بالنسبه إلى الأطراف التى هى أبعد من الحقيقى بالإضافة إليه، و هذا كالأعتدالات النوعيه و الشخصيه التى أثبتها الأطباء، فإن المراد منها الاعتدالات التى يمكن تحقيقها للأنواع و الأشخاص، و هو القدر الذى يليق بكل نوع أو شخص أن يكون عليه، و إن لم يكن اعتدالا حقيقيا بمعنى تساوى الأجزاء البسيطه العنصريه و تكافؤها فى القوه و الأقربيه إلى الحقيقى بالنسبه إلى سائر الأطراف سمى إضافيا.

ثم الوسط المعتبر هنا هو الإضافى لتعذر وجدان الحقيقى و الثبات عليه، و لذا تختلف الفضيله بالاختلاف الأشخاص و الأحوال و الأزمان، فربما كانت مرتبه من الوسط الإضافى فضيله بالنظر إلى شخص أو حال أو وقت، و رذيله بالنسبه إلى غيره.

و توضيح الكلام أنه لا ريب فى أن الوسط الحقيقى فى الأخلاق لكونه فى حكم نقطه غير منقسمه لا يمكن وجدانه و لا الثبات عليه، و لذا ترى من هو متصف بفضيله من الفضائل لا يمكن الحكم بكون تلك الفضيله «هى الوسط الحقيقى، إلا أنه لما كانت تلك الفضيله» (٢) قربه إليه و لا يمكن

ص: ٩٧

- 
- ١-١) غير موجوده فى نسختنا الخطيه لكنها موجوده فى نسخه خطيه أخرى و فى المطبوعه.
  - ٢-٢) هذه العبارة بتمامها لم توجد فى نسختنا الخطيه.

وجود الأقرب منها إليه له، يحكم بكونها وسطا إضافيا لأقربيتها إليه بالنسبه إلى سائر المراتب فالاعتدال الإضافي له عرض، وسطه الاعتدال الحقيقي، و طرفاه طرفا الإفراط و التفریط، إلا أنه ما لم يخرج عن هذين الطرفين يكون اعتدالا إضافيا، وكلما كان أقرب إلى الحقيقي كان أكمل و أقوى، و إذا خرج عنهما دخل في الرذيله.

لا يقال: على هذا ينبغي أن يكون الاعتدال الطبى فى المزاج أيضا كذلك أى له عرض وسطه الاعتدال الحقيقي و طرفاه خارجان عن الاعتدال الطبى حتى أنه كلما قرب إلى الحقيقي صار الطبى أقوى و أكمل مع أنه ليس الأمر كذلك، إذ القياس يقتضى الخروج عن الاعتدال الطبى، أو ضعفه لقربه إلى الحقيقي.

«بيان ذلك» أن الاعتدال الحقيقي فى المزاج أن تكون أجزاء العناصر متكافئه القوه، و الاعتدال الطبى فى نوع الإنسان أو شخص من أشخاصه أن تكون الأجزاء الحاره مثلا- من عشره إلى اثنى عشره، و الباردة من ثمانية إلى تسعه، و اليابسه من سبعة إلى ثمانية، و الرطبه من ستة إلى سبعة، فإذا كانت الأجزاء الحاره ستة، و الباردة خمس، و اليابسه أربعه، و الرطبه ثلاثه كانت خارجه عن الاعتدال الطبى، مع صيرورته أقرب إلى الحقيقي، بل إذا فرضت تكافؤ أجزاء العناصر الأربعه حتى حصل نفس الاعتدال الحقيقي خرجت أيضا عنه، فلا يكون الحقيقي وسط الطبى حتى أنه كلما يصير إليه أقرب يكون أقوى و أكمل.

لأننا نقول نحن لا- ندعى: أن الحقيقي وسط الطبى بل هو أمر مغاير له، و الحقيقي فى طرفه الخارج، فإن له طرفين: «أحدهما» أن تصير الأجزاء

أقرب في التساوى مما كان للطبي إلى أن يبلغ إلى الحقيقى، «و الثانى» أن يصير أبعد فيه مما كان له إلى غير النهايه، إلا أن بعض مراتب الطرفين التى منها الاعتدال الحقيقى غير ممكن الوقوع فتأمل.

فإن قيل: إن الوسط المعتبر هنا إن كان إضافيا، لكان له عرض كعرض المزاج، فلا يناسب وصفه بالحده و الدقه، قلنا. كما فى عرض المزاج مرتبه هى أفضل المراتب و أقربها إلى الاعتدال الحقيقى، كذلك فى عرض الوسط للملكات مرتبه هى أفضل المراتب و أقربها إلى الحقيقى، و هى المطلوبه بالذات و لا- ريب فى أن خصوص هذه ليس لها عرض واسع، فلا بأس بوصفها بالدقه و الحد، و أما سائر المراتب المعدوده من الوسط و إن لم تكن خاليه عن شوائب الإفراط و التفريط، إلا- أنه لما كان لها قرب محدود إلى المرتبه المطلوبه بحيث يصدق معه كون النوع أو الشخص باقيا على كماله اللائق به عدت من الأوساط و الفضائل: كما أن غير الأقرب إلى الاعتدال الحقيقى من مراتب عرض المزاج يعد من الاعتدال: لكون النوع أو الشخص معه باقيا محفوظا بحيث لا يظهر خلل بين فى أفعاله و إن لم يخل عن الانحراف، و لو وصف هذه المراتب أيضا بالحد و الدقه مع سعتها فوجه أن وجدانها و الثبات عليها لا يخلو أيضا من صعوبه.

## فصل (أجناس الرذائل و أنواعها)

### إشاره

قد ظهر مما ذكر أنه بإزاء كل فضيله رذائل غير متناهيه من طرفى الإفراط و التفريط، و ليس لكل منها اسم معين و لا يمكن عد الجميع و ليس على صاحب الصناعه حصر مثلها، لأن وظيفته بيان الأصول و القوانين الكليه

و القانون اللازم بيانه هو أن الانحراف عن الوسط إما إلى طرف الإفراط أو إلى طرف التفريط، فيكون بإزاء كل فضيله جنسان من الرذيله و لما كانت أجناس الفضائل أربعه فتكون أجناس الرذائل ثمانية (اثنان) بإزاء الحكمة «الجريزه و البله»، و (الأول) في طرف الإفراط و هو استعمال الفكر في ما لا ينبغي أو في الزائد عما ينبغي و (الثاني) في طرف التفريط و هو تعطيل القوه الفكرية و عدم استعمالها في ما ينبغي أو في أقل منه، و الأولى أن يعبر عنهما (بالسفسطه) أي الحكمة المموهه، و (الجهل) أي البسيط منه، لأن حقيقه الحكمة هو العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه و هو موقوف على اعتدال القوه العاقله، فإذا حصلت له حده خارجه عن الاعتدال يخرج عن الحد اللائق و يستخرج أمورا دقيقه غير مطابقه للواقع، و العلم بهذه الأمور هو ضد الحكمة من طرف الإفراط و إذا حصلت لها بلاده لا- ينتقل إلى شيء فلا- يحصل لها العلم بالحقائق و هذا هو الجهل و هو ضده من طرف التفريط (و اثنان) بإزاء الشجاعه «التهور و الجبن»: (الأول) في طرف الإفراط و هو الإقدام على ما ينبغي الحذر عنه، و (الثاني) في طرف التفريط و هو الحذر عما ينبغي الإقدام عليه. (و اثنان) بإزاء العفه و هما: «الشره و الخمود» و (الأول) في طرف الإفراط و هو الانهماك في اللذات الشهويه على ما لا يحسن شرعا و عقلا، و (الثاني) في طرف سكون النفس عن طلب ما هو ضروري للبدن و (اثنان) بإزاء العداله و هما: «الظلم و الانظلام»:

و (الأول) في طرف الإفراط و هو التصرف في حقوق الناس و أموالهم بدون حق، (الثاني) في طرف تفريط و هو تمكين الظالم من الظلم عليه و انقياده له فيما يريد من الجبر و التعدي على سبيل المذله، هكذا قيل.

و الحق أن العداله مع ملاحظه ما لا- ينفك عنها من لازمها، لها طرف واحد يسمى جورا و ظلما، و هو يشمل جميع ذمائم الصفات، و لا يختص بالتصرف في حقوق

الناس و أموالهم بدون جهه شرعيه، لأن العداله بهذا المعنى - كما عرفت - عباره عن ضبط العقل العملى جميع القوى تحت إشاره العقل النظرى، فهو جامع للكمالات بأسرها، فالظلم الذى هو مقابله جامع للنقائص بأسرها، إذ حقيقه الظلم وضع الشىء فى غير موضعه، و هو يتناول جميع ذمائم الصفات و الأفعال فتمكين الظالم من ظلمه لما كان صفه ذميمه يكون ظلما، على أن من مكن الظالم من الظلم عليه و انقاد له ذله، فقد ظلم نفسه و الظلم على النفس أيضا من أقسام الظلم. هذا هو بيان الطرفين لكل من الأجناس الأربعة للفضيله.

ثم لكل واحد من أجناس الرذائل و الفضائل أنواع و لوازم من الأخلاق و الأفعال ذكرها علماء الأخلاق فى كتبهم، و قد ذكروا للعداله أيضا أنواعا و قد عرفت فيما تقدم أن تخصيص بعض الصفات بالاندراج تحتها مما لا وجه له، إذ جميع الرذائل و الفضائل لا - يخرج عن التعلق بالقوى الثلاث، أعنى العاقله و الغضبيه و الشهويه، و إن كان للقوه العمليه مدخله فى الجميع من حيث التوسط، فنحن ندخل الجميع تحت أجناس القوى الثلاث من غير اندراج شىء منها تحت العداله، و قد عرفت أن بعضها متعلق بالعاقله فقط، و بعضها بالقوه الغضبيه فقط، و بعضها بالشهويه فقط، و بعضها بالاثنتين منها أو الثلاث معا، فنحن نذكر ذلك فى مقامات أربه.

و لمزيد الإحاطه نشير هنا إجمالا - إلى أسماء الأجناس و الأنواع و اللوازم التى لكل جنس، و نذكر أولا ما يتعلق بالعاقله، ثم ما يتعلق بالغضبيه، ثم ما يتعلق بالشهويه، ثم ما يتعلق بالثلاث أو الاثنتين منها، و نذكر أولا الرذيله، ثم نشير إلى ضدها من الفضيله إن كان له اسم، ثم فى باب المعالجات نذكر معالجه كل رذيله من الأجناس و الأنواع و النتائج و نذيلها بذكر ضدها

من الفضيله، و نذكر أولا جنسى الرذيله لكل قوه، و نذيلهما بضدهما الذى هو جنس فضيلتها، ثم نذكر الأنواع و النتائج على النحو المذكور، أى نذكر أولا- الرذيله بأحكامها «و معالجاتها» (1)، ثم نشير إلى ضدها، و ما ورد فى مدحه ترغيبا للطالبين على أخذه و الاجتناب عن ضده، و لذلك لم نتابع القوم فى التفريق بين الرذائل و الفضائل و ذكر كل منهما على حده.

ثم بيان الأنواع و اللوازم على ما ذكر أكثره القوم لا- يخلو عن الاختلال إما فى التعريف و التفسير، أو فى الفرق و التمييز، أو فى الإدخال تحت ما جعلوه نوعا له، أو غير ذلك من وجوه الاختلال، فنحن لا نتبعهم فى ذلك و نبينها إدخالا و تمييزا و تعريفا ما يقتضيه النظر الصحيح، فنقول:

أما جنسا الرذيله للقوه العقلية، «فأولهما» (الجريزه و السفسطه) و هى من طرف الإفراط، و «ثانيهما» (الجهل البسيط) و هو من طرف التفريط و ضدهما (العلم و الحكمة)، و أما الأنواع و اللوازم المترتبة عليهما، فمنها (الجهل المركب) و هو من باب رداءه الكيفيه. و منها (الحيره و الشك) و هو من طرف الإفراط على ما قيل، و ضد الجهل المركب إدراك ما هو الحق أو زوال العلم بأنه يعلم، و ضد الحيره الجزم بأحد الطرفين. و بذلك يظهر أن اليقين ضد لكل منهما، لأنه اعتقاد جازم مطابق للواقع، فمن حيث اعتبار الجزم فيه يكون ضدا للحيره، و من حيث اعتبار المطابقه للواقع يكون ضدا للجهل المركب، و منشأ حصول اليقين هو استقامه الذهن و صفاؤه مع مراعاة شرائط الاستدلال، و منشأ الجهل المركب اعوجاج الذهن، أو حصول الخطأ فى الاستدلال، أو وجود مانع من إفاضه الحق كعصبيه، أو تقليد أو أمثال ذلك، و منشأ الحيره هو قصور الذهن و كدرته، أو الالتهاب الموجب للتجاوز

ص: ١٠٢

(١- ١) هذه الكلمه موجوده فى نسختنا الخطيه فقط.

عن المطلوب، أو عدم الإحاطة بمقدماته، ومنها (الشرك) و ضده التوحيد.

و منها «الوساوس» النفسانية و الخواطر الباطلة الشيطانية، و هذا أيضا من باب رداءه الكيفيه، و كان الظاهر أن يعد ذلك من رذائل قوتى الوهم و المتخيله دون العاقله، إذ الغالب أنها لا- تنفك عن الاختلال فيهما، إلا أنك قد عرفت العذر فى ذلك، و ضدها الخواطر المحموده التى من جملتها الفكر فى بدائع صنع الله سبحانه و عجائب مخلوقاته أو منها (استنباط المكر و الحيله) للموصول إلى مقتضيات الشهوه و الغضب، و هو من طرف الإفراط.

و أما جنسا الرذائل للقوه الغضبيه، فأولهما (التهور) و ثانيهما (الجبن) و قد عرفت أن ضدهما من الفضيله (الشجاعه). و أما الأنواع و اللوازم و النتائج المترتبه عليها، فمنها (الخوف) و هو هيئه نفسانيه مؤذيه تحدث من توقع مكروه أو زوال مرغوب، و هو مذموم إلا ما كان لأجل المعصيه و الخيانه، أو من الله و عظمته، و المذموم من رذائل تلك القوه و من نتائج الجبن و ضده الأمن و الطمأنينه، و الممدوح من فضائلها لكونه مقتضى العقل و ضده الأمن من مكر الله، و هو- أى الممدوح من الخوف- يلازم الرجاء و ضده اليأس. و منها (صغر النفس) أى ملكه العجز عن تحمل الواردات و هو من نتائج الجبن، و ضده كبر النفس أى ملكه التحمل لما يرد عليه كائنا ما كان. و من جمله التحمل التحمل على الخوض فى الأهوال، و قوه المقاومه مع الشدائد و الآلام و يسمى (بالثبات) فهو أخص من كبر النفس، و ضده الاضطراب فى الأهوال و الشدائد. و من جمله الثبات الثبات فى الإيمان، و منها (دناءه الهمه) و هو القصور عن طلب معالى الأمور و هو من لوازم ضعف النفس و صغرها، و ضده (علو الهمه) الذى هو من لوازم كبر النفس و شجاعته، أى السعى فى تحصيل السعاده و الكمال و طلب الأمور العالیه

من دون ملاحظه منافع الدنيا و مضارها. و من أفراد علو الهمه الشهامه، و يأتى تفسيرها. و منها(عدم الغيره و الحميه)أى الإهمال فى محافظه ما يلزم حفظه، و هو أيضا من نتائج صغر النفس و ضعفها و ضده ظاهر. و منها (العجله) و هو المعنى الراتب (1)فى القلب الباعث على الإقدام على الأمر بأول خاطر من دون توقف فيه، و هو أيضا من نتائج صغر النفس و ضعفها، و ضدها الإناءه و التأنى، و(التعسف)قريب من العجله، و ضده أعنى (التوقف)قريب من الإناءه، و يأتى الفرق بينهما،(و الوقار)يتناول التأنى و التوقف، و هو اطمئنان النفس و سكونها عند الحركات و الأفعال فى الابتداء (و الأثناء)، و هو من لوازم كبر النفس و شجاعته. و منها(سوء الظن بالله تعالى و بالمؤمنين) و هو من لوازم الجبن و ضعف النفس، و ربما كان من باب رداءه الكيفيه، فضده أعنى حسن الظن بهما من آثار الشجاعه و كبر النفس. و منها (الغضب) و هو حركه نفسانيه يوجب حركه الروح من الداخل إلى الخارج للغلبه و هو من باب الإفراط، و ضده الحلم. و منها(الانتقام) و هو من نتائج الغضب، و ضده العفو. و منها(العنف) و هو أيضا من نتائج الغضب، و ضده الرفق. و منها(سوء الخلق)بالمعنى الأخص و هو أيضا من نتائجه، و ضده(حسن الخلق)بالمعنى الأخص. و منها(الحقد) و هو العداوه الكامنه أى إرادته الشر و قصد زوال الخير من المسلم، و هو أيضا من ثمرات الغضب و منها(العداوه)الظاهره، و ضدها(النصيحه)أى إرادته الخير و الصلاح و دفع الشر و الفساد عن كل مسلم. ثم للغضب و الحقد لوازم هى الضرب و الفحش و اللعن و الطعن. و منها(العجب) و هو استعظام النفس، و ضده

ص: ١٠٤

(١-١) الراتب، عيش راتب، أى دائم ثابت.



انكسارها و استحقارها (١). و منها(الكبر)و هو التعظيم الموجب لرؤيه النفس فوق الغير، و ضده(التواضع)و هو أن لا يرى لنفسه مزيه على الغير و منها(الافتخار)و هو المباهاه بما يظنه كما لا و هو من شعب الكبر. و منها (البغى)و هو عدم الانقياد لمن يجب أن ينقاد و هو أيضا من شعب الكبر و ضده(التسليم)و الانقياد لمن يجب الانقياد إليه و إطاعته و قد يفسر بمطلق العلو و الاستطاله (٢) و منها(تزكيه النفس)و ضده الاعتراف بنقائصها. و منها(العصبيه)و هى الحمايه عن نفسه و عما ينتسب إليه بالباطل و الخروج عن الحق. و منها(كتمان الحق)و ضدهما الإنصاف و الاستقامه على الحق. و منها(القساوه)و هو عدم التأثر عن مشاهده تألم أبناء النوع، و ضدها الرحمه.

و أما جنسا الرذائل المتعلقة بالقوه الشهويه فأحدهما(الشره)و ثانيهما (الخمود)و ضدهما(العفه)،و أما الأنواع و النتائج و اللوازم المتعلقة بها، فمنها(حب الدنيا).و منها(حب المال)و ضدهما الزهد.و منها(الغنى) و ضده الفقر.و منها(الحرص)و ضده القناعه.و منها(الطمع)و ضده الاستغناء عن الناس.و منها(البخل)و ضده السخاء،و تدرج تحته وجوه الإنفاقات بأسرها.و منها(طلب الحرام)و عدم الاجتناب عنه،و ضده الورع و التقوى بالمعنى الخاص.و منها(الغدر و الخيانه)و ضدهما الأمانه.

ص: ١٠٥

---

١-١) من كلمه(منها)إلى قوله و(استحقارها)بتمام العبارة لم توجد فى نسختنا الخطيه لكنها موجوده فى نسخه خطيه أخرى.

٢-٢) من كلمه(منها)إلى قوله و(الاستطاله)بتمام العبارة لم توجد فى نسختنا الخطيه لكنها موجوده فى نسخه خطيه أخرى.

و منها (أنواع الفجور) من الزنا و اللواط و شرب الخمر و الاشتغال بالملاهي و أمثالها. و منها (الخوض في الباطل). و منها (التكلم بما لا يعنى و بالفضول) و ضدهما الترك و الصمت، أو بالتكلم بما يعنى بقدر الضروره.

و أما الرذائل و الفضائل المتعلقة بالقوى الثلاث، أو باثنتين منها فمنها (الحسد) و ضده النصيحة. و منها (الإيذاء و الإهانه و الاحتقار) و ضدها كف الأذى و الإي-كرام و التعظيم. و الإيذاء قريب من الظلم بالمعنى الأخص أو أعم منه، و ضد الظلم بالمعنى الأخص العدالة بالمعنى الأخص.

و منها (إخافه المسلم و إدخال الكرب فى قلبه) و ضدهما إزالة الخوف و الكرب عنه. و منها (ترك إعانه المسلمين) و ضده قضاء حوائجهم. و منها (المداهنه) فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و ضده السعى فيهما. و منها (الهجره و التباعد عن الإخوان) و ضده التآلف و التزاور. و منها (قطع الرحم) و ضده الصله. و منها (عقوق الوالدين) و ضده البر إليهما. و منها (تجسس العيوب) و ضده الستر. و منها (إفشاء السر) و ضد الكتمان.

و منها (الإفساد بين الناس) و ضده الإصلاح بينهم. و منها (الشماته بمسلم) و منها (المراء و الجدال و الخصومه) و ضدهما طيب الكلام. و منها (السخرية و الاستهزاء) و ضدهما المزاح. و منها (الغيبه) و ضدها المدح و دفع الذم و منها (الكذب) و ضده الصدق، و لجميع آفات اللسان مما له ضد خاص، و مما ليس له ضد بخصوصه ضد عام هو الصمت. و منها (حب الجاه و الشهرة) و ضده حب الخمول. و منها (حب المدح و كراهه الذم) و ضده مساواتهما و منها (الريا) و ضده الإخلاص. و منها (النفاق) و ضده استواء السر و العلانيه. و منها (الغرور) و ضده الفطانه و العلم و الزهد. و منها (طول الأمل) و ضده قصره. و منها (مطلق العصيان) و ضده الورع و التقوى بالمعنى

الأعم. ومنها (الوقاحه) و ضده الحياء. ومنها (الإصرار على المعصيه) و ضده التوبه، و أقصى مراتبها الإنابه و المحاسبه و المراقبه قريبه من التوبه فى ضديتها للإصرار. و منها (الغفله) و ضدها النيه و الإراده. و منها (عدم الرغبه) و ضده الشوق. و منها (الكراهه) و ضده الحب. و منها (الجفاء) و ضده الوفاء و هو من تمام الحب. و منها (البعده) و ضده الإنس و من لوازمه حب الخلوه و العزله. و منها (السخط) و ضده الرضا، و قريب منه التسليم و يسمى تفويضا، بل هو فوق الرضا كما يأتى. و منها (الحزن) و ضده السرور. و منها (ضعف الوثوق و الأعتماذ على الله) و ضده التوكل. و منها (الكفران) و ضده الشكر. و منها (الجزع و الهلع) و ضده الصبر. و منها (الفسق) و هو الخروج عن طاعه الله و عبادته، و ضده الطاعه و العباده.

و تندرج تحتها (العبادات الموظفه فى الشرع) (1) من الطهاره، و الصلاه و الذكر و تلاوه القرآن، و الزكاه و الخمس و الصوم و الحج و الزيارات. و نحن نذكر الزكاه و الخمس فى وجوه الإنفاق، و ما سواهما فى العبادات.

(تنبيه) اعلم أن إحصاء الفضائل و الرذائل و ضبطهما، و إدخال البعض فى البعض، و الإشارة إلى القوه الموجبه لها على ما فصلناه، مما لم يتعرض له علماء الأخلاق، بل إنما تعرضوا لبعضها، و يظهر من كلامهم فى بعض المواضع المخالفه فى الإدخال.

و السرفيه أن كثيرا من الصفات لها جهات مختلفه كل منها يناسب قوه كما أشرنا إليه، فالاختلاف فى الإدخال لأجل اختلاف الاعتبار للجهات «و قد عرفت أن ما له جهات مختلفه يتعلق بالقوى المتعدده نحن نجعل مبدأه الجميع و نعدده من رذائله أو فضائله، و لا نخصه بواحد منها». ثم بعض

ص: ١٠٧

---

١ - ١) هذه العبارة بتمامها غير موجوده فى نسختنا الخطيه.

الصفات ربما كان ببعض الاعتبارات محمودا معدودا من الفضائل، وببعض الاعتبارات معدودا من الرذائل، وذلك كالمحبه و الخوف و الرجاء، فإن الحب إن كان متعلقا بالدنيا و متعلقاتها كان مذموما معدودا من الرذائل، و إن كان متعلقا بالله و أوليائه كان محمودا معدودا من الفضائل، و الخوف إن كان مما لا يخاف منه عقلا كان من رذائل قوه الغضب، و إن كان من المعاصي أو من عظمه الله كان من فضائلها، و الرجاء إن لم يكن في موضعه كان من الرذائل و إن كان في موقعه كان من الفضائل. و قس عليها غيرها مما له الاعتبارات المختلفه.

### فصل الفرق بين الفضيله و الرذيله

قد دريت إجمالا- أن الفضائل المذكوره ملكات مخصوصه، لها آثار معلومه، و ربما صدر عن بعض الناس أفعال شبيهه بالفضائل، و ليست بها فلا بد من بيان الفرق بينهما لئلا يشته على الغافل فيضل و يضل، فنقول:

قد عرفت أن فضيله الحكمة عبارته عن العلم بأعيان الموجودات على ما هي عليه، و هو لا- ينفك عن اليقين و الطمأنينه، فمجرد أخذ بعض المسائل و تقريرها على وجه لا-ثق من دون وثوق النفس و اطمئنانها ليست حكمه، و الآخذ بمثله ليس حكيما، إذ حقيقه الحكمة لا- تنفك عن الإذعان القطعي و اليقيني و هما مفقودان فيه، فمثله كمثل الأطفال في التشبه بالرجال، أو بعض الحيوانات في محاكاة ما للإنسان من الأقوال و الأفعال.

و أما فضيله العفه، فقد عرفت أنها عبارته عن ملكه انقياد القوه الشهويه للعقل، حتى يكون تصرفها مقصورا على أمره و نهيه، فيقدم على ما فيه المصلحه و ينزجر عما يتضمن المفسده بتجويزه، و لا يخالفه في أوامره و نواهيه،

و ينبغي أن يكون الباعث للاتصاف بتلك الملكة و صدور آثارها مجرد كونها فضيله و كامالا للنفس و حصول السعاده الحقيقيه بها، لا شىء آخر من دفع ضرر، أو جلب نفع، أو اضطرار و إلقاء، فالإعراض عن اللذات الدنيويه لتحصيل الأزيد من جنسها ليس عفه، كما هو شأن بعض تاركى الدنيا للدنيا و كذا الحال فى تركها لخمود القوه و قصورها و ضعف الآله و فتورها، أو لحصول النفره من كثره تعاطيها، أو للحذر من حدوث الأمراض و الأسقام، أو اطلاع الناس و توبيخهم، أو لعدم درك تلك اللذات كما هو شأن بعض أهالى الجبال و البوادي... إلى غير ذلك.

و أما فضيله الشجاعه، فقد عرفت أنها ملكة انقياد القوه الغضبيه للعقل حتى يكون تصرفها بحسب أمره و نهييه، و لا يكون للاتصاف بها و صدور آثارها داع سوى كونها كامالا و فضيله، فالإقدام على الأمور الهائله، و الخوض فى الحروب العظيمه، و عدم المبالاه من الضرب و القطع و القتل لتحصيل الجاه و المال، أو الظفر بامرأه ذات جمال، أو للحذر من السلطان و مثله، أو للشهوه بين أبناء جنسه، ليست صادرة عن ملكة الشجاعه، بل منشأها إما رذيله الشره أو الجبن، كما هو شأن عساكر الجائرين، و قاطعى الطرق و السارقين، فمن كان أكثر خوضا فى الأهوال، و أشد جرأه على الأبطال للوصول إلى شىء من تلك الأغراض، فهو أكثر جبنا و حرصا، لا أكثر شجاعه و نجده. و قس على ذلك الوقوع فى المهالك و الأهوال، تعصبا عن الأقارب و الاتباع، و ربما كان باعته تكرر ذلك منه مع حصول الغلبه، فاعتبر بذلك و لم يبال بالإقدام اتكالا على العاده الجاريه. و مثله مثل رجل ذى سلاح لم يبال بالمحاربه مع طفل أعزل، فإن عدم الحذر عنه ليس لشجاعته، بل لعجز الطفل. و من هذا القبيل ما يصدر عن بعض الحيوانات

من الصوله و الإقدام، فإنه ليس صادرا من ملكه الشجاعه، بل عن طبيعه القوه و الغلبه.

و بالجملة: الشجاع الواقعى ما كانت أفعاله صادرة عن إشاره العقل و لم يكن له باعث سوى كونها جميله حسنه، فربما كان الحذر عن بعض الأهوال من مقتضيات العقل فلا ينافى الشجاعه، و ربما لم يكن الخوض فى بعض الأخطار من موجباته فينافية، و لذا قيل عدم الفرع مع شدة الزلازل و تواتر الصواعق من علائم الجنون دون الشجاعه، و إيقاع النفس فى الهلكات بلا داع عقلى أو شرعى كتعرضه للسباع المؤذيه، أو إلقاء نفسه من المواضع، الشاهقه أو فى البحار و الشطوط الغامرة من دون علم بالسباحه من أمارات القحه و حماقه.

ثم الشجاع الحقيقى من كان حذره من العار و الفضيحه أكثر من خوفه من الموت و الهلاك، فمن لا- يبالى بذهاب شرفه، و فضيحه أهله و حرمه، فهو من أهل الجنون و حماقه، و لا يستحق اسم العقل و الشجاعه، كيف و الموت عند الشجاع مع بقاء الفضيله أحسن من الحياه بدونها، و لذا يختار الموت الجميل على الحياه القبيحه. على أن الشجاعه فى المبادئ ربما كانت موزيه، و إنما تظهر لذتها فى العاقبه (لا) سيما إذا حصلت بها حمايه عن الدين و المله، و الذب عن العقائد الحقه، فإن الشجاع لحبه الجميل و ثباته على رأى الصحيح إذا علم أن عمره فى معرض الزوال و الثور، و أثر الفعل الجميل يبقى على مر الدهور، يختار الجميل الباقي على الرذيل الفانى، فيحامى عن دينه و شريعته، و لا يبالى بما يحذر عنه غيره من أبناء طبيعته، لعلمه بأن الجبان المقصر فى حمايه الدين، و مقاومه جنود الشياطين إن بقى أياما معدوده، فمع تكدرها بالذل و الصغار تكون زائله، و لا ترضى نفسه

و لذا قال فخر الشجعان و سيد ولد عدنان عليه صلوات الله الملك الرحمن لأصحابه: «أيها الناس إنكم إن لم تقتلوا تموتوا و الذى نفس ابن أبى طالب بيده لألف ضربه بالسيف على الرأس أهون من ميته على الفراش».

و بالجملة: كل فعل يصدر عن الشجاع فى أى وقت يكون مقتضى للعقل مناسبا لهذا الوقت واقعا فى موقعه، و له قوه التحمل على المصائب، و ملكه الصبر على الشدائد و النوائب، و لا يضطرب من شدائد الأمور، و يستخف بما يستعظمه الجمهور، و إذا غضب كان غضبه بمقتضى العقل، و كان انتقامه مقصورا على ما يستحسن عقلا و شرعا، و لا يتعدى إلى ما لا ينبغى. و ليس مطلق الانتقام مذموما، فربما كان فى بعض المواضع مستحسنا عند العقل و الشرع، و قد صرح الحكماء بأن عدم الانتقام ممن يستحقه يحدث فى النفس ذبولا لا يرتفع إلا بالانتقام، و ربما أدى هذا الذبول إلى بعض الرذائل المهلكه.

و أما العداله فقد عرفت أنها عباره عن انقياد القوه العمليه للعقله، أو امتزاج القوى و تسالمها و انقهار الجميع تحت العاقله، بحيث يرتفع بينها التنازع و التجاذب، و لا يغلب بعضها على بعض، و لا يقدم على شىء غير ما تسقط له العاقله. و إنما يتم ذلك إذا حصلت للإنسان ملكه راسخه تصدر لأجلها جميع الأفعال على نهج الاعتدال بسهولة، و لا يكون له غايه فى ذلك سوى كونها فضيله و كما لا، فمن يتكلف أعمال العدول رياء و سمعه أو لجلب القلوب، أو تحصيل الجاه و المال ليس عادلا.

و قس على ذلك جميع أنواع الفضائل المندرجه تحت الأجناس المذكوره فإنه بإزاء كل منها رذيله شبيهه بها، فينبغى لطالب السعاده أن يعرفها

و يجتنب عنها، مثلاً السخاء عبارته عن ملكه سهوله بذل المال على المستحق مع كون الغايه الباعثه له عليه مجرد كونه فضيله و كمالاً، دون الأغراض الأخرى، فبذل المال لتحصيل الأزيد، أو لدفع الضرر، أو نيل الجاه، أو للوصول إلى شىء من اللذات الحيوانيه ليس سخاء. و كذا بذله لغير المستحق و الإسراف فى إنفاقه. فإن المبذر جاهل بعظم قدر المال. و الاحتياج إليه فى مواقع لولاه لأدى إلى تضييع الأهل و العيال و العجز عن كسب المعارف و فضائل الأعمال، و له دخل عظيم فى تزويج احكام المله و نشر الفضيله و الحكمه، و لذا ورد فى الصحيفه السلیمانیه (أن الحكمه مع الثروه يقظان، و مع الفقر نائم) (١). و ربما كان منشأ التبذير عدم العلم بصعوبه تحصيل الحلال منه، و هذا يكون فى الأغلب لمن يظفر بمال بغته من ميراث أو غيره مما لا يحتاج إلى كد و عمل، فإن مثله غافل عن صعوبه كسب الحلال منه، إذ المكاسب الطيبه قليله جداً، و ارتكابها للأحرار مشكل، و لذا ترى أفاضل الأحرار ناقصى الحظوظ منه شاكين عن بختهم، و أضدادهم على خلاف ذلك، لعدم مبالاتهم من تحصيله بأى نحو كان. و قد قال بعض الحكماء: «إن تحصيل المال بمنزله نقل الحجر إلى قله الجبل و إنفاقه كإطلاقه».

## فصل العدالة أشرف الفضائل

### إشاره

العدالة أشرف الفضائل و أفضلها، إذ قد عرفت أنها كل الفضائل

ص: ١١٢

---

١-١) كذا فى النسخ و لم نعثر على مصدر لهذه الكلمه لتصحيحها.



أو ما يلزمها، كما أن الجور كل الرذائل أو ما يوجبها، لأنها هيئه نفسانيه يقتدر بها على تعديل جميع الصفات و الأفعال، و رد الزائد و الناقص إلى الوسط، و انكسار سوره التخالف بين القوى المتعاديه، بحيث يمتزج الكل و تتحقق بينها مناسبه و اتحاد تحدث في النفس فضيله واحده تقتضى حصول فعل متوسط بين أفعالها المتخالفه، و ذلك كما تحصل من حصول الامتزاج و الوحده بين الأشياء المتخالفه صوره و حدانيه يصدر عنها فعل متوسط بين أفعالها المتخالفه، فجميع الفضائل مترتبه على العداله، و لذا قال أ فلاطون الإلهي: (العداله إذا حصلت للإنسان أشرق بها كل واحد من أجزاء نفسه و يستضىء بعضها من بعض، فتنتهض النفس حينئذ لفعالها الخاص على أفضل ما يكون، فيحصل لها غايه القرب إلى مبدعها سبحانه).

و من خواص العداله و فضيلتها أنها أقرب الصفات إلى الوحده، و شأنها إخراج الواحد من الكثرات، و التأليف بين المتباينات، و التسويه بين المختلفات، و رد الأشياء من القله و الكثره و النقصان و الزيادة إلى التوسط الذى هو الوحده، فتصير المتخالفات فى هذه المرتبه متحده نوع اتحاد، و فى غيرها توجد أطراف متخالفه متكاثره، و لا ريب فى أن الوحده أشرف من الكثره، و كلما كان الشىء أقرب إليها يكون أفضل و أكمل و أبقى و أدوم و من تطرق البطلان و الفساد أبعد، فالمتخالفات إذا حصل بينها مناسبه و اتحاد و حصلت منها هيئه و حدانيه صارت أكمل مما كان، و لذا قيل: كمال كل صفه أن يقارب ضدها، و كمال كل شخص أن يتصف بالصفات المتقابله بجعلها متناسبه متسالمة، و تأثير الأشعار الموزونه و النعمات و الإيقاعات المتناسبه، و جذب الصور الجميله للنفوس، إنما هو لوحده التناسب، و نسبه المساواه فى صناعه الموسيقى أو غيرها أشرف النسب لقربها إلى الوحده

و غيرها من النسب يرجع إليها.

و بالجمله: اختلاف الأشياء فى الكمال و النقص بحسب اختلافها فى الوحده و الكثيره، فأشرف الموجودات هو الواحد الحقيقى الذى هو موجد الكل و مبدؤه، و يفيض نور الوحده على كل موجود بقدر استعداده كما يفيض عليه نور الوجود كذلك، فكل وحده من الوحدات جوهرية كانت أو خلقية أو فعلية أو عددية أو مزاجية، فهو ظل من وحدته الحقه، و كلما كان أقرب إليها يكون أشرف وجودا، و لولا الاعتدال و الوحده العرضيه التى هى ظل الوحده الحقيقيه لم تتم دائره الوجود، لأن تولد المواليد من العناصر الأربعة يتوقف على حصول الاتحاد و الاعتدال، و تعلق النفس الربانيه بالبدن إنما هو لحصول نسبه الاعتدال، و لذا يزول تعلقها به بزوالها بل النفس عاشقه لتلك النسبه الشريفه أين ما وجدت.

و التحقيق أنها معنى وحدانى يختلف باختلاف محالها، فهى فى الأجزاء العنصريه الممتزجه اعتدال مزاجى، و فى الأعضاء حسن ظاهرى، و فى الكلام فصاحه، و فى الملكات النفسيه عداله، و فى الحركات غنج و دلال، و فى المنعمات أبعاد شريفه لذيده و النفس عاشقه لهذا المعنى فى أى مظهر ظهر، و بأى صورته تجلى، و بأى لباس تلبس.

فانى أحب الحسن حيث وجدته

و للحسن فى وجه الملاح مواقع

و الكثيره و القله و النقصان و الزياده تفسد الأشياء إذا لم تكن بينها مناسبه تحفظ عليها الاعتدال و الوحده بوجه ما، و فى هذا المقام تفوح نفحات قدسيه تهتز بها نفوس أهل الجذبه و الشوق، و يتعطر منها مشام أصحاب التأله و الذوق، فتعرض لها إن كنت أهلا لذلك.

و إذا عرفت شرف العداله و إيجابها للعمل بالمساواه، و رد كل ناقص

و زائد إلى الوسط. فاعلم: أنها إما متعلقه بالأخلاق و الأفعال. أو بالكرامات و قسمه الأموال. أو بالمعاملات و المعاوزات. أو بالأحكام و السياسات.

و العادل في كل واحد من هذه الأمور ما يحدث التساوى فيه برد الإفراط و التفريط إلى الوسط. و لا ريب في أنه مشروط بالعلم بطبيعه الوسط. حتى يمكن رد الطرفين إليه. و هذا العلم في غايه الصعوبه. و لا- يتيسر إلا- بالرجوع إلى ميزان معرف للأوساط في، جميع الأشياء. و ما هو إلا ميزان الشريعة الإلهيه الصادره عن منبع الوحده الحقه الحقيقه. فإنها هي المعرفه للأوساط في جميع الأشياء على ما ينبغي. و المتضمنه لبيان تفاصيل جميع مراتب الحكمه العمليه. فالعادل بالحقيقه يجب أن يكون حكيما عالما بالنواميس الإلهيه الصادره من عند الله سبحانه لحفظ المساواه.

و قد ذكر علماء الأخلاق أن العدول ثلاثه: «الأول» العادل الأ-كبر و هو الشريعة الإلهيه الصادره من عند الله سبحانه لحفظ المساواه. «الثاني» العادل الأوسط. و هو الحاكم العادل التابع للنواميس الإلهيه و الشريعة النبويه فإنه خليفه الشريعة في حفظ المساواه. «الثالث» العادل الصامت و هو الدينار لأنه يحفظ المساواه في المعاملات و المعاوزات.

بيان ذلك: أن الإنسان مدنى بالطبع فيحتاج بعض أفراده إلى بعض آخر. و لا يتم عيشهم إلا بالتعاون. فيحتاج الزارع إلى عمل التاجر و بالعكس و النجار إلى عمل الصباغ و بالعكس. و هكذا فتقع بينهم معاوزات. فلا بد من حفظ المساواه بينها دفعا للتنازع و التشاجر. و لا- يمكن حفظها بالأعمال لاختلافها بالزياده و النقصان و القله و الكثره و غير ذلك. و ربما كان أدنى عمل مساويا لعمل كثير كنظر المهندس. و تدبير صاحب الجيش. فإن نظرهما في لحظه واحده ربما ساوى عملا- كثيرا لمن يعمل و يحارب. فحفظ المساواه

بينها بالدينار و الدرهم بأن تقوم بهما الأعمال و الأشياء المختلفه، ليحصل الاعتدال و الاستواء، و يتبين وجه الأخذ و الإعطاء، و تصح المشاركات و المعاملات على نهج لا يتضمن إفراطا و لا تفريطا قيل: و قد أشير إلى العدول الثلاثه فى الكتاب الإلهى بقوله سبحانه:

وَ أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَ الْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَ مَنَافِعٌ لِلنَّاسِ

(١)

فإن الكتاب إشاره إلى الشريعة، و الميزان إلى آله معرفه النسبه بين المختلفات و منها الدينار، و الحديد إلى سيف الحاكم العادل المقوم للناس على الوسط.

هذا و المقابل للعادل- أعنى الجائر المبطل للتساوى أيضا- إما جائر أعظم -و هو الخارج عن حكم الشريعة- و يسمى كافرا- أو جائر أوسط- و هو من لا يطيع عدول الحكام فى الأحكام- و يسمى طاغيا و باغيا- أو جائر أصغر- و هو من لا يقوم على حكم الدينار، ف يأخذ لنفسه أكثر من حقه و يعطى غيره أقل من حقه- و يسمى سارقا و خائنا-.

ثم العداله على أقسام ثلاثه:

«أحدها» ما يجرى بين العباد و بين خالقهم سبحانه، فإنها لما كانت عباره عن العمل بالمساواه على قدر الإمكان، و الواجب سبحانه و أهب الحياه و الكمالات و ما يحتاج إليه كل حى من الأرزاق و الأقوات، و هيا لنا فى عالم آخر من البهجه و السرور ما لا عين رأت، و لا أذن سمعت، و ما من يوم إلا

ص: ١١٦

(١-١) الحديث: الآية: ٢٥.

و يصل إلينا من نعمه و عطاياه ما تكل الألسنه عن حصره و عدّه، فيجب أن يكون له تعالى علينا حق يقابل به تلك النعم التي لا تحصى كثره حتى تحصل عداله في الجملة، إذ من أعطى خيرا و لم يقابله بضرب من المقابله فهو جائر.

ثم المقابله و المكافأه تختلف باختلاف الأشخاص، فإن ما يؤدي به حق إحسان السلطان غير ما يؤدي به حق إحسان غيره، فإن مقابله إحسانه إنما تكون بمثل الدعاء و نشر المحاسن، و مقابله إحسان غيره تكون بمثل بذل المال و السعى في قضاء حوائجه و غير ذلك. و الواجب سبحانه غنى عن معونتنا و مساعينا. و لا يحتاج إلى شىء من أعمالنا و أفعالنا، و لكن يجب علينا بالنظر إلى شرع العداله حقوق تحصل بها مساواه في الجملة، كمعرفته و محبته، و تحصيل العقائد الحقه و الأخلاق الفاضله، و الاجتهاد في امتثال ما جاءت به رسله و سفراؤه من الصوم و الصلاه، و السعى إلى المواقف الشريفه و غير ذلك، و إن كان التوفيق لإدراك ذلك كله من جملة نعمائه، إلا- أن العبد إذا أدى ما له فيه مدخليه و اختيار من وظائف الطاعات، و ترك ما تقتضى الضروره بتمكنه على تركه من المعاصى و السيئات، لخرج عن الجور المطلق و لم يصدق عليه أنه جائر مطلق، و إن كان أصل تمكنه و اختياره بل أصل وجوده و حياته كلها من الله سبحانه.

«الثانى» ما يجرى بين الناس بعضهم لبعض: من أداء الحقوق و تأديه الأمانات و النصفه في المعاملات و المعاوضات و تعظيم الأكابر و الرؤساء و إغاثة المظلومين و الضعفاء، فهذا القسم من العداله يقتضى أن يرضى بحقه، و لا يظلم أحدا، و يقيم كل واحد من أبناء نوعه على حقه بقدر الإمكان، لئلا يجور بعضهم بعضا، و يؤدي حقوق إخوانه المؤمنين بحسب استطاعته.

و قد ورد في الحديث النبوى: «إن المؤمن على أخيه ثلاثين حقا لا براه له منها إلا بالأداء

أو العفو: يغفر زلته، و يرحم غربته، و يستر عورته، و يقبل عثرته، و يقبل معذرتة. و يرد غيبته، و يديم نصيحته، و يحفظ خلته، و يرضى ذمته، و يعود مرضته، و يشهد ميته، و يجيب دعوتة، و يقبل هديته، و يكافئ صلته، و يشكر نعمته، و يحسن نصرته، و يحفظ حليلته، و يقضى حاجته، و يشفع مسألته، و يسمت عطسته، و يرشد ضالته، و يرد سلامه، و يطيب كلامه، و يبر إنعامه، و يصدق أقسامه، و يواليه و لا- يعاديه، و ينصره ظالما أو مظلوما فأما نصرته ظالما فيرده عن ظلمه، و أما نصرته مظلوما فيعيه على من ظلمه، و أما نصرته مظلوما فيعيه على أخذ حقه، و لا يسأه، و لا يخذله، و يجب له من الخير ما يجب لنفسه، و يكره له من الشر ما يكره لنفسه».

«الثالث» ما يجرى بين الأحياء و ذوى حقوقهم من الأموات: من أداء ديونهم و إنفاذ وصاياهم و الترحم عليهم بالصدقة و الدعاء. و قد أشار خاتم الرساله صلى الله عليه و آله و سلم إلى أقسام العدالة

بقوله صلى الله عليه و آله و سلم: «التعظيم لأمر الله و الشفقة على خلق الله»،

و بقوله صلى الله عليه و آله و سلم فى خبر آخر: «الدين النصيحة، قيل لمن؟ قال: لله و لرسوله و لعامة المؤمنين».

### إيقاظ

قد ظهر مما ذكر أن الكمال كل الكمال لكل شخص هو العدل و التوسط فى جميع صفاته و أفعاله الباطنه و الظاهره، سواء كانت مختصه بذاته أو متوسطه بينه و بين أبناء نوعه، و لا تحصل النجاه و السعاده إلا بالاستقامه على وسط الأشياء المتخالفه، و التثبت على مركز الأطراف المتباعده، فكن يا حبيبي جامعا للكمالات، متوسطا بين مراتب السعادات، و مركزا لدائره نيل

الإفاضات.فكن أولا متوسطا بين العلم والعمل جامعا بينهما بقدر الإمكان ولا تكتف بأحدهما حتى لا تكون واحدا من الرجلين القاصمين (1)لظهر فخر الثقلين صلى الله عليه وآله وسلم. وكن في العمل متوسطا بين حفظ الظاهر و الباطن فلا- تكن في باطنك خبيثا و ظاهرك نقيًا،حتى تكون كشواء ملبسه بزى حوراء مدلسه بأنواع التدليسات،و لا بالعكس لتكون مثل دره ملوثة بأقسام القاذورات،بل ينبغي أن يكون ظاهرك مرآه لباطنك،حتى يظهر من محاسنك بقدر ما اقتضته ملكاتك الفاضله الباطنه.و كن في جميع ملكاتك الباطنه و أفعالك الظاهره متوسطا بين الإفراط و التفريط على ما يقرع سمعك في هذا الكتاب. ثم كن في العلوم متوسطا بين العلوم الباطنه العقليه و العلوم الظاهره الشرعيه،فلا تكن من الذين قصرُوا أنظارهم على ظواهر الآيات و لم يعرفوا من حقائق البينات،يذمون علماء الحقيقه و ينسبونهم إلى الإلحاد و الزندقه،و لا من الذين صرفوا أعمارهم في فضول أهل يونان و هجروا ما جاء به حامل الوحي و الفرقان،يذمون علماء الشريعة و يثبتون لهم سوء القريحه،يدعون لأنفسهم الذكاء و الفطانه و ينسبون ورثه الأنبياء إلى الجهل و البطاله.ثم كن في العقليات متوسطا بين طرق العقلاء من غير جمود على واحده منها بمجرد التقليد أو التعصب،فتوسط بين الحكمه و الكلام و الإشراق و العرفان،و اجمع بين الاستدلال و تصفيه النفس بالعباده و الرياضه،فلا- تكن متكلمًا صرفًا لا- تعرف سوى الجدل،و لا- مشائيا محضًا أضاع الدين و أهمل و لا متصوفا استراح بدعوى المشاهده و العيان من دون بينه و برهان. و كن في العلوم الشرعيه متوسطا بين الأصول و الفروع،فلا تكن أخباريا تاركا

ص: ١١٩

---

(١-١) إشاره إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم:(قسم ظهري رجلا: عالم متهتك و جاهل متنسك).

للقواعد القطعية، و لا- أصوليا عاملا بقياسات عاميه. و قس على ذلك جميع أمورك الباطنه و الظاهره، و اعمل به حتى يرشدك إلى طريق السداد، و يوفقك لاكتساب زاد المعاد.

### [دفع اشكال]

إن قيل: قد تلخص مما ذكر: أن الفضيله فى جميع الأخلاق و الصفات إنما هو المساواه من غير زياده و نقصان، مع أنه قد ثبت أن للمتفضل محمود و هو زياده فلا يدخل تحت العدالة الراجعه إلى المساواه (قلنا): التفضل احتياط يقع لتحصيل القطع بعدم الوقوع فى النقصان، و ليس الوسط فى طرفين من الأخلاق على نهج واحد فإن الزياده فى السخاء إذا لم يؤد إلى الإسراف أحسن من النقصان عنه، و أشبه بالمحافظة على شرائطه، فالتفضل إنما يصدر عن فضيله العدالة، لأنها مبالغه فيها و لا يخرجها عن حقيقتها، إذ المتفضل من يعطى المستحق أزيد مما يستحقه، و هذه الزياده ليست مذمومه، بل هى العدالة مع الاحتياط فيها، و لذا قيل: «إن المتفضل أفضل من العادل»، و المذموم أن يعطى غير المستحق أو يترك المساواه بين المستحقين، لأنه أنفق فيما لا ينبغى أو على ما لا ينبغى، و صاحبه لا يسمى متفضلا بل مضيعا، و لكون التفضل احتياطا إنما يحسن من الرجل بالنسبه إلى صاحبه فى المعامله التى بينهما، و لو كان بين جماعه و لم يكن له نصيب فى ما يحكم فيه لم يسعه إلا العدل المحض و لم يجز له التفضيل

### تتميم

(إصلاح النفس قبل إصلاح الغير و أشرف وجوه العدالة عداله السلطان) قد تلخص أن حقيقه العدالة أو لازمها أن يغلب العقل الذى هو خليفه الله على جميع القوى حتى يستعمل كلا منها فيما يقتضى رأيه، فلا يفسد نظام



العالم الإنساني، فإن الواجب سبحانه لما ركب الإنسان بحكمته الحقه و مصلحته التامه من القوى الكثيره المتضاده، فهي إذا تهايجت و تغالبت و لم يقهرها قاهر خير، حدثت فيه بهيجانها و اضطرابها أنواع الشر، و جذبه كل واحده منها إلى ما يقتضيه و يشتهي، كما هو الشأن في كل مركب. و قد شبه المعلم الأول مثله بمن يجذب من جهتين حتى ينقطع و ينشق بنصفين أو من جهات كثيره فيتقطع بحسبها. فيجب على كل إنسان أن يجاهد حتى يغلب عقله الذي هو الحكم العدل و الخير المطلق على قواه المختلفه، ليرفع اختلافها و تجاذبها و يقيم الجميع على الصراط القويم.

ثم كل شخص ما لم يعدل قواه و صفاته لم يتمكن من إجراء أحكام العداله بين شركائه في المنزل و البلد، إذ العاجز عن إصلاح نفسه كيف يقدر على إصلاح غيره، فإن السراج الذي لا يضيء قريبه كيف يضيء بعيده، فمن عدل قواه و صفاته أولاً و اجتنب عن الإفراط و التفريط و استقر على جاده الوسط، كان مستعداً لسلوك هذه الطريقه بين أبناء نوعه، و هو خليفه الله في أرضه، و إذا كان مثله حاكماً بين الناس و كان زمام مصالحهم في قبضه اقتداره لتنورت البلاد بأهلها، و صلحت أمور العباد بأسرها، و زاد الحرث و النسل و دامت بركات السماء و الأرض.

و غير خفي أن أشرف وجوه العدالات و أهمها و أفضل صنوف السياسات و أعمها هو عداله السلطان، إذ غيرها من العدالات مرتبطه بها و لولاه لم يتمكن أحد من رعايه العداله، كيف و تهذيب الأخلاق و تدبير المنزل يتوقف على فراغ البال و انتظام الأحوال، و مع جور السلطان أمواج الفتن متلاطمه، و أفواج المحن متراكمه، و عوائق الزمان متراحمه، و بوائق [\(١\)](#) الحداث

ص: ١٢١

---

(١ - ١) البائقة: الداهيه و الشر. يقال: رفعت عنك بائقه فلان أى غائلته و شره جمعه بوائق.

متصادمه، و طالبوا الكمال كالحيارى فى الصحارى لا يجدون إلى مناله سبيلا و لا إلى جداوله مرشدا و دليلا، و عرصات العلم و العمل دارسه الآثار، و منازلهما مظلمه الأرجاء و الأقطار، فلا يوجد ما هو الملاك فى تحصيل السعادات، أعنى تفرغ خاطر و الاطمئنان و انتظام أمر المعاش الضرورى لأفراد الإنسان. و لذا لو تصفحت فى أمثال زماننا زوايا المدن و البلاد و اطلعت على بواطن فرق العباد، لم تجد من الألوفا واحدا تمكن من إصلاح نفسه و يكون يومه خيرا من أمسه، بل لا تجد دينا إلا و هو باك على فقد الإسلام و أهله، و لا طالبا إلا و هو لعدم الممكنه باق على جهله، و لعمري إن هذا الزمان هو الزمان الذى

أخبر عنه سيد الأنام و عترته الأبرار الكرام عليه و عليهم أفضل الصلاة و السلام من أنه: «لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، و لا من القرآن إلا رسمه».

و بالجمله: المناط كل المناط فى تحصيل الكمالات و إخراج النفوس من الجهالات، هو عداله السلطان، و اعتناؤه بإعلاء الكلمه، و سعيه فى ترويج أحكام الدين و المله،

و لذا ورد فى الآثار: (إن السلطان إذا كان عادلا كان شريكا فى ثواب كل طاعه تصدر عن كل رعيه، و إن كان جائرا كان سهيما فى معاصيهم).

و قال سيد الرسل صلى الله عليه و آله و سلم: «أقرب الناس يوم القيامة إلى الله تعالى الملك العادل و أبعدهم عنه الملك الظالم».

و ورد عنه صلى الله عليه و آله و سلم: «عدل ساعه خير من عباده سبعين سنه». و السر أن أثر عدل ساعه واحده ربما يصل إلى جميع المدن و الأمصار و يبقى على مر الدهور و الأعصار، و قال بعض الأكابر: لو علمت أنه يستجيب لى دعوه واحده لخصتها بإصلاح حال السلطان حتى يعم نفعه.

## تنوير (لا حاجة إلى العدالة مع رابطته المحبه)

لو استحكمت رابطته المحبه و علاقته الموده بين الناس لم يحتاجوا إلى سلسله العدالة، فإن أهل الوداد و المحبه فى مقام الإيثار و لو كان بهم خصاصه، فكيف يجور بعضهم على بعض. و السر أن رابطته المحبه أتم و أقوى من رابطته العدالة لأن المحبه وحده طبيعته جبلية، و العدالة وحده قهريه قسريه. على أنها لا تنتظم بدون المحبه، لكونها باعته للإيجاد، كما أشير إليه

فى الحديث القدسى «كنت كنزا مخفيا فاحببت أن أعرف». فالمحبه هو السلطان المطلق، و العدالة نائبها و خليفتها (١).

## وصل (التكميل الصناعى لاكتساب الفضائل على طبق ترتيب الكمال الطبيعى)

لاكتساب الفضائل ترتيب ينبغى أن لا يتعدى عنه. و بيان ذلك: أن مبادئ الحركات المؤديه إلى الكمال: إما طبيعته كحركة النطفه فى الأطوار المختلفه إلى بلوغ كمال الحيوانيه، أو صناعيه كحركة الخشب بتوسط الآلات إلى بلوغ كمال السريره. ثم الطبيعه و تحريكاتها لاستنادها إلى المبادئ العالیه تكون متقدمه على الصناعيه المستنده إلى الإنسان، و لما كان كمال الثوانى أن تشبه بالأوائل، فينبغى أن تقتدى الصناعيه فى تحريكاتها المؤديه إلى كمالها بالطبيعه.

ص: ١٢٣

---

١ - ١) و لذلك أن الشريعه الإسلاميه أول ما دعت فيما دعت إلى الإخوه و التآلف بين الناس، و كثير من أحكامها مثل الجماعه و الجمعته و الإيثار و الإحسان و تحريم الغيبه و النبز و نحو ذلك تستهدف إيجاد رابطته الحب بين الشعوب و القبائل و الأفراد، ليستغنوا عن الأخذ بقانون العدل الصارم المر.

و إذا ثبت ذلك فاعلم: أن تهذيب الأخلاق لما كان أمرا صناعيا لزم أن يقتضى فى تحصيله من حيث الترتيب بأفعال الطبيعه فى ترتيب حصولها، فنقول:

لا- ريب فى أن أول ما يحصل فى الطفل قوه طلب الغذاء، و إذا زادت تلك القوه يبكى و يرفع صوته لأجل الغذاء، و إذا قويت حواسه و تمكن من حفظ بعض الصور يطلب صورته الأم أو الظئر (1)، و جميع ذلك متعلق بالقوه الشهويه. و نهايه هذه القوه و كمالها أن يتم ما يتعلق بالشخص من الأمور الشهويه، و ينبعث منه الميل إلى استبقاء النوع، فيحدث ميل النكاح و الوقاح. ثم تظهر فيه آثار القوه الغضبيه حتى يدفع عن نفسه ما يؤذيه و لو بالاستعانه بغيره. و غايه كمال هذه القوه حصول التمكن من حفظ الشخص و الإقدام على حفظ النوع، فيحدث فيه الميل إلى ما يحصل به التفوق من أصناف الرئاسات و الكرامات. ثم تظهر فيه آثار قوه التمييز و تتزايد إلى أن يتمكن من تعقل الكليات.

و هنا يتم ما يتعلق بالطبيعه من التدبير و التكميل، و يكون ابتداء التكميل الصناعى، فلو لم يحصل الاستكمال بالكسب و الصناعه بقى على هذه الحاله و لم يبلغ إلى الكمال الحقيقى الذى خلق الإنسان لأجله، لأنه لم يخلق أحد مجبولا على الانتصاف بجميع الفضائل الخلقيه إلا- من أيد من عند الله بالنفس القدسيه، و إن كان بعض الناس أكثر استعدادا لتحصيل بعض الكمالات من بعض آخر، فلا بد لجل الأنام فى تكميل نفوسهم من الكسب و الاستعلام.

فظهر مما ذكر: أن الطبيعه تولد أولا قوه الشهوه، ثم قوه الغضب، ثم قوه التمييز، فيجب أن يقتدى به فى التكميل الصناعى، فيهدب أولا القوه الأولى ليكتسب العفه، ثم الثانيه ليتصف بالشجاعه، ثم الثالثه ليتحلى

ص: ١٢٤

(١-١) يريد بها المرضعه.

بالحكمة، فمن حصل بعض الفضائل على الترتيب الحكيمى كان تحصيل الباقي له فى غاية السهولة، و من حصله لا- على الترتيب، فلا يظن أن تحصيل الباقي حينئذ متعذر بل هو ممكن، و إن كان أصعب بالنسبة إلى تحصيله بالترتيب فإن عدم الترتيب يوجب عسر الحصول لا تعذره، كما أن الترتيب يوجب يسره لا مجرد إمكانه. فلا يترك السعى و الجهد فى كل حال و لا ييأس من رحمه الله الواهب المتعال، و ليشمر ذيل الهمة على منطقه الطلب حتى ييسر الله له الوصول إلى ما هو المقصد و المطلب.

ثم الفضيله إن كانت حاصله لزم السعى فى حفظها و إبقائها، و إن لم تكن حاصله بل كان ضدها حاصلًا و جب تحصيلها بإزاله الضد، و لذا كان فن الأخلاق على قسمين: (أحدهما) راجع إلى حفظ الفضائل، (و ثانيهما) نافع فى دفع الرذائل، فيكون شبيها بعلم الطب، من حيث انقسامه إلى قسمين: (أحدهما) فى حفظ الصحة، (و ثانيهما) فى دفع المرض، و لذا يسمى طبًا روحانيًا، كما أن الطب المتعارف يسمى طبًا جسمانيًا. و من هنا كتب جالينوس إلى روح الله عليه السلام: «من طيب الأبدان إلى طيب النفوس». فكما أن لكل من حفظ الصحة و دفع المرض فى الطب الجسماني علاجًا خاصًا، فكذلك لكل من حفظ الفضائل و إزاله الرذائل فى الطب الروحاني معالجات معينه، كما نذكره إن شاء الله تعالى.



## الباب الثالث فى طريق حفظ اعتدال الأخلاق المحموده و استحصالها بإزاله نقائضها المذمومه

إشاره

[المقدمه]

إشاره

الطريق لحفظ اعتدال الفضائل -قانون العلاج فى الطب الروحانى- طريقه معرفه الأمراض النفسيه-المعالجات الكليه لأمراض النفس- المعالجات الخاصه لأمراض النفس.و له أربعة مقامات:

(الأول) ما يتعلق بالقوه العاقله من الرذائل و الفضائل و كيفية علاج الرذائل.

(الثانى) ما يتعلق بالقوه الغضبيه من الرذائل و الفضائل و كيفية العلاج (الثالث) ما يتعلق بالقوه الشهويه من الرذائل و الفضائل و كيفية العلاج.

(الرابع) ما يتعلق بالقوى الثلاث أو باثنتين منها.

ص: ١٢٧

## فصل (الطريق لحفظ اعتدال الفضائل)

### إشاره

قد تقرر فى الطب الجسمانى أن حفظ الصحه بإيراد المثل و ملائم المزاج فيجب أن يكون حفظ اعتدال الفضائل أيضا بذلك. و إيراد المثل لحفظ اعتدالها يكون بأمر:

### (منها) اختيار مصاحبه الأخيار،

و المعاشره مع أولى الفضائل الخلقية و استماع كيفيه سلوكهم مع الخالق و الخليقه، و الاجتناب عن مجالسه الأشرار و ذوى الأخلاق السيئه، و الاحتراز عن استماع قصصهم و حكاياتهم و ما صدر عنهم من الأفعال و مزخرفاتهم، فإن المصاحبه مع كل أحد أقوى باعث على الاتصاف بأوصافه، فإن الطبع يسترق من الطبع كلا من الخير و الشر. و السر: أن النفس الإنسانيه ذات قوى بعضها يدعو إلى الخيرات و الفضائل و بعضها يقتضى الشرور و الرذائل، و كلما حصل لأحدهما أدنى باعث لما تقتضيه جبلته مال إليه و غلب على صاحبه إلى الخير، و لكون دواعى الشر من القوى أكثر من بواعث الخير منها، يكون الميل إلى الشر أسرع و أسهل بالنسبه إلى الميل إلى الخير، و لذا قيل: إن تحصيل الفضائل بمنزله الصعود إلى الأعلى و كسب الرذائل بمثابه النزول منها، و إلى ذلك يشير

قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «حفت الجنه بالمكاره و حفت النار بالشهوات».

### (و منها) إعمال القوى فى شرائف الصفات،

و المواضبه على الأفعال التى هى آثار فضائل الملكات، و حمل النفس على الأعمال التى يقتضيها

ص: ١٢٨

---

١- ١) هذه الفصول كتمهيد للمقامات الأربعة التى تتعلق بالعلاج الخاص لذمائم الأخلاق.



الخلق الذى يريد حفظه، فالحافظ لملكه الجود يجب أن يواظب على إنفاق المال و بذله على المستحقين، و يقهر على نفسه عند وجدان ميلها إلى الإمساك، و الحافظ لملكه الشجاعه يجب ألا- يترك الإقدام فى الأخطار و الأهوال بشرط إشاره العقل، و يغضب على نفسه عند وجدان الجبن منها. و هكذا الحال فى سائر الصفات. و هذا بمثابة الرياضه الجسمانيه فى حفظ الصحه البدنيه.

### **(و منها) أن يقدم التروى على كل ما يفعله،**

لثلا تصدر عنه غفله خلاف ما تقتضيه الفضيله. و لو صدر عنه أحيانا خلاف مقتضاها، فليؤدب نفسه بارتكاب ما يضاده، و يشق عليها عقوبه، بعد تعييرها و توبيخها، كما إذا أكل ما يضره من المطاعم فليؤدبها بالصوم، و إذا صدر عنه غضب مذموم فى واقعه فليؤدبها بإيقاعها فى مثلها مع الصبر عليها، أو فى معرض إهانته السفهاء حتى يكسر جاهه أو يؤدبها بارتكاب ما يشق عليها من النذر و الصدقه و غير ذلك. و ينبغى ألا- يترك الجد و السعى فى التحصيل و الحفظ و إن بلغ الغايه لأن التعطيل يؤدى إلى الكساله و هى إلى انقطاع فيوضات عالم القدس، فتتسلخ الصوره الإنسانيه و تحصل الهلاكه الأبدية، و السعى يوجب ازدياد تجرد النفس و صفائها و الأنس بالحق و الألف بالصدق (1)، فيتنفر عن الكذب و الباطل، و يتصاعد فى مدارج الكمالات و مراتب السعادات، حتى تنكشف له الأسرار الإلهيه و الغوامض الربانيه، و يتشبه بالروحانيات القادسه و ينخرط فى سلك الملائكه المقدسه. و يجب أن يكون سعيه فى أمور الدنيا بقدر الضروره، و يحرم على نفسه تحصيل الزائد، لأنه لا شقاوه أشد من صرف الجوهر الباقي النوراني فى تحصيل الخزف الفانى الظلماني الذى يفوت عنه و ينتقل إلى أعدائه من الوارث و غيرهم.

ص: ١٢٩

(١-١) كذا فى النسخ. و الصحيح «للصدق».

## (و منها) أن يحترز عما يهيج الشهوه و الغضب رؤيه و سماعا و تخيلا،

و من هيجهما كمن هيج كلبا عقورا أو فرسا شموسا، ثم يضطر إلى تدبير الخلاص عنه. و إذا تحركتا بالطبع فليقتصر في تسكينهما بما يسد الخله و لا ينافى حفظ الصحه، و هو القدر الذي جوزه العقل و الشريعة.

## (و منها) أن يستقصى في طلب خفايا عيوب نفسه،

و إذا عثر على شيء منها اجتهد في إزالته. و لما كانت النفس عاشقه لصفاتهما و أفعالها، فكثيرا ما يخفى عليها بعض عيوبها، فيلزم على كل طالب للصحه و حافظها أن يختار بعض أصدقائه ليتفحص عن عيوبه و يخبره بما اطلع عليه، و إذا أخبره بشيء منها فليفرح و ليبادر إلى إزالته حتى يثق صديقه بقوله، و يعلم أن إهداء شيء من عيوبه إليه أحسن عنده من كل ما يحبه و يهواه، و ربما كان العدو في هذا الباب أنفع من الصديق، لأن الصديق ربما يستر العيب و لا يظهره، و العدو مصر على إظهاره، بل ربما يتجاوز إلى البهتان، فإذا أظهر الأعداء عيوبه فليشكر الله على ذلك و ليبادر إلى رفعها و قمعها.

و مما ينفع في المقام أن يجعل صور الناس مرآيا لعيوبه و يتفقد عيوبهم، و إذا عثر على عيب منهم تأمل في قبحه، و يعلم أن هذا العيب إذا صدر عنه يكون قبيحا و يدرك غيره هذا القبح، فليجتهد في إزالته. و ينبغي أن يحاسب نفسه في آخر كل يوم و ليله، و يتفحص عن جميع ما صدر من الأفعال فيهما فإن لم يصدر عنه شيء من القبائح و الذمائم فليحمد الله على حسن تأييده، و إن صدر عنه شيء من ذلك فليعاتب نفسه و يتوب، و يجتهد في ألا يصدر عنه بعد ذلك مثله.

(تنبيه) قد تبين أن للطب الروحاني أسوه بالطب الجسماني. و القانون في معالجه الأمراض الجسمانيه أن يعرف جنس المرض أولًا ثم الأسباب و العلامات، ثم يبين كيفية العلاج. و العلاج فيه إما كلي يتناول جميع الأمراض، أو جزئي يختص بمرض دون مرض، فكذلك الحال في الطب الروحاني. و نحن نشير إلى ذلك في فصول:

### فصل (طريق معرفه الأمراض النفسانيه)

الأمراض النفسانيه هي انحرافات الأخلاق عن الاعتدال. و طريق معرفتها: أنك قد عرفت أن القوى الإنسانيه محصوره في أنواع ثلاثه:

(أحدها) قوه التمييز، (و ثانيها) قوه الغضب و يعبر عنها بقوه الدفع، (و ثالثها) قوه الشهوه و يعبر عنها بقوه الجذب. و انحراف كل منها إما في الكمييه او في الكيفيه، و الانحراف في الكمييه إما للزياده من الاعتدال أو للنقصان عنه، و الانحراف في الكيفيه إنما يكون برداءتها. فأمرض كل قوه إما بحسب الإفراط أو التفريط، أو بحسب رداءه الكيفيه.

فالإفراط في قوه التمييز: كالجزبه و الدهاء، و التجاوز عن حد النظر، و المبالغه في التنقير (1)، و التوقف في غير موضعه للشبه الواهيه، و الحكم على المجردات بقوه الوهم، و إعمال الذهن في إدراك ما لا يمكن دركه، و التفريط فيه كالبلاهه، و قصور النظر عن درك مقدار الواجب، كإجراء أحكام المحسوسات على المجردات. و الرداءه كالسفسطه في الاعتقاد، و الميل

ص: ١٣١

إلى العلوم الغير اليقينيّه-كعلم الجدل و الخلاف-أزيد مما يميل إلى اليقينيّات و استعمالهما في مقام اليقينيّات،و الشوق إلى علم الكهان و الشعبه و أمثالهما للوصول إلى الشهوات الخسيسه.

و أما الإفراط في قوه الدفع:كشده الغضب و الغيظ و فرط الانتقام بحيث يتشبه بالسباع.و أما التفريط،كعدم الغيره و الحميه و التشبه بالأطفال و النسوان في الأخلاق و الصفات.و أما الرداءه فيها:كالغيظ على الجمادات و البهائم أو على الناس لا بسبب موجب للانتقام.

و أما الإفراط في قوه الجذب:فكالحرص على الأكل و الجماع أزيد من قدر الضروره.و التفريط فيه:فكالفتور عن تحصيل الأقوات الضروريه و تضييع العيال و الخمود عن الشهوه حتى ينقطع عنه النسل.أما الرداءه فيها:كشهوّه الطين و الميل إلى مقاربه الذكور.

ثم إنك قد عرفت أن أجناس الفضائل أربعه،فأجناس الرذائل بحسب الكميّه ثمانيه،لكل فضيله ضدان كل منهما ضد للآخر،و بحسب الكيفيه أربعه،و يحصل من تركيبها و امتزاجها أنواع و أصناف لا يعد كثره،كما عرفت أكثرها.

### **فصل (أسباب الأمراض النفسانيه)**

اعلم أن أسباب الانحراف في الأخلاق،إما نفسيه حاصله في النفس في بدو فطرتها،أو حادثه من مزاولتها للأعمال الرديه،أو جسميه-و هي الأمراض الموجهه لبعض الملكات الرديه-و السر في ذلك أن النفس لما كانت متعلقه بالبدن علاقته ارتباطيه،فيتأثر كل منهما بتأثر الآخر،و كل

كيفيه تحدث في أحدهما تسرى في الآخر، كما أن غضب النفس أو تعشقها يوجب اضطراب البدن و ارتعاشه، و تأثر البدن بالأمراض، (لا) سيما إذا حدثت في الأعضاء الرئيسيه يوجب النقص في إدراك النفس و فساد تخيلها و كثيرا ما يحدث من بعض الأمراض السوداويه فساد الاعتقاد و الجبن و سوء الظن، و من بعضها التهور، و يحصل من أكثر الأمراض سوء الخلق.

### فصل (المعالجات الكليه لمرض النفس)

سبب الانحراف إن كان مرضا جسمانيا فيجب أن يبادر إلى إزالته بالمعالجات الطبيه، و إن كان نفسانيا فالمعالجه الكليه هنا كالمعالجه الكليه في الطب الجسماني. و المعالجه الكليه فيه أن يعالج المرض أولا بالغذاء الذي هو ضد المرض طبعاً، كأن يعالج المرض البارد بالغذاء الحار، فإن لم ينفع فبالدواء و إن لم ينجع فبالسمومات، و إن لم يحصل بها البرء فبالكى أو القطع، و هو آخر العلاج. فالقانون الكلى في المعالجه هنا أيضا كذلك، و هو أن يبادر بعد معرفه الانحراف إلى تحصيل الفضيله التي هي ضده، و المواظبه على الأفعال التي هي آثارها، و هذا بمنزله الغذاء المضاد للمرض، فكما أن حصول الحراره في المزاج يدفع البروده الحادثه فيه. فكذا كل فضيله تحدث في النفس تزيل الرذيله التي هي ضدها. فإن لم ينفع فليوبخ النفس و يعيرها على هذه الرذيله فكرا أو قولاً أو عملاً، و يعاتبها و يخاطبها بلسان الحال و المقال: أيتها النفس الأماره قد هلكت و تعرضت لسخط الله و غضبه، و عن قريب تعذبن في النار مع الشياطين و الأشرار. فإن لم يؤثر ذلك فليرتكب آثار الرذيله التي هي ضد هذه الرذيله، بشرط محافظه التعديل، فصاحب الجبن مثلاً يعمل

أعمال المتهورين، فيخوض في المخاوف والأهوال، و يلقي نفسه في موارد الحذر والأخطار. و صاحب البخل يكثر من بذل الأموال، بشرط أن يكف إذا قرب زوال الجبن و البخل لئلا يقع في التهور و الإسراف، و هذا بمنزله المداواه بالسّم. فإن لم ينفع ذلك لقوه استحكام المرض فليعذب النفس بأنواع التكاليف الشاقه و الرياضات المتعبه المضعفه للقوه الباعثه على هذه الرذيله، و هذا بمثابة الكى و القطع، و هو آخر العلاج.

### المعالجات الخاصه لمرض النفس

(تنبيه) لما عرفت المعالجه الكليه الشامله لجميع الرذائل بأجناسها و أنواعها و أصنافها، فلنشتغل الآن ببيان معالجه كل من الرذائل بخصوصه.

و قد عددنا قبل ذلك ما يتعلق بالقوى الثلاث من الرذائل و أضدادها من الفضائل مما له اسم مشهور، فهنا نذكر معالجه كل رذيله بخصوصها، و نذيله بذكر ما يضادها من الفضيله، و ما ورد في مدحها عقلا و نقلا، لأن العلم بمعرفه كل فضيله و حسنه أعون شىء على إزاله ما يضادها من الرذيله. و ربما كانت جمله من الرذائل المختلفه فى الاسم مشتركه فى المعالجه، و ربما كان للرذائل أو الفضائل المتعدده ضد واحد منهما، فنحن نشير إلى ذلك، و نشير أيضا فى تلو كل رذيله و فضيله إلى ما يتولد منهما من أفعال الجوارح مع معالجه- إن كان له ذلك- و نراعى الترتيب المذكور فى مقام الإجمال: فنذكر أولا ما يتعلق بالقوه العاقله من الجنسين و أنواعهما، ثم ما يتعلق بالقوه الغضبيه، ثم ما يتعلق بالشهويه، ثم ما يتعلق بالثلاث و الاثنين منها، فهنا أربعة مقامات:

الجريزه و علاجها-الجهل البسيط و علاجه-شرف العلم و الحكمه-آداب التعلم و التعليم-العلم الإلهى و الأخلاق و الفقه أشرف العلوم-أصول العقائد المجمع عليها-الجهل المركب و الشك-اليقين-علامات صاحبه-مراتب اليقين-الشرك-التوحيد-التوكل على الله-حق التوكل بما ذا يحصل-مناجاه السر لأرباب القلوب-الخواطر النفسانيه و الوسوس-أقسام الخواطر و منها الإلهام-المطارده بين جندى الملائكه و الشياطين فى معركة النفس-العلائم الفارقه بين الإلهام و الوسوسه-علاج الوسوس-ما يتم به علاج الوسوس-ما يتوقف قطع الوسوس عليه-حديث النفس لا مؤاخذه عليه-الخاطر المحمود و التفكير-مجارى التفكير فى العوالم و المخلوقات

إشارة

(١)

[فأولهما]:

الجريزه

الموجبه للخروج فى الفكر عن الحد اللائق و عدم استقامه الذهن على شىء بل لا يزال يستخرج أمورا دقيقه غير مطابقه للواقع و يتجاوز عن الحق و لا يستقر عليه، و ربما أدى فى العقلیات إلى الإلحاد و فساد الاعتقاد، بل إلى نفي حقائق الأشياء رأسا كما للسوفسطائيه، و فى الشرعیات إلى الوسواس. (و علاجه) بعد تذكر قبحه و إيجابه للهلاك، أن يكلف نفسه على الاستقامه على مقتضى الأدله المعبره عند أولى الأفهام المستقیمه، و لا يتجاوز عن معتقدات أهل الحق المعروفين بالتحقيق و استقامه القريحه، و لا يزال يكلف نفسه على ذلك حتى يعتاد القيام على الوسط. و ربما كان للاشتغال بالتعليمات نفع فى ذلك.

[و ثانيهما]:

إشارة

الجهل البسيط

و قد عرفت أنه من باب التفريط، و هو خلو النفس عن العلم من دون اعتقاد بكونها عالمه. و هو فى البدايه غير مذموم لتوقف التعلم عليه، إذ ما لم تعتقد النفس جهلها بالمعارف لم تنهض لتحصيلها. و أما الثبات عليه فهو من المهلكات العظیمه. و الطريق فى إزالته أمور: (الأول) أن يتذكر ما يدل على قبحه و نقصه عقلا، و هو أن يعلم أن الجاهل ليس إنسانا بالحقيقه، و إنما يطلق عليه الإنسان مجازا، إذ فضل الإنسان عن سائر الحيوانات إنما هو إدراك

ص: ١٣٦



الكلى المعبر عنه بالعلم، لمشاركتها معه فى سائر الأمور من الجسميه و القوى الغصبيه و الشهويه و الصوت و غير ذلك، فلو لا علمه بحقائق الأشياء و خواصها لكان حيوانا بالحقيقه، و لذا ترى أن من كان فى محل محاورات العلماء و كان جاهلا بأقوالهم لم يكن فرق بينه و بين البهائم بالنسبه إليهم. و أى هلاك أعظم من الخروج عن حدود الإنسانيه و الدخول فى حد البهيمة. (الثانى) أن يتذكر ما ورد فى الشريعه من الذم عليه مثل

قوله -صلى الله عليه و آله و سلم-: «سته يدخلون فى النار قبل الحساب لسته» و عد منهم أهل الرساتيق بالجهاله. (الثالث) أن يتذكر ما يدل على فضيله العلم عقلا و نقلا كما نذكره و إذا وقف على جميع ذلك فليتيقظ عن سنه الغفله، و يصرف فى إزالته الهمة و يجتهد فى تحصيل العلم عن أهاليه، و يصرف فيه أيامه و لياليه.

### فصل (شرف العلم و الحكمة)

قد علم أن ضد الجنسين -أى الجربزه و السفسطه و الجهل- هو الحكمة، أعنى العلم بحقائق الأشياء. فلنذكر أولا بعض ما يدل على شرافته عقلا و نقلا ترغيبا للطالين على السعى فى تحصيله و إزاله الجهل عن نفوسهم، فنقول:

لا ريب فى أن العلم أفضل الفضائل الكماليه و أشرف النعوت الجماليه، بل هو أجل الصفات الربويه و أجمل السمات الألوهيه، و هو الموصل إلى جوار رب العالمين و الدخول فى أفق الملائكه المقربين، و هو المؤدى إلى دار المقامه التى لا تزول و محل الكرامه التى لا تحول، و قد تطابق العقل و البرهان و إجماع أرباب الأديان على: أن السعاده الأبدية و القرب من الله سبحانه

لا يتيسران بدوننه، و أى شىء أفضل مما هو ذريعه إليهما. و أيضا قد ثبت فى الحكمة المتعالیه: أن العلم و التجرد متلازمان، فكلما تزداد النفس علما تزداد تجردا، و لا ريب فى أن التجرد أشرف الكمالات المتصوره للإنسان، إذ به يحصل التشبه بالملا الأعلى و أهل القرب من الله تعالى.

و من جملة العلوم معرفه الله التى هى السبب الكلى لإيجاد العالم العلوى و السفلى،

كما دل عليه الخبر القدسى: «كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق». على أن العلم لذيد فى نفسه محبوب فى ذاته، و ما يحصل منه من اللذو و الابتهاج قلما يحصل من غيره. و أسرفيه أن إدراك الأشياء و الإحاطه بها نوع تملك و تصرف لها، إذ تتقرر فى ذات المدرك حقائقها و صورها، و مثل هذا التملك لدوامه و جزئيه المدرك للمدرك أقوى من ملكيه الأعيان المبائنه لذات المالك الزائله عنه. و التحقيق: أن إطلاق الملكيه عليه مجازى، و النفس لكونها من سنخ عالم الربوبيه تحت القهر و الاستيلاء على الأشياء و الملكيه لها بأى نحو كان، إذ معنى الربوبيه التوحيد بالكمال و الاقتدار و الغلبه على الأشياء.

ثم من فوائد العلم فى الدنيا العز و الاعتبار عند الأخيار و الأشرار، و نفوذ الحكم على الملوك و أرباب الاقتدار، فإن طباع الأنام من الخاص و العام مجبوله على تعظيم أهل العلم و توقيرهم و وجوب إطاعتهم و احترامهم، بل جميع الحيوانات من البهائم و السباع مطيعه للإنسان مسخره له، لاختصاصه بقوه الإدراك و مزيد التمييز. و لو تصفحت آحاد الناس لم تجد أحدا له تفوق و زياده على غيره فى جاه أو مال أو غير ذلك إلا- و هو راجع إلى اختصاصه بمزيد تمييز و إدراك، و لو كان من باب المكر و الحيل.

هذا و ما يدل على شرافه العلم من الآيات و الأخبار أكثر من أن تحصي

نبذه منها قوله تعالى:

إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ

(١)

و قوله تعالى:

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

(٢)

و قوله تعالى:

وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا

(٣)

و قوله تعالى:

وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ

(٤)

و قول النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-: «اللهم ارحم خلفائي. قيل:

يا رسول الله! من خلفاؤك؟ قال: الذين يأتون من بعدى يروون حديثي و سنتي» .

و قوله -صلى الله عليه وآله وسلم- لأبي ذر: «جلوس ساعه عند مذاكره العلم أحب إلى الله تعالى من قيام ألف ليلة يصلى فى كل ليلة ألف ركعه و أحب إليه من ألف غزوه، و من قراءه القرآن كله اثنى عشر ألف مره و خير من عباده سنه صام نهارها و قام ليلها، و من خرج من بيته ليتمس بابا من العلم كتب الله عز و جل له بكل قدم ثواب نبي من الأنبياء، و ثواب ألف شهيد من شهداء بدر، و أعطاه الله بكل حرف يسمع أو يكتب مدينه فى الجنة و طالب العلم يحبه الله و تحبه الملائكه و النبيون، و لا يحب العلم إلا السعيد و طوبى لطالب العلم، و النظر فى وجه العالم خير من عتق ألف رقبه، و من

ص: ١٣٩

١-١ الفاطر، الآية: ٢٨.

٢-٢ الزمر، الآية: ٩.

٣-٣) البقره، الآيه: ٢٦٩.

٤-٤) العنكبوت، الآيه: ٤٣.

أحب العلم وجبت له الجنة، و يصبح و يمسى فى رضى الله، و لا يخرج من الدنيا حتى يشرب من الكوثر و يأكل من ثمره الجنة، و لا يأكل الدود جسده و يكون فى الجنة رفيق خضر عليه السلام».

و قول أمير المؤمنين عليه السلام: «إن كمال الدين طلب العلم و العمل به، و إن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال، و إن المال مقسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم، و قد ضمنه و سفى لكم، و العلم مخزون عند أهله فاطلبوه».

و قوله عليه السلام: «إذا مات مؤمن و ترك ورقه واحده عليها علم، تكون تلك الورقه سترا بينه و بين النار، و أعطاه الله بكل حرف عليها مدينه أوسع من الدنيا سبع مرات».

و قول سيد الساجدين على بن الحسين -عليهما السلام-: «لو يعلم الناس ما فى طلب العلم لطلبوه، و لو بسفك المهج و خوض اللج».

و قول الباقر عليه السلام: «عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد»

و قول الصادق عليه السلام: «لو يعلم الناس ما فى فضل معرفه الله تعالى ما مدوا أعينهم إلى ما متع به الأعداء من زهره الحياه الدنيا و نعيمها، و كانت دنياهم أقل عندهم مما يطؤون بأرجلهم، و لتنعموا بمعرفه الله و تلذذوا بها تلذذ من لم يزل فى روضات الجنان مع أولياء الله. إن معرفه الله تعالى أنس من كل وحشه، و صاحب من كل وحده، و نور من كل ظلمه، و قوه من كل ضعف و شفاء من كل سقم، قد كان قوم قبلكم يقتلون و يحرقون و ينشرون و تضيق عليهم الأرض برحبها، فما يردهم عما هم عليه شىء مما هم فيه من غير ترده و تروا من فعل ذلك بهم و لا أذى بما نعموا منهم:

إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ

(١)

ص: ١٤٠

(١ - ١) البروج، الآية: ٨.

فاسألوا ربكم درجاتهم، و اصبروا على نوائب دهركم تدرکوا سعيهم».

و عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام-عن النبي-صلى الله عليه و آله و سلم-أنه قال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم، فاطلبوا العلم في مظانه، و اقتبسوه من أهله، فإن تعلمه لله تعالى حسنه، و طلبه عباده، و المذاكره به تسبيح، و العمل به جهاد، و تعليمه من لا- يعلمه صدقه، و بذله لأهله قربه إلى الله، لأنه معالم الحلال و الحرام، و منار سبيل الجنه، و المؤمنس في الوحشه، و صاحب في الغربه و الوحده، و المحدث في الخلوه، و الدليل على السراء و الضراء، و السلاح على الأعداء. و الزين عند الأخلاء، يرفع الله به أقواما، و يجعلهم في الخير قاده، تقتبس آثارهم، و يقتدى بأفعالهم و ينتهى إلى آرائهم، ترغب الملائكه في خلتهم، و بأجنتها تمسهم، و في صلاتها تبارك عليهم، و يستغفر لهم كل رطب و يابس حتى حيتان البحر و هوامه و سباع البر و أنعامه. إن العلم حياه القلوب من الجهل، و ضياء الأبصار من الظلمه و قوه الأبدان من الضعف، يبلغ بالعبد منازل الأخيار و مجالس الأبرار و الدرجات العلى في الآخره و الأولى. الذكر فيه يعدل بالصيام و مدارسته بالقيام. به يطاع الرب و يعبد، و به توصل الأرحام، و يعرف الحلال و الحرام العلم إمام و العمل تابعه، يلهمه السعداء و يحرمه الأشقياء، فطوبى لمن لم يحرمه الله من حظه».

## آداب التعلم و التعليم

[تنبيه] لكل من التعلم و التعليم آداب و شروط:

## [أما آداب التعلم]:

**(فمنها) أن يجتنب المتعلم عن اتباع الشهوات و الهوى و الاختلاط بأبناء الدنيا.**

و لقد قال بعض الأكابر: «كما أن الحاسه الجليديه إذا كانت مثوفه

ص: ١٤١

برمد و نحوه فهى محرومه من الأشعه الفائضه عن الشمس، كذلك البصيره إذا كانت مءوفه بمتابعه الشهوات و الهوى و المخالطه بأبناء الدنيا فهى محرومه من إدراك الأنوار القدسيه و محجوبه عن ذوق اللذات الإنسيه».

### **(و منها) ان يكون تعلمه لمجرد التقرب إلى الله و الفوز بالسعادات الأخريه،**

و لم يكن باعته شيئاً من المراء و المجادله، و المباهاه و المفاخره، و الوصول إلى جاه و مال، أو التفوق على الأقران و الأمثال.

قال الباقر عليه السلام: «من طلب العلم ليباهى به العلماء أو يمارى به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس فليتبوأ مقعده من النار، إن الرئاسة لا تصلح إلا لأهلها»

و قال الصادق عليه السلام: «طلبه العلم ثلاثه، فاعرفهم بأعيانهم و صفاتهم صنف يطلبه للجهل (١) و المراء، و صنف يطلبه للاستطاله و الختل، و صنف يطلبه للفقه و العقل. فصاحب الجهل و المراء مؤذ ممار، متعرض للمقال فى أنديه الرجال بتذاكر العلم و صفه الحلم، و قد تسربل بالخشوع و تخلى من الورع، فذق الله من هذا خيشومه و قطع منه حيزومه، و صاحب الاستطاله و الختل ذو خب و ملق، يستطيل على مثله من أشباهه، و يتواضع للأغنياء من دونه، فهو لحلوانهم (٢) هاضم و لدينه حاطم، فأعمى الله على هذا خبره.

ص: ١٤٢

١-١) (الجهل) هنا بمعنى الجفاء و الغلظه.

٢-٢) قال الشيخ (ملا صالح المازندراني) فى تعليقه على أصول الكافى عن هذا الحديث: «الحلوان-بضم الحاء المهمله و سكون اللام- ما تأخذه الحكام و القضاة و الكاهن من الأجر و الرشوه على أعمالهم، يقال: حلوته أحلوه حلوانا، فهو مصدر كالغفران، و نونه زائده، و أصله من الحلأوه، و فى بعض النسخ (بحلوائهم)-بالهمزه بعد الألف-و الحلوا.-بالمد و القصر- ما يتخذ من الحلأوه».

وقطع من آثار العلماء أثره. وصاحب الفقه والعقل ذو كآبه و حزن و سهر، قد تحنك في برنسه و قام الليل في حنسه، يعمل و يخشى و جلا- داعيا مشفقا مقبلا- على شأنه عارفا بأهل زمانه مستوحشا من أوثق إخوانه، فشد الله من هذا أركانه و أعطاه يوم القيامة أمانه».

### (و منها) أن يعمل بما يفهم و يعلم،

فإن من عمل بما يعلم ورثه الله ما لم يعلم.

و قال الصادق عليه السلام: «العلم مقرون إلى العمل، من علم عمل و من عمل علم، و العلم يهتف بالعمل فإن أجابه و إلا ارتحل عنه».

و عن السجاد عليه السلام: «مكتوب في الإنجيل: لا- تطلبوا علم ما لا تعملون و لما تعملوا بما علمتم، فإن العلم إذا لم يعمل به لم يزد صاحبه إلا كفرا و لم يزدده من الله إلا بعدا».

و عن النبي-صلى الله عليه و آله و سلم-: «من أخذ العلم من أهله و عمل بعلمه نجا، و من أراد به الدنيا فهي حظه».

و عنه-صلى الله عليه و آله و سلم-: «العلماء رجالان: رجل عالم أخذ بعلمه فهذا ناج، و عالم تارك لعلمه فهذا هالك، و أن أهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه، و أن أشد أهل النار ندامه و حسره رجل دعا عبدا إلى الله فاستجاب له و قبل منه، فأطاع الله فأدخله الجنة، و أدخل الداعي النار بترك عمله (1) و اتباعه الهوى و طول الأمل، أما اتباع الهوى فيصد عن الحق و طول الأمل ينسى الآخرة».

### (و منها) أن يحافظ شرائط الخضوع و الأدب للمعلم،

و لا يرد عليه شيئا بالمواجهه، و يكون محبا له بقلبه، و لا ينسى حقوقه، لأنه والده المعنوي الروحاني، و هو أعظم الآباء الثلاثة.

قال الصادق عليه السلام: «اطلبوا

ص: ١٤٣

---

١- ١) صححناه على بعض نسخ أصول الكافي المصححه و في نسخ جامع السعادات هكذا: (بتركه علمه).



العلم و تزینوا معه بالحلم و الوقار، و تواضعوا لمن تعلمونه العلم، و تواضعوا لمن طلبتم منه العلم، و لا تكونوا علماء جبارین فیذهب باطلکم بحقکم».

هذا و قد أشرنا سابقا إلى أن اللازم لكل متعلم أن يطهر نفسه أولا من رذائل الأخلاق و ذمائم الأوصاف بأسرها، إذ ما لم يجرد لوح نفسه عن النقوش الرديه لم تشرق عليه لمعات أنوار العلم و الحكمة من ألواح العقول الفعالة القدسيه.

**(و أما آداب التعليم):**

**(فمنها) ان يخلص المعلم تعليمه لله سبحانه**

و لم يكن له فيه باعث دنيوى من طمع مالى أو جاه و رئاسه أو شهره بين الناس، بل يكون الباعث مجرد التقرب إلى الله تعالى و الوصول إلى المثوبات الأبدية، فإن من علم غيره علما كان شريكا، فى ثواب تعليم هذا الغير لآخر، و فى ثواب تعليم هذا الآخر لغيره... و هكذا إلى غير النهاية، فيصل بتعليم واحد إلى مثوبات التعاليم الغير المتناهيه، و كفى بهذا له فضلا و شرفا.

**(و منها) أن يكون مشفقا على المتعلم ناصحا له،**

مقتصرا فى الإفاده على قدر فهمه، متكلما معه باللين و الهشاشه لا بالغلظه و الفظاظه.

**(و منها) أن لا يرضن العلم من أهله و يمنعه عن غير أهله،**

لأن بذل الحكمة للجهاال ظلم عليها، و منعها عن أهلها ظلم عليهم، كما ورد فى الخبر (1).

**(و منها) أن يقول ما يعلم و يسكت عما لا يعلم**

حتى يرجع إليه و يعلمه، و لا يخبر المتعلمين ببيان خلاف الواقع. و هذا الشرط لا يختص بالمعلمين،

ص: ١٤٤

---

١ - ١) روى فى أصول الكافى فى باب بذل العلم عن الصادق عليه السلام: «قام عيسى بن مريم خطيبا فى بنى إسرائيل فقال: يا بنى إسرائيل! لا تحدثوا الجهاال بالحكمة فتظلموها و لا تمنعوها أهلها فتظلموهم».

بل يعم كل من تصدر عنه المسائل العلميه كالمفتى و القاضى و أمثالهما.

و قال الباقر عليه السلام: «حق الله على العباد أن يقولوا ما يعلمون و يقفوا عند ما لا يعلمون» (١)

و قال الصادق (ع): «إن الله تعالى خص عباده بآيتين من كتابه! ألا يقولوا حتى يعلموا و لا يردوا ما لم يعلموا، فقال:

أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ

(٢)

و قال! بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَاْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ (٣).

و عنه (ع)! «إذا سئل الرجل منكم عما لا يعلم، فليقل! إلا أدري، و لا يقل: الله أعلم، فيوقع فى قلب صاحبه شكاً. و إذا قال المسئول! إلا أدري، فلا يتهمه السائل».

و عنه (ع): «إياك و خصلتين ففيهما هلك من هلك إياك أن تفتى الناس برأيك، أو تدين بما لا تعلم»،

و عن الباقر (ع) «من أفتى الناس بغير علم و لا هدى لعنته ملائكة الرحمة و ملائكة العذاب و لحقه زر من عمل بفتياه».

و ربما كان لكل من المتعلم و المعلم آداب آخر تظهر لمن وقف على فن الأخلاق. ثم العارف بأهل زماننا يعلم أن آداب التعلم و التعليم كسائر الآداب و الفضائل فيهم مهجوره، و الأمر فى مثل الزمان كما قال فى وصفه بعض أهل

ص: ١٤٥

١ - ١) الحديث المروى فى أصول الكافى هكذا: «عن زراره بن أعين قال سألت أبا جعفر - عليه السلام - ما حق الله على العباد؟ قال: أن يقولوا ما يعلمون...» الى آخر الحديث.

٢ - ٢) الأعراف، الآية

٣ - ٣) يونس، الآية: ٣٩.

العرفان!«قد فسد الزمان و أهله،و تصدى للتدريس من قل علمه و كثر جهله، فانحطت مرتبه العلم و أصحابه،واندرست مراسمه بين طلابه».

### تتميم (العلم الإلهي و علم الأخلاق و الفقه أشرف العلوم)

العلم كله و إن كان كمالا- للنفس و سعادته،إلا- أن فنونه متفاوتة في الشرافه و الجمال و وجوب التحصيل و عدمه،فإن بعضها كالطب و الهندسه و العروض و الموسيقى و أمثالها،مما ترجع جل فائدته إلى الدنيا و لا يحصل بها مزيد بهجه و سعادته في العقبى،و لذا عدت من علوم الدنيا دون الآخرة،و لا يجب تحصيلها،و ربما وجب تحصيل بعضها كفايه.

و ما هو علم الآخرة الواجب تحصيله،و أشرف العلوم و أحسنها هو العلم الإلهي المعروف لأصول الدين،و علم الأخلاق المعروف لمنجيات النفس و مهلكاتها، و علم الفقه المعروف لكيفية العبادات و المعاملات،و العلوم التي مقدمات لهذه الثلاثة كالعربية و المنطق و غيرها ما يتصف بالحسن و وجوب التحصيل من باب المقدمه،و هذه العلوم الثلاثة و إن وجب أخذها إجمالا إلا أنها في كيفية الأخذ مختلفه!فعلم الأخلاق يجب أخذه عينا على كل أحد على ما بينته الشريعة و أوضحه علماء الأخلاق،و علم الفقه يجب أخذ بعضه عينا إما بالدليل أو التقليد من مجتهد حي،و التارك للطريقين غير معذور،و لذا ورد الحث الأكيد على التفقه في الدين،

قال الصادق(ع)!«عليكم بالتفقه في دين الله و لا تكونوا أعرابا،فإنه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر إليه يوم القيامة و لم يزك له عملا»،

و قال!«ليت الشياطين على رءوس أصحابي حتى يتفقهوا في الحلال و الحرام»،

و قال(ع)!«إن آية الكذاب أن يخبرك خبر السماء و الأرض و المشرق و المغرب،فإذا سألته عن حرام الله و حلاله لم يكن

و أما أصول العقائد فيجب أخذها عينا من الشرع و العقل، و هما متلازمان لا يتخلف مقتضى أحدهما عن مقتضى الآخر، إذ العقل هو حجة الله الواجب امتثاله و الحاكم العدل الذى تطابق أحكامه الواقع و نفس الأمر، فلا يرد حكمه، و لولاه لما عرف الشرع،

و لذا ورد! «أنه ما أدى العبد فرائض الله حتى عقل عنه، و لا بلغ جميع العابدين فى فضل عبادتهم ما بلغ العاقل»

### (١)

،فهما متعاضدان و متظاهران، و ما يحكم به أحدهما يحكم به الآخر أيضا، و كيف يكون مقتضى الشرع مخالفا لمقتضى ما هو حجه قاطعه و أحكامه للواقع مطابقه، فالعقل هو الشرع الباطن و النور الداخلى، و الشرع هو العقل الظاهر و النور الخارج، و ما يتراءى فى بعض المواضع من التخالف بينهما إنما هو لقصور العقل أو لعدم ثبوت ما ينسب إلى الشرع منه، فإن كل عقل ليس تاما، و كلما ينسب إلى الشرع ليس ثابتا منه، فالمناط هو العقل الصحيح و ما ثبت قطعا من الشريعة، و أصح العقول و أقواها و أمتنها و أصفها هو عقل صاحب الوحي، و لذا يدرك بنوريته ما لا- سبيل لأمثال عقولنا إلى دركه، كتفاصيل أحوال نشأه الآخره، فاللازم فى مثله أن نأخذه منه إذعانا و إن لم نعرف مأخذه العقلى.

### أصول العقائد المجمع عليها

ثم ما أجمعت الأمة المختاره عليه من أصول العقائد هو! أن الواجب سبحانه موجود، و أنه واحد فى الألوهيه، و بسيط عن شوائب التركيب، و منزه عن الجسميه و عوارضها، و أن وجوده و صفاته عين ذاته، و أنه متقدم

ص: ١٤٧

١- ١) هذا الحديث رواه فى أصول الكافى عن النبى- صلى الله عليه و آله فى كتاب العقل و الجهل فصححناه عليه، و فى نسخ جامع السعادات اختلاف عما هنا.

على الزمان و المكان و متعال عنهما، و أنه حى قديم أزلى قادر مرید عالم بجميع الأشياء، و علمه بها بعد إيجادها كعلمه بها قبله، و لا يزداد بإحداثها علما، و أن قدرته عامه بالنسبه إلى جميع الممكنات، و أنه يخلق ما يشاء و يفعل ما يريد و لا يكون شىء إلا بمشيئته، و أنه عدل فى حكمه صادق فى وعده، و بالجمله مستجمع لجميع الصفات الكمالیه، و ليس كمثل شىء، و لا يتصور عقل و لا وهم مثله، بل هو تام فوق التمام.

و أن القرآن كلامه، و محمد-صلى الله عليه و آله و سلم-رسوله، ما أتى به من أمور النشأه الآخره من الجنه و النار و الحساب و الثواب و العقاب و الصراط و الميزان و الشفاعه و غير ذلك مما ثبت فى شريعته المقدسه حق ثابت، فيجب على كل مؤمن أن يأخذ بجميع ذلك و يتشبث به و يجرى باطنه له، بحيث لو أورد عليه ما ينقصه لم يقبله و لم يعرضه شك و ريب.

ثم إن المكلفين مختلفون فى كيفية التصديق و الإذعان بالعقائد المذكوره، فبعضهم فيها على يقين مثل ضوء الشمس، بحيث لو كشف عنهم الغطاء ما ازدادوا يقينا (١)، و بعضهم على يقين دون ذلك، و أقل هؤلاء رتبته أن تصل مرتبه يقينهم إلى طمأنينه لا اضطراب فيها، و بعضهم على مجرد تصديق ظنى يتزلزل من الشبهات و إلقاء النقيض، و إلى هذا الاختلاف

أشار الإمام محمد ابن على الباقر-عليهما السلام-بقوله «ان المؤمنين على منازل: منهم على واحده، و منهم على اثنتين، و منهم على ثلاث، و منهم على أربع، و منهم على خمس، و منهم على ست، و منهم على سبع، فلو ذهبت تحمل على صاحب الواحده ثنتين لم يقو،

ص: ١٤٨

---

١- ١) كما قال أمير المؤمنين-عليه الصلاه و السلام-: «لو كشف لى الغطاء ما ازددت يقينا».

و على صاحب الثنتين ثلاثا لم يقو... إلى آخره» (١).

و الإمام أبو عبد الله الصادق (ع) بقوله! «إن للإيمان حالات و درجات و طبقات و منازل، فمنه التام المنتهى تمامه، و منه الناقص البين نقصانه، و منه الراجح الزائد رجحانه» و لا ريب فى أن تحصيل ما يطمئن به القلب فى العقائد الواجبه أخذها مما لا بد منه لكل مكلف، و مجرد التصديق من غير اطمئنان القلب غير كاف للنجاه فى الأخرى و الوصول إلى مراتب المؤمنين. و مع حصول الاطمئنان تحصل النجاه و الفوز بالفلاح و إن لم يكن حصوله من تفاصيل البراهين الحكيمه و الدلائل الكلاميه، بل كان حاصلًا من دليل إجمالى برهانى أو إقناعى، إذ الشرع الشريف لم يكلف بأكثر من التصديق و الجزم بظاهر العقائد المذكوره، و لم يكلف البحث و التفتيش عن كفياتها و حقائقها و عن تكلف ترتيب الأدله فى نظمها، فلو حصل لأحد طمأنينه فى اتصاف الواجب بجميع الصفات الكماليه و براءته عن الصفات السلبيه، بمجرد أن عدم الاتصاف بالأولى و الاتصاف بالثانيه نقص لا يليق بذاته الأقدس، كان كافيا فى النجاه و الدخول فى زمرة المؤمنين. و كذا إذا حصل له ذلك بمجرد أن هذا مما اتفق عليه فرق الأنبياء و أساطين الحكماء و العلماء، و قوه عقولهم و دقه أفهامهم تأبى عن اتقاقهم على محض الخطأ. و قس على ذلك غيره مما يفيد الاطمئنان كائنا ما كان.

قال العلامة «الطوسى» -ره- فى بعض تصانيفه! «أقل ما يجب اعتقاده على المكلف هو ما ترجمه قول لا إله إلا الله محمد رسول الله، ثم إذا

ص: ١٤٩

١- ١) الحديث مروي فى أصول الكافى فى باب درجات الإيمان و بقيته: «و على صاحب الثلاث أربعا لم يقو، و على صاحب الأربع خمسا لم يقو، و على صاحب الخمس ستا لم يقو، و على صاحب الست سبعا لم يقو... و على هذه الدرجات».

صدق الرسول ينبغي أن يصدق في صفات الله و اليوم الآخر و تعيين الإمام المعصوم، كل ذلك مما يشتمل عليه القرآن من غير مزيد برهان! أما في صفات الله فبأنه حي عالم قادر مرید متكلم ليس كمثل شىء و هو السميع البصير، و اما في الآخرة فبالإيمان بالجنة و النار و الصراط و الميزان و الحساب و الشفاعة و غيرها، و لا يجب عليه أن يبحث عن حقيقه الصفات، و أن الكلام و العلم و غيرها حادث أو قديم، بل لو لم تخطر هذه بياله و مات مات مؤمنا، فإن غلب على قلبه شك أو إشكال، فإن أمكن إزالته بكلام قريب من الأفهام و إن لم يكن قويا عند المتكلمين و لا مرضيا فذلك كاف، و لا حاجة إلى تحقيق الدليل، فإن الدليل لا يتم إلا- بذكر الشبهه و الجواب، و مهما ذكرت الشبهه لا- يؤمن أن تتشبه بالخاطر و القلب فيظنها حقه لقصوره عن إدراك جوابها، إذ الشبهه قد تكون جليه و الجواب دقيقا لا يحتمله عقله، و لذا ورد الزجر عن البحث و التفتيش في الكلام، و إنما زجر ضعفاء العوام، و أما أئمة الدين فلهم الخوض في غمره الإشكالات. و منع العوام عن الكلام يجرى مجرى منع الصبيان عن شاطئ دجله خوفا من الغرق، و رخصه الأقوياء فيه أيضا هي رخصه الماهر في صنعه السباحه، إلا أن ههنا موضع غرور و منزله قدم، و هو أن كل ضعيف في عقله يظن أنه يقدر على إدراك الحقائق كلها، و أنه من جمله الأقوياء فرما يخوضون و يغرقون في بحر الجهالات من حيث لا يشعرون، فالصواب منع الخلق كلهم- إلا الشاذ النادر الذي لا تسمح الأعصار إلا بواحد منهم أو اثنين- من تجاوز سلوك أهل العلم في الإيمان المرسل و التصديق المجمل بكل ما أنزل الله و أخبر به رسول الله- صلى الله عليه و آله و سلم- فمن اشتغل بالخوض فيه فقد أوقع نفسه في شغل شاغل، إذ

قال رسول الله -صلى الله عليه و آله و سلم- حين رأى أصحابه يخوضون، بعد أن غضب حتى

احمرت وجنتاه! أ فبهذا أمرتم؟ تضربون كتاب الله بعضه ببعض! انظروا فيما أمركم الله فافعلوا و ما نهاكم عنه فانتهوا» فهذا على تنبيه منهج الحق.

ثم لا- ريب فى أن نورانيه اليقين و وضوحه، بل و اطمئنان القلب و سكونه. لا يحصل من مجرد صنعه الجدل و الكلام، كما لا يحصل من محض التلقين و تقليد العوام. بل (الأول)- أعنى الاستضاءه بنور اليقين- يتوقف على ملازمه الورع و التقوى، و فطام النفس عن الهوى و إزاله كدرتها و صدأها! وَ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (١).

و تطهيرها عن ذمائم الصفات و الاشتغال بمشاق الرياضه و المجاهدات، حتى يقذف فى قلبه نور إلهى تنكشف به الحجب و الأستار عن حقائق هذه العقائد، و هو غايه مقصد الطالبين و قره عيون الصديقين و المقربين و له درجات و مراتب، و الناس فيه مختلفون بحسب اختلافهم فى القوه و الاستعداد و السعى و الاجتهاد، كما هم مختلفون فى إدراك أنواع العلوم و الصنائع «و كل ميسر لما خلق له» (٢).

و أما (الثانى)- أعنى مجرد الاعتقاد الجازم الراسخ بظواهر تلك العقائد- فيمكن أن يحصل بما دون ذلك، بأن يشتغل -بعد تلقين هذه العقائد و التصديق بها- بوظائف الطاعات، و يصرف برهه من وقته فى شرائف العبادات، و يواظب على تفسير القرآن و تلاوته، و درس الحديث و درايته، و يحترز عن مخالطه أولى المذاهب الفاسده و ذوى الآراء الباطله، بل يجتنب كل الاجتناب عن مرافقه أرباب الهوى و أصحاب الشر و الشقاء، و يختار مصاحبه أهل الورع و اليقين، و مجالسه الأتقياء و الصالحين، و يلاحظ سيماهم و سيرتهم و هيئاتهم فى الخضوع لله و الاستكانه، فيكون التلقين كالقاء البذر فى

ص: ١٥١

١- (١) الشمس، الآية: ٩.

٢- (٢) حديث نبوى شريف مشهور تقدم ذكره صفحه (٢٦).



الصدر، وهذه الأمور كالسقى و التريبيه له، فينمو ذلك البذر بها و يتقوى و يزداد رسوخا، حتى يرتفع شجره طيبه راسخه أصلها ثابت و فرعها فى السماء. ثم من وصل إلى مقام العقيدة الجازمه إن اشتغل بالشواغل الدنيويه و لم يشتغل بالرياضه و المجاهده لم ينكشف له غيره، و لكنه إذا مات مات مؤمنا على الحق و سلم فى الآخره، و إن اشتغل بتصقيل النفس و ارتياضها انشرح صدره و انفتح له باب الإفاضه، و وصل إلى المرتبه الأولى.

## أنواع الرذائل المتعلقة بالعاقله

### إشاره

أما الأنواع المتعلقة بالعاقله

### فمنها:

#### الجهل المركب

و هو خلو النفس عن العلم و إذعانها بما هو خلاف الواقع، مع اعتقاد كونها عالمه بما هو الحق، فصاحبه لا يعلم، و لا يعلم أنه لا يعلم، و لذا سمي مركبا. و هو أشد الرذائل و أصعبها، و إزالته فى غايه الصعوبه، كما هو ظاهر من حال بعض الطلبة. و قد اعترف أطباء النفوس بالعجز عن معالجته كما اعترف أطباء الأبدان بالعجز عن معالجه بعض الأمراض المزمنه،

و لذا قال عيسى عليه السلام:- «إنى لا أعجز عن معالجه الأكمه و الأبرص و أعجز عن معالجه الأحمق». و السر فيه! أنه مع قصور النفس بهذا الاعتقاد الفاسد لا يتنبه على نقصانها، فلا يتحرك للطلب، فيبقى فى الضلاله و الردى ما دام باقيا فى دار الدنيا. ثم إن كان المنشأ له اعوجاج السليقه فأنفع العلاج له تحريض صاحبه على تعلم العلوم الرياضيه من الهندسه و الحساب، فإنها موجب له لاستقامه الذهن لألفه لأجلها باليقينيات فيتنبه على خلل اعتقادها، فيصير جهلها بسيطا، فينتهض للطلب. و إن كان خطأ فى الاستدلال، فليوازن استدلاله لاستدلالات أهل التحقيق و المشهورين باستقامه القريحه، و يعرض

ص: ١٥٢

أدله المطلوب على القواعد الميزانية باحتياط تام و استقصاء بليغ، حتى يظهر خطأه. و إن كان مانع من عصبية أو تقليد أو غير ذلك فليجتهد في إزالته.

## و منها الشك و الحيره

### اشاره

و هو من باب رداءه الكيفيه و هو عجز النفس عن تحقيق الحق و إبطال الباطل فى المطالب الخفيه، و الغالب حصوله من تعارض الأدله، و لا ريب أنه مما يهلك النفس و يفسدها، إذ الشك ينافى اليقين الذى لا يتحقق الإيمان بدونه.

قال أمير المؤمنين -عليه السلام- فى بعض خطبه: «لا ترتابوا فتشكوا و لا تشكوا فتكفروا، و كأن الارتياب فى كلامه -عليه السلام- مبدأ الشك.

و قال الباقر -عليه السلام-: «لا ينفع مع الشك و الجحود عمل».

و قال الصادق -عليه السلام-: «إن الشك و المعصيه فى النار ليس منا و لا إلينا».

و سئل -عليه السلام- عن قول الله تعالى! الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ (١).

قال: «بشك».

و قال -عليه السلام-: «من شك فى الله تعالى بعد مولده على الفطره لم يفئ إلى خير أبدا».

و قال -عليه السلام-: «من شك أو ظن فأقام على أحدهما احبط الله عمله، إن حجه الله هى الحجه الواضحه».

و قال -عليه السلام-: «من شك فى الله تعالى و فى رسوله -صلى الله عليه و آله و سلم- فهو كافر». و بمضمونه وردت أخبار آخر. و غير خفى أن المراد بالشك ما يضعف الاعتقاد و يزيل اليقين لا مجرد الوسوسه و حديث النفس، لما يأتى أنه لا ينافى الإيمان، بل الظاهر من بعض الأخبار أن إيجاب الشك للكفر إذا انجر إلى الجحود،

كما روى أن أبا بصير سأل الصادق -عليه السلام- ما تقول فىمن شك فى الله تعالى؟ قال: «كافر»،

ص: ١٥٣

قال: فشك في رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -؟ قال «كافر»، ثم التفت إلى زواره فقال: «انما يكفر إذا جحد».

ثم علا -جه أن يتذكر أولاً - فضيه بديهيه، هي: أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان، ومنه يعلم إجمالاً أن أحد الشقوق العقليه المتصوره فى المطلوب ثابت فى الواقع و نفس الأمر و البواقى باطله، ثم يتصفح المقدمات المناسبه للمطلوب و يعرضها على الأقيسه المنطقيه باستقصاء بليغ و احتياط تام فى كل طرف، حتى يقف على موضع الخطأ و يجزم بحقيه أحد الشقوق و بطلان الآخر. و الغرض من وضع المنطق (لا) سيما مباحث القياسات السوفسطائيه المشتمله على المغالطات إزاله هذا المرض. و لو كان ممن لا - يقتدر على ذلك، فالعلاج فى حقه أن يواظب على العباده و قراءه القرآن، و يشتغل بمطالعه الأحاديث و سماعها من أهلها، و يجالس الصلحاء و المتقين و أصحاب الورع و أهل اليقين، لتكتسب نفسه بذلك نورانيه يدفع بها ظلمه شكه.

### وصل اليقين

قد عرفت: أن ضد الجهل المركب و الحيره و الشك هو (اليقين)، و أول مراتبه اعتقاد ثابت جازم مطابق للواقع غير زائل بشبهه و إن قويت، فالاعتقاد الذى لا - يطابق الواقع ليس يقيناً، و إن جزم به صاحبه و اعتقد مطابقتة للواقع، بل هو - كما أشير إليه - جهل مركب ينشأ عن اعوجاج القريحه، أو خطأ فى الاستدلال، أو حصول مانع من إفاضه الحق كتقليد أو عصبية أو غير ذلك. فاليقين من حيث اعتبار الجزم فيه يكون ضد الحيره و الشك، و من حيث اعتبار المطابقه للواقع فيه يكون ضد الجهل المركب.

ثم العلم إن لم يعتبر فيه المطابقه للواقع ففرقه عن اليقين ظاهر، و إلا

فيتساويان و يتشاركان في المراتب المثبتة لليقين.

هذا و متعلق اليقين إما أجزاء الإيمان و لوازمه، من وجود الواجب و صفاته الكماليه و سائر المباحث الإلهيه من النبوه و أحوال النشأ الآخره، أو غيرها من حقائق الأشياء التي لا يتم الإيمان بدونها. و لا ريب في أن مطلق اليقين أقوى أسباب السعاده، و إن كان اليقين في المباحث الإلهيه أدخل في تكميل النفس و تحصيل السعاده الأخرويه، لتوقف الإيمان عليه، بل هو أصله و ركنه، و غيره من المراتب فرعه و غصنه، و النجاه في الآخره لا تحصل إلا به، و الفاقد له خارج عن زمرة المؤمنين داخل في حزب الكافرين.

و بالجمله: اليقين أشرف الفضائل الخلقيه و أهمها، و أفضل الكمالات النفسيه و أعظمها، و هو الكبريت الأحمر الذي لا يظفر به إلا أوحدي من أعظم العرفاء أو ألمعى من أكابر الحكماء. و من وصل إليه فاز بالرتبه القصوى و السعاده العظمى.

قال سيد الرسل -صلى الله عليه و آله و سلم-: «أقل ما أوتيتم اليقين و عظيمه الصبر، و من أوتى حظه منهما لم يبال ما فاته من صيام النهار و قيام الليل»،

و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-: «اليقين الإيمان كله»

و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-: ما آدمى إلا -و له ذنوب، و لكن من كانت غريزته العقل و سجيته اليقين لم تضره الذنوب، لأنه كلما أذنب ذنبا تاب و استغفر و ندم فتكفر ذنوبه و يبقى له فضل يدخل به الجنة».

و قال الصادق -عليه السلام-! «إن العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند الله تعالى من العمل الكثير على غير يقين»،

و عنه عليه السلام-! «إن الله تعالى بعدله و قسطه جعل الروح و الراحة في اليقين و الرضا، و جعل الهم و الحزن في الشك و السخط».

و في وصيه لقمان لابنه: «يا بني! لا يستطاع العمل إلا باليقين، و لا يعمل المرء إلا بقدر يقينه، و لا يقصر عامل حتى ينقص يقينه».

ثم لصاحب اليقين علامات!

**(منها) ألا يلتفت في أموره إلى غير الله سبحانه.**

و لا- يكون اتكاله في مقاصده إلا- عليه، و لا- ثقته في مطالبه إلا- به. فيتبرى عن كل حول و قوه سوى حول الله و قوته، و لا يرى لنفسه و لا- لأبناء جنسه قدره على شىء و لا- منشأيه لأثر. و يعلم أن ما يرد عليه منه تعالى و ما قدر له و عليه من الخير و الشر سيساق إليه أفتستوى عنده حاله الوجود و العدم. و الزيادة و النقصان و المدح و الذم. و الفقر و الغنى. و الصحة و المرض. و العز و الذل. و لم يكن له خوف و رجاء إلا منه تعالى. و السر فيه: أنه يرى الأشياء كلها من عين واحده هو مسبب الأسباب. و لا يلتفت إلى الوسائط، بل يراها مسخره تحت حكمه

قال الإمام أبو عبد الله- عليه السلام-! «من ضعف يقينه تعلق بالأسباب، و رخص لنفسه بذلك، و اتبع العادات و أقاويل الناس بغير حقيقه، و السعى في أمور الدنيا و جمعها و إمساكها، مقرا باللسان أنه لا مانع و لا معطى إلا الله، و أن العبد لا يصيب إلا ما رزق و قسم له، و الجهد لا يزيد في الرزق، و ينكر ذلك بفعله و قلبه، قال الله سبحانه:

يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ

(١)

ص: ١٥٦

١- ١) الآيه من سوره آل عمران: ١٦١ و هذا الحديث منقول عن (مصباح الشريعة و مفتاح الحقيقه) المنسوب إلى الصادق- عليه السلام- و هذا الكتاب قال فيه المجلسي- قدس سره- في مقدمه البحار: «فيه ما يريب اللبيب الماهر، و اسلوبه لا يشبه سائر كلمات الأئمه و آثارهم»، ثم قال! «و إن سنده ينتهى إلى الصوفيه و لذا اشتمل على كثير من اصطلاحاتهم و على الروايه عن مشايخهم».

و قال-عليه السلام-! «ليس شيء الا و له حد» قيل!فما حد التوكل؟قال!«اليقين»،قيل!فما حد اليقين؟قال!«ألا تخاف مع الله شيئا».

و عنه-عليه السلام-! «من صحه يقين المرء المسلم ألا- يرضى الناس بسخط الله و لا يلومهم على ما لم يؤته الله فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص و لا ترده كراهيه كاره،و لو أن أحدكم فرّ من رزقه كما يفرّ من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت».

### (و منها) أن يكون في جميع الأحوال خاضعا لله سبحانه.

خاشعا منه، قائما بوظائف خدمته في السر و العلن، مواظبا على امثال ما أعطته الشريعة من الفرائض و السنن، متوجها بشراشره إليه، متخضعا متذللا بين يديه، معرضا عن جميع ما عداه، مفرغا قلبه عما سواه، منصرفا بفكره إلى جناب قدسه، مستغرقا في لجه حبه و أنسه، و السر أن صاحب اليقين عارف بالله و عظمته و قدرته، و بأن الله تعالى مشاهد لأعماله و أفعاله، مطلع على خفايا ضميره و هواجس خاطره، و أن:

مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (١).

فيكون دائما في مقام الشهود لديه و الحضور بين يديه، فلا- ينفك لحظه عن الحياء و الخجل و الاشتغال بوظائف الأدب و الخدمة، و يكون سعيه في تخليه باطنه عن الرذائل و تحليته بالفضائل لعين الله الكالته أشد من تزيين

ص: ١٥٧

ظاهره لأبناء نوعه.

و بالجمله: من يقينه بمشاهدته تعالى لأعماله الباطنه و الظاهره و بالجزاء و الحساب، يكون أبدا في مقام امتثال أوامره و اجتناب نواهيه.

و من يقينه بما فعل الله في حقه من إعطاء ضروب النعم و الإحسان، يكون دائما في مقام الانفعال و الخجل و الشكر لمنعمه الحقيقي.

و من يقينه بما يعطيه المؤمنين في الدار الآخرة من البهجه و السرور، و ما أعده لخلص عبده مما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب أحد، يكون دائما في مقام الطمع و الرجاء.

و من يقينه باستناد جميع الأمور إليه سبحانه، و بأن صدور ما يصدر في العالم إنما يكون بالحكمه و المصلحه و العناية الأزليه الراجعه إلى نظام الخير، يكون أبدا في مقام الصبر و التسليم و الرضا بالقضاء من دون عروض تغير و تفاوت في حاله.

و من يقينه بكون الموت داهيه من الدواهي العظمى و ما بعده أشد و أدهى، يكون أبدا محزونا مهموما.

و من يقينه بخساسة الدنيا و فنائها، لا يركن إليها.

قال الصادق-عليه السلام- في الكنز الذي قال الله تعالى:

وَ كَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا

(١)

:

«بسم الله الرحمن الرحيم: عجت لمن أيقن بالموت كيف يفرح، و عجت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن، و عجت لمن أيقن بالدنيا و قلبها بأهلها كيف يركن إليها».

و من يقينه بعظمه الله الباهره و قوته القاهره، يكون دائما في مقام

ص: ١٥٨

و قد ورد أن سيد الرسل-صلى الله عليه و آله و سلم- كان من شدة خضوعه و خشوعه لله تعالى و خشيته منه تعالى بحيث إذا كان يمشى يظن أنه يسقط على الأرض.

و من يقينه بكمالاته الغير المتناهيه و كونه فوق التمام، يكون دائما فى مقام الشوق و الوله و الحب. و حكايات أصحاب اليقين من الأنبياء و المرسلين و الأولياء و الكاملين فى الخوف و الشوق و ما يعترهم من الاضطراب و التغير و التلون و أمثال ذلك فى الصلاه و غيرها مشهوره، و فى كتب التواريخ و السير مسطوره، و كذا ما يأخذهم من الوله و الاستغراق و الابتهاج و الانبساط بالله سبحانه. و حكايه حصول تكرر الغشيات لمولانا أمير المؤمنين-عليه السلام- فى أوقات الخلوات و المناجاه و غفلته عن نفسه فى الصلوات مما تواتر عند الخاصه و العامه. و كيف يتصور لصاحب اليقين الواقعي بالله و بعظمته و جلاله و باطلاعه تعالى على دقائق أحواله، أن يعصيه فى حضوره و لا- يحصل له الانفعال و الخشيه و الدهشه و حضور القلب و التوجه التام إليه عند القيام لديه و المثل بين يديه، مع أنا نرى أن الحاضر عند من له أدنى شوكة مجازيه من الملوك و الأمراء مع رذالته و خساسته أولا و آخره يحصل له من الانفعال و الدهشه و التوجه إليه بحيث يغفل عن ذاته.

### ( و منها) أن يكون مستجاب الدعوات،

بل له الكرامات و خرق العادات. و السر فيه أن النفس كلما ازدادت يقينا ازدادت تجردا، فتحصل لها ملكه التصرف فى موارد الكائنات.

قال الإمام أبو عبد الصادق-عليه السلام-: اليقين يوصل العبد إلى كل حال سنى و مقام عجيب، كذلك أخبر رسول الله-صلى الله عليه و آله- من عظم شأن اليقين حين ذكر عنده أن عيسى بن مريم-عليه السلام- كان يمشى على الماء، فقال: لو زاد يقينه



لمشى فى الهوى». فهذا الخبر دل على أن الكرامات تزداد بازدياد اليقين، و أن الأنبياء مع جلاله محلهم من الله متفاوتون فى قوه اليقين و ضعفه.

### مراتب اليقين

و قد ظهر مما ذكر: أن اليقين جامع جميع الفضائل و لا ينفك عن شىء منها، ثم له مراتب: (أولها) علم اليقين، و هو اعتقاد ثابت جازم مطابق للواقع - كما مر - و هو يحصل من الاستدلال باللوازم و الملزومات، و مثاله اليقين بوجود النار من مشاهدته الدخان. (و ثانيها) عين اليقين، و هو مشاهدته المطلوب و رؤيته بعين البصيره و الباطن، و هو أقوى فى الوضوح و الجلاء من المشاهده بالبصر، و إلى هذه المرتبه

أشار أمير المؤمنين (ع) بقوله! «لم أعبد ربا لم أره» بعد سؤال ذعلب اليماني عنه - عليه السلام -! رأيت ربك؟

و بقوله - عليه السلام -: «رأى قلبى ربي». و هو إنما يحصل من الرياضه و التصفيه و حصول التجرد التام للنفس، و مثاله اليقين بوجود النار عند رؤيتها عيانا، و (ثالثها) حق اليقين، و هو أن تحصل وحده معنويه و ربط حقيقى بين العاقل و المعقول، بحيث يرى العاقل ذاته رشحه من المعقول و مرتبطا به غير منفك عنه، و يشاهد دائما ببصيرته الباطنيه فيضان الأنوار و الآثار منه اليه، و مثاله اليقين بوجود النار بالدخول فيها من غير احتراق. و هذا إنما يكون لكامل العارفين بالله المستغرقين فى لجه حبه و أنسه، المشاهدين ذواتهم بل سائر الموجودات من رشحات فيضه الأقدس، و هم الصديقون الذين قصرُوا أبصارهم الباطنه على ملاحظه جماله و مشاهدته أنوار جلاله. و حصول هذه المرتبه يتوقف على مجاهدات شاقه و رياضيات قويه، و ترك رسوم العادات و قطع أصول الشهوات، و قلع الخواطر النفسانيه و قمع الهواجس الشيطانيه، و الطهاره عن أدناس جيفه الطبيعه، و التنزه عن زخارف الدنيا الدنيه، و بدون

ذلك لا يحصل هذا النوع من اليقين و المشاهده:

و كيف ترى ليلي بعين ترى بها

سواها و ما طهرتها بالمدامع

ثم فوق ذلك مرتبه يثبتها بعض أهل السلوك و يعبرون عنه (بحقيقه حق اليقين و الفناء فى الله، و هو أن يرى العارف ذاته مضمحلا فى أنوار الله محترقا من سبحات و جهه، بحيث لا يرى استقلالاً و لا تحصيلاً أصلاً، و مثاله اليقين بوجود النار بدخوله فيها و احتراقه منها).

ثم لا- ريب فى أن اليقين الحقيقى النورانى المبرى عن ظلمات الأوهام و الشكوك و لو كان من المرتبه الأولى لا يحصل من مجرد الفكر و الاستدلال، بل يتوقف حصوله على الرياضه و المجاهده و تصقيل النفس و تصفيتها عن كدورات ذمائم الأخلاق و صدأها، ليحصل لها التجرد التام فتحاذى شطر العقل الفعال، فتتضح فيها جليه الحق حق الاتضاح. و السر أن النفس بمنزله المرآه تنعكس إليها صور الموجودات من العقل الفعال، و لا- ريب فى أن انعكاس الصور من ذوات الصور إلى المرآه يتوقف على تماميه شكلها و صقاله جوهرها و حصول المقابله و ارتفاع الحائل بينهما و الظفر بالجهه التى فيها الصور المطلوبه، فيجب فى انعكاس حقائق الأشياء من العقل إلى النفس: ١- عدم نقصان جوهرها، فلا يكون كنفس الصبى التى لا تنجلى لها المعلومات لنقصانها ٢- و صفاؤها عن كدورات ظلمه الطبيعه و إخبث المعاصى، و نقاؤها عن رسوم العادات و خبائث الشهوات. و هو بمنزله الصقاله عن الخبث و الصدا ٣- و توجهها التام و انصراف فكرها إلى المطلوب، فلا يكون مستوعب الهم بالأمور الدنيويه و أسباب المعيشه و غيرهما من الخواطر المشوشه لها، و هو بمنزله المحاذاه ٤- و تخليتها عن التعصب و التقليد. و هو بمثابه ارتفاع الحجب ٥- و استحصال المطلوب من تأليف مقدمات مناسبه للمطلوب على

ص: ١٦١

الترتيب المخصوص و الشرائط المقرره، و هو بمنزله العثور على الجبهه التي فيها الصوره.

و لولا هذه الأسباب المانعه للنفوس عن إفاضه الحقائق اليقنيه إليها، لكانت عالمه بجميع الأشياء المرتسمه فى العقول الفعاله، إذ كل نفس لكونها أمرا ربانيا و جوهرًا ملكوتيا فهي بحسب الفطره صالحه لمعرفة الحقائق، و لذا امتازت عن سائر المخلوقات من السماوات و الأرض و الجبال، و صارت قابله لحمل أمانه الله (١) التي هي المعرفة و التوحيد، فحرمان النفس عن معرفه أعيان الموجودات إنما هو لأحد هذه الموانع، و قد أشار سيد الرسل -صلى الله عليه و آله و سلم- الى مانع التعصب و التقليد

بقوله -صلى الله عليه و آله و سلم- «كل مولود يولد على الفطره حتى يكون أبواه يهودانه و يمجسانه (٢) و ينصرانه»، و إلى مانع كدورات المعاصي و صداها

بقوله -صلى الله عليه و آله و سلم-: «لو لا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات و الأرض». فلو ارتفعت عن النفس حجب السيئات و التعصب و حاذت شطر الحق الأول تجلت لها صورته عالم الملك و الشهاده بأسره، إذ هو

ص: ١٦٢

---

١- ١) إشاره إلى قوله تعالى: <sup>□</sup>إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَ حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ <sup>□</sup> إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا الأحزاب، الآية: ٧٢.

٢- ٢) روى السيد المرتضى علم الهدى هذا الحديث فى الجزء الثالث من أماليه بدون كلمه (يمجسانه)، و كذا فى غوالى اللئالى، إلا أن المعروف فى روايته إضافه كلمه (يمجسانه) و لكنها بعد كلمه (ينصرانه)، كما أرسلها فى مجمع البيان: ج ٨ ص ٣٠٣ طبع صيدا، و كذا فى مجمع البحرين فى ماده (فطر)، و كذا فى صحيح البخارى: ج ١ ص ٢٠٦، و صحيح مسلم: ج ٢ ص ٤١٣، و معالم التنزيل فى هامش تفسير الخازن: ج ٥ ص ١٧٢، و غير هؤلاء.

متناه يمكن لها الإحاطه به، و صوره عالمى الملكوت و الجيروت بقدر ما يتمكن منه بحسب مرتبته، لأنهما الإسرار الغائبه عن مشاهده الأبصار المختصه بإدراك البصائر، و هى غير متناهيه، و ما يلوح منها للنفس متناه، و إن كانت فى نفسها و بالإضافة إلى علم الله سبحانه و غير متناهيه، و مجموع تلك العوالم يسمى ب(العالم الربوبى)، إذ كل ما فى الوجود من البدايه إلى النهايه منسوب إلى الله سبحانه، و ليس فى الوجود سوى الله سبحانه و أفعاله و آثاره، فالعالم الربوبى و الحضرة الربوبيه هو العالم المحيط بكل الموجودات، فعدم تناهيه ظاهر بين، فلا يمكن للنفس أن تحيط بـكله، بل يظهر لها منه بقدر قوتها و استعدادها. ثم بقدر ما يحصل للنفس من التصفيه و التركيه و ما يتجلى لها من الحقائق و الأسرار، و من معرفه عظمه الله و معرفه صفات جلاله و نعوت جماله تحصل لها السعاده و البهجه و اللذه و النعمه فى نعيم الجنه، و تكون سعه مملكته فيها بحسب سعه معرفته بالله و بعظمته و بصفاته و أفعاله، و كل منها لا نهايه له. و لذا لا تستقر النفس فى مقام من معرفه. و البهجه و الكمال و التفوق و الغلبه تكون غايه طلبتها، و لا تكون طالبه لما فوقها.

و ما اعتقده جماعه من أن ما يحصل للنفس من المعارف الإلهيه و الفضائل الخلقيه هى الجنه بعينها فهو عندنا باطل، بل هى موجبه لاستحقاق الجنه التى هى دار السرور و البهجه.

**و منها:**

**اشاره**

الشرك

و هو أن يرى فى الوجود مؤثرا غير الله سبحانه، فإن عبد هذا الغير -سواء كان صنما أو كوكبا أو إنسانا أو شيطانا- كان شرك عباده، و إن لم يعبده و لكن لاعتقاد كونه منشأ أثر أطاعه فيما لا يرضى الله فهو شرك طاعه

ص: ١٦٣

و الأول يسمى بالشرك الجلى، و الثانى يسمى بالشرك الخفى، و إليه الإشاره بقوله تعالى:

وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ

(١)

و كون الشرك أعظم الكبائر الموبقه و موجبا لخلود النار مما لا-ريب فيه، و قد انعقد عليه إجماع الأمة، و الآيات و الأخبار الوارده به خارجه عن حد الإحصاء.

ثم للشرك مراتب تظهر فى بحث ضده الذى هو التوحيد، و الشرك و إن كان شعبه من الجهل، كما أن التوحيد الذى هو ضده من أفراد اليقين و العلم فذكرهما على حده لم يكن لازما هنا، إلا أنه لما كان المتعارف ذكر التوحيد فى كتب الأخلاق. فنحن أيضا ذكرنا له عنوانا على حده تأسيا بها، و أشرنا إلى لمعه يسيره منه، إذ الاستقصاء فيه و الخوض فى غمراته مما ليس فى وسعنا و لا يليق هنا، فإن التوحيد هو البحر الخصم الذى لا ساحل له.

### وصل (التوحيد فى الفعل)

ضد الشرك (التوحيد)، و هو إما توحيد فى أصل الذات بمعنى عدم تركيب خارجى و عقلى فى ذاته تعالى و عينيه وجوده و صفاته لذاته، و يلزمه كونه تعالى صرف الوجود و بحثه، أو توحيد فى وجوب وجوده بمعنى نفي الشرك فى وجوب الوجود عنه (و لا بحث لنا هنا عن إثبات هذين القسمين، لثبوتهما فى الحكمة المتعاليه)، أو توحيد فى الفعل و التأثير و الإيجاد، بمعنى أن لا فاعل و لا مؤثر إلا هو، و هو الذى نذكر هنا مراتبه و ما يتعلق به فنقول:

هذا التوحيد-على ما قيل- له أربع مراتب: قشر: و قشر القشر، و لب

ص: ١٦٤

(١-١) يوسف، الآية: ١٠٦.

و لب اللب كالجوز الذى له قشرتان و له لب، و اللب دهن و هو لب اللب.

(فالمرتبته الأولى) أن يقول الإنسان باللسان: لا إله إلا الله، و قلبه منكر و غافل عنه، كتوحيد المنافقين، و هذا توحيد بمجرد اللسان و لا فائده فيه إلا حفظ صاحبه فى الدنيا من السيف و السنان. (الثانية) أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه، كما هو شأن عموم المسلمين، و هو اعتقاد العوام و صاحبه موحد، بمعنى أنه معتقد بقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه. و هو عقد على القلب لا يوجب انشراحا و انفتاحا و صفاء له، و لكنه يحفظ صاحبه عن العذاب فى الآخرة إن مات عليه و لم يضعف بالمعاصى. (الثالثة) أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق، و ذلك بأن يرى أشياء كثيرة و لكن يراها بكثرتها صادرة عن الواحد الحق، و هو مقام المقربين و صاحبه موحد بمعنى أنه لا يشاهد إلا -فاعلا و مؤثرا واحدا، لأنه انكشف له الحق كما هو عليه. (الرابعة) ألا يرى فى الوجود إلا -واحدا، و يسميه أهل المعرفة الفناء فى التوحيد، لأنه من حيث لا يرى إلا -واحدا فلا يرى نفسه أيضا، و إذا لم ير نفسه، لكونه مستغرقا بالواحد كان فانيا عن نفسه فى توحيده، بمعنى أنه فنى عن رؤيه نفسه، و هو مشاهده الصديقين، و صاحبه موحد بمعنى أنه لم يحضر فى شهوده غير الواحد، فلا يرى الكل من حيث إنه كثير بل من حيث إنه واحد. و هذا هى الغايه القصوى فى التوحيد.

فالمرتبته الأولى: كالقشره العليا من الجوز، و كما أن هذه القشره لا خير فيها أصلا، بل إن أكلتها فهى مر المذاق، و إن نظرت إلى باطنها فهو كرية المنظر، و إن اتخذتها حطباً أطفأت النار و أكثرت الدخان، و إن تركتها فى البيت ضيقت المكان، فلا تصلح إلا أن تترك مده على الجوز لحفظ القشره السفلى، ثم ترمى، فكذلك التوحيد بمجرد اللسان عديم الجدوى كثير الضرر

مذموم الظاهر و الباطن، لكن ينفع مده في حفظ المرتبه الثانيه إلى وقت الموت، و المرتبه الثانيه: كالقشره السفلى، فكما أن هذه القشره ظاهره النفع بالإضافه إلى القشره العليا، فإنها تصون اللب عن الفساد عند الادخار، و إذا فصلت أمكن أن ينتفع بها حطباً، لكنها نازله القدر بالإضافه إلى اللب، فكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالنسبه إلى مجرد نطق اللسان، إذ تحصل به النجاه في الآخره، لكنه ناقص القدر بالإضافه إلى الكشف و العيان الذى يحصل بانسراح الصدر و انفتاحه بإشراق نور الحق فيه. و المرتبه الثالثه: كاللب، و كما أن اللب نفيس فى نفسه بالإضافه إلى القشر و كأنه المقصود لكنه لا يخلو عن شوب عصاره بالإضافه إلى الدهن منه فكذلك توحيد الفعل على طريق الكشف مقصد عال للسالكين، إلا أنه لا يخلو عن شوب ملا حظه الغير و الالتفات إلى الكثره بالإضافه إلى من لا يشاهد سوى الواحد الحق، و المرتبه الرابعه: كالدهن المستخرج من اللب، و كما أن اللب هو المطلوب لذاته و المرغوب فى نفسه. فكذلك قصر النظر على مشاهده الحق الأول هو المقصود لذاته و المحبوب فى نفسه.

[تنبيه] إن قيل: كيف يمكن تحقيق المرتبه الرابعه من التوحيد لتوقفها على عدم مشاهده غير الواحد، مع أن كل أحد يشاهد الأرض و السماء و سائر الأجسام المحسوسه و هى كثيره، فكيف يكون الكثير واحداً؟ (قلنا): من تيقن أن الممكنات بأسرها أعدام صرفه فى نفسها، و أن ما به تحققها من الله سبحانه، ثم أحاط على قلبه نور عظمته و جلاله بحيث بهره و غلب على قلبه الحب و الأنس حتى عن غيره أغفله، فأى استبعاد فى أن يوجب شده استغراقه فى لجه العظمه و الجلال و الكمال و الجمال و غلبه الحب و الأنس عليه، مع عدميه الكثره و وحده ما به التحقق عنده و رسوخ ذلك،

و ارتكازه فى قلبه أن لا يرى فى نظر شهوده إلا هو، و يغيب عنه غيره، لقصر نظر بصيرته الباطنه على ما هو الحقيقه و الواقع. و مما يكسر سوره استبعادك:

أن المشغول بالسلطان و المستغرق فى ملاحظه سطوته ربما غفل عن مشاهده غيره، و أن العاشق قد يستغرق فى مشاهده جمال معشوقه و يبهره حبه بحيث لا يرى غيره، مع تحقق الكثره عنده، و أن الكواكب موجوده فى النهار مع أنها لا ترى لمغلوبيه أنوارها و اضمحلالها فى جنب نور الشمس، فإذا جاز أن يغلب نور الشمس على نور الكواكب و يقهرها بحيث يضمحل و يغيب عن بصر الظاهر، فأى استبعاد فى أن يغلب نور الوجود الحقيقى القاهر على الموجودات الضعيفه الإمكانيه و يقهرها، بحيث يغيب عن نظر العقل و البصيره ثم هذه المشاهدات التى لا يظهر فيها إلا الله الواحد الحق لا تدوم، بل هى كالبرق الخاطف و الدوام فيها عزيز نادر.

### فصل (ابناء التوكل على حصر المؤثر فى الله تعالى)

اعلم: أنه لا- يمكن التوكل على الله تعالى فى الأمور حق التوكل إلا بالبلوغ إلى المرتبه الثالثه من التوحيد، و هى التى يرتبط بها التوكل دون غيرها من المراتب، إذ المرتبه الرابعه لا يتوقف و لا يبتنى عليها التوكل، و الأولى مجرد نفاق لا يفيد شيئاً- و الثانيه- أعنى مجرد التوحيد بالاعتقاد- لا يورث حال توكل كما ينبغى، فإنه موجود فى عموم المسلمين مع عدم وجود التوكل كما ينبغى فيهم.

فالمناط فى التوكل هو ثالث المراتب فى التوحيد، و هو أن ينكشف للعبد بنور الحق أن لا- فاعل إلا الله، و أن كل موجود: من خلق و رزق و عطاء و منع و غنى و فقر، و صحه و مرض، و عز و ذل، و حياه و موت... إلى غير ذلك مما



يطلق عليه اسم، فالمتفرد بإبداعه و اختراعه هو الله تعالى لا شريك له فيه، و إذا انكشف له هذا لم ينظر إلى غيره، بل كان منه خوفه و إليه رجاءه، و به ثقته و عليه اتكاله، فإنه الفاعل بالانفراد دون غيره، و ما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذره في ملكوت السماوات و الأرض و إذا انفتح له أبواب المعارف اتضح له هذا اتضاحاً أتم من المشاهدة بالبصر، و إنما يصده الشيطان عن هذا التوحيد، و يوقع في قلبه شائبه الشرك بالالتفات إلى بعض الوسائط التي يتراءى في بادي النظر منشئتها لبعض الأمور، كالاعتماد على الغيم في نزول المطر، و على المطر في خروج الزرع و نباته و نمائه، و على الريح في استواء السفينه و سيرها، و على بعض نظرات الكواكب و اتصالاتها في حدوث بعض الحوادث في الأرض، و كالاتفات إلى اختيار بعض الحيوانات و قدرتها على بعض الافعال، فيوسوس الشيطان في قلبه و يقول له: كيف ترى الكل من الله تعالى، و هذا الإنسان يعطيك رزقك باختياره فإن شاء أعطاك و إن شاء منع، و هذا الشخص قادر على جز رقبتك بسيفه فإن شاء جز رقبتك و إن شاء عفى عنك، فكيف لا تخافه و لا ترجوه و أمرك بيده، و أنت تشاهد ذلك و لا تشك فيه؟! و لا ريب في أن أمثال هذه الالتفاتات جهل بحقائق الأمور، و من مكن الشيطان و سلطه على نفسه حتى يوقع هذه الوسوس في قلبه فهو من الجاهلين بأبواب المعارف، إذ من انكشف له أمر العالم كما هو عليه، علم أن السماء و الكواكب و الريح و الغيم و المطر و الإنسان و الحيوان... و غير ذلك من المخلوقات كلهم مقهورون مسخرون للواحد الحق الذي لا شريك له، فيعلم أن الريح مثلاً هواء، و الهواء لا يتحرك بنفسه ما لم يحركه محرك، و هذا المحرك لا يحرك الهواء ما لم يحركه على التحريك محرك آخر... و هكذا إلى أن ينتهي

إلى المحرك الأول الذى لا محرك له و لا هو متحرك فى نفسه. و كذا الحال فى توسط غيره من الأفلاك و نجومها، و كائنات الجو، و الموجودات على الأرض من الجماد و النبات و الحيوان.

فالتفات العبد فى نجاته إلى بعض الأشياء من الرياح و الأمطار أو الإنسان أو الحيوان يضاهاى التفاوت من أخذ لتجز رقبته، فأمر الملك كاتبه بأن يكتب توقيعا بالعفو عنه و تخليته، فأخذ العبد يشتغل بمدح الحبر أو الكاغذ أو القلم أو الكاتب، و يقول: لو لا الخبر أو القلم أو الكاغذ أو الكاتب ما تخلصت، فىرى نجاته من الحبر و الكاغذ دون القلم أو من القلم دون محركه -أعنى الكاتب- أو من الكاتب دون الملك الذى هو محرك الكاتب و مسخره.

و من علم أن القلم لا- حكم له فى نفسه و إنما هو مسخر فى يد الكاتب، و أن الكاتب لا- حكم له و إنما هو مسخر تحت يد الملك، لم يلتفت إلى القلم و الكاتب و لم يشكر إلا- الملك، بل ربما يدهشه فرح النجاه و شكر الملك عن أن يخطر بباله الكاغذ و الحبر و القلم و الكاتب. و لا ريب فى أن جميع المخلوقات من الشمس و القمر و النجوم و الغيم و المطر و الأرض و كل حيوان أو جماد مسخرات فى قبضه قدره، كتسخير القلم فى يد الكاتب و تسخير الكاتب فى يد السلطان بل هذا تمثيل فى حق العبد لا اعتقاده أن الملك الموقع هو الكاتب حقيقه، و ليس الأمر كذلك، إذ الحق أن الكاتب هو الله سبحانه كما قال تعالى.

وَمَا رَمَيْتْ إِذْ رَمَيْتْ وَ لَكِنَّ اللَّهَ رَمَى

(١)

فمن انكشف له أن جميع ما فى السماوات و الأرض مسخرات للواجب الحق، لم ير فى الوجود مؤثرا إلا- هو، و انصرف عنه الشيطان خائبا، و أيس عن مزج توحيده بهذا الشرك.

ص: ١٦٩

(١-١) الأنفال، الآية: ١٧.

و أما من لم ينشرح بنور الله صدره، قصرت بصيرته عن ملاحظه جبار السماوات و الأرض و مشاهده كونه وراء الكل، فوقف في الطريق على بعض المسخرات، و هو جهل محض. و غلظه في ذلك كغلط النمله مثلا لو كانت تدب على الكاغد فترى رأس القلم يسود الكاغد، و لم يمتد بصرها إلى الأصابع و اليد، فضلا عن صاحب اليد، و ظنت أن القلم هو المسود للياض، و ذلك لقصور بصرها عن مجاوزه رأس القلم لضيق حدقتها.

### فصل مناجاه السر لأرباب القلوب)

قال بعض العارفين (١): أرباب القلوب و المشاهدات قد انطلق الله في حقهم كل ذره في الأرض و السماوات بقدرته التي أنطق بها كل شيء، حتى سمعوا تقديسها و تسييحها و شهادتها على نفسها بالعجز، بلسان الواقع الذي هو ليس بعربي و لا أعجمي و ليس فيه حرف و صوت، و لا يسمعه أحد إلا بالسمع العقلي الملكوتي دون السمع الظاهر الحسي الناسوتي، و هذا النطق الذي لكل ذره من الأرض و السماوات مع أرباب القلوب إنما هو (مناجاه السر)، و ذلك مما لا ينحصر و لا يتناهى، فإنها كلمات تستعد (٢) من بحر كلام الله الذي لا نهاية له:

ص: ١٧٠

---

١- ١) المقصود به (أبو حامد الغزالي) في إحياء العلوم، راجع الجزء الرابع ص ١١٤ المطبوع بالمطبعة العثمانية بمصر سنة ١٣٥٢، و سترى أن هذه الفصول مقتبسه منه بتغيير في العبارة و تقديم و تأخير. و كذلك هذا الفصل المنقول عنه فيه تغيير و اختصار كثير، و صاحب الكتاب اعترف -فيما سيأتي- باقتباس هذه الفصول من الغزالي.

٢- ٢) و في نسختنا الخطية: (لأنها كلام يستمد)، و لكن الموجود في المطبوعه و في نسخه إحياء العلوم كما أثبتناه في المتن.

قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا

(١)

ثم إنها لما كانت مناجيه بأسرار الملك و الملكوت، و ليس كل أحد موضعاً للسر، بل صدور الأحرار قبور الأسرار، فاختصت مناجاتها بالأحرار من أرباب القلوب. و هم أيضاً لا يحكون هذه الأسرار لغيرهم، إذ إفشاء السر لؤم و هل رأيت قط أميناً على أسرار الملك قد نوجى بخفيايه فينادى بها على الملا من الخلق، و لو جاز إفشاء كل سر لما نهى النبي -صلى الله عليه و آله و سلم- عن إفشاء سر القدر، و لما خص أمير المؤمنين (ع) ببعض الأسرار،

و لما قال -صلى الله عليه و آله و سلم-: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً و لبكيتم كثيراً» بل كان يذكر لهم ذلك حتى يبكون و لا يضحكون.

فإذن عن حكايات مناجاه ذرات الملك و الملكوت لقلوب أرباب المشاهده مانعان: (أحدهما) المنع عن إفشاء السر، (ثانيهما) خروج كلماتها عن الحصر و النهايه. و نحن نحكى في فعل الكتابه قدراً يسيراً من مناجاه بعض ما يرى أسباباً و وسائط، و إقرارها بالعجز على أنفسها، ليقاس عليه جميع الأفعال الصادره عن جميع الأسباب و الوسائط المسخره تحت قدره الله، و يفهم به على الإجمال كيفيه ابتناء التوكل عليه، و نرد لضروره التفهم كلماتها الملكوتيه إلى الحروف و الأصوات، و إن لم تكن أصواتاً و حروفاً، فنقول:

قال بعض الناظرين عن مشكاه نور الله للكاغد، و قد رأى وجهه أسود بالحبر: «لم سودت وجهك و قد كان أبيض مشرقاً؟».

فقال: «ما سودت وجهي، و إنما سوده الحبر، فأسأله لم فعل كذا؟».

ص: ١٧١

(١ - ١) الكهف، الآية: ١٠٩.

فسأل الحبر عن ذلك، فقال: «هذا السؤال على القلم الذى أخرجنى من مستقرى ظلما».

فسأل القلم، فأحاله إلى اليد و الأصابع، و هى إلى القدره و القوه، و هى إلى الإراده، معترفا كل واحد منهم بعجز نفسه، و بكونه مقهورا مسخرا تحت قهر المحال عليه من دون استطاعه لمخالفته.

و لما سأل الإراده، قالت: «ما انتهضت بنفسى، بل بعثت على إشخاص».

القدره و إنهاضها، و بحكم رسول قاهر ورد على من حضره القلب بلسان العقل، و هذا الرسول هو العلم، فالسؤال عن انتهاضى يتوجه على العقل و القلب و العلم».

و لما سألتها قال (العقل): «أما أنا فسراج ما اشتعلت بنفسى و لكنى اشعلت».

و قال (القلب): «أما أنا فلوح ما انبسطت بنفسى و لكنى بسطت».

و قال (العلم): «أما أنا فنقش نقشت فى لوح القلب لما أشرق سراج العقل، و ما انتقشت بنفسى بل نقشنى غيرى، فسل القلم الذى نقشنى و رسمنى على لوح القلب بعد اشتعال سراج العقل».

و عند هذا تحير السائل و قال: «ما هذا القلم و هذا اللوح و هذا الخط و هذا السراج؟ فإنى لا أعلم قلما إلا من القصب، و لا لوحا إلا من الحديد أو الخشب، و لا خطأ إلا بالحبر، و لا سراجا إلا من النار. و إنى لأسمع فى هذا المنزل حديث اللوح و القلم و الخط و السراج، و لا- أشاهد من ذلك شيئا» فقال له (العلم): «فإذن بضاعتك مزجاء، و زادك قليل، و مركبك ضعيف، و المهالك فى الطريق الذى توجهت إليه كثيره، فإن كنت راغبا فى استتمام الطريق إلى المقصد، فاعلم أن العوالم فى طريقك ثلاثه: (أولها)

عالم الملك و الشهاده، و لقد كان الكاغد و الحبر و القلم و اليد و الأصابع من هذا العالم، و قد جاوزت تلك المنازل على سهوله، (و ثانيها) عالم الملكوت الأسفل و هو يشبه السفينه التي بين الأرض و الماء، فلا هي حد اضطراب الماء، و لا هي في حد سكون الأرض و ثباتها، و القدره و الإبراده و العلم من منازل هذا العالم. (و ثالثها) عالم الملكوت الأعلى، و هو من ورائي، فإذا جاوزتني انتهيت إلى منزله. و أول منزله القلم الذي يكتب به العلم على لوح القلب و في هذا العالم المهامه الفسيحه و الجبال الشاهقه و البحار المغرقه».

فقال له السائل السالك: «قد تحيرت في أمرى و لست أدري أنى أقدر على قطع هذا الطريق المخوف أم لا، فهل لذلك علامه أعرف بها تمكني على قطع هذا الطريق؟».

فقال: «نعم! افتح بصرك، و اجمع ضوء عينك و حدقه نحوى، فإن ظهر لك القلم الذي به يكتب في لوح القلب، فيشبه أن تكون أهلا لهذا الطريق، فإن كل من جاوز الملكوت الأسفل و قرع أول باب من الملكوت الأعلى كوشف بالقلم. أما ترى النبي -صلى الله عليه و آله و سلم- كوشف به و أنزل عليه قوله تعالى:

إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ... إلى قوله: إِقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (١).

و هذا القلم قلم إلهي ليس بقصب و لا -خشب. أ و ما سمعت أن متاع البيت يشبه رب البيت؟ و قد علمت أن الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الذوات فليس في ذاته بجسم و لا هو في مكان، فكذلك لا تشبه يده سائر الأيدي، و لا قلمه سائر الأقلام، و لا كلامه سائر الكلام، و لا خطه سائر الخطوط.

بل هذه أمور إلهيه من عالم الملكوت الأعلى، فليست يده من لحم و عظم

ص: ١٧٣

و دم، و لا- قلمه من قصب، و لا- لوحه من خشب، و لا- كلامه من صوت و حرف، و لا- خطه من نقش و رسم و رقم، و لا حبره من زاج و عقص. فإن كنت لا تشاهد هذا هكذا فأنت من أهل التشبيه و التجسم و ما عرفت ربك إذ لو نزهت ذاته تعالى و صفاته عن ذات الأجسام و صفاتها و نزهت كلامه عن الحروف و الأصوات، فما بالك تتوقف في يده و قلمه و لوحه و خطه، و لا تنزهها عن الجسميه و التشبيه بغيرها؟».

فلما سمع السائل السالك من العلم ذلك، استشعر قصور نفسه و فتح بصر بصيرته، بعد الابتغال إلى ربه، فانكشف له القلم الإلهي، فإذا هو كما وصفه العلم، ما هو من خشب و لا- قصب، و لا له رأس و لا ذنب، و هو يكتب على الدوام في قلوب البشر أصناف العلم، فشكر العلم و ودعه، و سافر إلى حضره القلم الإلهي، و قال له:

«أيها القلم! ما لك تخط على الدوام في القلوب من العلوم ما تبعث به الإرادات إلى انهاض القدره و إشخاصها و صرفها إلى المقدورات؟».

فقال له (القلم الإلهي): «أفنسيت ما رأيت في عالم الملك و سمعته من جواب القلم الآدمي حيث أحالك إلى اليد؟ فجوابي مثل جوابه، فإنني مسخر تحت يد الله تعالى الملقبه: (يمين الملك)، فأسأله عن شأني فإنني في قبضته و هو الذي يرددني، و أنا مقهور مسخر، فلا فرق بين القلم الإلهي و القلم الآدمي في معنى التسخير، و إنما الفرق في ظاهر الصورة».

فقال السائل: «من يمين الملك؟».

قال القلم: «أما سمعت قوله تعالى:

وَ السَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ؟

(١)

«.

ص: ١٧٤

١-١) الزمر، الآية: ٦٧.

قال: «نعم! سمعته».

قال: «و الأقلام أيضا فى قبضته و هو الذى يرددها».

فسافر السائل من عند القلم إلى اليمين، حتى شاهده، و رأى من عجائبه ما يزيد على عجائب القلم، و رأى أنه يمين لا كالأيمان، و يدا كالأيدى، و إصبع لا كالأصابع، فرأى القلم متحركا فى قبضته، فسأله عن سبب تحريكه القلم فقال: «جوابى ما سمعته من اليمين التى رأيتها فى عالم الشهاده، و هو الحواله على القدره، إذ اليد لا حكم لها فى نفسها، و إنما محرکہها القدره».

فسافر إلى عالم القدره و رأى فيها من العجائب ما استحقق لأجلها ما قبلها فسألها عن سبب تحريكها اليمين.

فقلت: «إنما أنا صفة فاسأل القادر، إذ العهده على الموصوف دون الصفه».

و عند هذا كاد أن يزيغ قلب السائل، و ينطلق بالجرأه لسان السؤال، فثبت بالقول الثابت و نودى من وراء سرادقات الحضرة:

لا يُسْتَلُّ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْتَلُونَ

(١)

فغشيته دهشه الحضرة، فخر صعقا فى غشيته مده، فلما أفاق قال:

«سبحانك! ما أعظم شأنك و أعز سلطانك، تبت إليك و توكلت عليك، و آمنت بأنك الملك الجبار الواحد القهار، فلا أخاف غيرك و لا- أرجو سواك و لا- أعوذ إلا بعفوك من عقابك، و برضاك من سخطك، و ما لى إلا أن أسألك و أتضرع إليك، و أقول:

(اشْرَحْ لى صَدْرِي) لا عرفك، (وَ اخْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي) (٢) لأثنى عليك.

ص: ١٧٥

١- ١) الأنبياء، الآية: ٢٣.

٢- ٢) طه، الآية: ٢٧، ٢٥.



فنودى من وراء الحجاب: «إياك أن تطمع فى الثناء،

فإن سيد الأنبياء -صلى الله عليه وآله وسلم- ما زاد فى هذه الحضرة إلى أن قال: (سبحانك لا أثنى ثناء عليك كما أثنيت على نفسك). و إياك أن تطمع فى المعرفه

فإن سيد الأوصياء قال: (العجز عن درك الإدراك إدراك، و الفحص عن سر ذات السر إشراك). فيكفيك نصيبا من حضرتنا أنك عاجز عن ملاحظه جلالنا و جمالنا، و قاصر عن إدراك دقائق حكمتنا و أفعالنا».

فعند هذا رجع السائل السالك، و اعتذر عن أسئلته و معاتبته، و قال للقدره و اليمين و القلم و العلم و الإراده و القدره و ما بعدها: «أقبلوا عذرى فإنى كنت غريبا جديد العهد بالدخول فى هذه البلاد. و الآن قد صح عندى عذركم و انكشف لى أن المتفرد بالملك و الملكوت و العزه و الجبروت هو الواحد القهار و ما أنتم إلا مسخرون تحت قهره و قدرته، مرددون فى قبضته، و هو الأول بالإضافه إلى الوجود، إذ صدر منه الكل على ترتيبه واحدا بعد واحد، و هو الآخر بالإضافه إلى سير المسافرين إليه، فإنهم لا يزالون مترقين من منزل إلى منزل إلى أن يقع الانتهاء إلى حضرته، فهو أول فى الوجود و آخر فى المشاهده و هو الظاهر بالإضافه إلى من يطلبه بالسراج الذى اشتعل فى قلبه بالبصيره الباطنه النافذه فى عالم الملكوت، و هو الباطن بالإضافه إلى العاكفين فى عالم الشهاده الطالبين لإدراكه بالحواس».

و هذا هو التوحيد فى الفعل للسالكين، الذين انكشف لهم وحده الفاعل بالمشاهده و استماع كلام ذرات الملك و الملكوت، و هو موقوف على الإيمان بعالم الملكوت و التمكن من المسافره إليه و استماع الكلام من أهله. و من كان أجنبيا من هذا العالم و لم يكن له استعداد الوصول إليه و لم يمكنه أن يسلك السبيل الذى ذكرناه، فينبغى أن يرد مثله إلى التوحيد الاعتقادى الذى

يوجد فى عالم الشهاده، و هو أن يعلم ببعض الأدله وحده الفاعل، مثل أن يقال له: إن كل أحد يعلم أن المنزل يفسد بصاحبين و البلد يفسد بأمرين، فإنه العالم و مدبره واحد، إذ:

لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا

(١)

فيكون ذلك على ذوق ما رآه فى عالم الشهاده، فينغرس اعتقاد التوحيد فى قلبه بهذا الطريق بقدر عقله و استعداده، و قد كلفوا الأنبياء أن يكلموا الناس على قدر عقولهم.

ثم الحق أن هذا التوحيد الاعتقادى إذا قوى يصلح أن يكون عمادا للتوكل و أصلا فيه، إذ الاعتقاد إذا قوى عمل عمل الكشف فى إثارة الأحوال إلا أنه فى الغالب يضعف و يتسارع إليه الاضطراب، فيحتاج إلى من يحرسه بكلامه، و أما الذى شاهد الطريق و سلكه بنفسه، فلا يخاف عليه شئ من ذلك، بل لو كشف له الغطاء لما ازداد يقينا و إن كان يزداد وضوحا.

(تنبيه) اعلم أن ما يبتنى عليه التوحيد المذكور، أعنى كون جميع الأشياء من الأسباب و الوسائط مقهورات مسخرات تحت القدره الأتلية ظاهر. و سائر ما أوردنا فى هذا المقام مما ذكره أبو حامد الغزالي و تبعه بعض أصحابنا (و لا إشكال فيه إلا فى أفعال الإنسان و حركاته) (٢). فإن البديهه تشهد بثبوت نوع اختيار له، لأنه يتحرك إن شاء و يسكن إن شاء، مع أنه لو كان مسخرا مقهورا فى جميع أفعاله و حركاته، لزم الجبر و لم يصح التكليف و الثواب و العقاب. و لتحقيق هذه المسأله موضع آخر، و لا يليق ذكرها هنا.

ص: ١٧٧

(١ - ١) الأنبياء، الآية: ٢٢.

(٢ - ٢) هكذا فى المطبوعه و فى نسختنا الخطيه و النسخه الأخرى: «و لا ريب فى لزوم الإشكال فى أفعال الإنسان و حركاته».

و الحق أن كل ما قيل فيها لا يخلو عن قصور و نقصان، و الأولى فيها السكوت و التأدب بآداب الشرع (١).

و منها:

إشارة

الخواطر النفسانية و الوسوس الشيطانية

اعلم أن الخاطر ما يعرض في القلب من الأفكار فإن كان مذموماً داعياً إلى الشر سمي (وسوسة)، و إن كان محموداً داعياً إلى الخير سمي (إلهاماً).

و توضيح ذلك: أن مثل القلب بالنسبة إلى ما يرد عليه من الخواطر مثل هدف تتوارد عليه السهام من الجوانب، أو حوض تنصب إليه مياه مختلفة من الجداول، أو قبة ذات أبواب يدخل منها أشخاص متخالفه، أو مرآة منصوبة تجتاز إليها صور متباينه. فكما أن هذه الأمور لا تنفك عن تلك السوانح، فكذا القلب لا ينفك عن واردات الخواطر. فلا تزال هذه اللطيفه الإلهيه مضمارة لتطاردها و معركة لجولانها و تزاممها، إلى أن يقطع ربطها عن البدن و لذاته، و يتخلص عن لدغ عقارب الطبع و حياته.

ثم لما كان الخاطر أمراً حادثاً فلا بد له من سبب، فإن كان سببه شيطاناً فهو الوسوسة، و إن كان ملكاً فهو الإلهام. و ما يستعد به القلوب لقبول الوسوسة يسمى إغواء و خذلاناً، و ما يتهيأ به لقبول الإلهام يسمى لطفاً و توفيقاً. و إلى ذلك

أشار سيد الرسل -صلى الله عليه و آله و سلم- بقوله: «في القلب

ص: ١٧٨

١ - ١) هذا اعتراف بالعجز و هروب من حل هذه المعضلة التأريخيه في سر الخلق، و الحل الذي لم يسبق إليه البشر حتى عند فلاسفتهم الأقدمين و المتأخرين ما قاله إمامنا الصادق (ع): «لا- جبر و لا تفويض، و لكن أمر بين أمرين» فإن الفاعل الذي منه الوجود هو الله تعالى وحده لا شريك له في خلقه، و الفاعل الذي به الوجود هو العبد المختار في فعله.

لمتان (1): لمة من الملك ايعاد بالخير و تصديق بالحق، و لمة من الشيطان ايعاد بالشر و تكذيب بالحق».

و بقوله-صلى الله عليه و آله و سلم-: «قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن».

### فصل (أقسام الخواطر و منها الإلهام)

الخواطر ينقسم إلى ما يختلج بالبال من دون أن يكون مبدءاً للفعل، و هى الأمانى الكاذبه و الأفكار الفاسده، و إلى محرك الإراده و العزم على الفعل، إذ كل فعل مسبوق بالخواطر أولاً، فمبدء الأفعال الخواطر، و هى تحرك الرغبة و الرغبة العزم، و العزم النيه، و النيه تبعث الأعضاء على الفعل، (و الثانى) كما عرفت إن كان مبدءاً للخير يكون إلهاماً و محموداً، و إن كان مبدءاً للشر يكون و سواساً و مذموماً. (و الأول) له أنواع كثيره:

(منها) ما يرجع إلى التمسى، سواء كان حصول ما يتمناه ممكناً أو محالاً، و سواء كان المتمنى حسناً محموداً أو قبيحاً مذموماً، و سواء كان عدمه مستنداً

ص: ١٧٩

١-١) روى الحديث فى إحياء العلوم ج ٢ ص ٢٣ هكذا: «فى القلب لمتان: لمة من الملك ايعاد بالخير و تصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه و ليحمد الله. و لمة من العدو ايعاد بالشر و تكذيب بالحق و نهى عن الخير، فمن وجد ذلك فليستعد بالله من الشيطان الرجيم»، ثم تلا قوله تعالى: الشيطان يعدكم الفقر... الآية. و هذا الحديث لم نعثر عليه من طرقنا، و كذا الحديث الآتى: فى نهايه ابن الأثير: «فى حديث ابن مسعود: لا-بن آدم لمتان: لمة من الملك و لمة من الشيطان-اللمه الهمه و الخطره تقع فى القلب، أراد إمام الملك أو الشيطان به و القرب منه».

إلى قضاء الله وقدره أو إلى تقصيره و سوء تدبيره فيخطر بباله أنه يا ليت لم يفعل كذا أو فعل كذا.

(و منها) ما يرجع إلى تذكر الأحوال الغالبة، إما بدون اختياره أو مع اختيار ما، بأن يتصور ما له من النفائس الفانيه فيستر به، أو يتخيل فقدته فيحزن لأجله، أو يتفكر في ما اعتراه من العلل والأسقام و اختلال أمر المعاش و سوء الانتظام، أو يذهب وهمه إلى حساب المعاملين أو جواب المعاندين، و تصوير إهلاك الأعداء بالأنواع المختلفه من دون تأثير و فائده.

(و منها) ما يرجع إلى التطير، و ربما بلغ حدا يتخيل كثيرا من الأمور الاتفاقيه الداله على وقوع مكروه بنفسه أو بما يتعلق به، و يضطرب بذلك، و إن لم تكن مشهوره بذلك عند الناس، و ربما حدثت في القوه الوهميه خباثه و شيطنه تذهب غالبا إلى ما يؤذيه و يكرهه و لا يذهب إلى ما يريده و يسره، فيتخيل ذهاب أمواله و أولاده و ابتلاءه بالأمراض و الأسقام و وصول المكروه من الغير و مغلوبيته من عدوه، و ربما حصل لنفسه نوع إذعان لهذه التخييلات لمغلوبيه العاقله للواهمه. فيعتريه نوع اضطراب و انكسار، و قلما يذهب مثل هذه القوه الوهميه فيما يشاء و يريده من تخيل الغلبه و حصول التوسعه في الأموال و الأولاد، بحيث يحصل لنفسه نوع إذعان لها، فتنبسط و تهتز. و هذا شر الوسوس و أردؤها، و ربما كان المنشأ لبعضها نوع اختلال في الدماغ.

و جميع الأنواع المذكوره بأقسامها مفسده للنفس يحدث فيها نوع ذبول و انكسار و يصدها عما خلقت لأجله.

(و منها) ما يرجع إلى التفاؤل، و هذا ليس مذموما.

و قد ورد من رسول الله -صلى الله عليه و آله و سلم-: أنه يحب التفاؤل، و كثيرا ما يتفاءل ببعض الأمور.

(و منها) الوسواس فى العقائد، بحيث لا- يؤدى إلى الشك المزىل لليقين، فإنه قاذح فى الإيمان كما تقدم. و مرادنا بالوسوسه و حديث النفس فى العقائد هنا ما لا يضر بالإيمان و لا يؤاخذ به- كما يأتى-.

(تذنيب) قد ظهر مما ذكر: أن أكثر جولان خاطر إنما يكون فى فائت لا تدارك له، أو فى مستقبل لا بد و أن يحصل منه ما هو مقدر، و كيف كان هو تضييع لوقته، إذ آله العبد قلبه و بضاعته عمره، فإذا غفل القلب فى نفس واحد عن ذكر يستفيد به أنسا بالله أو عن فكر يستفيد معرفه الله ليستفيد بالمعرفه حبا لله، فهو مغبون. و هذا إن كان فكره و وسواسه فى المباحات، مع أن الغالب ليس كذلك، بل يتفكر فى وجوه الحيل لقضاء الشهوات، إذ لا- يزال ينازع فى الباطن كل من فعل فعلا مخالفا لغرضه، أو من يتوهم أنه ينازعه و يخالفه فى رأيه، بل يقدر المخالفه من أخلص الناس فى حبه حتى فى أهله و ولده، ثم يتفكر فى كيفية زجرهم و قهرهم و جوابهم عما يتعللون به فى مخالفتهم فلا يزال فى شغل دائم مضيع لدينه و دنياه.

### **فصل (المطارده بين جندى الملائكه و الشياطين فى معركة النفس)**

قد عرفت أن الوسواس أثر الشيطان الخناس، و الإلهام عمل الملائكه الكرام. و لا ريب فى أن كل نفس فى بدو فطرتها قابله لأثر كل منهما على التساوى، و إنما يترجح أحدهما بمتابعه الهوى و ملازمه الورع و التقوى، فإذا مالت النفس إلى مقتضى شهوه أو غضب وجد الشيطان مجالا فيدخل بالوسوسه، و إذا انصرفت إلى ذكر الله ضاق مجاله و ارتحل فيدخل، الملك بالإلهام. فلا يزال التطارد بين جندى الملائكه و الشياطين فى معركة النفس.

لهيولانيه وجودها و قابليتها للأمرين بتوسط قوتها العقلية و الوهميه، إلى أن

يغلب أحد الجندين و يسخر مملكه النفس و يستوطن فيها، و حينئذ يكون اجتياز الثانى على سبيل الاختلاس، و حصول الغلبه إنما هو بغلبه الهوى أو التقوى فإن غلب عليها الهوى و خاضت فيه صارت مرعى الشيطان و مرتعه و كانت من حزبه، و إن غلب عليها الورع و التقوى صارت مستقر الملك و مهبطه و دخلت فى جنده،

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم:- «خلق الله الإنس ثلاثة أصناف: صنف كالبهائم، قال الله تعالى:

لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ۖ وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا (١).

و صنف أجسادهم أجساد بنى آدم و أرواحهم أرواح الشياطين، و صنف كالملائكة فى ظل الله يوم لا ظل إلا ظله».

و لا ريب فى أن أكثر القلوب قد فتحها جنود الشياطين و ملكوها، و يتصرفون فيها بضروب الوسوس الداعيه إلى إثارة العاجله و إطراح الآجله. و السر فيه:

أن سلطنه الشيطان ساريه فى لحم الإنسان و دمه و محيطه بمجامع قلبه و بدنه، كما أن الشهوات ممتزجه بجميع ذلك، و من هنا

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم:- «إن الشيطان ليجرى من بنى آدم مجرى الدم»، و قال الله سبحانه-حكاية عن لسان اللعين:-

لَأَفْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَأَنْهِيَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيْمَانِهِمْ

ص: ١٨٢

(١)

فبالخلاص من أيدي الشياطين يحتاج إلى مجاهدته عظيمه رياضه شاقه، فمن لم يقم في مقام المجاهدته كانت نفسه هدفا لسهام وساوسهم و داخله في أحزابهم

### فصل (تسويات الشيطان و وساوسه)

لما كانت طرق الباطل كثيره و طريق الحق واحده، فالأبواب المفتوحه للشيطان إلى القلب كثيره، و باب الملائكه واحده، و لذا روى أن النبي -صلى الله عليه و آله و سلم- خط يوما لأصحابه خطأ و قال! «هذا سبيل الله»، ثم خط خطوطا عن يمينه و شماله فقال: «هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»، ثم تلا قوله سبحانه:

وَ أَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَ لَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ

(٢)

ثم لسهوله ميل النفس إلى الباطل و عسر انقيادها للحق تكون الطرق المؤديه إلى الباطل التي هي أبواب الشيطان جليه ظاهره، فكانت أبواب الشيطان مفتوحه أبدا، و الطرق المؤديه إلى الحق التي هي باب الملائكه خفيه.

فكان باب الملائكه مسدودا دائما، فما أصعب بالمسكين ابن آدم أن يسد هذه الأبواب الكثيره الظاهره المفتوحه و يفتح بابا واحدا خفيا مسدودا، على أن

ص: ١٨٣

١-١) الأعراف الآية: ١٧، ١٦.

٢-٢) الأنعام، الآية: ١٥٣.



اللعين ربما يلبس بين طريق الحق و الباطل و يعرض الشر فى موضع الخير، بحيث يظن أنه لمة الملك و إلهامه، لا- وسوسه الشيطان و إغواؤه، فيهلك و يضل من حيث لا يعلم، كما يلقي فى قلب العالم أن الناس لكثره غفلتهم أشرفوا على الهلاك، و هم من الجهل موتى، و من الغفله هلكى، أ ما لك رحمه على عباد الله؟ أ ما تريد الثواب و السعاده فى العقبى؟ فما بك لا تنبههم عن رقدته الغفلات بوعظك، و لا تنقذهم من الهلاك الأبدى بنصحك؟ و قد من الله عليك بقلب بصير و علم كثير و لسان ذلق و لهجه مقبوله! فكيف تخفى نعم الله تعالى و لا- تظهرها؟ فلا- يزال يوسوسه بأمثال ذلك و يثبتها فى لوح نفسه، إلى أن يسخره بطائف الحيل و يشتغل بالوعظ، فيدعوه إلى التزين و التصنع و التحسن بتحسين اللفظ، و السرور بتملق الجماعه، و الفرح بمدحهم إياه، و الانبساط بتواضعهم لديه، و انكسارهم بين يديه، لا يزال فى أثناء الوعظ يقرر فى قلبه شوائب الرياء و قبول العامه، و لذه الجاه و حب الرياسه، و التعزز بالعلم و الفصاحه، و النظر إلى الخلق بعين الحقاره، فيهدى الناس و يضل نفسه و يعمر يومه و يخرب أمسه، و يخالف الله و يظن أنه فى طاعته، و يعصيه و يحسب انه فى عبادته، فيدخل فى جمله من قال الله فيهم:

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا

(١)

ص: ١٨٤

١-١) الكهف الآيه ١٠٣-١٠٤.

ممن قال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- فيهم: «إن الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر». فلا نجاه من مصائد الشيطان و مكائده إلا ببصيره باطنه نورانيه و قوه قدسيه ربانيه، كما لا نجاه للمسافر الحيران في بادية كثيره الطرق غامضه المسلك في ليله مظلمه إلا بعين بصيره صحيحه و طلوع شمس مشرقه نيره.

### فصل (العلام الفارقة بين الإلهام و الوسوسه)

من تمكن من معرفه الخير و الشر سهل عليه التفرقه بين الإلهام و الوسوسه و قد قيل إلهام الملك و وسوسه الشيطان يقع في النفوس على وجوه و علامات:

(أحدها) كالعلم و اليقين الحاصلين من جانب يمين النفس و تقابله الشهوه و الهوى الحاصلان من جانب شمالها. (و ثانيها) كالنظر إلى آيات الآفاق و الأنفس على سبيل النظام و الأحكام المزيل للشكوك و الأوهام، و المحصل للمعرفه و الحكمه في القوه العاقله هي جانب الأيمن من النفس و يقابله النظر إليها على سبيل الاشتباه و الغفله و الإعراض عنها، الناشئه منها الشبه و الوسوس في الواهمه و المتخيله التي على الجانب الأيسر منها، فإن الآيات المحكمات بمنزله الملائكه المقدسه من العقول و النفوس الكليه، لأنها مبادئ العلوم اليقينييه، و المتشابهات الوهميات بمنزله الشياطين و النفوس الوهمانيه، لأنها مبادئ المقدمات السفسطيه. (و ثالثها) كطاعه الرسول المختار و الأئمه الأطهار في مقابله أهل الجحود و الإنكار و أرباب التعطيل و التشبيه من الكفار. فكل من سلك سبيل الهدايه فهو بمنزله الملائكه المقدسين الملهمين للخير، و من سلك سبيل الضلال فهو بمنزله الشياطين المغوين بالشرور. «و رابعها» كتحصيل العلوم و الإدراكات التي هي في الموضوعات العاليه و الأعيان الشريفه

كـالعلم بالله و ملائكته و رسله، و اليوم الآخر، و البعث، و قيام الساعة، و مثول الخلائق بين يدي الله تعالى، و حضور الملائكة و النبيين و الشهداء و الصالحين، في مقابله تحصيل العلوم و الإدراكات التي هي من باب الحيل و الخديعة و السفسطه، و التأمل في أمور الدنيا الغير الخارجه عن دار المحسوسات، فإن الأول يشبه الملائكة الروحانيه و جنود الرحمن الذين هم سكان عالم الملكوت السماوي، و الثاني يشبه الأبالسه المطروده عن باب الله، الممنوعه من ولوج السماوات، المحبوسه في الظلمات، المحرومه في الدنيا عن الارتقاء، و المحجوبه في الآخره عن دار النعيم.

## فصل (علاج الوسوس)

الوسوس إن كانت بواعث الشرور و المعاصي، فالعلاج في دفعها أن يتذكر سوء عاقبه العصيان و وخامه خاتمته في الدنيا و الآخره، و يتذكر عظيم حق الله و جسيم ثوابه و عقابه، و يتذكر أن الصبر عما تدعو إليه هذه الوسوس أسهل من الصبر على نار لو قذف شراره منها إلى الأرض أحرقت نبتها و جمادها فإذا تذكر هذه الأمور و عرف حقيقتها بنور المعرفه و الإيمان، حبس عنه الشيطان و قطع عنه وسواسه، إذ لا- يمكن أن ينكر عليه هذه الأمور الحقه، إذ يقينه الحاصل من قواطع البرهان يمنع عن ذلك و يخيبه، بحيث يرجع هاربا خائبا. فإن التهاب نيران (1) البراهين بمنزله رجوم الشياطين، فإذا قوبلت بها وسوسهم فرت فرار الحمر من الأسد.

و إن كانت مختلجه بالبال بلا إرادته و اختياره، من دون أن تكون مبادئ الأفعال، فقطعها بالكليه في غايه الصعوبه و الإشكال، و قد اعترف أطباء

ص: ١٨٦

---

١- ١) و في نسختنا الخطيه هكذا: «فإن نيرات البراهين».

النفوس بأنها الداء العضال و يتعسر دفعه بالمره، و ربما قيل بتعذره، و لكن الحق إمكانه،

لقول النبي-صلى الله عليه و آله و سلم-: «من صلى ركعتين لم تتحدث نفسه فيهما بشيء غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر»، و لو لا إمكانه لم يتصور ذلك.

و السر فى صعوبه قطعها بالكليه أن للشيطان جندين: جندا يطير و جندا يسير، و الواهمه جنده الطيار، و الشهوه جنده السيار، لأن غالب ما خلقنا منه هى النار التى خلق منها الشيطان، فالمناسبه اقتضت تسلطه عليهما و تبعيتهما له.

ثم لما كانت النار بذاتها مقتضيه للحركه، إذ لا تتصور نار مشتعله لا تتحرك، بل لا تزال تتحرك بطبعها، فشان كل من الشيطان و القوتين أن يتحرك و لا- يسكن، إلا- أن الشيطان لما خلق من النار الصرغه من دون امتزاج شىء آخر بها فهو دائم الحركه و التحريك للقوتين بالوسوسه و الهيجان، و القوتان لما امتزج بغالب مادتهما-أعنى النار- شىء من الطين لم تكونا بمثابه ما خلق من صرف النار فى الحركه، إلا أنهما استعدتا لقبول الحركه منه، فلا يزال الشيطان ينفخ فيهما و يحركهما بالوسوسه و الهيجان و يطير و يجول فيهما ثم الشهوه لكون الناريه فيها أقل فسكونها ممكن، فيحتمل أن يكف تسلط الشيطان عن الإنسان فيها، فيسكن بالكليه عن الهيجان. و أما الواهمه فلا- يمكن أن يقطع تسلطه عنها، فيمتنع قطع وسواسه عن الإنسان، إذ لو أمكن قطعه أيضا بالمره، لصار اللعين منقادا للإنسان مسخرا له، و انقياده له هو سجوده له، إذ روح السجود و حقيقته هو الانقياد و الإطاعه، و وضع الجبهه حالته و علامته، و كيف يتصور أن يسجد الملعون لأولاد آدم عليه السلام مع عدم سجوده لأبيهم و استكباره من أن يطمئن عن حركته ساجدا له معللا بقوله:

(١)

فلا يمكن أن يتواضع لهم بالكف عن الوسوسة، بل هو من المنظرين لإغوائهم إلى يوم الدين، فلا يتخلص منه أحد إلا من أصبح و همومه هم واحد فيكون قلبه مشتغلا بالله وحده، فلا يجد الملعون مجالا فيه، ومثله من المخلصين الداخلين في الاستثناء (٢) عن سلطنه هذا اللعين، فلا تظن أنه يخلو عنه قلب فارغ، بل هو سيال يجري من ابن آدم مجرى الدم، و سيلانه مثل الهواء في القدح، فإنك إن أردت أن تخلي القدح عن الهواء من غير أن تشغله بمثل الماء فقد طمعت في غير مطمع، بل بقدر ما يدخل فيه الماء يخلو عن الهواء، فكذلك القلب إذا كان مشغولا بفكر مهم في الدين يمكن أن يخلو من جولان هذا اللعين، و أما لو غفل عن الله و لو في لحظه، فليس له في تلك اللحظة قرين إلا الشيطان، كما قال سبحانه:

وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ

(٣)

و قال رسول الله -صلى الله عليه و آله و سلم-: «إن الله يبغض الشاب الفارغ»، لأن الشاب إذا تعطل عن عمل مباح يشغل باطنه لا بد أن يدخل في قلبه الشيطان و يعيش فيه و يبيض و يفرخ، و هكذا يتوالد نسل الشيطان توالدا أسرع من توالد الحيوانات، لأن الشيطان طبعه من النار، و الشهوه

ص: ١٨٨

١-١) الأعراف، الآية: ١٢.

٢-٢) إشاره إلى قوله تعالى: قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ الحجر الآية: ٤٠.

٣-٣) الزخرف، الآية ٣٥.

فى نفس الشاب كالحلفاء (١) اليا بسه، فإذا وجاهها كثره تولده و تولدت النار من النار و لم تنقطع أصلا.

فظهر أن وسواس الخناس لا- يزال يجاذب قلب كل إنسان من جانب إلى جانب، ولا- علاج له إلا قطع العلائق كلها ظاهرا و باطنا، و الفرار عن الأهل و المال و الولد و الجاه و الرفقاء، ثم الاعتزال إلى زاويه، و جعل الهموم هما واحدا هو الله. و هذا أيضا غير كاف ما لم يكن له مجال فى الفكر و سير فى الباطن فى ملكوت السماوات و الأرض و عجائب صنع الله، فإن استيلاء ذلك على القلب و اشتغاله به يدفع مجاذبه الشيطان و وسواسه، و إن لم يكن له سير بالباطن فلا ينجيه إلا الأوراد المتواصله المترتبه فى كل لحظه من الصلوات و الأذكار و الأدعيه و القراءه. و يحتاج مع ذلك إلى تكليف القلب الحضور، إذ الأوراد الظاهره لا تستغرق القلب، بل التفكير بالباطن هو الذى يستغرقه و إذا فعل كل ذلك لم يسلم له من الأوقات إلا بعضها، إذ لا يخلو فى بعضها عن حوادث تتجدد و تشغله عن الفكر و الذكر، كمرض أو خوف أو إيذاء و طغيان، و لو من مخالطه بعض لا يستغنى عنه فى الاستعانه فى بعض أسباب المعيشه.

### فصل (ما يتم به علاج الوسواس)

لو أمكن العلاج فى القطع الكلى للوسواس فإنما يتم بأمور ثلاثه:

### (الأول) سد الأبواب العظيمه للشيطان فى القلب،

و هى الشهوه، و الغضب، و الحرص، و الحسد و العداوه، و العجب، و الحقد، و الكبر، و الطمع، و البخل، و الخفه و الجبن، و حب الحطام الدنيوى الدائر، و الشوق

ص: ١٨٩

---

١- (١) الحلفاء: نبت أطرافه محدده كأنها سعف النخل و الخوص، ينبت فى مغايض المياه. الواحده (حلفه و حلفاء).

إلى التزين بالثياب الفاخره،و العجله فى الأمر،و خوف الفاقه و الفقر، و التعصب لغير الحق،و سوء الظن بالخالق و الخلق...و غير ذلك من رؤس ذمائم الصفات و رذائل الملكات،فإنها أبواب عظيمه للشيطان،فإذا وجد بعضها مفتوحا يدخل منه فى القلب بالسواوس المتعلقه به،و إذا سدت لم يكن له إليه سبيل إلا على طريق الاختلاس و الاجتياز.

### **(الثانى)عمارہ القلب بأضدادها**

من فضائل الأخلاق و شرائف الاوصاف،و الملازمه للورع و التقوى،و المواظبه على عبادہ ربه الأعلى.

### **(الثالث)كثره الذكر بالقلب و اللسان،**

فإذا قلعت عن القلب أصول ذمائم الصفات المذكوره التى هى بمنزله الأبواب العظيمه للشيطان،زالت عنه وجوه سلطنته و تصرفاته،سوى خطراته و اجتيازاته،و الذكر يمنعها و يقطع تسلطه و تصرفه بالكليه،و لو لم يسد أبوابه أولاً لم ينفع مجرد الذكر اللسانى فى إزالتها،إذ حقيقه الذكر لا- يتمكن فى القلب إلا- بعد تخليته عن الرذائل و تحليته بالفضائل،و لولاها لم يظهر على القلب سلطانه،بل كان مجرد حديث نفس لا- يندفع به كيد الشيطان و تسلطه،فإن مثل الشيطان مثل كلب جائع،و مثل هذه الصفات المذمومه مثل لحم أو خبز أو غيرهما من مشتريات الكلب،و مثل الذكر مثل قولك له:اخسأ.و لا ريب فى أن الكلب إذا قرب إليك و لم يكن عندك شىء من مشترياتہ فهو ينزجر عنك بمجرد قولك:

اخسأ،و إن كان عندك شىء منها لم يندفع عنك بمجرد هذا القول ما لم يصل إلى مطلوبه. فالقلب الخالى عن قوت الشيطان يندفع عنه بمجرد الذكر،و أما القلب المملو منه فيدفع الذكر إلى حواشيه،و لا يستقر فى سويدائه،لاستقرار الشيطان فيه.و أيضاً الذكر بمنزله الغذاء المقوى،فكما لا تنفع الأغذيه المقويه ما لم يتق البدن عن الأخلاط الفاسده و مواد الأمراض الحادثه،كذلك

لا ينفع الذكر ما لم يطهر القلب عن الأخلاق الذميمة التي هي مواد مرض الوسواس، فالذكر إنما ينفع للقلب إذا كان متطهرا عن شوائب الهوى و منورا بأنوار الورع و التقوى، كما قال سبحانه.

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ

(١)

و قال سبحانه:

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ

(٢)

و لو كان مجرد الذكر مطردا للشيطان لكان كل أحد حاضر القلب فى الصلاة، و لم يخطر بباله فيها الوسواس الباطل و الهواجس الفاسده، إذ منتهى كل ذكر و عباده إنما هو فى الصلاة مع أن من راقب قلبه يجد أن خطور الخواطر فى صلاته أكثر من سائر الأوقات، و ربما لا يتذكر ما نسيه من فضول الدنيا إلا فى صلاته، بل يزدحم عندها جنود الشياطين على قلبه و يصير مضمارا لجولانهم، و يقلبونه شمالا و يمينا بحيث لا يجد فيه إيمانا و لا يقينا و يجاذبونه إلى الأسواق و حساب المعاملين و جواب المعاندين، و يمرون به فى أوديه الدنيا و مهالكها، و مع ذلك كله لا تظن أن الذكر لا ينفع فى القلوب الغافله أصلا، فإن الأمر ليس كذلك، إذ للذكر عند أهله أربع مراتب كلها تنفع الذاكرين، إلا أن لبه و روحه و الغرض الأصلي من ذلك المرتبه الأخيره: (الأولى) اللسانى فقط.

(الثانيه) اللسانى و القلبى، مع عدم تمكنه من القلب، بحيث احتياج

ص: ١٩١

١-١) الأعراف، الآية: ٢٠١.

٢-٢) ق، الآية: ٣٦.



القلب إلى مراقبته حتى يحضر مع الذكر، و لو خلى و طبعه استرسل في أوديه الخواطر.

(الثالثه)القلبي الذى تمكن من القلب و استولى عليه، بحيث لم يمكن صرفه عنه بسهولة، بل احتاج ذلك إلى سعى و تكلف، كما احتيج فى الثانيه إليهما فى قراره معه و دوامه عليه.

(الرابعه)القلبي الذى يتمكن المذكور من القلب بحيث انمحي عند الذكر، فلا يلتفت القلب إلى نفسه و لا إلى الذكر، بل يستغرق بشراشه فى المذكور، و أهل هذه المرتبه يجعلون الالتفات إلى الذكر حجابا شاغلا.

و هذه المرتبه هى المطلوبه بالذات و البواقى مع اختلاف مراتبها مطلوبه بالعرض لكونها طرقا إلى ما هو المطلوب بالذات.

### فصل (ما يتوقف عليه قطع الوسوس)

السر فى توقف قطع الوسوس بالكلية على التصفيه و التخليه أولا، ثم المواظبه على ذكر الله: إن بعد حصول هذه الأمور للنفس تحصل لقوتها العاقله ملكه الاستيلاء و الاستعلاء على القوى الشهويه و الغضبيه و الوهميه، فلا- تتأثر عنها و تؤثر فيها على وفق المصلحه، فتتمكن من ضبط الواهمه و المتخيله بحيث لو أرادت صرفهما عن الوسوس لأمكنها ذلك، و لم تتمكن القوتان من الذهاب فى أوديه الخواطر بدون رأيها، و إذا حصلت للنفس هذه الملكه و توجهت إلى ضبطهما كلما أرادت الخروج عن الانقياد و الذهاب فى أوديه الوسوس و تكرر منها هذا الضبط، حصل لهما ثبات الانقياد بحيث لم يحدث فيهما خاطر سوء مطلقا، بل لم يخطر فيهما إلا خواطر الخير من خزائن الغيب و حينئذ تستقر النفس على مقام الاطمئنان، و تسد عنها أبواب الشيطان و تفتح فيها أبواب

الملائكة، و يصير مستقرها و مستودعها، فتستضاء بشروق الأنوار القدسيه من مشكاة الربوبيه، و يشملها خطاب:

يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (١) و مثل هذه النفس أحسن النفوس و أشرفها، و تقابلها النفس المنكوسة المملوه من الخبائث الملوثة بأنواع الذمائم و الرذائل، و هي التي انفتحت فيها أبواب الشيطان و انسدت منها أبواب الملائكة، و يتصاعد منها دخان مظلم إليها، فتملأ- جوانبها و يطفئ نور اليقين و يضعف سلطان الإيمان، حتى تخمد أنواره بالكلية، و لا- يخطر فيها خاطر خير أبدا، و تكون دائما محل الوسوس الشيطانيه، و مثلها لا يرجع إلى الخير أبدا، و علامتها عدم تأثرها من النصائح و المواعظ، و لو أسمعت الحق عميت عن الفهم و صمت عن السمع، و إلى مثلها أشير بقوله سبحانه:

أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا (٢) و بقوله تعالى:

خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَ عَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَ عَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً

(٣)

و بقوله سبحانه:

إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا

(٤)

ص: ١٩٣

١- (١) الفجر، الآيه: ٢٧-٢٨.

٢- (٢) الفرقان، الآيه: ٤٣.

٣- (٣) البقره، الآيه: ٧.

٤- (٤) الفرقان، الآيه: ٤٤.

و بقوله تعالى:

وَ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

(١)

و بقوله عز و جل:

لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

(٢)

و بين هاتين النفسين نفس متوسطه فى السعاده و الشقاوه، و لها مراتب مختلفه فى اتصافها بالفضائل و الرذائل بحسب الكم و الكيف و الزمان فيختلف فيها فتح أبواب الملائكه و الشياطين بالجهات المذكوره، فتاره يتبدئ فيها خاطر الهوى فيدعوها إلى الشر، و تاره يتبدئ فيها خاطر الإيمان فيبعثها على الخير، و مثلها معركه تطارد جندى الشياطين و الملائكه و تجاذبهما، فتاره يصول الملك على الشيطان فيطرده، و تاره يحمل الشيطان على الملك فيغلبه، و لا تزال متجاذبه بين الحزبين متردده بين الجندين، إلى أن تصل إلى ما خلقت لأجله لسابق القضاء و القدر. ثم النفس الأولى فى غايه الندره، و هى نفوس الكمل من المؤمنين الموحدين، و الثانيه فى نهايه الكثره و هى نفوس الكفار بأسرهم، و الثالثه نفوس أكثر المسلمين، و لها مراتب شتى و درجات لا تحصى و لها عرض عريض، فيتصل أحد طرفين بالنفس الأولى، و آخرهما بالثانيه

### فصل (حديث النفس لا مؤاخذه عليه)

قد عرفت أن الوسواس بأقسامها مشتركه فى إحداث ظلمه و كدره فى النفس، إلا- أن مجرد الخواطر- أى (حديث النفس) و ما يتولد عنه بلا

ص: ١٩٤

١- ١) يس، الآية: ١٠.

٢- ٢) يس، الآية: ٧.

اختيار، كالميل و هيجان الرغبه-لا مؤاخذه عليهما، و لا يكتب بهما معصيه لعدم دخولهما تحت الاختيار، فالمؤاخذه عليهما ظلم، و النهى عنهما تكليف بما لا يطاق، و الاعتقاد و حكم القلب بأنه ينبغي أن يفعل هذا فيؤاخذ به لكونه اختياريا، و كذا الهم بالفعل و العزم عليه، إلا أنه إن يفعل مع الهم خوفا من الله و ندم عنه كتبت له حسنه، و إن لم يفعل لمانع منعه لا لخوف الله سبحانه كتبت عليه سيئه.

و الدليل على هذا التفصيل: أما على عدم المؤاخذه على مجرد الخاطر،

فما روى في الكافي: «إنه جاء رجل إلى النبي-صلى الله عليه و آله و سلم-فقال يا رسول الله! هلكت. فقال له هل أتاك الخبيث فقال لك من خلقك؟ فقلت الله تعالى، فقال لك: الله من خلقه؟ فقال له: أى و الذى بعثك بالحق لكان كذا. فقال رسول الله-صلى الله عليه و آله و سلم-. ذاك و الله محض الإيمان» و مثله

ما روى: أن رجلا- أتى رسول الله-صلى الله عليه و آله و سلم-فقال «يا رسول الله نافقت! فقال و الله ما نافقت! و لو نافقت ما أتيتنى تعلمنى، ما الذى رابك؟ أظن أن العدو الحاضر أتاك، فقال: من خلقك؟ فقلت: الله تعالى خلقنى.

فقال لك: من خلق الله؟ فقال: أى و الذى بعثك بالحق لكان كذا، فقال: إن الشيطان أتاكم من قبل الأعمال فلم يقو عليكم، فأتاكم من هذا الوجه لكى يستزلكم، فإذا كان كذلك فليذكر أحدكم الله وحده». و قريب منه

ما روى: أن رجلا كتب إلى أبى جعفر عليه السلام يشكو إليه لما يخطر على باله، فأجابه فى بعض كلامه: «إن الله إن شاء ثبتك فلا يجعل لإبليس عليك طريقا. قد شكى قوم إلى النبي-صلى الله عليه و آله و سلم-لما يعرض لهم لأن تهوى بهم الريح أو يقطعوا أحب إليهم من أن يتكلموا به، فقال رسول الله: أ تجدون ذلك؟ قالوا: نعم! قال: و الذى نفسى بيده إن ذلك

لصريح الإيمان، فإذا وجدتموه فقولوا: آمنا بالله ورسوله ولا حول ولا قوة إلا بالله»

و سئل الصادق عليه السلام عن الوسوسة وإن كثرت، فقال.

«لا شيء فيها، تقول لا إله إلا الله».

و عن جميل بن دراج قال: قلت للصادق عليه السلام: إنه يقع في قلبي أمر عظيم، فقال: «قل لا إله إلا الله»، قال جميل فكلما وقع في قلبي قلت لا إله إلا الله، فيذهب عني.

و مما يدل على عدم المؤاخذه عليه و على الميل و هيجان الرغبة إذا لم يكونا داخلين تحت الاختيار

ما روى. أنه لما نزل قوله تعالى.

وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ

(١)

جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- وقالوا كلفنا ما لا نطيق، إن أحدنا ليحدث نفسه بما لا يجب أن يثبت في قلبه، ثم يحاسب بذلك؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-: «لعلكم تقولون كما قال بنو إسرائيل. سمعنا و عصينا، قولوا. سمعنا و أطعنا، فقالوا. سمعنا و أطعنا، فأنزل الله الفرج بعد سنه بقوله تعالى.

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا

(٢)

و ما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله سبحانه.

«وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ». «إن هذه الآية عرضت على الأنبياء و الأمم السابقة فأبوا أن يقبلوها من ثقلها، وقبلها رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- و عرضها على أمته فقبلوها. فلما رأى الله

ص: ١٩٦

١- (١) البقرة الآية: ٢٨٤.

٢- (٢) البقرة الآية: ٢٨٦.

عز و جل منهم القبول على أنهم لا يطيقونها، قال. أما إذا قبلت الآية بتشديدها و عظم ما فيها و قد عرضتها على الأمم السابقيه فأبوا أن يقبلوها و قبلتها أمتك، فحق على أن أرفعها عن أمتك، و قال عز من قائل: لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا»

و ما روى عن النبي -صلى الله عليه و آله و سلم- أنه قال «وضع عن أمتي تسع خصال: الخطأ، و النسيان، و ما لا يعلمونه، و ما لا يطيقونه، و ما اضطروا عليه، و ما استكروها عليه، و الطيره و الوسوسة في التفكير في الخلق، و الحسد ما لم يظهر بلسان أويده».

و ما روى أنه سئل الصادق عليه السلام عن رجل يجيء منه الشيء على حد الغضب يؤاخذة الله تعالى؟ فقال عليه السلام: «إن الله تعالى أكرم من أن يستغلق على عبده»، و المراد من الغضب فيه الغضب الذي سلب الاختيار.

و بالجملة القطع حاصل بعدم المؤاخذة و المعصية على ما لا يدخل تحت الاختيار من الخواطر و الميل و هيجان الرغبة، إذ النهي عنها مع عدم كونها اختيارية تكليف بما لا تطاق، و إن لم ينفك عن إحداث خباثته في النفس.

و أما (1) على أنه يكتب سيئه على الاعتقاد و اللهم بالفعل و التصميم عليه مع تركه لمانع لا- لخوف من الله، فهو أن كلا- من الاعتقاد و الهم بالمعصية فعل من الأفعال الاختيارية للقلب، و قد ثبت في الشريعة ترتب الثواب و العقاب على فعل القلب إذا كان اختيارياً، قال الله سبحانه:

إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُلاً

(2)

و قال سبحانه:

ص: ١٩٧

١- (١) أي و أما الدليل على أنه يكتب سيئه.

٢- (٢) بنى إسرائيل، الآية: ٣٨.

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ

(١)

و قال رسول الله-صلى الله عليه و آله و سلم-: «إنما يحشر الناس على نياتهم» .

و قال-صلى الله عليه و آله و سلم-: «إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل و المقتول في النار»، قيل: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «لأنه أراد قتل صاحبه».

و قال-صلى الله عليه و آله و سلم: «لكل امرئ ما نوى» و الآثار الواردة في ترتب العقاب على الهم بالمعصية كثيرة، و إطلاقها محمول على غير صورته الترك خوفا من الله، لما يأتي من أنه في هذه الصورة تكتب بها حسنه، و كيف لا يؤاخذ على أعمال القلوب مع أن المؤاخذة على الملكات الرديه من الكبر و العجب و الرياء و النفاق و الحسد و غيرها قطعي الثبوت من الشرع، مع كونها أفعالا قلبية، و قد ثبت في الشريعة أن من وطأ امرأه ظانا أنها أجنبية كان عاصيا و إن كانت زوجته.

و أما على أنه يكتب حسنه على الترك بعد الهم خوفا من الله،

فما روى عن النبي-صلى الله عليه و آله و سلم- أنه قال: «قالت الملائكة: رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئه و هو أبصر، فقال: راقبوه فإن عملها فاكتبوها عليه بمثلها، و إن تركها فاكتبوها له حسنه إنما تركها لأجلي».

و ما روى عن الإمام محمد بن علي الباقر-عليهما السلام-: «ان الله تعالى جعل لآدم في ذريته من هم بحسنه و لم يعملها كتبت له حسنه، و من هم بحسنه و عملها كتبت له عشرا، و من هم بسيئه و لم يعملها لم تكتب عليه سيئه، و من هم بها و عملها كتبت عليه سيئه»،

و قوله: «لم يكتب عليه» محمول على صورته عدم

ص: ١٩٨

(١-١) البقره، الآية: ٢٢٥.

العمل خوفا من الله. لما تقدم من أنه إن لم يعملها لمانع غير خوف الله كتبت عليه سيئه.

و ما روى عن الصادق عليه السلام انه قال: «ما من مؤمن إلا وله ذنب يهجره زمانا ثم يلم به و ذلك قوله تعالى:

إِلَّا اللَّئِمَّ

(١)

و قال: «و اللئم: الرجل يلم بالذنب فيستغفر الله منه»، و قد وردت بهذا المضمون اخبار آخر.

### وصل (الخاطر المحمود و التفكير)

قد عرفت أن ضد الوسوسة الخاطر المحمود المستحسن شرعا و عقلا، لأن القلب إذا كان مشغولا بشيء لا يمكن أن يشغله شيء آخر، فإذا كان مشغولا بشيء من الخواطر المحموده لا سبيل للخواطر المذمومه إليه، و ربما كان للغفلة التي هي ضد النية تقابل لكل من الوسوسة و الخاطر المحمود، إذ عند الغفلة لا يتحقق شيء منهما، إلا أن خلو القلب عن كل نية و خاطر بحيث يكون ساذجا في غايه الندره، على أن الظاهر أن مرادهم من الغفلة خلو الذهن من القصد الباعث و إن كان مشغولا بالوساوس الباطله، كما يأتي تحقيقه.

ثم الخاطر المحمود إن كان قصدا و نية لفعل جميل معين كان متعلقا بالقوه التي يتعلق هذا الفعل بها، و إلا كان راجعا إما إلى الذكر القلبي أو إلى التدبر في العلوم و المعارف و التفكير في عجائب صنع الله و غرائب عظمته، أو إلى التدبر الإجمالى الكلى فيما يقرب العبد إلى الله سبحانه أو ما يبعده عنه

ص: ١٩٩

(١ - ١) النجم، الآية: ٣٢.



تعالى، وليس وراء ذلك خاطر محمود متعلق بالدين أو غير ذلك من الخواطر المذمومه المتعلقة بالدنيا.

و إذا عرفت ذلك فاعلم: أنه من معالجات مرض الوسواس معرفه شرافه ضده الذى هو الخاطر المحمود، ليعثه على المواظبه عليه الموجه لدفع الوسواس. و فضيله الخواطر المحموده الباعثه على الأفعال الجميله يأتى ذكرها فى باب النيه و ربما يعلم من بيان فضيله نفس هذه الأفعال أيضا كما يأتى ذكرها فى باب النيه، و فضيله الذكر القلبي يعلم فى باب مطلق الذكر.

أما بيان شرافه التفكير و بعض مجاريه من أفعال الله تعالى و الإشاره إلى كيفيه التفكير فيها و فيما يقرب العبد إلى الله تعالى و فيما يبعده عنه، فلنشر إلى مجمل منه هنا لتعلقه بالقوه النظرية، فنقول:

التفكر: هو سير الباطن من المبادئ إلى المقاصد، و المبادئ: هى آيات الآفاق و الأنفس، و المقصد: هو الوصول إلى معرفه موجودها و مبدعها و العلم بقدرته القاهره و عظمته الباهره، و لا يمكن لأحد أن يترقى من حضيض النقصان إلى أوج الكمال إلا بهذا السير. و هو مفتاح الأسرار و مشكاه الأنوار، و منشأ الاعتبار و مبدأ الاستبصار، و شبكه المعارف الحقيقه و مصيده الحقائق اليقينيّه، و هو أجنحه النفس للطيران إلى وكرها القدسى، و مطيه الروح للمسافره إلى وطنها الأصلى و به تنكشف ظلمه الجهل و أستاره و تنجلي أنوار العلم و أسرارها، و لذا ورد عليه الحث و المدح فى الآيات و الأخبار كقوله سبحانه:

أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ

(١)

«

ص: ٢٠٠

١-١) الروم الآية: ٨.

و قوله تعالى:

أَو لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ

(١)

و قوله تعالى:

فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ

(٢)

و قوله تعالى:

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ

(٣)

و قوله تعالى:

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (٤) و قوله تعالى:

و فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ. وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ

(٥)

و قوله تعالى:

ص: ٢٠١

١-١ (١) الأعراف، الآية: ١٨٥.

٢-٢ (٢) الحشر، الآية: ٣.

٣-٣ (٣) العنكبوت، الآية: ٢٠.

٤-٤ (٤) آل عمران، الآية: ١٩٠.

٥-٥ (٥) الذاريات، الآية: ٢٠-٢١.

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تِلْكَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

(١)

و قول رسول الله-صلى الله عليه و آله و سلم-: «التفكر حياه قلب البصير»

و قوله-صلى الله عليه و آله و سلم-: «فكره ساعه خير من عباده سنه»، و لا- ينال منزله التفكر إلا- من خصه الله عز و جل بنور التوحيد و المعرفة،

و قوله -صلى الله عليه و آله و سلم-: «أفضل العباده إدمان التفكر فى الله و فى قدرته»

(٢)

، و مراده من التفكر فى الله التفكر فى قدرته و صنعه و فى عجائب أفعاله و مخلوقاته و غرائب آثاره و مبدعاته، لا التفكر فى ذاته، لكونه ممنوعا عنه فى الأخبار، و معللا بأنه يورث الحيره و الدهشه و اضطراب العقل،

و قد ورد: «إياكم و التفكر فى الله، و لكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمته فانظروا إلى عظيم خلقه». و اشتهر

عن النبى-صلى الله عليه و آله و سلم- أنه قال: «تفكروا فى آلاء الله و لا تفكروا فى الله، فإنكم لن تقدرُوا قدره»،

و قول أمير المؤمنين عليه السلام: «التفكر يدعو إلى البر و العمل به»،

و قوله عليه السلام: «نبه بالتفكر قلبك، و جاف عن الليل جنبك، و اتق الله ربك»،

و قول الباقر عليه السلام: «بإجاله الفكر يستدر الرأى المعشب»

و قول الصادق عليه السلام: «الفكر مرآه الحسنات و كفاره السيئات، و ضياء للقلوب و فسحه للخلق، و إصابه فى صلاح المعاد، و اطلاع على العواقب، و استزاده فى العلم و هى خصله لا يعبد الله بمثلها»،

و قول الرضا عليه السلام: «ليس العباده كثره فى الصلاه و الصوم، إنما العباده التفكر فى أمر الله عز و جل».

ص: ٢٠٢

١-١ (١) آل عمران، الآية ١٩١.

٢-٢ (٢) روى هذه الأحاديث فى الكافى فى (باب التفكر) عن أبى عبد الله -عليه السلام- كما هنا.

الموجودات بأسرها مجارى التفكير و مطارح النظر، إذ كل ما فى الوجود سوى واجب الوجود فهو من رشحات وجوده و آثاره فيضه و جوده، و كل موجود و مخلوق من جوهر أو عرض مجرد أو مادى، فلكى أو عنصرى، بسيط أو مركب فعل الله و صنعه، و ما من ذره من ذرات العالم إلا- و فيها ضروب من عجائب حكمته و غرائب عظمته، بحيث لو تشرع عقلاء الأقطار و حكماء الأمصار مدى الأعصار لاستنباطها، انقضت أعمارهم دون الوقوف على عشر عشيرها و قليل من كثيرها.

ثم إن الموجودات المخلوقة منقسمه إلى ما لا يعرف أصله فلا يمكننا التفكير فيه، و إلى ما يعرف أصله و مجمله من دون معرفه تفاصيله فيمكننا التفكير فى تفصيله لترداد لنا معرفه و بصيره بخالفه. و هو إلى ما لا- يدرك بحس البصر و يسمى ب(الملكوت)، كالملائكة و الجن و الشياطين و عوالم العقول و النفوس المجرده، و لها أجناس و طبقات لا- يحيط بها إلا موجدها، و إلى ما يدرك به، و له أجناس ثلاثه: عالم السماوات المشاهده بكواكبها و نجومها و دورانها فى طلوعها و غروبها، و عالم الأرض المحسوسه ببحارها و جبالها و وهادها و تلالها و معادنها و أنهارها و نباتها و أشجارها و حيوانها و جمادها، و عالم الجو المدرك بسحبه و غيومه و أمطاره و ثلوجه و شهبه و بروقه و رياحه و رعوده، و كل من هذه الأجناس الثلاثه ينقسم إلى أنواع، و يتشعب كل نوع إلى أقسام و أصناف غير متناهيه، مختلفه فى الصفات و الهيئات، و اللوازم و الآثار و الخواص، و المعانى الظاهره و الباطنه، و ليس شىء منها إلا و موجه هو الله سبحانه،

و فى وجوده و حر كته و سكونه حكم و مصالح لا تحصى.

و كل ذلك مجارى التفكير و التدبر لتحصيل المعرفة و البصيره بخالقها الحكيم و موجدها القيوم العليم، إذ كلها شواهد عدل و بينات صدق على وحدانيته و حكمته و كمال كبريائه و عظمتة، فمن قدم قدم حقيقته، و دار عالم الوجود و فتح عين بصيرته، و شاهد مملكه ربه الودود، لظهر له فى كل ذره من ذرات الخلق عجائب حكمه و غرائب قدره، بهر منها عقله و وهمه، و حسر دونها لبه و فهمه.

ثم لا- ريب فى أن طبقات العوالم المنتظمه المرتبه على النحو الأصلح و النهج الأحسن بأمر موجدها الحكيم و مدبرها العليم، مبتدأه فى الصدور من الأشرف فالأشرف، حتى ينتهى إلى أسفل العوالم و أخسها، و هو عالم الأرض بما فيه، و كل عالم أسفل لا قدر له بالنسبه إلى ما فوقه، فلا قدر للأرض بالنظر إلى عالم الجو، و لا للجو بالقياس إلى عالم السماوات، و لا للسماوات بالنسبه إلى عالم المثال، و لا للمثال بالنظر إلى عالم الملكوت، و لا للملكوت بالقياس إلى الجبروت، و لا للجبروت بالنسبه إلى ما لا سبيل لنا إلى دركه تفصيلا و إجمالا- من عوالم الألوهيه، كما ظهر لعلماء الطبيعه و أهل الرصد و الهندسه، و وضح لأرباب المكاشفه و العرفان و أصحاب المشاهده و العيان.

ثم أخس العوالم الذى عرفت حاله- أعنى الأرض- لا قدر لما على ظهرها من الحيوان و النبات و الجماد، بالنظر إلى نفسها، و لذا يفسد من أدنى تغير لها جل ما عليها، و لكل جنس مما عليها أنواع و أقسام و أصناف غير متناهيه. و أضعف أنواع الحيوان البعوضه و النحل و أشرف أنواعه الإنسان فنحن نشير إلى نبذه يسيره من الحكم و العجائب المودعه فيها، و كيفيه التفكير فيها، ليقاس عليها البواقى إجمالا. فإن بيان مجارى التفكير

بأسرها فى حين المحال، و ما يمكن منه خارج عن حيطه الضبط و التدوين، و لذا ترى أن البارعين من الحكماء و الفائقين من أجله العرفاء بذلوا وسعهم فى بيان مجارى التفكير و مطارحه و شرح بمجال النظر و مسارحه فسطروا فيه الأساطير و ملأوا منه الطوامير، و خاضوا فى غمرات بحار الأفكار و غاصوا فى تيار لجج الأنظار، و مع ذلك لم يعودوا بالنظر إلى ما هو الواقع إلا صفر اليدين و رجعوا آخر الأمر (بخفى حنين). و نحن لو تعرضنا لشرح ما يمكن لنا دركه من الحكم و الغرائب المودعه فى عضو واحد من أعضائها على التفصيل لخرجنا عن وضع الكتاب، و ارتكبنا ما يعمل الناظرين من الإطناب، فنشير إجمالاً إلى بعض ما فيها من الحكم و العجائب، تنبيهاً للطالبيين على كيفية التفكير فى الصنائع الإلهيه، فنقول:

### أما (البعوض)

فانظر كيف خلقه الله على صغر قدره على شكل الفيل الذى هو أعظم الحيوانات، إذ خلق له خرطوم كخرطومه، و خلق له مع صغره جميع الأعضاء التى خلقها للفيل بزياده جناحين، فقسم أعضائه الظاهره، فأثبت جناحيه و أخرج يديه و رجليه، و شق سمعه و بصره و دبر فى باطنه أعضاء الغذاء، و ركب فيها من القوى الغاذيه و الجاذبه و الدافعه و الماسكه و الهاضمه ما ركب فى الحيوانات العظيمه - كما يأتى فى الإنسان - ثم هداه إلى غذائه الذى هو دم الإنسان و غيره من الحيوانات، فأثبت له آله الطيران إلى الإنسان، و خلق له الخرطوم الطويل و هو محدد الرأس، و هداه إلى الامتصاص من مسام بشره الإنسان حتى يضع خرطومه فى واحد من مسامه، و يغرز فيه و يمص الدم و يتجرعه، و خلق خرطومه - مع دقته - مجوفاً حتى يجرى فيه الدم الصافى الرقيق و ينتهى إلى باطنه و ينتشر فى معدته و فى سائر أعضائه، و عرفه أن الإنسان يقصده بيده فعلمه حيله الهرب، و خلق له

السمع الذى يسمع به حفيف حركه اليد مع كونها بعيده منه،فيترك المص و يهرب،و إذا سكنت اليد عاد،و خلق له حدقتين حتى يبصر مواضع غذائه فيقصده مع صغر حجم وجهه.و لما كانت حدقه كل حيوان صغيره بحيث لا يحتمل الأجفان لصغره،و كانت الأجفان مصقله لمراه الحدقه عن القذى و الغبار،خلق للبعوض و الذباب و غيرهما من الحيوانات الصغيره يدين ليمسح بهما حدقتيه و يطهرهما عن الغبار و القذى،أ و لا ترى الذباب أنه على الدوام يمسح حدقتيه بيديه.و أما الإنسان و غيره من الحيوانات العظيمه خلق لحدقتيه الأجفان حتى ينطبق أحدهما على الآخر و أطرافهما حاده،فيجمع الغبار الذى يلحق الحدقه و يرميها إلى أطراف الأهداب.فهذه لمعه يسيره من عجائب صنع الله فيه،و فيها من العجائب الظاهره و الباطنه ما لو اجتمع الأولون و الآخرون على الإحاطه بكنهها عجزوا عن حقيقتها.

## أما (النحل)

-فانظر كيف أوحى الله تعالى إليها حتى اتخذت! مِنَ الْجِبَالِ يُّبْتَأُ وَ مِنَ الشَّجَرِ وَ مِمَّا يَعْرِشُونَ (١) و استخراج من لعبها الشمع و العسل،و جعل أحدهما ضياء و الآخر شفاء و انظر فى عجائب أمرها فى تناولها الأزهار و الأنهار و اجتنابها عن النجاسات و الأقدار،و فى طاعتها و انقيادها لواحد من جملتهم،و أكبرهم شخصا،و هو أميرهم.و انظر كيف علم الله أميرهم أن يحكم بالعدل و الإنصاف بينهم، حتى أنه ليقتل على باب النفذ كل ما وقع منها على نجاسه.ثم انظر إلى بناء بيوتها من الشمع و اختيارها من جملته الأشكال المسدس،فلا- يبنى مستديرا و لا- مربعا و لا- مخمسا،بل اختار المسدس لخاصيه يقصر عن دركها أفهام المهندسين،و هو أن أوسع الأشكال و أجودها المستدير،ثم ما يقرب منه،

ص: ٢٠٦

فإن المربع تخرج منه زوايا ضايعة، وشكل النحل مستدير مستطيل، فترك المربع حتى لا تضيق الزوايا فتبقى فارغه، ولو بناها مستديره لبقيت خارج البيوت فرج ضايعة، لأن الأشكال المستديره إذا اجتمعت لم تجتمع متراصه و لا شكل فى الأشكال ذوات الزوايا يقرب فى الوسعه و الاحتواء من المستدير ثم تتراص الجمله منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجه إلا المسدس، فهذه خاصيه هذا الشكل. فانظر كيف علم الله النحل مع صغر جرمها لطفا بها و عنايه بوجودها ليهنأ عيشها، فسبحانه ما أعظم شأنه. و ما ذكرناه قدر يسير من عجائب الحكمة المودعه فيها، و ما فيها من العجائب الظاهره و الباطنه مما لا يمكن الإحاطه به.

## و أما (الإنسان)

فنقول: لا ريب فى أن أول كل إنسان قطره من ماء قدره، لو خلقت بنفسها لأنتها الهواء و أفسدها، و كانت متفرقه فى جميع أجزاء بدن الذكر، فألقى الله بلطائف حكمته محبه بينه و بين الأنثى و قادهما بسلاسل الشهوه إلى الاجتماع، و استخراج هذه النطفه المنتنه بحركه الوقاع و أعطى لآله الرجل قوه دافعه، و لرحم الأنثى قوه جاذبه، حتى جذبتها من فم الإحليل إلى نفسها، و امتزجت بمنى الأنثى بحيث صارتا واحده، و استقرت فى الرحم، و جعل مبدأ عقده الصوره فى منى الذكر، و مبدأ انعقادها فى منى الأنثى، فهما بالنظر إلى الجنين كالأنفحه و اللبن بالقياس إلى الجبن، و الحق إن لكل من المنين القوه العاقده و المنعقده، إلا أن الأولى فى الذكورى و الثانيه فى الأنوثى أقوى، و إلا لم يتحدا شيئاً واحداً، و لم ينعقد الذكورى حتى يصير جزءاً من الولد. فلو كان مزاج الأنثى ذكورياً كما فى النساء الشريفه النفوس القويه القوى، و كان مزاج كبدها حاراً، كان المنى المنفصل عن كليتها اليمنى أحر كثيراً من المنفصل عن كليتها اليسرى، فإذا اجتمعا فى الرحم،



و كان مزاج الرحم قويا فى الإمساك و الجذب، قام المنفصل عن الكليه اليمنى مقام منى الذكر فى شده قوه العقد، و المنفصل من اليسرى مقام منى الأنثى فى قوه الانعقاد، فيختلق الولد، و بهذا تتصحح ولاده مريم البتول-عليها السلام- حيث تمثل لها روح القدس بشرا سويا حسن الصورة، فمع تحقق ما ذكر لها تأيدت به- أى بروح القدس- و سرى أثر اتصالها به إلى الطبيعه و البدن و تغير مزاجها و مد جميع القوى فى أفعالها بالمدد الروحانى، فصارت أقدر على أفعالها بما لا ينضب بالقياس.

ثم ابتداء خلق الجنين فى استقرار المائين فى الرحم، و شبه بالعجين إذا ألصق بالنور، فغيره الله تعالى سبحانه عن حاله قليلا، كالبذر إذا نبت من الأرض، فصارت نطفه، فاستجلب دم الحيض من أعماق العروق إليها، حتى ظهرت فيها نقط دمويه منه و صارت علقه. ثم أظهر فيها حمرة ظاهره حتى صار شبيها بالدم الجامد، و هيج فيها ريحا حاره فصارت مضغه. ثم أظهر فيها رسوم الأعضاء و شكلها و صورها، فأحسن تصويرها، فقسم أجزاءها المتشابهه إلى أجزاء مختلفه من العظام و الأعصاب و العروق و الأوتار و اللحم و الشحم.

ثم ركب الأعضاء الظاهره و الباطنه من اللحم و العروق و الأعصاب، فدور الرأس، و شق البصر و السمع و الفم و الأنف و سائر المنافذ، و مد اليد و الرجل، و قسم رءوسها بالأصابع و قسم الأصابع بالأنامل، و خلق كل واحد من القلب و الدماغ و الكبد و الطحال و المعده و الرئه و الرحم و المثانه و الأمعاء و غيرها من الأعضاء على شكل مخصوص، و جعل لكل واحد منها عملا معيناً و فعلا- مخصوصاً، و جميع ذلك يحصل للجنين و هو فى ظلمه الأحشاء محبوس و فى دم الحيض مغموس، منضم فى صره، كفاه على خديه، و مرفقاه على حقويه، جمعت ركبته على صدره و ذقنه على رأس ركبته، و هو كشبهه

نائم، سرته متصله بسره أمه يمتص منها الغذاء، ووجهه إلى وجهها إن كان أنثى و إلى ظهرها إن كان ذكرا. فتتوارد عليه تلك النقوش العجيبه و التصويرات الغريبه من غير خبير منها له و للرحم، و لا- للأب و الأم، و لا- يرى داخل النطفه أو الرحم و لا خارجهما نقاش يصل إليه أثر نقشه، فكأن الجنين بلسان حاله ينادى قلوب العارفين بنغمات تهيجها و ترقصها: تصورونى فى ظلمه الأحشاء مغموسا بدم الحيض، كيف يظهر التخطيط و التصوير على وجهى، فينقش النقاش أجفانى و حدقتى، و يصور المصور خدى و شفتى، و لا- يزال يظهر على نقش بعد نقش و صورته بعد صورته، و لا- أرى نقاشا و لا مصورا، أ و لا تتعجبون من هذا النقاش الذى لا يحتاج إلى تماس و مزاولة و لا يفتقر إلى آله و مباشره، أ و لا تنتقلون من عجب صنعته إلى عظيم قدرته و جسيم عظمته، أ و ليس لكم أعين بها تبصرون أو قلوب بها تفقهون، فكيف تنظرون إلى تكون أعضائى و عجائبها و لا تعتبرون؟! فانظر الآن- يا حبيبي- فى نبذ من العجائب و الحكم المودعه فى بعض من هذه الأعضاء، فتأمل فى (العظام) التى هى أجسام قويه صلبه كيف خلقها من نطفه سخيفه رقيقه، و أحكمها و صلبها فى الرحم بين المياه، مع أن صلابه المائع فى الماء محال عاده، و جعلها قواما و دعامة للبدن، و لذا صلبها و أحكمها لئلا تنكسر عند الحركات العنيفه، و قدرها مقادير مختلفه و شكلها على أشكال متفاوته، ففيها صغير و كبير و طويل و قصير و مستقيم و مستدير و دقيق و عريض و مجوف و مصمت، على ما اقتضته الحكمة و المصلحه، و لما كان الإنسان محتاجا إلى الحركة، تاره بجمله بدنه، و تاره ببعض أعضائه، لم يخلقه من عظم واحد، بل جعل له عظاما كثيره بينها مفاصل، حتى تيسر له الحركة بجمله بدنه و بعض أعضائه، و قدر شكل كل واحد منها على وفق الحركة المطلوبه

بها، و ما لم تكن فيه فائده سوى كونه عمادا للبدن خلقه مصمما، و إن جعل فيه المسام و الخلل التي لا بد منها، و ما يحتاج إليه للحركة أيضا، زاد في تجويفه ليكون أخف، و جعل تجويفه في الوسط واحدا لئلا يحتاج في وصول الغذاء إليه إلى التجاويف و الخلل المتفرقة، فيصير رخوا، بل صلبه مع تجويفه، لئلا ينكسر عند الحركات العنيفه، و ما كانت الحاجه فيه إلى الوثاقه أشد جعل تجويفه أقل، و ما كان الاحتياج فيه إلى الخفه أكثر جعل تجويفه أزيد، و جمع غذاءه و هو المخ في حشوه ليغذوه و يربطه دائما، لئلا يتفتت بتجفيف الحركة.

ثم وصل مفاصلها و ربط بعضها ببعض بأوتار أنبتها من أحد العظمين و ألصقها بالآخر، كالرباط، و خلق في أحدهما زوائد خارجه منه و في الآخر حفرا غائصة فيه موافقه لشكل الزوائد، ليدخل فيها و ينطبق عليها، و لذلك لو أراد الإنسان أن يحرك جزءا من بدنه دون سائر أعضائه لم يتعسر عليه، و لو لا المفاصل لتعذر عليه ذلك.

ثم وسط بين العظام الصلبه و اللحوم الرخوه (العضاريف) و هي من العظم ألين و من اللحم أصلب، ليحسن اتصال الصلب باللين، فلا يتأذى منه، خصوصا عند الضربه و الضغطة، و ليحسن به مجاوره المفاصل المتحاكه فلا تتراض لصلابتها.

ثم انظر- يا أخى- فى (العروق) و ما فيها من العجائب و الحكم، فانها خلقت على نوعين: (أحدهما) الشرايين: و هي العروق الضواريب المتحركه و منبتها القلب. و لما كان القلب ينبوع الحياه و منبع الروح و الحراره الغريزيه خلقت هذه العروق مبتدأه منه منتشره فى سائر الأعضاء لإيصال الروح و الحياه منه إليها، و لها حركتان، انقباضيه يقبض بها الأبخره الدخانيه عن القلب

و انبساطيه يجذب بها صافى النسيم إليه، ليستريح، و لو لا هذا القبض و الجذب لاختنق القلب بالبخار الدخاني، و خلقت ذات صفاقين لثلا تنشق بقوه حركتها و لثلا يتحلل ما فيها من الروح، و جعل الصفاق الداخلى أصلب لأنه الملاقى لقوه الحراره الغريزيه و مصادمه حركه الروح، فأوجب الحكمة الإلهيه زياده إحكامها حفظا لها عن الانشقاق، لقوه حركه الروح، و تقويه المحل الحراره الغريزيه، لثلا يتحلل شىء منها بتحلل محلها. و واحد من هذه الشرايين و يسمى الشريان الوريدي، لما كان حاملا لغذاء الريه لأن غذاءها من القلب فيغوص فيها و يصير شعبا، فخلق لذلك ذا صفاق واحد لثلا يزاحم بصلابته الريه لرخاوتها و لينها، مع عدم مصادمه لحمها له عند الحركه لكثره لينه و رخاوته. فلم تكن حاجه إلى زياده استحكامه، على أن الريه تحتاج إلى الغذاء على سبيل الترشح بسرعه و سهوله، و كثره الصلابه منافيه لذلك.

(و ثانيهما) العروق الساكنه: و تسمى الأورده، و شأنها جذب الغذاء من المعده إلى الكبد و منه إلى سائر الأعضاء، و هى ذات صفاق واحد لأنها ساكنه فلا يخشى انشقاقها. و جعل واحد منها و يسمى الوريد الشريانى ذا صفاقين لنفوذته فى التجويف الأيمن من القلب، فكان اللازم زياده وثاقته لثلا يعتريه انشقاق بقوه حركه القلب و صلابته، و هو الذى يأتى بغذاء الريه إلى القلب، و إذا خلص عن القلب و جاوزه يأخذ الشريان الوريدي منه الغذاء و يذهب به إلى الريه.

فانظر -يا أخى- إلى عجب حكمه ربك، فإن حامل غذاء الريه ما دام نافذا فى القلب و مصادما لحركته خلق صلبا ذا صفاقين، و إذا خلص عنه إلى الريه التى لا تتحمل الصلب جعل رخوا ذا صفاق واحد، فسبحانه ما أجل شأنه و أعظم برهانه.

ثم تفكر أيها المتفكر في (الرأس) وعجيب خلقه، حيث ركبه من عظام مختلفه الأشكال و الصور، و ألف بعضها إلى بعض حتى استوت كره كما تراه، و جعله مجمع الحواس، و لذا جعله مستديرا، لأن المستدير أبعد من الآفات بالقياس إلى ذى الزاويه، و أعظم مساحه منه مع تساوى إحاطتهما و جعل استدارته إلى طول، لأن منابت الأعصاب الدماغيه موضوعه فى الطول فلو لم يتسع منبتها لازدحمت و انضغطت، و ألف قحفه (١) من ستة أعظم:

اثنان بمنزله السقف و أربعة بمثابه الجدران، و وصل بعضها ببعض بالدروز و الشؤن، و جعل الجدران أصلب من اليافوخ الذى هو السقف، لأن الصدمات عليها أكثر، و تخلخل اليافوخ مما لا بد منه لخروج الأبخره المتحلله (و عدم ثقله على الدماغ) (٢) و فائده الدروز أن تخرج منها الأبخره المتحلله فى الدماغ لئلا يؤدي مكثها إلى الصداع و غيره من الأمراض الدماغيه، و جعل أصلب الجدران مؤخرها لأنه غائب عن البصر فلا يحرسه فاحتاج إلى زياده وثاقه.

و خلق فيها الدماغ لينا دسما، لتنتبغ فيه المحسوسات بسهولة، و لتكون الأعصاب النابته منه لزجه لئلا تنكسر، و جعل مزاجه رطبا باردا لتتفعل القوى المودعه فيه عن مدركاتها، و لئلا يشتعل بالحراره الحاصله عن الحركات الفكرية و جعل مقدمه الذى هو منبت الأعصاب الحسيه ألين من مؤخره الذى هو منبت أعصاب الحركه، لأن الحركه لا تحصل إلا بالقوه، و القوه إنما تحصل بالصلابه. ثم جلل الدماغ بغشاءين: (أحدهما) رقيق لين ملاصق

ص: ٢١٢

---

١-١) القحف: العظم فوق الدماغ و ما انفلق من الجمجمه فبان قال فى القاموس: «و لا يدعى قحفا حتى يبين أو ينكسر منه شىء». ٢-٢) هذه الجملة مطابقه لنسختنا الخطيه و المطبوعه، لكنها غير موجوده فى النسخه الخطيه الأخرى.

لجوهره، و(ثانيهما) غليظ صلب ملاصق للقحف، و هو مثقب بثقب كثيره لاندفاع الفضول منه، و انشعبت منه شعب دقاق تصعد من دروز القحف إلى ظاهره، ليتشبث بها هذا الغشاء بالقحف و لا ينفصل عنه، و جعل بين جزئى الدماغ المقدم و المؤخر حجابا لطيفا ليحجب عن مماسه الألين بالأصلب فيتأذى منه، و خلق تحت الدماغ بين الغشاء الغليظ و العظم نسيجه (1) شبيهه بالشباك، و قد تكونت من الشرايين الصاعده من القلب و الكبد إلى الدماغ، و قد فرشت هذه الشبكه تحت الدماغ، ليبرد فيها الدم الشريانى و الروح، و يتشبه بالمزاج الدماغى بعد النضج، ثم يتخلص إلى الدماغ على التدريج، و لولاه لم يصلح الدم الكبدي و الروح القلبي لكثرة حرارتها لتغذيه الدماغ، و لم يناسبها جوهره، و جعل الفرج التى بين فروع هذه الشريانات محشوه بلحم غددى لثلا تبقى خاليه، و لتعتمد عليه تلك الفروع و تبقى على أوضاعها.

ثم لما كان الدماغ مبدأ الحس و الحركة. و لم يكن لسائر الأعضاء حس و حركة بذاتها، و كان اللازم إيصالها منه إليهما، و لم يكن ذلك ممكنا بدون واسطه فى الإيصال، فخلق (الأعصاب) من جوهره، و وصلها منه إلى سائر الأعضاء من العظام و غيرها، ليفيدها الدماغ بتوسطها حسا و حركة، و ليشد و يتقوى بها اللحم و البدن، و أيضا لم يجعلها متصله بالعظم مفرده، بل بعد اختلاطها باللحم و الرباط، لثلا يتأذى من صلابته.

ثم لما كان نزول جميع الأعصاب التى يحتاج إليها من الدماغ موجبا لثقل الرأس و عظمه، خلق الله من جوهر الدماغ أشبه شىء به و هو (النخاع)، و جعل فى أسفل القحف ثقبا و أخرجه منها، و خصه بالعنق و الصلب،

ص: ٢١٣

---

١- (١) الموجود فى نسختنا الخطيه: «فسحه» بدل (نسيجه).

و أخرج منه كثيرا من الأعصاب المحتاج إليها إلى الأعضاء. فالدماغ بمنزلة العين و الينبوع للحس و الحركة، و النخاع بمثابة النهر العظيم الجارى منه، و الأعصاب كالجداول. و المنبع ألين من النهر و النهر ألين من الجداول.

ثم انظر -يا حبيبى- كيف خلق (العين) و فتحها و أحسن شكلها و لونها و هيئتها و رتب لها سبع طبقات و ثلاث رطوبات كل منها على شكل خاص و لون مخصوص، لو تغير شىء منها عما عليه لا اختل أمر الإبصار، و تأمل كيف أظهر فى حدقتها التى بمقدار العدسه صوره السماء مع اتساع أكنافها و تباعد أقطارها، و حماها بالأجفان ليسترها و يحفظها و يصقلها، و جعلها وقايه لها يدفع بها الأقداء عنها، و يمنعها عن وصول الغبار و الدخان و الشعاع إليها عند انطباقها، و جعل الجفن الأسفل أصغر من الأعلى، لأن الأعلى يستر الحدقه تاره و يكشفها أخرى لتحركه، و أما الأسفل فغير متحرك، فلو زيد على هذا القدر يستر شيئا من الحدقه دائما، و يجتمع فيه الفضول و لا تسيل ثم زين الأجفان: (الأهداب) ليمنع من الحدقه بعض الأشياء التى لا يمنعها الأجفان مع انفتاح العين -كما ترى عند هبوب الرياح التى يأتى بالأقداء- فيفتح العين أدنى فتح، و تتصل الأهداب الفوقانيه بالسفلانيه فيحصل شبه شباك ينظر من ورائه، فتحصل الرؤيه مع دفع القذى.

ثم انظر كيف شق (الأذن) و أودعها ما يحفظ سمعها و يدفع الهوام عنها و جعل ثقبها محاطه بصدفه مرتفعه لئلا تتأذى من البرد و الحر و غيرهما مما يؤذى، و ليجتمع فيها الهواء المتحرك من الأصوات فينفذ فيها و يحرك الهواء الذى فى داخلها و يموجه -كما ترى من دوائر الماء إذا وقع فيه شىء- حتى يصل إلى العصبه المفروشه على الصماخ التى فيها قوه السمع، فيدرك الصوت. و جعل فى منفذها تجويفات و اعوجاجات كثيره لتكثر حركه ما يدب

فيها و يطول طريقها، فيتنبه صاحبها إذا قصده دابه مؤذيه فيدفع شرها، و خلق فيها جرما نتنا عفنا لتنفّر عنه الدواب المؤذيه و لا تدخلها.

ثم تأمل كيف زين الوجه ب(الحاجبين) و حسنهما بدقه الشعر و استقواس الشكل.

و زين وجه الرجل ب(اللحيه) و وجه المرأه بعدمها، و المتأمل يعرف أن اللحيه زين للرجل و شين للمرأه، و هذا من عجائب الحكمه.

و زين الوجه برفع(الأنف) من وسطه، و حسن شكله و فتح منخريه، و أودع فيهما حاسه الشم ليستدل باستنشاق الروائح على مطاعمه و أغذيته و ليستنشق الهواء الطيب الصافي، و يدفع الهواء الحار الدخاني، و ترويحاً لقلبه، و جعل له منخرين لتميل الفضلات النازله من الدماغ غالباً إلى أحدهما، و يبقى الآخر مفتوحاً، فلا تسد طرق الاستنشاق بأسرها.

ثم انظر إلى(الفم) و عجائبه و إلى اللسان و غرائبها، فإنه سبحانه لعظيم قدرته و حكمته فتح الفم، و أودعه اللسان و جعله ناطقاً معرباً عما في القلب و مكنه من التكلم باللغات المتخالفه و تقطيع الأصوات و إخراج الحروف المتباينه، و جعل له قدره على الحركه في مخارج مختلفه تختلف بها الحروف ليتسع طريق النطق بكثرتها، و خلق(الفكين) و ركب فيهما الأسنان لتكون آله للطحن و القطع و الكسر، فأحكم أصولها، و حسن لونها، و رتب صفوفها متساويه الرؤوس متناسقه الترتيب، كالدرر المنظومه، مختلفه الأشكال باختلاف الأغراض و المقاصد، متفاوت الغايات و الفوائد و لما كان الطعام يحتاج تاره إلى الكسر و تاره إلى القطع و أخرى إلى الطحن فقسم الأضراس إلى عريضه طواحن كالأضراس، و إلى حاده قواطع كالرباعيات، و إلى ما يصلح للكسر كالأنياب. و الأضراس التي في الفك



إلا على لما كانت معلقه جعل أصولها ثلاثه أو أربعه، و التي في الفك الأسفل اكتفى في أصولها باثنين أو ثلاثه لعدم الاحتياج، و جعل لسائر الأسنان أصلا واحدا لعدم ثقل فيها. ثم جعل مفصل (الفكين) متخلخلا بحيث يتقدم الفك الأسفل و يتأخر حتى يدور على الفك الأعلى دوران الرحي، و هو ثابت لا يتحرك، فيتم الطحن بذلك. فانظر في عجب صنع الله في هذه الرحي حيث يدور الأسفل منها على الأعلى على خلاف سائر الأرحيه، لدوران الأعلى منها على الأسفل. و الحكمه في تحرك الأسفل دون الأعلى: أن الأعلى مجمع الدماغ و الحواس، فتحرکه كان موجبا لأذيتهما و اضطرابهما، و أيضا هو مفصل الرأس و العنق، فلو تحرك لم يستحكم، مع أن الوثاقه فيه لازمه ثم لما كان مضغ الطعام محتاجا إلى تحركه فيما تحت الأسنان، فأعطى الله سبحانه قدره اللسان على أن يطوف في جوانب الفم و يرد الطعام من الوسط إلى الأسنان بحسب الحاجه. و لما كان الطعام يابس فلم يمكن ابتلاعه إلا - بنوع رطوبه، فخلق تحت اللسان عينا جاريه يفيض منها اللعاب و ينصب بقدر الحاجه، حتى يعجن به الطعام و يقدر على ابتلاعه.

ثم تفكر كيف خلق (الحناجر) و هيأها لخروج الأصوات، و جعلها مختلفه الأشكال في الضيق و السعه و الخشونه و الملاسه و الطول و القصر و صلابه الجوهر و رخاوته، حتى اختلفت بها الأصوات، فلا يتشابه صوتان، بل يظهر به بين كل صوتين فرق حتى يميز السامع أصوات آحاد الناس بمجرد سماعها في الظلمه و الغيبه.

ثم مد (العنق) و جعله مركبا للرأس، و كبه من سبع خرزات مجوفات مستديرات فيها تجويفات و زيادات و نقصان، لينطبق البعض على البعض، و لما كان أكثر منافعه في الحركه جعل مفاصله سلسه، و لم يجعل زوائدها المفصليه

كبيره كزوائد فقرات الصلب، لتكون حركاته أسرع، و تدارك تلك السلاسه بأعصاب و عضلات كثيره محيطه به.

ثم انظر إلى عجائب (المعدة) وآلاتها التي يتم بها الأكل، فجعل سطح الفم متصلًا بـفم المعدة بحيث كأنهما سطح واحد، حتى يحصل أولاً - نوع انهضام بالمضغ، ثم هياً (المرىء) (١) و الحنجره، و جعل على رأسها طبقات تنفتح لأخذ الطعام ثم تنطبق و تنضغط حتى يهوى الطعام من دهليز المرى إلى المعدة، و إذا ورد عليها لا - يصلح لأن يصير عظما و لحما و دما على هذه الهيئه، بل لا بد أن ينطبخ انطباخا تاما تتشابه أجزاءه، فخلق الله المعدة على هيئه قدر يقع فيه الطعام و تنغلق عليه الأبواب، و خلق فيها حراره صالحه للطبخ، و مع ذلك جعلها محاطه من جوانبها الأربعة بالحراره المنبجسه من الكبد و الطحال و الثرب و لحم الصلب، فمن هذه الحرارات ينطبخ الطعام فى المعدة و ينهضم، حق يصير كيلوسا (٢) أى جوهرا سيالا يشبه ماء الكشك (٣) الثخين.

ثم خلق الله بعظيم حكمته و رأفته لإيصال صفو ما طبخ فى المعدة إلى الكبد قسمين من العروق: (أحدهما) العروق المخلوقه فى تحت المعدة المتصله بالمعاء المسماه ب (ماساريقا) (٤)، و جعل لها فوهات كثيره لينصب لطيف المطبوخ فيها، و (ثانيهما) العرق المسمى بباب الكبد النافذ فيه بعد تفرقه بعروق شعريه ليفيه منتشره فى اجزائه، و جعل الماساريقا متصله بباب الكبد، فإذا انصب خالص الكيلوس فى الماساريقا يوصله إلى باب الكبد،

ص: ٢١٧

١- ١) هو الخرطوم المتصل بالأوداج الأربعة إلى الحنجره.

٢- ٢) كلمه يونانيه، المراد منه هو الطعام المطبوخ فى المعدة طبخا ناقصا.

٣- ٣) ماء الكشك: هو ماء الشعير.

٤- ٤) أى العروق تحت المعدة المتصله بالمعاء. و الكلمه يونانيه.

و ينصب منه إلى العروق الليفية المتفرقة في جوهر الكبد، فتستولى قوة الكبد على هذا الكيلوس، بحيث يلقى كله كله، و لذا يصير فعله فيه أشد و أسرع، فيمتصه و يجذبه إلى نفسه فيطبخه و يفيدته الحرارة و الحمرة، حتى ينصغ بلون الدم، و من هذا الطبخ يحصل شيء كالرغوه و هي (الصفراء)، و شيء كالودى و هو (السوداء)، و شيء كيباض البيض و هو (البلغم)، و هو كما يتكون من هذا الطبخ يتكون من الطبخ الأول أيضا، و قد يصير شيء من هذا البلغم إلى الكبد مع عصاره الطعام، و يبقى المتصفى من هذه الجملة دما ناضجا ذا رطوبه مائيه منتشرة في العروق الشعريه، فلو بقيت الصفراء و السوداء و البلغم و المائيه مختلطه بالدم و لم تنفصل عنه لفسد مزاج البدن، فخلق الله بحكمته الكليتين و المراره و الطحال، و جعل لكل منهما عنقا ممدودا في الكبد، و جعل عنقى الآخريين داخلا. في تجويف الكبد، و لم يجعل عنقى الكليتين داخلا في تجويفه، بل جعلهما متصلين بالعروق الطالعه من حذبه الكبد حتى يجذبا مائته بعد الطلوع من العروق الدقيقه التي في الكبد، اذ لو اجتذبت قبل ذلك لغلظت و لم تخرج بسهولة عن العروق الدقيقه الشعريه.

ثم إذا انجذبت المائيه من جانب محذب الكبد من طريق العروق الطالعه منه إلى الكليتين، حملت مع نفسها من الدم ما يكون صالحا كما و كيفا لغذائهما فتغذوان الدسومه و الدمويه من تلك المائيه، و يندفع باقيها إلى المثانه، و منها إلى الإحليل. و أما (المراره) فتأخذ الرغوه الصفراويه من محذب الكبد بعنقها الذي اتصل بالكبد، و تقذفها من منفذ آخر لها إلى الأمعاء، ليلذعها بحدتها فتحركها على دفع الأثقال التي بقيت من الكيلوس بعد ذهاب صفوه إلى الكبد، فينضغط حتى تندفع منها الأثقال، و بخروجها تخرج تلك الرغوه الصفراويه، و صفرتها لذلك. و أما (الطحال) فيأخذ بعنقه المتصل بمحذب

الكبد منه الرسوب السوداء و يحيله حتى يكتسب قبضا و حموضه، ثم يرسل منه فى كل يوم شيئا إلى فم المعده لتنبه بالجوع، فيحرك الشهوه بحموضته و قبضه، ثم يخرج بخروج الثقل أيضا. و أما(الدم) فيتوجه إلى الأعضاء و يتوزع عليها فى شعب العرق الأجوف العظيم النبات من محذب الكبد، فيسلك فى الأورده المتشعبه منه فى جداول، ثم فى سواقي الجداول، ثم فى رواضع السواقي، ثم فى العروق الشعريه الليفيه، ثم يترشح من فوهاتها فى الأعضاء بتقدير خالق الأرض و السماء.

و مما ذكر ظهر أنه لو حدث بواحد من المراره و الطحال و الكليتين آفه، فسد الدم و حصلت أمراض الخلط الذى يجذبه من الكبد، فلو عرضت آفه بالمراره حدثت الأمراض الصفراويه، و لو حصلت آفه بالطحال حصلت أمراض سوداويه، و لو لم تندفع المائيه إلى الكلى بعروض آفه لها حصل مرض الاستسقاء، و أما(البلغم) فما يتكون فى الكبد أو يصير إليه مع عصاره الطعام انهضم فيه و صار دما، و ما بقى منه فى الأمعاء و لم ينحدر إلى الكبد انغسل بمره الصفراء التى شأنها تنقيه الأمعاء من الفضول بحرافتها و حدثها و سيلانها، و من البلغم ما يبقى فى البدن لاحتياجه إليه فى حركه المفاصل و ترطيب الأمعاء، و منه ما يخرج من الفم بالقىء و البصاق أو ينحدر من الرأس إلى الفم و يخرج منه بالتنخع.

ثم انظر- يا أخى- فى(القلب) و عجائبه، حيث خلقه جسما صنوبريا و جعله منبعا لروح الحياه، و لذا خلقه صلبا ليكون محفوظا من الواردات، و جعل هذا الروح جرما حارا لطيفا نورانيا شفافا، و جعله مطيه للنفس و قواها، و أناط به حياه الإنسان و بقاءه، فيبقى ببقائه و يفنى بفتائه، فكل عضو

يفيض عليه من سلطان نوره يكون حيا، وإلا كان ميتا، ولذا لو حصل بعضو سده مانعه من نفوذه فيه بطل حسه و حركته، ويتوزع هذا الروح من القلب الذى هو منبعه إلى سائر الأعضاء العالیه و السافله، بوساطه سفراء الشرايين و الأورده، فما يصعد منه إلى الدماغ بأيدي خوادم الشرايين، و يعتدل بكسب البروده من جوهر الدماغ، ثم يفيض على الأعضاء المدركه و المتحركه منبثا فى جميع البدن، يسمى (روحا نفسانيا). و ما ينزل بصحابه أمناء الأورده إلى الكبد الذى هو مبدأ القوى النباتيه، و منه يتفرق إلى سائر الأعضاء، يسمى (روحا طبيعيا). و قد خلق الله سبحانه هذا الروح من لطائف الأمشاج الأربعة، كما خلق الأعضاء من كثائفها. و هذا الروح مثاله جرم نار السراج، و القلب الذى محله كالمسرجه له، و الدم الأسود الذى فى باطن القلب و يتكون هذا البخار اللطيف منه بمنزله الفتيله له، و الغذاء له كالزيت و الحياه الظاهره فى جميع أجزاء البدن بسببه كالضوء للسراج فى جملة البيت، كما أن السراج إذا انقطع زيته انطفأ، فسراج الروح أيضا ينطفئ مهما انقطع غذاؤه و كما أن الفتيله قد تحترق و تصير رمادا بحيث لا تقبل الزيت، فكذلك الدم الأسود الذى فى باطن القلب قد يحترق بحيث لا يقبل الغذاء الذى تبقى الروح به، كما لا يقبل الرماد الزيت قبولاً تشبث النار به، و كما أن السراج ينطفئ تاره بسبب من داخل - كما ذكرنا - و تاره بسبب من خارج، كهبوب ريح أو إطفاء إنسان، فكذلك انطفاء الروح تاره يكون بسبب من داخل و تاره بسبب من خارج، كالقتل، و كما أن انطفاء السراج هو منتهى وقت وجوده كذلك انطفاء الروح هو منتهى وقت وجود الإنسان، و هو أجله الذى أجل له فى أم الكتاب. و كما أن السراج إذا انطفأ أظلم البيت كله كذلك الروح اذا انطفأ أظلم البدن كله، و فارقته أنواره التى كان يستفيدها من الروح، و هى

أنوار الإحساسات و القدره و الإرادات و سائر ما يجمعها معنى الحياه.

ثم انظر- يا حبيبي- إن كنت من أهل اليقظه في (اليدين) و حكمتهما، حيث طولهما لتمتدا إلى المقاصد، و عرّض الكف و وضع عليها الأصابع الخمس، و قسم كل إصبع بثلاث أنامل، و جعل الإبهام في جانب، و البواقي في جانب، ليدور عليها، و لو اجتمع الأولون و الآخرون على أن يستنبطوا بدقيق الفكر وجهها آخر في وضع الأصابع سوى ما وضعت عليه من بعد الإبهام من الأربع و ترتبها في صف واحد و تفاوتها في الطول و القصر، على أن يكون هذا الوجه أزين و أصلح منه أو مثله و شبهه في الزينه و المصلحه لم يقدروا عليه، إذ بهذا الترتيب صلحت للقبض و الإعطاء، فإن بسطتها كانت لك طبقا تضيع عليها ما تريد، و إن جمعتها كانت لك آله للضرب، و إن نشرتها ثم ضممتها كانت آله للقبض، و إن ضممتها ضما غير تام كانت لك مغرفه، و إن وضعت الإبهام على السبابه كانت لك مخرقه، و إن بسطت الكف مع اتصال الأصابع كانت لك مجرفه و إن بسطت الكف و جمعت عليها الأصابع كانت لك محرزه، إلى غير ذلك من المنافع.

ثم خلق (الأظفار) على رءوسها، زينه للأنامل و عمادا لها من ورائها، حتى لا تنفت، و ليلتقط بها الأشياء الدقيقه التي لا تتناولها الأنامل، و ليحكك بها بدنه عند الحاجه، فالظفر الذي هو أخس الأعضاء لو عدمه الإنسان و حدثت به حكمه لكان أضعف الخلق و أعجزهم، ثم هدى (اليد) إلى موضع الحكك حتى تمتد إليه و لو في حاله النوم و الغفله، من غير حاجه إلى فحص و طلب، و لو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحكك.

ثم خلق (الرجلين) مركبتين من الفخذ و الساق و القدم، كل منها على شكل خاص و تركيب خاص، ليتحرك بهما الإنسان إلى أى موضع أراد، و لو

تغير شىء من الشكل أو الوضع أو التركيب فى جزء من إجزائهما لأختل أمر الحركه، و وضع عليهما جملة البدن و جعلهما دعامة و أساسا له و حاملين لثقله، مع خفتها و صغر جثتها بالنسبه إليه، إذ حسن التركيب و سهوله الحمل و الحركه فى مثل هذا الخلق لا- يتصور بدون ذلك. فانظر فى عجيب حكمه ربك حيث جعل الأخف و الأدق و الأصغر أساسا و حاملا للأثقل و الأغظ و الأكبر، مع أن كل بناء يكون أساسه أكبر و أغظ مما يبنى عليه، و كل حامل يكون أعظم جثه من المحمول، فسبحانه من خالق لا نهايه لعجائب حكمته و غرائب قدرته.

ثم خلق جميع ذلك فى النطفه جوف الرحم فى ظلمات ثلاث، و لو كشف عنها الغطاء و امتد إليها البصر، لكان يرى التخطيط و التصوير يظهر عليها شيئا فشيئا، و لا يرى المصور و لا آله، فسبحانه من مصور فاعل يتصرف فى مصنوعه من دون احتياج إلى مباشره آله و لا افتقار إلى مكادحه عمل.

### تذنيب

ثم تأمل- أيها المتأمل- فى عجائب حكم ربك: إنه لما كبر الصبى و ضاق عنه الرحم كيف هداه السبيل إلى الخروج حتى تنكس و تحرك، و خرج من ذلك المضيق كأنه عاقل بصير، و لما خرج و كان محتاجا إلى الغذاء و لم يحتمل بدنه الأغذيه الكثيفه للينه و رخاوته خلق له اللبن اللطيف، و استخرجه من بين الفرث و الدم، خالصا سائعا، و خلق الثديين و جمع فيهما هذا اللبن، و أنبت منهما الحلمه على قدر ما ينطبق فم الصبى، و هداه إلى التقامها، و فتح فيها ثقباً ضيقه جدا، حتى لا يخرج اللبن إلا بعد المص تدريجيا، لأن الطفل

لا- يطبق منه إلا- القليل، ثم هداه إلى الامتصاص حتى يستخرج من مثل هذا المضيق اللبن الكثير عند شدة الجوع، و آخر خلق الأسنان إلى تمام الحولين، لأنه لا- يحتاج فيهما إليهما باللبن، و ما دام مغتذيا به لما كان في دماغه رطوبه كثيره سلط عليه البكاء، لتسيل به تلك الرطوبه، فلا تنزل إلى بصره أو إلى غيره من أعضائه فتفسده، ثم لما كبر و لم يوافق اللبن الخفيف و افتقر إلى الأغذيه الغليظه المحتاجه إلى المضغ و الطحن أنبت له الأسنان عند الحاجه من دون تقديم و تأخير، و حنن عليه قلوب الوالدين بالقيام على تربيته و تكفل حاله ما دام عاجزا عن تدبير نفسه.

ثم رزقه الإدراك و الفهم و القدره و العقل على التدرج حتى بلغ ما بلغ و أودع في نفسه المجرده و قواها الباطنه أسراراً عجيبه تحير طوامح العقول و تدهش منها ثواقب الأنظار و الفهوم. فانظر إلى قوه الخيال بعرضيتها الغير المنقسمه كيف تطوى السماء و الأرض و تتحرك من المغرب إلى المشرق في آن واحد، و إلى قوه الوهم كيف تستبطن كثره المعاني الجزئيه في لحظه واحده، و تأخذها من حواق الأشياء، و إلى المتخيله كيف تتركب بعضها البعض و تأخذ منها ما فيه الصلاح و الرشاد في أمر المعاش و المعاد.

ثم انظر في عجائب النفس و عالمها: من إحاطتها بالبدن كله و تدبيرها له، مع تنزهها عن صقع المكان و اتصافها بالعلم و القدره و سائر الصفات الكماليه، و تمكنها من الإحاطه على حقائق الأشياء بأسرها، و تصرفها في الملك و الملكوت بقوتها العقلية و العمليه و مع ذلك عاجزه عن معرفه ذاتها و حقيقتها، و من تطوراتها في الأطوار المختلفه، و تقلبها في النشآت المتباينه، و ترقياتها بحسب درجاتها و مقاماتها، من لدن تعلقها بالنطفه القدره إلى صيرورتها عالماً ربانياً محيطاً بحقائق الأشياء متصللاً بالملكوت الأعلى، و من اجتماع



عوامل السباع و البهائم و الملائكة و الشياطين فيه (١)، و إطاعه جميع الموجودات له، حتى السباع تخضع لديه و الطيور تخفض أجنحه النذل بين يديه، و يستخدم الجن و يسخر الكواكب و روحانيتها، و من عجائب عالمه الطبع الموزون و الصوت الحسن، و علمه بصناعه الموسيقى، و استنباطه أنواع الصنائع من الأرض، و قد يتعدى إلى عالم العجيبه و الحرف الغريبه.

و منها أمر الرؤيا و إخباره بالمغيبات لاتصاله بالجواهر الروحانيه، و تأثيره فى مواد الأ-كوان بنزع صوره و إلباس أخرى، فيؤثر بانقطاعه إلى الله فى استحاله الهواء إلى الغيم و نزول الأمطار، و إزاله أنواع الأمراض، و إهلاك قوم و إنجائهم، و تمكنه من فعل أو تحريك يخرج عن وسع مثله، و إمساكه عن القوت مده غير معتاده، و اقتداره على إظهار بدنه المثالى فى مواضع مختلفه فى وقت واحد، و إحضاره ما يريد من المطاعم و الملابس، و مصاحبته مع الملائكة و أخذ العلوم منهم. فانظر- يا أخى- إن كنت من أهل اليقظه إلى قدره ربك العظيم حيث أودع جميع ذلك فيما عرفت حاله من النطفه السخيفه القذره، و هذه النطفه هى التى قد تصير ملكا شديد الهمه و البطش مسخرا للربع المسكون، بحيث ينوط به انتظام النوع و اختلاله، و قد يصير بحيث تظهر منه خوارق العادات و غرائب المعجزات فى عالم الأرض، و قد يتعدى إلى عالم الأفلاك، فينشق القمر و يرد الشمس.

و ليت شعرى إن الناس كيف يتعجبون من صيروره الميت حيا، مع أنه جثته كانت موجوده و إنما أفيض عليه مجرد حس و حره، و لا- يتعجبون من بلوغ قطره ماء قذره إلى المراتب التى عرفتها. و ليس المنشأ لذلك إلا- كثره مشاهدتهم و تكرار ملاحظتهم له مع أن هذا لا يدفع العجب و الغرابه لو

ص: ٢٢٤

---

(١- ١) تذكير الضمير هنا و فيما يأتى باعتبار الإنسان، و تقدم مثله صفحه (١١).

نظروا بعين العبره و البصيره، إذ منشأهما إما عظم الصنع و حسن الإبداع، فهما فى بلوغ النطفه إلى المراتب المذكوره أقوى و أشد من إحياء ميت، أو دلالة هذا الصنع و الفعل على صانع حكيم و فاعل عليم، فلا ريب أيضا فى أن دلالة الأول على ذلك أشد من دلالة الثانى عليه، إذ كل من رزق أدنى حظ من البصيره يعلم أن بلوغ قطره ماء قدره إلى المراتب المذكوره ليس إلا من قدره قادر حكيم و صنع صانع عليم، أو من حدوث الفعل من دون مشاهده سبب مباشر، فهذا فى أمر النطفه أظهر، و على أى تقدير كان يكون التعجب و الغرابه فى بلوغ النطفه السخيفه القدره إلى المراتب المذكوره أشد و أحرى من التعجب فى إحياء ميت أو إبراء أكمه أو أبرص أو تكلم حيوان أو نبات أو جماد أو غير ذلك من خوارق العادات و غرائب المعجزات، فالنظر الذى لا يقتضى منه العجب إنما هو نظره حمقاء لم ينشأ عن حقيقه الروايه و الاتقان و لم يصدر عن ذى قلب يقظان. و بالجمله: الحكم و العجائب المودعه فى النشأه الإنسانيه أكثر من أن تحصى. و إنما أشرنا إلى نبذه قليله منها تبصره لمن استبصر، و تنيبها على كيفية التفكر فى سائر مجارى الفكر و النظر،

قال الإمام أبو عبد الله الصادق (ع): «إن الصورة الإنسانيه أكبر حجه لله على خلقه، و هى الكتاب الذى كتبه بيده، و هى الهيكل الذى بناه بحكمته، و هى مجموع صور العالمين، و هى المختصر من العلوم فى اللوح المحفوظ، و هى الشاهد على كل غائب، و هى الحجه على كل جاحد، و هى الطريق المستقيم إلى كل خير، و هى الصراط الممدود بين الجنة و النار».

و إذا عرفت نبذا من عجائب نفسك و بدنك، فقس عليه عجائب الأرض التى هى مقرك، بوهادها، و تلالها، و سهلها، و جبالها، و أشجارها، و أنهارها، و بحارها

و أزهارها، و برارها، و عمارها و مدنها، و أمصارها، و معادنها، و جمادها، و حيوانها، و نباتها، فإن كل ما نظرت إليه منها لو تأملته لوجدته مشتملا على غرائب حكم لا تعد و عجائب مصالح لا تحد، و لرأيته آيه باهره على عظمه مبدعه و حجه قاطعه على جلاله موجه.

### **فانظر -أولا- إلى (رواسي الجبال) و شوامخ الصم الصلاب،**

كيف أحكم بها جوانب الأرض و أودع المياه تحتها، فانفرجت من هذه الأحجار اليابسه و التربه الكدره مياه عذبه صافيه، و أودع فيها الجواهر النفيسه العاليه و هدى الناس إلى استخراجها و استعمالها فيما ينبغى، و خلق فى الأرض معادن يحتاج إليها نوع الإنسان، و لو فقد واحدا منها لم يتم انتظامه، و لم يترك معموره لم يكن فى قربها هذه المعادن، و جعل ما يكون الاحتياج إليه أشد و أكثر أعم وجودا و أقرب مسافه، كالملح و مثله.

### **ثم انظر إلى (أنواع النبات)**

بكثرتها و اختلافها فى الإشكال و الألوان و الطعوم و الروائح و الخواص و المنافع، فهذا يغذى، و هذا يقوى، و هذا يقتل، و هذا يحيى، و هذا يسخن، و هذا يبرد، و هذا يجفف، و هذا يرطب و هذا يسهر، و هذا ينوم، و هذا يحزن، و هذا يفرح... إلى غير ذلك من المنافع المختلفه و الفوائد المتباينه، مع اشتراكها فى السقى من ماء واحد، و الخروج من أرض واحده. (فإن قلت): اختلاف بذورها، (قلنا): متى كانت فى النواه نخله مطوقه بعناقيد الرطب؟ و متى كانت فى حبه واحده سبع سنابل فى كل سنبله مائه حبه؟ و انظر إلى كل شجر و نبت إذا أنزل عليها الماء كيف يهتز و يربو و يخضر و ينمو بجميع أجزائه من الأصول و الأغصان و الأوراق و الأثمار على نسبه واحده، من غير زياده لجزء على آخر لوصول الماء إليها على نسبه واحده و قسمته عليها بالسويه، فمن هذا القاسم

العدل فى فعل ما لىس له شعور و لا إدراك؟فتبا لأقوام ىسندون هذه الحكم المتقنه الظاهره و المصالح المحكمه الباهره إلى ما لا خبر له بوجوده و ذاته و لا بأفعاله و صفاته.

### ثم انظر إلى (أنواع الحيوانات)

و أصنافها و كثرتها و اختلافها:من الطيور و الوحوش و السباع و البهائم، كيف هدى الله كل واحد منها إلى ترتيب المنزل و تحصيل القوت،و جعل ما لا يتم معاش الإنسان بدونه من الإنعام و البهائم مأنوسا به غير متوحش عنه،و غيره و حشيا عنه غير ألف به،و جعل فى كل منها من عجائب الحكم و غرائب المصالح ما تتحير منه العقول،فمن ذا الذى يقدر أن يحيط بعجائب خلق العنكبوت و النحلة-بل البقه و النمله- و غرائب أفعالها مع كونها من صغار الحيوانات،من وضع منازلها و جميع أقواتها و ادخارها لنفسها و هدايتها إلى حوائجها؟أى مهندس يقدر على رسم بيوت النحل و العنكبوت على هذا التناسب الهندسى؟و انظر كيف جعل العنكبوت بيته شبكه ليصيد بها البق و الذباب.و بالجمله:كل شخص من الحيوان أودع فيه من العجائب ما لا يمكن وصفه،و كل أحد إنما يدرك قدر ما يصل إليه فهمه.

ثم انتقل من عالم الأرض إلى(عالم البحر)و عجائبه من الحيوانات و الجواهر و النفائس،فإن العجائب المودعه فيه أضعاف عجائب الأرض،كما أن سعته أضعاف سعته،و كل حيوان يوجد فى الأرض يوجد فيه،و فيه حيوانات أخر لىس لها نظير فى البر أصلا،و قد يوجد فيه من الحيوانات ما عظمه بقدر جزيره عظيمه،و كثيرا ما ينزل الركبان عليه فيتحرك.أو من عجائبه خلق اللؤلؤ فى صدفه تحت الماء و إنبات المرجان من صم الصخور تحته،مع كونه على هيئة شجر ثابتة ناميه...و قس عليه الغير و سائر النفائس التى يقذفها البحر و تستخرج منه.و بالجمله عجائب البحر أضعاف عجائب البر،و قد صنف

جماعه فيها مجلدات من الكتب، و مع ذلك لم يأتوا إلا باليسير، و لم يذكروا إلا قليلا من كثير.

ثم انتقل إلى (عالم الجو) و عجائبه. من السبح و الغيوم و الأمطار و الثلوج و الشهب و البروق و الصواعق و الرعود، فانظر إلى السحاب الخفيف مع رخاوته كيف يحمل الماء الثقيل و يسكن في جو صاف لا يتحرك إلا أن يأذن الله سبحانه في إرساله الماء، و تقطيع القطرات كل قطره بالقدر الذى شاء و أراد، فينزل قطرات متفاصله لا تدرك قطره منها أخرى، و لا يتقدم المتأخره و لا يتأخر المتقدم، حتى يصيب الأرض قطره قطره، و عين كل قطره لجزء من الأرض أو قوتا لحيوان معين، و لو كنت -يا حبيبى- ذا قلب لشاهدت في كل قطره خطأ إليها مكتوبا بقلم إلهى: إنه يصيب الجزء الفلانى من الأرض، أو رزق للحيوان الفلانى فى الموضع الفلانى.

### ثم ارفع رأسك إلى هذا (السقف الأخضر)

قائلا: سبحانك! ما خلقت هذا باطلا. و انظر إلى هذه الأجرام النورية و عجائبها، و اصرف برهه من وقتك فى الفحص عن حقائق غرائبها: من الشمس و إضاءتها عالم الأ-كوان، و القمر و اختلاف تشكيلاته فى الزيادة و النقصان، و سائر الأنجم الدائره، و الكواكب الثابته و السائره، و اختلاف صورها و أشكالها و مقاديرها و أوضاعها، و تفاوت مشارقها و مغاربها، و تباين منازلها و مواضعها، و اجتماعها و اتصالها، و تفرقها و انفصالها، و طلوعها و أفلوها، و كسوفها و خسوفها، و انتظام حركاتها و اتساق دورانها، و حسن وضعها و ترتيبها و عجيب نضدها و ترصيعها، بحيث حصل من كيفية نضدها و وضعها صور جميع الحيوانات:

من العقرب و الحمل و الثور و الجدى و الإنسان و الحوت و السرطان، بل صور

غير الحيوان: من السنبله و الميزان و القوس و الدلو و غير ذلك. حتى ما من صوره فى الأرض إلا و لها تمثال فى السماء أ يظن عاقل أن وضع هذه الكواكب على هذه الصوره و اختلاف بعضها فى اللون: ككموده زحل، و حمرة المريخ، و قلب العقرب، و صفره عطارد، و رصاصيه الزهره و المشترى، بمجرد الاتفاق، و ليس لخالقها فى ذلك حكمه و مصلحه فما أشد جهلا و حمقا من توهم ذلك!

### ثم انظر إلى حركة (الشمس)

يسير فلکها و إتمامها الدور بهذا السير فى سنه، و به تقرب من وسط السماء و تبعد عنه، و بسير آخر تطلع و تغرب فى كل يوم و تتم الدور بيوم و ليله، فلو لا سيرها الأول الموجب لغايه قريبا إلى وسط السماء مده، و غايه بعدها عنه تاره، و توسطها بين الغائتين مرتين، لم تحصل الفصول الأربعة الموجه لنشوء النباتات و الثمار و نضجها و بلوغها إلى غاياتها المطلوبه، و لو لا سيرها الثانى لم يختلف الليل و النهار، فلم يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحه، و لم تعرف المواقيت من الشهور و الأعوام و الساعات و الأيام. و تأمل فى أنه لو لم تكن السماوات مستديره و حركاتها دوريه، لم يتم شىء من الفوائد و الحكم المطلوبه من الحركه و الزمان و ما ارتبط بها من أمور العالم السفلى.

### ثم انظر إلى عظم أقدار هذه الأجرام السماويه،

حتى لا قدر لجميع العوالم السفليه من الأرض و البحار و عالم الجو بالنسبه إليها، فلا يمكن أن يقال جميع ذلك بالنسبه إليها، بل بالنسبه إلى فكل الشمس فقط -مثلا- كنسبه قطره إلى البحر المحيط، و قد قال المهندسون: إن جرم كوكب الشمس فقط مائه و نيف و ستون ضعف الأرض بجمعها، بل قال بعضهم أكثر من ذلك، و مع ذلك بينوا أن ثخن فلک المريخ ثلاثه أمثال غلظ فلک الشمس، مع

ما فيه من أفلاك الزهره و عطارد و القمر و العناصر الأربعة، ثم أصغر كوكب تراه في السماء هو مثل جميع الأرض ثمانى مرات، و أكبرها ينتهى إلى قريب من مائه و عشرين مثلاً للأرض.

### ثم انظر مع هذا العظم إلى سرعه حركتها و خفتها،

فإن شده سرعه حركتها مما لا يمكن دركها، إلا أنك لا تشك في أن كل جزء من الفلك في لحظه يسيره يسير مقدار عرض كوكب، و الزمان من طلوع أول جزء من كوكب إلى تمامه في غايه القله. و قد علمت أن هذا الكواكب إما مثل الأرض مائه و نيف و ستين مره أو أكثر أو مائه و عشرين مره أو مائه مره، و الأقل قدرا أن يكون مثلها ثمانى مرات، فقد دار كل جزء من الفلك في هذه اللحظه مثل الأرض مائه و سبعين مره أو مائه و عشرين مره. و قد عبر روح الأمين عليه السلام عن سرعه حركه الفلك، إذا

قال سيد الرسل -صلى الله عليه و آله و سلم-: «هل زالت الشمس؟» قال: لا -نعم! فقال له: كيف تقول لا- نعم! فقال: من حيث قلت: لا، إلى أن قلت نعم، سارت الشمس مسيره خمسمائه عام.

فتيقظ- يا أخى- من نوم الطبيعه، و تأمل من الذى حرك هذه الأجسام الثقيله العظيمه بهذه الحركه السريعه الخفيفه، و أدخل صورتها مع اتساع أكنافها في حدقه العين بصغرها، و تفكر من ذا الذى سخرها و أدار رحاها، فقل: بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَ مُرْسَاهَا، و لو نظرت إليها بعين البصيره، لعلمت أنها عباد طائعون خاضعون، و عشاق إلهيون والهون، و بإشاره من ربهم إلى يوم القيامه رقاصون دائرون.

و بالجملة: لو نظرت بعين العبره في ذرات الوجود لا- تجد ذره من ملكوت السماوات و الأرض إلا- و فيها غرائب حكمه يكل البيان عن وصفها، و لو

كان لك قلب و ألقى السمع و أنت شهيد، لعلمت أن جميع ذرات الكائنات شواهد ظاهره و آيات متظافره على عظمه ربك الأعلى، و ما من ذره إلا و هى بلسان حالها ناطقه و عن جلاله بارئها مفصحه، قائله لأصحاب الشهود بحركاتها و سكناتها، و مناديه لأرباب القلوب بنغماتها: أ و ما تنظرون إلى خلقى و تكوينى و تصويرى و تركيبى و اختلاف صفاتى و حالاتى و تحولى فى أطوارى و تقلباتى؟ أ و لا تشاهدون كثره فوائدى و منافعى و غرائب حكمى و مصالحى؟ أ تظنون أنى تكونت بنفسى أو خلقنى أحد من جنسى؟ أ و تستحيون تنظرون فى كلمه مرقومه من ثلاثه أحرف، فتجزمون أنها صنعه آدمى مرید عالم و متكلم قادر، ثم تنظرون إلى عجائب الخطوط الإلهيه المرقومه على صفحات وجهى و العجائب الربانيه المودعه فى باطنى و ظاهرى، و مع ذلك عن عظمه ربي غافلون و عن علمه و حكمته ذاهلون؟!

## تتميم

قد دريت إجمالاً أن التفكير النافع محصور بين التفكير فى صفات الله و عجائب أفعاله، و التفكير فى ما يقرب العبد إلى الله ليفعله و فيما يبعده عنه ليتركه. و غير ذلك من الأفكار ليس نافعاً و لا متعلقاً بالدين. مثال ذلك أن حال السائر إلى الله الطالب للقائه، كحال العاشق المستهتر، فكما أن تفكره لا يتجاوز عن التفكير فى معشوقه و جماله و فى صفاته و أفعاله و فى أفعال نفسه التى تقربه منه و تحببه إليه ليتصف بها، أو التى تبعده عنه و تسقطه عن عينه ليتنزّه عنها، و لو تفكر فى غير ذلك كان ناقص العشق، كذلك المحب الخالص لله ينبغى أن يحصر فكره فى الله و فى صفاته و أفعاله و فيما يقربه منه و يحببه إليه أو يبعده عنه، و لو تفكر فى غير ذلك كان كاذباً فيما يدعيه من الشوق و الحب



ثم التفكير في ذات الله، بل في بعض صفاته مما لا يجوز، وقد منعه الشريعة الحقه الإلهيه و الحكمه المتعالیه الحقيقیه، لأن ذاته أجل من أن تكون مرقى لأقدام الأفهام، أو مرمى لسهام الأوهام، فطرح النظر إليه يورث اختلاط الذهن و الحيره، و جولان الفكر فيه يوجب اضطراب العقل و الدهشه و بعض الصديقين المتجردين عن جلباب البدن لو أطاقوا إليه مد البصر فإنما هو كالبرق الخاطف، و لو تجاوزوا عن ذلك لاحترقوا من سبحات وجهه.

و حال الصديقين في ذلك كحال الإنسان في النظر إلى الشمس، فإنه و إن قدر على مد البصر إليها، إلا أن إدامته يورث الضعف و العمش، بل لا مشابيه بين الحالين، و إنما هو مجرد تقريب و تفهيم، فإن المناسبه بين نور الشمس و نور البصر في الجملة ثابتة، و أين مثل هذه المناسبه بين نور البصر و نور الأنوار القاهر على كل نور بالإحاطه و الغلبه، و ما من نور إلا و هو منبجس من نوره و مترشح عن ظهوره، فكل نور في مرتبه نوره زائل، و كل ظهور في جنب ظهوره و شروقه مضمحل باطل.

و لما كان التفكير في ذاته تعالى مذموما، فانحصر التفكير الممدوح في التفكير في عجائب صنعه و بدائع خلقه - و قد تقدم - و في ما يقرب العبد إلى الله من الفضائل الخلقيه و الطاعات العضويه، و ما يبعده عنه من الملكات الباطنه و المعاصي الظاهره. و هذه الملكات و الأفعال هي المعبر عنها بالمنجيات و المهلكات و الطاعات و السيئات التي تذكر في هذا الكتاب و في غيره من كتب الأخلاق، و المراد بالتفكير فيها ههنا أن يتفكر العبد في كل يوم و ليله في وقت واحد أو أوقات متعدده في أخلاقه الباطنه و أعماله الظاهره، و يتفحص عن حال قلبه و أعضائه، فإن وجد قلبه مستقيما على جاده العداله متصفا بجميع الفضائل الخلقيه و مجتنباً عن الرذائل الباطنه، و وجد أعضائه

ملازمه للطاعات و العبادات المتعلقة بها تاركه للمعاصي المنسوبه إليها، فليشكر الله على عظيم توفيقه، وإن وجد في قلبه شيئاً من الرذائل أو رآه خالياً عن بعض الفضائل، فليبادر إلى العلاج بالقوانين المقرره، بعد التفكير في سوء خاتمته و أدائه إلى مقت الله و هلاكه، و كذلك إن عثر بالتفكر على صدور معصيه أو ترك طاعه منه فليتداركه بالندم و التوبه و قضاء تلك الطاعه.

و لا ريب في أن هذا القسم من التفكير له مجال متسع و القدر الضروري منه يستغرق اليوم بليته، و الاستقصاء فيه خارج عن حيطه شهر و سنه، إذ اللازم منه أن يتفكر في كل يوم و ليله في كل واحد من الملكات المهلكه:

من البخل، و الكبر، و العجب، و الرياء، و الحقد، و الحسد، و الجبن، و شدة الغضب و الحرص و الطمع و شره الطعام و الوقاع، و حب المال، و حب الجاه، و النفاق، و سوء الظن، و الغفله، و الغرور... و غير ذلك. و ينظر بنور الفكره و البصيره في زوايا قلبه، و يتفقد منها هذه الصفات، فإن وجدها بظنه خاليه عنها، فليتفكر في كيفية امتحان القلب و الاستشهاد بالعلامات الداله على البراءه اليقينييه، فإن النفس قد تلبس الأمر على صاحبها: فإن ادعت البراءه من الكبر، فينبغي أن يمتحن بحمل قربه ماء أو حزمه حطب في السوق، فإن ادعت البراءه من الغضب فليجرب بإيقاعها في معرض إهانته السفهاء، و هكذا فليمتحن في غيرهما من الصفات بالامتحانات التي كان الأولون و السلف الصالحون يجربون بها أنفسهم، حتى يطمئن بانقطاع أصولها و فروعها من قلبه. و لو وجد بالامتحان أو تصريح المشاهده و العيان شيئاً منها في قلبه.

فليتفكر في كيفية الخلاص من المعالجه بالضد أو بالموعظه و النصيحه و التوبيخ و الملامه، أو ملازمه أولى الأخلاق الفاضله و مجالسه أصحاب الورع و التقوى، أو بالرياضه و المجاهده و غير ذلك. فإن نفع شيء منها في الإزالة بالسهوله

فليحمد الله على ذلك، وإلا فليواظب على هذه المعالجات و تكررهما حتى يوفقه الله للخلاص بمقتضى وعده.

ثم يتفكر فى كل واحد من الفضائل المنجيه: كاليقين، و التوكل، و الصبر على البلاء، و الرضا بالقضاء، و الشكر على النعماء، و اعتدال الخوف و الرجاء، و الشجاعه و السخاء، و الزهد و الورع، و الإخلاص فى العمل، و ستر العيوب، و الندم على الذنوب، و حسن الخلق مع الخلق، و حب الله و الخشوع له... و غير ذلك، فإن وجد قلبه متصفا بالجميع فليجربه بالعاملات حتى يطمئن من تلبس النفس - كما علمت طريقه - و إن وجد قلبه خاليا من شىء منها فليتفكر فى طريق تحصيله - كما أشير إليه - . ثم يتوجه إلى كل واحد من أعضائه و يتفكر فى المعاصى المتعلقة به، مثل أن ينظر فى لسانه و يتفكر فى أنه هل صدر منه شىء من الغيبه، أو الكذب، أو الفحش، أو فضول الكلام أو النميمه، أو الثناء على النفس، أو غير ذلك. ثم ينظر فى سمعه، و يتفكر فى أنه هل سمع شيئا من ذلك. ثم ينظر فى بطنه هل عصى الله بأكل حرام أو شبهه، أو كثره مانعه عن صفاء النفس و غير ذلك...

و هكذا يفعل فى كل عضو عضو.

ثم يتفكر فى الطاعات المتعلقة بكل واحد منها و فيما خلق هذا العضو لأجله من الفرائض و النوافل، فإن وجد - بعد التفكر - عدم صدور شىء من المعاصى عن شىء منها - و إتيانها بالطاعات المفروضه عليها بأسرها و بالنوافل المرغبه إليها بقدر اليسر و الاستطاعه فليحمد الله على ذلك، و إن عثر على صدور شىء من المعاصى أو ترك شىء من الفرائض، فليتفكر أولا فى الأسباب الباعثه على ذلك، من الاشتغال بفضول الدنيا أو مصاحبه أقران السوء أو غير ذلك، فليبادر إلى قطع السبب، ثم التدارك بالتوبه و الندم،

لئلا يكون غده مثل يومه. وهذا القدر من التفكير فى كل يوم و ليله لازم لكل دّين معتقد بالنشأه الآخره، و قد كان ذلك عاده و ديدنا لسلفنا المتقين فى صبيحه كل يوم أو عشيّه كل ليله، بل كانت لهم جريده يكتبون فيها رءوس المهلكات و المنجيات و يعرضون فى كل يوم و ليله صفاتهم عليها، و مهما اطمأنوا بقطع رذيله أو الاتصاف بفضيله يخطون عليها فى الجريده، و يدعون الفكر فيها، ثم يقبلون على البواقى، و هكذا يفعلون حتى يخطوا على الجميع، و من كان أقل مرتبه منهم من الصلحاء ربما يثبتون فى جريدتهم بعض المعاصى الظاهره من أكل الحرام، و الشبهه، و إطلاق اللسان، و الكذب، و الغيبه و المزاء، و النميمه، و المداهنه مع الخلق بترك الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر... و غير ذلك، و يفعلون بمثل ما مر.

و بالجملة: كان إخواننا السالفون و سلفنا الصالحون لا ينفكون عن هذا النوع من التفكير، و يرونه من لوازم الإيمان بالحساب، فأف علينا حيث تركنا بهم التأسى و القدوه، و خضنا فى غمرات الغفله، و لعمري إنهم لو رأونا لحكموا بكفرنا و عدم إيماننا بيوم الحساب، كيف و أعمالنا لا تشابه أعمال من يؤمن بالجنه و النار. فإن من خاف شيئاً هرب منه، و من رجا شيئاً طلبه، و نحن ندعى الخوف من النار و نعلم أن الهرب منها بترك المعاصى و مع ذلك منهمكون فيها، و ندعى الشوق إلى الجنه و نعلم أن الوصول إليها بكثرة الطاعات و مع ذلك مقصرون فى فعلها.

ثم هذا النوع من التفكير إنما هو تفكر العلماء و الصالحين، و أما تفكر الصديقين فأجل من ذلك، لأنهم مستغرقون فى لجه الحب و الأنس، و منقطعون بشرائهم إلى جناب القدس، ففكرهم مقصور على جلال الله و جماله و قلبهم مستهتر به، بحيث فنى عن نفسه و نسى صفاته و أحواله، فحالهم أبدا كحال

العشاق المستهترين عند لقاء المعشوق، ولا تظن أن هذا التفكير-بل أدنى مراتب التلذذ بالتفكير في عظمه الله و جلاله-ممكن الحصول بدون الانفكاك عن جميع الرذائل المهلكه و الاتصاف بجميع الفضائل المنجيه،فإن حال المتفكر في جلال الله و عظمته مع اتصافه بالأخلاق الرذيله، كحال العاشق الذى خلى بمحبوبته،و كان تحت ثيابه حيات و عقارب تلدغه مره بعد أخرى، فتمنعه عن لذه المشاهده و الأ-نس.و لا- يتم ابتهاجه إلا- بإخراجها عن ثيابه و لا- ريب أن الملكات الرذيله كلها كالحيات و العقارب مؤذيات و مشوشات، و من كان له أدنى معرفه و توجه إلى مناجاه ربه و كان فى نفسه شىء منها،يجد أنه كيف يشوشه و يصدّه عن الابتهاج،ثم إن لدغ هذه الصفات لا يظهر ظهورا بينا للمنهمكين فى علائق الطبيعه،و بعد مفارقه النفس عن البدن يشتد ألم لدغها بحيث يزيد على ألم لدغ الحيات و العقارب بمراتب شتى.

### نصيحه

تيقظ-يا حيبى-من نوم الغفله،و تفكر اليوم لغدك،قبل أن تنشب مخالب الموت فى جسدك،و لا- تنفك قوتك العاقله عن التفكير فى صفاتك و أحوالك،و اعلم على سبيل القطع و اليقين أن كل ما فى نفسك من فضيله أو رذيله و كل ما يصدر عنك من طاعه أو معصيه يكون بإزائه جزاء عند رحلتك عن هذه الدار الفانيه،و اسمع

قول سيد الرسل-صلى الله عليه و آله و سلم-و لو كنت ذا قلب لكفاك إيقاظا و تنبيها،حيث قال: «إن روح القدس نفث فى روعى:أحب ما أحببت فإنك مفارقه،و عش ما شئت فإنك ميت،و اعمل ما شئت فإنك مجزى به». و لعمرى إنك إن كنت مؤمنا بالمبدإ و المعاد لكفاك هذا الكلام واعظا و حائلا بينك و بين الالتفات إلى الدنيا و أهلها.و بالجملة:ينبغى للمؤمن ألا يخلو فى كل يوم و ليله عن الفكر

فى صفاته و أفعاله، و إذا صرف برهه من وقته فى هذا التفكر و برهه أخرى فى التفكر فى عجائب قدره ربه، و صار ذلك معتادا له، حصل لنفسه كمال قوتها العقلية و العملية، و خلصت عن الوسوس الشيطانية و الخواطر النفسانية، وفقنا الله بعظيم فضله الموصول إلى ما خلقنا لأجله.

### **(و منها) - أى و من رذائل القوه العاقله - استنباط وجوده.**

#### **المكر و الحيل**

للوصول إلى مقتضيات قوتى الغضب و الشهوه. و اعلم أن المكر، و الحيله، و الخدعه، و النكر، و الدهاء: ألفاظ مترادفه، و هى فى اللغه قد تطلق على شدة الفطانه، و أرباب المعقول يطلقونها على استنباط بعض الأمور من المآخذ الخفيه البعيده على ما تجاوز عن مقتضى استقامه القريحه، و لذا جعلوها ضدا للذكاء و سرعه الفهم، و العرف خصصها باستنباط هذه الأمور إذا كانت موجه لإصابه مكروه إلى الغير من حيث لا يعلم، و ربما فسر بذلك فى اللغه أيضا، و هذا المعنى هو المراد هنا.

و لتركبه من إصابه المكروه إلى الغير و من التلبس عليه، يكون ضده استنباط الأمور المؤديه إلى الخيره، و النصيحه لكل مسلم، و استواء العلانيه للسريه.

ثم فرق المكر و مرادفاته عن التلبس و الغش و الغدر و أمثالها، إما باعتبار خفاء المقدمات و بعدها فيها دونها. أو بتخصيص الأولى بنفس استنباط الأمور المذكوره و الثانيه بارتكابها، و لذا عدت الأولى من رذائل القوه الوهميه أو العاقله للعدر المذكور، و الثانيه من رذائل الشهويه، و ربما كان استعمالهما على الترادف، و أطلق كل منهما على ما تطلق عليه الأخرى.

هذا و للمكر مراتب شتى و درجات لا- تحصى من حيث الظهور و الخفاء، فربما لم يكن فيه كثير دقه و خفاء فيشعر به من له أدنى شعور، و ربما كان في غايه الغموض و الخفاء بحيث لم يتفطن به الأذكياء. و من حيث الموارد و المواضع كالباعث لظهور المحبه و الصداقه و اطمئنان عاقل، ثم التهجم عليه بالإيذاء و المكروه، و الباعث لظهور الأمانه و الديانه و تسليم الناس أموالهم و نفائسهم إليه على سبيل الوديعه أو المشاركه أو المعامله، ثم أخذها و سرقها على نحو آخر من وجوه المكر، و كالباعث لظهور ورعه و عدالته و اتخاذ الناس إياه إماما أو أميرا فيفسد عليهم باطنا دينهم و دنياهم. و قس على ذلك غيره من الموارد و المواضع.

ثم المكر من المهلكات العظيمة، لأنه أظهر صفات الشيطان، و المتصف به أعظم جنوده، و معصيته أشد من معصيه إصابه المكروه إلى الغير في العلانيه، إذ المطلع بإرادته الغير إيذاه يحتاط و يحافظ نفسه عنه، فربما دفع أذيته، و أما الغافل فليس في مقام الاحتياط، لظنه أن هذا المكار المحيل محب و ناصح له، فيصل إليه ضره و كيده في لباس الصداقه و المحبه. فمن أحضر طعاما مسموما عند الغير يريد إهلاكه فهو أخبث نفسا و أشد معصيه ممن شهر سيفه علانيه يريد قتله، إذ الثاني أظهر ما في باطنه و اعلم هذا الغير بإرادته، فيجزم بأنه عدو محارب له فيتعرض لصرف شره و منع ضره، فربما تمكن من دفعه، و أما الأول فظاهره في مقام الإحسان و باطنه في مقام الإيذاء و العدوان، و الغافل المسكين لا خبر له عن خباثه باطنه، فيقطع بأنه يحسن إليه، فلا يكون معه في مقام الدفع و الاحتياط، بل في مقام المحبه و الوداد، فيقتله و هو يعلم أنه يحسن إليه، و يهلكه و هو في مقام الخجل منه.

و بالجملة: هذه الرذيله أخبث الرذائل و أشدها معصيه، و لذلك

قال

ص: ٢٣٨

رسول الله-صلى الله عليه وآله وسلم-: «ليس منا من ماكر مسلماً».

وقال أمير المؤمنين(ع): «لو لا أن المكر والخديعة فى النار لكنت أمكر الناس» ،

وكان(ع) كثيراً ما يتنفس الصعداء ويقول: «وا ويلامه يمكرون بى و يعلمون أنى بمكرهم عالم و أعرف منهم بوجه المكر، و لكنى أعلم أن المكر و الخديعة فى النار فأصبر على مكروهم و لا ارتكب مثل ما ارتكبوا».

و طريق علاجه-بعد اليقظه-أن يتأمل فى سوء خاتمته و وخامه عاقبته،و فى تأديته إلى النار و مجاوره الشياطين و الأشرار،و يتذكر أن وبال كل مكر و حيله يرجع فى الدنيا إلى صاحبه، كما نطقت به الآيات و الأخبار و شهدت به التجربه و الاعتبار.ثم يتذكر فوائد ضد المكر و محامده،أعنى استنباط ما يوجب النصيحة و الخيريه للمسلمين و موافقه ظاهره لباطنه فى أفعاله و أقواله-كما يأتى فى محله-و بعد ذلك لو كان عاقلاً- مشفقاً على نفسه لا-جتنب عنه كل الاجتناب،و ينبغى أن يقدم التروى فى كل فعل يصدر عنه لئلا- يكون له فيه مكر و حيله،و إذا عثر على فعل يتضمنه فليتركه معاتباً لنفسه،و إذا تكرر منه ذلك تزول عن نفسه أصول المكر و فروعه بالكلية بعون الله و توفيقه.

ص: ٢٣٩





التهور و الجبن و الشجاعه-الخوف-الخوف المذموم و أقسامه-الخوف المحمود و أقسامه و درجاته-بم يتحقق الخوف-الخوف من الله أفضل الفضائل-الخوف إذا جاوز حده كان مذموما-طرق تحصيل الخوف الممدوح-خوف سوء الخاتمه و أسبابه-الفرق بين الاطمئنان و الأمن من مكر الله-التلازم بين الخوف و الرجاء-مواقع الخوف و الرجاء و ترجيح أحدهما على الآخر-العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف-مداواه الناس بالخوف و الرجاء على اختلاف أمراضهم-صغر النفس و كبرها و صلابتها-الثبات-دناءه الهمه و علوها-الغيره و الحميه و عدمها-الغيره على الدين و الحریم و الأولاد-العجله-الأناه و التوقف و الوقار و السكينه-سوء الظن-حسن الظن-الغضب-الإفراط و التفريط و الاعتدال فى قوته-ذم الغضب-إمكان إزاله الغضب و طرق علاجه-فضيله الحلم و كظم الغيظ-الانتقام و العفو-العنف و الرفق-فضيله الرفق-المداراه-سوء الخلق بالمعنى الأخص-طرق اكتساب حسن الخلق-الحقد-العداوه الظاهره-الضرب و الفحش و اللعن و الطعن-العجب-ذمه آفاته-علاجه إجمالا و تفصيلا-انكسار النفس-الكبر-ذمه-التكبر على الله و الناس-درجات الكبر-علاجه علما و عملا-التواضع-الذله-الافتخار-البغى-تزكيه النفس-العصبيه-كتمان الحق-الإنصاف و الاستقامه على الحق-القساوه.

كما علم، و هو من طرف الإفراط: أى الإقدام على ما لا ينبغي و الخوض فى ما يمنعه العقل و الشرع من المهالك و المخاوف. و لا- ريب فى أنه من المهلكات فى الدنيا و الآخرة. و يدل على ذمه كل ما ورد فى وجوب محافظه النفس و فى المنع عن إلقائها فى المهالك، كقوله تعالى:

وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ

و غير ذلك من الآيات و الأخبار. و الحق أن من لا يحافظ نفسه عما يحكم العقل بلزوم المحافظه عنه فهو غير خال من شائبه من الجنون، و كيف يستحق اسم العقل من ألقى نفسه من الجبال الشاهقه و لم يبال بالسيوف الشاهره، أو وقع (٣) فى الشطوط الغامره الجاربه و لم يحذر من السباع الضاربه. كيف و من ألقى نفسه فيما يظن به العطب، فهلك، كان قاتل نفسه بحكم الشريعة، و هو يوجب الهلاكه الأبدية و الشقاوه السرمديه.

و علاجه- بعد تذكر مفاصله فى الدنيا و الآخرة- أن يقدم التروى فى كل فعل يريد الخوض فيه، فإن جوزه العقل و الشرع و لم يحكما بالحذر عنه ارتكبه، و إلا- تركه و لم يقدم عليه. و ربما احتياج فى معالجه أن يلزم نفسه الحذر و الاجتناب عن بعض ما يحكم العقل بعدم الحذر عنه، حتى يقع فى طرف التفريط، و إذا علم من نفسه زوال التهور تركه و أخذ بالوسط الذى هو الشجاعه.

١- ١) أى القوه الغضبيه.

٢- ٢) البقره، الآيه: ١٩٥.

٣- ٣) كذا فى النسختين، و لعل الصحيح (أو أوقع نفسه).

## الجبن

و هو سكون النفس عن الحركة إلى الانتقام أو غيره، مع كونها أولى.

و الغضب إفراط في تلك الحركة، فله ضديه للغضب باعتبار، و للتهور باعتبار آخر. و على الاعتبارين هو في طرف التفريط من المهلكات العظيمة، و يلزمه من الأعراض الذميمة، مهانه النفس، و الذله، و سوء العيش، و طمع الناس فيما يملكه، و قله ثباته في الأمور، و الكسل، و جب الراحة، و هو يوجب الحرمان عن السعادات بأسرها و تمكين الظالمين من الظلم عليه، و تحمله للفضائح في نفسه و أهله، و استماع القبائح من الشتم و القذف، و عدم مبالاته بما يوجب الفضيحة و العار، و تعطيل مقاصده و مهماته، و لذلك ورد في ذمه من الشريعة ما ورد

قال رسول الله -صلى الله عليه و آله و سلم-: «لا ينبغي للمؤمن أن يكون بخيلا و لا جبانا» ،

و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-.

«اللهم إني أعوذ بك من البخل، و أعوذ بك من الجبن، و أعوذ بك أن أزدل إلى أزدل العمر».

و علاجه -بعد تنبيه نفسه على نقصانها و هلاكها- أن يحرك الدواعي الغضبية فيما يحصل به الجبن، فإن القوه الغضبيه موجوده في كل أحد، و لكنها تضعف و تنقص في بعض الناس فيحدث فيهم الجبن، و إذا حركت و هيجت على التواتر تقوى و تزيد، كما أن النار الضعيفه تتوقد و تلتهب بالتحريك المتواتر، و قد نقل عن الحكماء أنهم يلقون أنفسهم في المخاطرات الشديده و المخاوف العظيمة دفعا لهذه الرذيله. و مما ينفع من المعالجات أن يكلف نفسه على المخاصمه مع من يأمن غوائله، تحريكا لقوه الغضب، و إذا وجد من نفسه حصول ملكه الشجاعه فليحافظ نفسه لئلا يتجاوز و يقع في طرف الإفراط.

قد عرفت أن ضد هذين الجنسيتين هو (الشجاعه)، فتذكر مدحها و شرافتها، و كلف نفسك المواظبه على آثارها و لوازمها، حتى يصير ما تكلفته طبعاً و ملكه، فترتفع عنك آثار الضدين بالكلية. و قد عرفت أن الشجاعه طاعه قوه الغضب للعاقله فى الإقدام على الأمور الهائله و عدم اضطرابها بالخوض فى ما يقتضيه رأيها. و لا- ريب فى أنها أشرف الملكات النفسيه و أفضل الصفات الكماليه، و الفاقد لها يرى عن الفحليه و الرجوليه، و هو بالحقيقه من النسوان دون الرجال، و قد وصف الله خيار الصحابه بها فى قوله أَشِدَّاءٌ عَلَى الْكُفَّارِ (١) و أمر الله نبيه بها بقوله: وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ (٢) إذ الشده و الغلظه من لوازمها و آثارها، و الأخبار مصرحه باتصاف المؤمن بها.

قال أمير المؤمنين (ع) فى وصف المؤمن: «نفسه أصلب من الصلد».

و قال الصادق عليه السلام: «المؤمن أصلب من الجبل إذ الجبل يستقل (٣) منه و المؤمن لا يستقل من دينه».

ص: ٢٤٤

١- (١) الفتح، الآية ٢٩.

٢- (٢) التوبه، الآية ٧٣.

٣- (٣) استقل الشئ: أخذ منه أدنى جزء كعشره.

اشاره

فمنها:

اشاره

الخوف

و هو تألم القلب و احتراقه بسبب توقع مكروه فى الاستقبال مشكوك الوقوع، فلو علم أو ظن حصوله سمي توقعه انتظار مكروه، و كان تألمه أشد من الخوف، و كلامنا فى كليهما. و فرقه عن الجبن على ما قررناه من حدهما ظاهر، فإن الجبن هو سكون النفس عما يستحسن شرعا و عقلا- من الحركه إلى الانتقام أو شىء آخر، و هذا السكون قد يتحقق من غير حدوث التألم الذى هو الخوف، مثلا- من لا- يجترئ على الدخول فى السفينه أو النوم فى البيت وحده أو التعرض لدفع من يظلمه و يتعرض له يمكن اتصافه بالسكون المذكور مع عدم تألم بالفعل، فمثله جبان و ليس بخائف. و من كان له ملكه الحركه إلى الانتقام و غيره من الأفعال التى يجوزها الشرع و العقل ربما حصل له التألم المذكور من توقع حدوث بعض المكاره، كما إذا أمر السلطان بقتله، فمثله خائف و ليس بجبان.

ثم الخوف على نوعين: (أحدهما) مذموم بجميع أقسامه، و هو الذى لم يكن من الله و لا من صفاته المقتضيه للهيبه و الرعب، و لا من معاصى العبد و جباياته، بل يكون لغير ذلك من الأمور التى يأتى تفصيلها. و هذا النوع من ردائل قوه الغضب من طرف التفريط، و من نتائج الجبن. و (ثانيهما) محمود و هو الذى يكون من الله و من عظمته و من خطأ العبد و جبايته، و هو من فضائل القوه الغضبيه، إذ العاقله تأمر به و تحسنه، فهو حاصل من انقيادها لها. و لنفصل القول فى أقسام النوعين، و بيان العلاج فى إزاله أقسام الأول و تحصيل الثانى:

ص: ٢٤٥

للنوع الأول أقسام يقبها العقل بأسرها و لا- يجوزها، فلا ينبغي للعاقل أن يتطرقها إلى نفسه. بيان ذلك: أن باعث هذا الخوف يتصور على أقسام

### (الأول) أن يكون أمرا ضروريا لازم الوقوع،

و لم يكن دفعه في مقدره البشر. و لا ريب في أن الخوف من مثله خطأ محض، و لا يترتب عليه فائده سوى تعجيل عقوبه بصدده عن تدبير مصالحه الدنيويه و الدينيه. و العاقل لا يتطرق على نفسه مثل ذلك، بل يسلى نفسه و يرضيها بما هو كائن إدراكا لراحه العاجل و سعادته الآجل.

### (الثاني) أن يكون أمرا ممكنا لم يجزم بشيء من طرفيه،

و لم يكن لهذا الشخص مدخلية في وقوعه و لا وقوعه. و لا ريب في أن الجزم بوقوع مثله و التألم لأجله خلاف مقتضى العقل، بل اللازم إبقاؤه على إمكانه من دون جزم بحصوله، ف:

لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا

(١)

و هذا القسم مع مشاركته للأول في استلزامه تعجيل العقوبه بلا- سبب، لعدم مدخلية لاختياره فيه، يمتاز عنه بعدم الجزم بوقوعه، فهو بعدم الخوف أولى منه.

### (الثالث) أن يكون أمرا ممكنا فاعله هذا الشخص،

و هو ناشئ عن سوء اختياره، فعلاجه ألا يرتكبه و لا يقدم على فعل يخاف من سوء عاقبته.

فإنه إما فعل غير قبيح من شأنه التأدي إلى ما يضره، و لا ريب في أن

ص: ٢٤٦

ارتكاب مثله خلاف حكم العقل، و لو ظهر التأدى بعد إيقاعه فيكون من الثانى، أو فعل قبيح لو ظهر أوجب الفضيحة و المؤاخذه، و إنما فعله ظنا منه أنه لا يظهر، ثم يخاف من الظهور و المؤاخذه، و لا ريب فى أن هذا الظن ناشىء عن الجهل، إذ كل فعل يصدر عن كل فاعل و لو خفيه يمكن أن يظهر، و إذا ظهر يمكن إيجابه للفضيحة و المؤاخذه. و العاقل العالم بطبيعته الممكن لا- يرتكب مثله، فباعث الخوف فى الثانى هو الحكم على الممكن بالوجوب، و فى هذا الحكم عليه بالامتناع، و لو حكم عليه بما يقتضى ذاته أمن من الخوفين.

)

#### **الرابع) أن يكون مما توحش منه الطباع، بلا داع عقلى و لا باعث نفس أمرى،**

كالميت و الجن و أمثالهما، (لا-) سيما فى الليل مع وحدته، و لا- ريب فى أن هذا ناشىء عن قصور العقل و مقهوريته عن الواهمه، فليحرك القوه الغضبيه و يهيجه لتغلب به العاقله على الوهم. و ربما ينفع إلزام نفسه على الوحده فى الليالى المظلمه و الصبر عليها، حتى يزول عنه هذا الخوف على التدريج.

ثم لما كان خوف الموت أشد أقسام هذا النوع و أعمها، فلنشر إلى علاجه بخصوصه، فنقول:

#### **باعث خوف الموت يحتمل أموراً:**

##### **(الأول) تصور فناء ذاته بالكليه**

و صيرورته عدما محضاً بالموت.

و لا ريب فى كونه ناشئاً عن محض الجهل إذ الموت ليس إلا قطع علاقه النفس عن بدنه، و هى باقيه أبداً، كما دلت عليه القواطع العقلية و الشواهد الذوقيه و الظواهر السمعيه، و لعل ما تقدم يكفى لإثبات هذا المطلوب. و مع قطع النظر عن ذلك نقول: كيف يجوز لمن له أدنى بصيره أن يجتمع عظماء نوع الإنسان بحذافيرهم، كأهل الوحى و الإلهام و أساطين الحكمه و العرفان على محض الكذب و صرف الباطل! فمن تأمل أدنى تأمل يتخلص من هذا الخوف.



## (الثانى) تصور إيجابه ألما جسمانيا عظيما لا يتحمل مثله و لم يدرك فى الحياه شبهه.

و هذا أيضا من الخيالات الفاسده، فإن الألم فرع الحياه، والألم الجسمانى ما دامت الحياه لا يكون أشد مما رآه كل إنسان فى حياته من الأوجاع و قطع الاتصال، و بعد زوال الحياه لا معنى لوجوده، إذ كل جسمانى إدراكه بواسطه الحياه، و بعد انقطاعها لا إدراك، فلا ألم.

## (الثالث) تصور عروض نقصان لأجله.

و هو أيضا غفله عن حقيقه الموت و الإنسان، إذ من علم حقيقتهما يعلم أن الموت متمم الإنسانيه و آثارها و المائت جزء لحد الإنسان. و لذا قال أوائل الحكماء: (الإنسان حى ناطق مائت)، و حد الشىء يوجب كماله لا نقصانه، فبالموت تحصل التماميه دون النقصان «نشنيه اى كه هر كه بمرد أو تمام شد» (1) فالإنسان الكامل يشناق إلى الموت، لاقتضائه تماميته و كماله، و خروجه عن ظلمه الطبيعه و مجاوره الأشرار إلى عالم الأنوار و مرافقه الأخيار من العقول القادسه و النفوس الطاهره، و أى عاقل لا يرجح الحياه العقلية و الابتهاجات الحقيقيه على الحياه الموحشه الهولانيه، المشوبه بأنواع الآلام و المصائب و أصناف الأسقام و النوائب! يا حيبى! تيقظ من نوم الغفله و سكر الطبيعه، و استمع النصيحه ممن هو أحوج منك إلى النصيحه: حرك الشوق الكامن فى جوهر ذاتك إلى عالمك الحقيقى و مقرك الأصيلى، و انسلخ عن القشورات الهولانيه، و انقض عن روحك القدسى ما لزقه من الكدورات الجسمانيه، و طهر نفسك الزكيه عن أدناس دار الغرور و أرجاس عالم الزور، و اكسر قفصك الترابى الظلمانى و

ص: ٢٤٨

(١ - ١) هذه الجملة من الكلمات الحكميه القصار، و معناها: (أ ما سمعت بأن كل من مات صار إنسانا كاملا).

بجناس همتك إلى وكر ك القدسي النوراني، وارتفع عن حضيض الجهل و النقصان إلى أوج العزه و العرفان، وخلص نفسك عن مضيق سجن الناسوت و سيرها في فضاء قدس اللاهوت، فما بالك نسيت عهود الحمى و رضيت بمصاحبه من لا ثبات له و لا وفاء؟! زد سحر طائر قدسم ز سر سدره صفير كه در اين دامگه حادثه آرام مغير (1)

#### (الرابع) صعوبه قطع علاقته من الأولاد و الأموال و المناصب و الأحباب

و معلوم أن هذا ليس خوفا من الموت في نفسه، بل هو حزن على مفارقه بعض الزخارف الفانيه. و علاجه: أن يتذكر أن الأمور الفانيه مما لا يلىق بالعاقل أن يرتبط بها قلبه، و كيف يحب العاقل خسائس عالم الطبيعه و يطمئن إليها مع علمه بأنه عن قريب يفارقها، فاللازم أن يخرج حب الدنيا و أهلها عن قلبه ليتخلص من هذا الألم.

#### (الخامس) تصور سرور الأعداء و شماتتهم بموته.

و هذا وسوسه شيطانيه صادرة عن محض التوهم، إذ مسره الأعداء أو شماتتهم لا توجب ضررا في

ص: ٢٤٩

---

١ - ١) هذا البيت للشاعر الفارسي الفيلسوف الشهير (حافظ الشيرازي) و هو من أبيات العرفان. و أراد (بالسحر) على سبيل الرمز وقت استكمال النفس و تنبهاها، و (بالطائر القدسي) ما يرمز إليه العرفا المسمى عندهم أيضا (البيضانى)، و هو أحد العقول المجرده الذى بصفيره يوقظ الراقدين في مراد الظلمات، و بصوته ينبه الغافلين عن تذكر الآيات، و (بالسدره) سدره المنتهى المقصود منها منتهى قوس الصعود في سلسله الممكنات. و حاصل معنى البيت المطابقى: قد صفر الطائر القدسي المنسوب إلى من على السدره في السحر، و يقول في صفيره: لا تستقر في المصيده المخيفه (و هى الدنيا و عوالم السفليات)، و المراد أن يذهب عنها إلى عالم المجردات النوراني حرا طليقا.

إيمانه و دينه، ولا ألما فى روحه و جسمه، على أن ذلك لا يختص بالموت، إذ العدو يشمت و يفرح بما يرد عليه فى حال الحياه أيضا من البلايا و المحن فمن كره ذلك فليجتهد فى قطع العداوه و إزالتها بالمعالجات المقرره للحقد و الحسد

### (السادس) تصور تضييع الأولاد و العيال، و هلاك الأعوان و الأنصار

و هذا أيضا من الوسوس الباطله الشيطانيه و الخواطر الفاسده النفسانيه، إذ ذلك يوجب ظن منشئته لاستكمال الغير و عزته، و مدخليته فى قوته و ثروته، و ذلك ناشىء من جهله بالله و بقضائه و قدره، إذ فيضه الأقدس اقتضى إيصال كل ذره من ذرات العالم إلى ما يليق بها و إبلاغها إلى ما خلقت لأجله، و ليس لأحد أن يغير ذلك أو يبدله و لذا ترى أكثر الأفاضل يجتهدون فى تربيته أولادهم و لا ينجح سعيهم أصلا، و تشاهد غير واحد من الأغنياء يخلفون لأولادهم أموالا كثيره و تخرج عن أيديهم فى مده قليله، و ترى كثيرا من أيتام الأطفال لا تربيته لهم و لا مال، و مع ذلك يبلغون بالتربيته الأزليه مدارج الكمال، أو يحصلون ما لا حصر له من الأموال. و الغالب أن الأيتام الذين ذهب عنهم الآباء فى حاله الصبى تكون ترقياتهم فى الآخره و الدنيا أكثر من الأولاد الذين نشأوا فى حجر الآباء. و التجربه شاهده بأن من اطمأن من أولاده بمال يخلفه لهم أو ذى قوه يفوض إليه أمورهم، اعتراهم بعده الفقر و الفاقه و الذله و المهانه، و ربما صار ذلك سببا لهلاكهم و انقراضهم. و من فوض أمورهم إلى رب الأرباب و خالق العباد ازداد لهم بعده عزا و قوه و كثره و ثروه. فاللائق بالعقلاء أن يفوضوا أمور الأولاد و غيرهم من الأقارب و الأنصار إلى من خلقهم و رباهم، و يوكلهم إلى موجدهم و مولاهم، و هو نعم المولى و نعم الوكيل. و قد ظهر أن الخوف من الموت لأجل البواعث المذكوره لا وجه له.

ثم ينبغى للعاقل أن يتفكر فى أن كل كائن فاسد البته، كما تقرر فى

الحكمه. و هو من الكائنات. و الفساد ضرورى له. فمن أراد وجود بدنه أراد فساده اللازم له، فتمنى دوام الحياه من الخيالات الممتنع، و العاقل لا يحوم حولها و لا يتمنى مثلها. بل يعلم يقينا أن ما يوجد فى النظام الكلى هو الأصلح الأكمل و تغييره ينافى الحكمه و الخيريه، فيرضى بما هو واقع على نفسه و غيره من غير ألم و كدوره. ثم من يتمنى طول عمره فمقصوده منه إن كان حب اللذات الجسميه و امتداد زمانها، فليعلم أن الشيب إذا أدركه ضعفت الأعضاء و اختلت القوى و زالت عنه الصحه التى هى عمده لذاته فضلا عن غيرها، فلا يلتذ بالأكل و الإجماع و سائر اللذات الحسيه، و لا يخلو لحظه عن مرض و ألم، و تتراجع جميع أحواله، فتتبدل قوته بالضعف و عزه بالذل، و كذا سائر أحواله، كما أشير إليه فى الكتاب الإلهى بقوله تعالى:

وَمَنْ نَعْمَرُهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ

(١)

و مع ذلك لا يخلو كل يوم من مفارقه حبيب أو شفيق، و مهاجره قريب أو رفيق. و ربما ابتلى بأنواع المصيبات، و يهجم عليه الفقر و الفاقه و النكبات، و طالب العمر فى الحقيقه طالب هذه الزحمات. و إن كان مقصوده منه اكتساب الفضائل العلميه و العمليه، فلا ريب فى أن تحصيل الكمالات بعد أوان الشيخوخه فى غايه الصعوبه، فمن لم يحصل الفضائل الخلقيه إلى أن أدركه الشيب، و استحكمت فيه الملكات المهلكه من الجهل و غيره، فإنى يمكنه بعد ذلك إزالتها و تبديلها بمقابلاتها، إذ رفع ما رسخ فى النفس مع الشيخوخه التى لا يقتدر معها على الرياضات و المجاهدات غير ممكن.

و لذا ورد فى الآثار: «إن الرجل إذا بلغ أربعين سنه و لم يرجع إلى الخير، جاء الشيطان و مسح على وجهه و قال: بأبى وجه من لا يفلح أبدا». على أن

ص: ٢٥١

(١ - ١) يس، الآيه: ٦٨.

الطالب للسعادة ينبغي أن يكون مقصور الهم فى كل حال على تحصيلها، و من جملتها دفع طول الأمل و الرضا بما قدر له من طول العمر و قصره، و يكون سعيه أبدا فى تحصيل الكمالات بقدر الإمكان و التخلص عن مزاحمه الزمان و المكان، و قطع علاقته من الدنيا و زخارفها الفانية و الميل إلى الحياه و اللذات الباقية، و الاهتمام فى كسب الابتهاجات العقلية و الاتصال التام بالحضرة الإلهيه، حتى يتخلص عن سجن الطبيعه و يرتقى إلى أوج عالم الحقيقه، فيتفق له الموت الإرادى الموجب للحياه الطبيعه، كما قال (معلم الإشراف): «مت بالإراداه تحيى بالطبيعه»، فينقل إلى مقعد صدق هو مستقر الصديقين، و يصل إلى جوار رب العالمين، و حينئذ يشناق للموت و لا يبالي بتقديمه و تأخيرته، و لا يركن إلى ظلمات البرزخ الذى هو منزل الأشقياء و الفجار و مسكن الشياطين و الأشرار، و لا يتمنى الحياه الفانيه أصلا و ينطق بلسان الحال:

خرم آن روز كزين منزل ويران بروم

راحت جان طلبم و ز پى جانان بروم

بهواى لب أو ذره صفت رقص كنان

تال ب چشمه خورشيد درخشان بروم (١)

### (السابع) تصور العذاب الجسماني و الروحاني المترتب على ذمائم الأعمال و قبائح الأفعال.

و لا ريب فى أن الخوف من ذلك ممدوح، و هو

ص: ٢٥٢

١ - ١) البيتان للشاعر الفيلسوف (حافظ الشيرازى). و معنى الأول: «إن سرورى يكون فى يوم الرحيل من هذه الدار الخربه طلبا لراحه نفسى و لقاء الحبيب». و يقصد بحبيبه: الحق الأول، و براحه نفسه: النعيم الأبدى، و بالرحيل عن الدار الخربه: انتقال نفسه من بدنه بالموت. و معنى البيت الثانى: «أنى لشوقى إلى إلقاء الحبيب اهتر اهتراز الذره فى ضوء الشمس لكى أصل إلى لقاء عين الشمس المتوهجه». و يقصد بعين الشمس: خالق الكائنات.

معدود من أقسام النوع الثانى، إلا أن البقاء عليه و عدم السعى فيما يدفعه من ترك الخطيئات و كسب الطاعات جهل و بطاله، إذ هذا الخوف ناشىء من سوء الاختيار، و قد بعث الله الرسل و أوصياءهم لاستخلاص الناس عنه.

فعلاجه ترك المعاصى و تحصيل معالى الأخلاق. و معلوم أن المنهمك فى المعاصى مع خوفه من العذاب كالملقى نفسه فى البحر أو النار مع خوفه من الغرق و الحرق، و لا- ريب فى أن إزاله هذا الخوف باختياره، فليترك المعاصى و يجتهد فى كسب وظائف الطاعات ليتخلص عنه، و اهتمام أكابر الدين من الأنبياء و المرسلين و الحكماء و الصديقين فى وظائف الطاعات و صبرهم على مشاق العبادات و مجاهدتهم مع جنود الشياطين إنما هو لدفع هذا الخوف عن نفوسهم، فهو فى الحقيقه ناشىء منك و من سوء اختيارك، فبادر إلى تقليه بالمواظبه على صوالح الأعمال و فضائل الأفعال. و قد يأتى أن هذا الخوف هو سوط الله الباعث على العمل، و معه لو كان مفرطاً فليعالج بأسباب الرجاء، و بدونه فلا بد أن يكون حتى يبعثه عليه، على أنه مع عظم جرمه و قصور باعه عن تداركه فلا- ينبغى أن ييأس من روح الله، فلعل واسع الرحمه السابقه على الغضب يدركه بسابقه من القضاء و القدر.

### فصل الخوف المحمود و أقسامه و درجاته

و للنوع الثانى من الخوف أقسام: (الأول) أن يكون من الله سبحانه و من عظمته و كبريائه، و هذا هو المسمى بالخشيء و الرهبه فى عرف أرباب القلوب. (الثانى) من جنايه العبد باقترافه المعاصى. (الثالث) أن يكون منهما جميعاً. و كلما ازدادت المعرفه بجلال الله و عظمته و تعاليه و بعيوب

نفسه و جنائياته، ازداد الخوف، إذ إدراك القدره القاهره و العظمه الباهره و القوه القويه و العزه الشديده، يوجب الاضطراب و الدهشه، و لا ريب فى أن عظمه الله و قدرته و سائر صفاته الجلاليه و الجماليه غير متناهيه شده و قوه و يظهر منها على كل نفس ما يطيقه و يستعد له. و أنى لأحد من أولى المدارك أن يحيط بصفاته على ما هى عليه، فإن المدارك عن إدراك غير المتناهي قاصره. نعم، لبعض المدارك العاليه أن يدركه على الإجمال. مع أن ما يظهر للعقلاء من صفاته ليس هو من حقيقه صفاته، بل هو غايه ما تتأدى إليه عقولهم و يتصور كمالاً، و لو ظهر قدر ذره من حقيقه بعض صفاته لأقوى العقول و أعلى المدارك، لا حرق من سبحات وجهه، و تفرقت أجزاءه من نور ربه. و لو انكشف من بعضها الغطاء لزهقت النفوس و تقطعت القلوب فغايه ما للمدارك العاليه من العقول و النفوس القادسه، أن يتصور عدم تناهيها فى الشده و القوه، و كونها فى الكمال و البهاء غايه ما يمكن و يتصور و يحتمله ظرف الواقع و نفس الأمر، كما هو الشأن فى ذاته سبحانه. و إدراك هذه الغايه أيضا يختلف باختلاف علو المدارك، فمن كان فى الدرك أقوى و أقدم كان بره أعرف، و من كان به أعرف كان منه أخوف، و لذا قال تعالى:

إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ

(١)

و قال سيد الرسل: «أنا أخوفكم من الله». و قد قرع سمعك حكايات خوف زمرة المرسلين و من بعدهم من فرق الأولياء و العارفين، و عروض الغشيات المتواتره فى كل ليله لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام.

و هذا مقتضى كمال المعرفه الموجب لشده الخوف، إذ كمال المعرفه

ص: ٢٥٤

١ - ١) الفاطر، الآية: ٢٨.

يوجب احتراق القلب، فيفيض أثر الحرقه من القلب إلى البدن بالنحول و الصفار و الغشيه و البكاء، و إلى الجوارح بكفها عن المعاصي و تقيدها بالطاعات تلافيا لما فرط في جنب الله، و من لم يجتهد في ترك المعاصي و كسب الطاعات فليس على شيء من الخوف، و لذا قيل: ليس الخائف من يبكي و يمسح عينيه، بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه. و قال بعض الحكماء: «من خاف شيئا هرب منه، و من خاف الله هرب إليه»، و قال بعض العرفاء:

«لا- يكون العبد خائفا حتى ينزل نفسه منزله السقيم الذي يحتمى مخافه طول السقام». و إلى الصفات بقمع الشهوات و تكدر اللذات، فتصير المعاصي المحبوه عنده مكروهه، كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيها إذا عرف كونه مسموما، فتحترق الشهوات بالخوف، و تتأدب الجوارح، و يحصل في القلب الذبول و الذله و الخشوع و الاستكانه، و تفارقه ذمائم الصفات، و يصير مستوعب الهم بخوفه و النظر في خطر عاقبته، فلا- يتفرغ لغيره، و لا- يكون له شغل إلا المجاهده و المحاسبه و المراقبه و الضنه بالأنفاس و اللحظات، و مؤاخذه النفس في الخطرات و الكلمات، و يشتغل ظاهره و باطنه بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره، كما أن من وقع في مخالط ضارى السبع يكون مشغول اللهم به و لا شغل له بغيره. و هذا حال من غلبه الخوف و استولى عليه كما جرى عليه جماعه من الصحابه و التابعين و من يحدوهم من السلف الصالحين فقوه المجاهده و المحاسبه بحسب شدة الخوف الذي هو حرقه القلب و تألمه، و هو بحسب قوه المعرفه بجلال الله و عظمته و سائر صفاته و أفعاله، و بعيوب النفس و ما بين يديها من الأخطار و الأهوال.

و أقل درجات الخوف مما يظهر أثره في الأعمال أن يكف عن المحظورات و يسمى الكف منها (ورعا)، فإن زادت قوته كف عن الشبهات، يسمى



ذلك (تقوى) إذ التقوى أن يترك ما يريبه إلى ما لا يريبه، وقد يحمله على ترك ما لا بأس به مخافه ما به بأس، وهو الصدق في التقوى، فإذا انضم إليه التجرد للخدمه، و صار ممن لا- يبنى ما لا- يسكنه، و لا- يجمع ما لا- يأكله، و لا يلتفت إلى دنيا يعلم أنه يفارقها، و لا- يصرف إلى غير الله نفسا عن أنفاسه، فهو (الصدق)، و يسمى صاحبه (صديقا)، فيدخل في الصدق التقوى، و في التقوى الورع، و في الورع العفه، لأنها عباره عن الامتناع من مقتضى الشهوات.

فإذن يؤثر الخوف في الجوارح بالكف و الإقدام.

### فصل بم يتحقق الخوف

اعلم أن الخوف لا يتحقق إلا بانتظار مكروه، و المكروه إما أن يكون مكروها في ذاته كالنار، أو مكروها لإفضائه إلى المكروه في ذاته كالمعاصي المفضيه إلى المكروه لذاته في الآخرة، و لا بد لكل خائف أن يتمثل في نفسه مكروه من أحد القسمين، و يقوى انتظاره في قلبه حتى يتألم قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه، و يختلف مقام الخائفين فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحظوره:

فالذين يغلب على قلوبهم خوف المكروه لذاته، فإما أن يكون خوفهم من سكرات الموت و شدته و سؤال النكيرين و غلظته، أو عذاب القبر و وحدته و هول المطلع و وحشته، أو من الموقف بين يدي الله و هيئته و الحياء من كشف سريره، أو من الحساب و دقته و الصراط وحدته، أو من النار و أهوالها و الجحيم و أغلالها، أو الحرمان من دار النعيم و عدم وصوله إلى الملك

المقيم، أو من نقصان درجاته في العليين و عدم مجاورته المقربين، أو من اللّٰه سبحانه بأن يخاف جلاله و عظمته و البعد و الحجاب منه و يرجو القرب منه، و هذا أعلاها رتبه، و هو خوف أرباب القلوب العارفين من صفاته ما يقتضى الهيبة و الخوف، و العالمين بلذّه الوصال و ألم البعد و الفراق و المطلعين على سر قوله:

و يُحَذِّرُكُمْ اللّٰهُ نَفْسَهُ

(١)

و قوله: اتَّقُوا اللّٰهَ حَقَّ تَقَاتِهِ (٢).

و قيل: ذلك خوف العابدين و الزاهدين و كافة العاملين.

و أما الذين غلب على قلوبهم خوف المكروه لغيره، فإما يكون خوفهم من الموت قبل التوبه، أو نقضها قبل انقضاء المده، أو من ضعف القوه عن الوفاء بتمام حقوق اللّٰه، أو تخليته مع حسناته التي اتكل عليها و تعزز بها في عباد اللّٰه، أو من الميل عن الاستقامه، أو إلى اتباع الشهوات المألوفه استيلاء للعاده، أو تبديل رقه القلب إلى القساوه، أو تبعات الناس عنده من الغش و العداوه، أو من الاشتغال عن اللّٰه بغيره، أو حدوث ما يحدث في بقيه عمره، أو من البطر و الاستدراج بتواتر النعم، أو انكشاف غوائل طاعته حتى يبدو له من اللّٰه ما لم يعلم، أو من الاغترار بالدنيا و زخارفها الفانيه، أو تعجيل العقوبه بالدنيا و افتضاحه بالعلانيه، أو من اطلاع اللّٰه على سريره و هو عنه غافل، و توجهه إلى غيره و هو إليه ناظر، أو من الختم له عند الموت بسوء الخاتم، أو مما سبق له في الأزل من السابقه. و هذه كلها مخاوف العارفين.

و لكل واحد منها خصوص فائده، هو الحذر عما يفضى إلى الخوف،

ص: ٢٥٧

١-١ (١) آل عمران، الآية: ٢٨.

١٥٢-٢ (٢) آل عمران، الآية: ١٥٢.

فالخائف من تبعات الناس يجتهد في براءه ذمته عنها، و من استيلاء العاده يواظب على فطام نفسه عنها. و من اطلاع الله على سريره يشتغل بتطهير قلبه عن الوسوس. و هكذا فى بقية الأقسام.

و أغلب هذه المخاوف على المتقين خوف سوء الخاتمه، و هو الذى قطع قلوب العارفين، إذ الأمر فيه مخطر- كما يأتى- و أعلى الأقسام و أدلها على كمال المعرفه خوف السابقه، لأن الخاتمه فرع السابقه، و يترتب عليها بعد تخلل أسباب كثيره، و لذا قال العارف الأنصارى: «الناس يخافون من اليوم الآخر و أنا أخاف من اليوم الأول». فالخاتمه تظهر ما سبق به القضاء فى أم الكتاب،

و إليه أشار النبى-صلى الله عليه و آله و سلم- فى المنبر، حيث رفع يده اليمنى قابضا على كفه، ثم قال: «أ تدرّون أيها الناس ما فى كفى؟»، قالوا: الله و رسوله أعلم، قال: «أسماء أهل الجنه و أسماء آبائهم و قبائلهم إلى يوم القيامة». ثم رفع يده اليسرى و قال: «أيها الناس! تدرّون ما فى كفى؟» قالوا: الله و رسوله أعلم، فقال: «أسماء أهل النار و أسماء آبائهم و قبائلهم إلى يوم القيامة». ثم قال: «حكم الله و عدل، حكم الله»:

فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَ فَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ

(١)

و قال-صلى الله عليه و آله و سلم-: «يسلك بالسعيد فى طريق الأشقياء حتى يقول الناس: ما أشبهه بهم بل هو منهم، ثم تتداركه السعاده. و قد يسلك بالشقى طريق السعده حتى يقول الناس: ما أشبهه بهم، بل هو منهم، ثم يتداركه الشقاء. إن من كتبه الله سعيدا و إن لم يبق من الدنيا إلا فواق ناقه ختم له بالسعاده» (٢)،

ص: ٢٥٨

١- ١) الشورى، الآية: ٧.

٢- ٢) هذا الحديث مروي فى أصول الكافى فى (باب السعاده و الشقاوه) عن أبى عبد الله الصادق-عليه السلام-

الخوف منزل من منازل الدين و مقام من مقامات الموقنين، و هو أفضل الفضائل النفسانية، إذ فضيله الشىء بقدر إعانته على السعاده، و لا- سعاده كسعاده لقاء الله و القرب منه، و لا- وصول إليها إلا- بتحصيل محبته و الأُنس به، و لا- يحصل ذلك إلا بالمعرفه، و لا- تحصل المعرفه إلا- بدوام الفكر، و لا- يحصل الأُنس إلا بالمحبه و دوام الذكر، و لا تتيسر المواظبه على الفكر و الذكر إلا- بانقلاع حب الدنيا من القلب، و لا- ينقلع ذلك إلا- بقمع لذاتها و شهواتها، و أقوى ما تنقمع به الشهوه هو نار الخوف، فالخوف هو النار المحرقه للشهوات، فإذا فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوات و يكف من المعاصى و يحث على الطاعات، و يختلف ذلك باختلاف درجات الخوف - كما مر-.

و قيل: من أنس بالله، و ملك الحق قلبه، و بلغ مقام الرضا، و صار مشاهدا لجمال الحق: لم يبق له الخوف، بل يتبدل خوفه بالأمن، كما يدل عليه قوله سبحانه:

أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَ هُمْ مُهْتَدُونَ

(١)

إذ لا- يبقى له التفات إلى المستقبل، و لا- كراهيه من مكروهه، و لا- رغبه إلى محبوب، فلا- يبقى له خوف و لا رجاء، بل صار حاله أعلى منهما. نعم، لا- يخلو عن الخشيه- أى الرهبه من الله و من عظمته و هيئته- و إذا صار متجليا بنظر الوحده لم يبق فيه أثر من الخشيه أيضا، لأنه من لوازم التكثر،

ص: ٢٥٩

و قد زال. و لذا قيل: «الخوف حجاب بين الله و بين العبد». و قيل أيضا:

«إذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها محل لخوف و لا رجاء». و قيل أيضا: «المحب إذا شغل قلبه في مشاهدته المحبوب بخوف الفراق كان ذلك نقصا في دوام الشهود الذي هو غايه المقامات».

و أنت خبير بأن هذه الأقوال مما لا- التفات لنا إليها، فلنرجع إلى ما كنا بصدده من بيان فضيله الخوف، فنقول: الآيات و الأخبار الداله عليه أكثر من أن تحصى، و قد جمع الله للخائفين العلم و الهدى و الرحمه و الرضوان، و هى مجامع مقامات أهل الجنان، فقال:

إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ

(١)

و قال: هُدًى وَ رَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَزْهَبُونَ (٢). و قال: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٣).

و كثير من الآيات مصرحه بكون الخوف من لوازم الإيمان، كقوله تعالى:

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ (٤) و قوله: وَ خَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٥) و مدح الخائفين بالتذكر فى قوله:

ص: ٢٦٠

١-١) الفاطر، الآية: ٢٨.

٢-٢) الأعراف، الآية: ١٥٤.

٣-٣) البينه، الآية: ٨.

٤-٤) الانفال، الآية: ٢.

٥-٥) آل عمران، الآية: ١٧٥.

(١)

و وعدهم الجنة و جنتين، بقوله:

وَ أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ

(٢)

و قوله: وَ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ (٣).

و فى الخبر القدسى: «و عزتى لا أجمع على عبدى خوفين و لا أجمع له أمينين، فإذا أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة، و إذا خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة».

و قال رسول الله-صلى الله عليه و آله و سلم- «رأس الحكمة مخافة الله»،

و قال-صلى الله عليه و آله و سلم-: «من خاف الله أخاف الله منه كل شىء، و من لم يخف الله أخافه الله من كل شىء»

(٤)

و قال لابن مسعود: «إن أردت أن تلقانى فأكثر من الخوف بعدى»،

و قال-صلى الله عليه و آله و سلم-: «أتمكم عقلا أشدكم الله خوفا».

و عن ليث بن أبى سليم قال: «سمعت رجلا- من الأنصار يقول: بينما رسول الله مستظل بظل شجره فى يوم شديد الحر، إذ جاء رجل فترع ثيابه، ثم جعل يتمرغ فى الرمضاء، يكوى ظهره مره، و بطنه مره، و جبهته مره، و يقول: يا نفس ذوقى، فما عند الله أعظم مما صنعت بك. و رسول الله ينظر إليه ما يصنع. ثم إن الرجل لبس ثيابه، ثم أقبل، فأومى إليه النبى-صلى الله عليه و آله و سلم- بيده و دعاه، فقال له: يا عبد الله! رايتك صنعت شيئا

ص: ٢٤١

١-١ (١) الأعلى، الآية: ١٠.

٢-٢ (٢) النازعات، الآية: ٤٠-٤١.

٣-٣ (٣) الرحمن، الآية: ٤٦.

٤-٤) روى الحديث فى أصول الكافى فى باب الخوف و الرجاء عن الصادق (ع)

ما رأيت أحدا من الناس صنعه، فما حملك على ما صنعت؟ فقال الرجل:

حملني على ذلك مخافه الله، فقلت لنفسي: يا نفس ذوقى فما عند الله أعظم مما صنعت بك. فقال النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-: لقد خفت ربك حق مخافته، وإن ربك ليباهى بك أهل السماء، ثم قال لأصحابه: يا معشر من حضر! ادنوا من صاحبكم حتى يدعوا لكم. فدنوا منه، فدعا لهم، وقال اللهم اجمع أمرنا على الهدى واجعل التقوى زادنا، والجنة مآبنا.

وقال -صلى الله عليه وآله وسلم-: «ما من مؤمن يخرج من عينيه دمه، وإن كانت مثل رأس الذباب، من خشية الله، ثم يصيب شيئا من حر وجهه، إلا حرمه الله على النار»،

وقال: «إذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياها كما يتحات من الشجر ورقها»،

وقال: «لا يلج النار أحد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع».

وقال سيد الساجدين (ع) في بعض أدعيته:

«سبحانك! عجباً لمن عرفك كيف لا يخافك»

وقال الباقر عليه السلام: «صلى أمير المؤمنين عليه السلام بالناس الصبح بالعراق، فلما انصرف وعظهم، فبكى وأبكاهم من خوف الله، ثم قال: أما والله لقد عهدت أقواما على عهد خليلي رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-: و أنهم ليصبحون ويمسون شعثا غربا خمصا بين أعينهم كركب البعير يبيتون لربهم سجدا و قياما، يراوحون بين أقدامهم و جباههم، يناجون ربهم فى فكاك رقابهم من النار و الله لقد رأيتهم مع هذا و هم خائفون مشفقون»،

و فى روايه أخرى: «و كأن زفير النار فى آذانهم، إذا ذكر الله عندهم مادوا كما تميد الشجر، كأنما القوم باتوا غافلين»،

ثم قال عليه السلام: «فما رئى عليه السلام بعد ذلك ضاحكا حتى قبض».

وقال الصادق عليه السلام: «من عرف الله خاف الله و من خاف الله سخت نفسه عن الدنيا».

وقال عليه السلام: «إن من العباده



شده الخوف من الله تعالى يقول: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ. و قال:

فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَ اَخْشَوْنَ

(١)

قال: وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (٢).

و قال: «إن حب الشرف و الذكر لا يكونان فى قلب الخائف الراهب»

و قال عليه السلام: «المؤمن بين مخافتين: ذنب قد مضى ما يدرى ما صنع الله فيه، و عمر قد بقى لا يدرى ما يكتسب فيه من المهالك، فهو لا يصبح إلا خائفا و لا يصلحه إلا الخوف»،

و قال (ع): «خف الله كأنك تراه، و إن كنت لا تراه فإنه يراك، و إن كنت ترى أنه لا يراك، فقد كفرت، و إن كنت تعلم أنه يراك ثم برزت له بالمعصيه فقد جعلته من أهون الناظرين إليك»،

و قال (ع): «لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون خائفا راجيا، و لا يكون خائفا راجيا حتى يكون عاملا لما يخاف و يرجو»،

و قال (ع): «مما حفظ من خطب النبى -صلى الله عليه و آله و سلم- أنه قال: أيها الناس! إن لكم معالم فانتهاوا إلى معالمكم، و إن لكم نهايه فانتهاوا إلى نهايتكم، ألا إن المؤمن يعمل بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه و بين أجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد المؤمن من نفسه لنفسه و من دنياه لآخرته، و من الشيبه قبل الكبر، و فى الحياه قبل الممات، فو الذى نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من مستعب و ما بعدها من دار إلا الجنه أو النار».

ثم الأخبار الوارده فى فضل العلم و التقوى و الورع و البكاء و الرجاء تدل على فضل الخوف، لان جمله ذلك متعلقه به تعلق السبب أو تعلق

ص: ٢٤٣

١-١) المائده، الآية: ٤٤.

٢-٢) الطلاق، الآية: ٢.

المسبب، إذ العلم سبب الخوف، والتقوى والورع يحصلان منه و يترتبان عليه- كما ظهر مما سبق- والبكاء ثمرته و لازمه، و الرجاء يلازمه و يصاحبه إذ كل من رجا محبوبا فلا- بد أن يخاف فوته، إذ لو لم يخف فوته لم يحبه فلا ينفك أحدهما عن الآخر، و إن جاز غلبه أحدهما على الآخر، إذ من شرطهما تعلقهما بالمشكوك، لأن المعلوم لا- يرجى و لا يخاف، فالمحجوب المشكوك فيه تقدير وجوده يروح القلب و هو الرجاء، و تقدير عدمه يؤلمه و هو الخوف، و التقديران يتقابلان. نعم أحد طرفى الشك قد يترجح بحضور بعض الأسباب، و يسمى ذلك ظنا، و مقابله وهما، فإذا ظن وجود المحجوب قوى الرجاء و ضعف الخوف بالإضافه إليه، و كذا بالعكس، و على كل حال فهما متلازمان، و لذلك قال الله سبحانه.

وَ يَدْعُونَ رَبًّا رَّغَبًا وَ رَهَبًا

(١)

و قال: يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَ طَمَعًا (٢).

و قد ظهر أن ما يدل على فضل الخمسه يدل على فضيلته، و كذا ما ورد فى ذم الأمن من مكر الله يدل على فضيلته، لأنه ضده، و ذم الشىء مدح لضده الذى ينفيه. و مما يدل على فضيلته ما ثبت بالتواتر من كثره خوف الملائكه و الأنبياء و أئمه الهدى-عليهم السلام- كخوف جبرائيل، و ميكائيل، و إسرافيل، و حمله العرش، و غيرهم من الملائكه المهيمين و المسلمين. و كخوف نبينا، و إبراهيم، و موسى، و عيسى، و داود، و يحيى... و غيرهم. و خوف أمير المؤمنين و سيد الساجدين و سائر الأئمه الطاهرين-عليهم السلام- و حكاية

ص: ٢٦٤

١-١) الأنبياء، الآية: ٩٠.

٢-٢) السجده، الآية: ١٦.

خوف كل منهم فى كتب المحدثين المذكوره و فى زبرهم مسطوره، فليرجع إليها من أراد، و من الله العصمه و السداد.

## فصل الخوف إذا جاوز حده كان مذموماً

اعلم أن الخوف ممدوح إلى حد، فإن جاوزه كان مذموماً. و بيان ذلك:

أن الخوف سوط الله الذى سوق به العباد إلى المواظبه على العلم و العمل، لينالوا بهما رتبه القرب إليه تعالى و لذه المحبه و الأئس به، و كما أن السوط الذى تساق به البهيمة و يأدب به الصبى، له حد فى الاعتدال. لو قصر عنه لم يكن نافعا فى السوق و التأديب، و لو تجاوز عنه فى المقدار أو الكيفيه أو المبالغه فى الضرب كان مذموماً لأدائه إلى إهلاك الدابه و الصبى، فكذلك الخوف الذى هو سوط الله لسوق عباده له حد فى الاعتدال و الوسط، و هو ما يوصل إلى المطلوب، فإن كان قاصراً عنه كان قليل الجدوى، و كان كفضيب ضعيف يضرب به دابه قويه، فلا يسوقها إلى المقصد. و مثل هذا الخوف يجرى مجرى رقه النساء عند سماع شىء محزن يورث فيهن البكاء، و بمجرد انقطاعه يرجعن إلى حالهن الأولى، أو مجرى خوف بعض الناس عند مشاهدته سبب هائل، و إذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب إلى الغفله.

فهذا خوف قاصر قليل الجدوى. فالخوف الذى لا يؤثر فى الجوارح بكفها عن المعاصى و تقييدها بالطاعات حديث نفس و حركه خاطر لا يستحق أن يسمى خوفاً. و لو كان مفرطاً ربما جاوز إلى القنوط و هو ضلال:

وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ

(١)

ص: ٢٦٥

أو إلى اليأس و هو كفر:

لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ

(١)

ولا- ريب في أن الخوف المجاوز إلى اليأس و القنوط يمنع من العمل، لرفعهما نشاط الخاطر الباعث على الفعل، و إيجابهما كسالة الأعضاء المانعه من العمل. و مثل هذا الخوف محض الفساد و النقصان و عين القصور و الخسران و لا رجحان له في نظر العقل و الشرع مطلقا، إذ كل خوف بالحقيقه نقص لكونه منشأ العجز، لأنه متعرض لمحدور لا يمكنه دفعه، و باعث الجهل لعدم اطلاعه على عاقبه أمره، إذ لو علم ذلك لم يكن خائفا، لما مر من أن الخوف هو ما كان مشكوكا فيه، فبعض أفراد الخوف إنما يصير كمالا بالإضافة إلى نقص أعظم منه، و باعتبار رفعه المعاصي و إفضائه إلى ما يترتب عليه من الورع و التقوى و المجاهده و الذكر و العباده و سائر الأسباب الموصله إلى قرب الله و أنسه، و لو لم يؤد إليها كان في نفسه نقصا لا كمالا، إذ الكمال في نفسه هو ما يجوز أن يوصف الله تعالى به، كالعلم و القدره و أمثالهما، و ما لا يجوز وصفه به ليس كمالا في ذاته، و ربما صار محمودا بالإضافة إلى غيره و بالنظر إلى بعض فوائده، فما لا يفضى إلى فوائده المقصوده منه لإفراطه فهو مذموم، و ربما أوجب الموت أو المرض أو فساد العقل، و هو كالضرب الذي يقتل الصبي أو يهلك الدابه أو يمرضها أو يكسر عضوا من أعضائها. و إنما مدح صاحب الشرع الرجاء و كلف الناس به ليعالج به صدمه الخوف المفرط المفضى إلى اليأس أو إلى أحد الأمور المذكوره. فالخوف المحمود ما يفضى إلى العمل مع بقاء الحياه و صحه البدن و سلامه العقل، فإن تجاوز إلى إزالة شى منها فهو مرض يجب علاجه، و كان بعض مشائخ العرفاء يقول للمرتاضين من

ص: ٢٦٦

مريديه الملازمين للجوع أياما كثيرة: احفظوا عقولكم، فإنه لم يكن لله تعالى ولى ناقص العقل، و ما قيل: «إن من مات من خوف الله تعالى مات شهيدا، معناه أن موته بالخوف أفضل من موته في هذا الوقت بدونه، فهو بالنسبة إليه فضيله، لا بالنظر إلى تقدير بقائه و طول عمره في طاعه الله و تحصيل المعارف إذ للمترقى في درجات المعارف و الطاعات له في كل لحظه ثواب شهيد أو شهداء فأفضل السعادات طول العمر في تحصيل العلم و العلم، فكل ما يبطل العمر أو العقل و الصحة فهو خسران و نقصان.

## فصل طرق تحصيل الخوف الممدوح

لتحصيل الخوف الممدوح و جلبه طرق:

### (الأول) أن يجتهد في تحصيل اليقين.

أى قوه الإيمان بالله، و اليوم الآخر، و الجنة، و النار، و الحساب، و العقاب. و لا- ريب في كونه مهيجا للخوف من النار و الرجاء للجنة. ثم الخوف و الرجاء يؤديان إلى الصبر على المكاره و المشاق، و هو إلى المجاهده و التجرد لذكر الله تعالى و الفكر فيه على الدوام، و يقوى دوام الذكر على الأنس، و دوام الفكر على كمال المعرفة، و يؤدي الأنس و كمال المعرفة إلى المحبه، و يتبعها الرضا و التوكل و سائر المقامات. و هذا هو الترتيب في سلوك منازل الدين، فليس بعد أصل اليقين مقام سوى الخوف و الرجاء، و لا بعدهما مقام سوى الصبر، و لا بعده سوى المجاهده و التجرد لله ظاهرا و باطنا، و لا بعده سوى الهدايه و المعرفة، و لا بعدهما سوى الأنس و المحبه. و من ضروره المحبه الرضا بفعل المحبوب و الثقة بعنايه، و هو التوكل. فاليقين هو سبب الخوف، فيجب تحصيل

السبب ليؤدي إلى المسبب.

### (الثانى) ملازمه التفكير فى أحوال القيامة،

و أصناف العذاب فى الآخرة و استماع المواعظ المنذره، و النظر إلى الخائفين و مجالستهم، و مشاهدته أحوالهم و استماع حكاياتهم. و هذا مما يستجلب الخوف من عذابه تعالى، و هو خوف عموم الخلق، و هو يحصل بمجرد أصل الإيمان بالجنه و النار، و كونهما جزاءين على الطاعه و المعصيه، و إنما يضعف للغفله أو ضعف الإيمان، و تزول الغفله و الضعف بما ذكر. و أما الخوف من الله بأن يخاف البعد و الحجاب و يرجو القرب و الوصال، و هو خوف أرباب القلوب، العارفين من صفاته ما يقتضى الخوف و الهيبة، المطلعين على سر قوله:

□  
وَ يُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ

(١)

□  
و قوله: اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ (٢).

فالعلاج فى تحصيله الارتقاء إلى ذروه المعرفه، إذ هذا الخوف ثمره المعرفه بالله و بصفات جلاله و جماله، و من لم يمكنه ذلك فلا يترك سماع الأخبار و الآثار و ملاحظه أحوال الخائفين من هيبتة و جلاله، كالأنبياء و الأولياء و زمرة العرفاء، فإنه لا يخلو عن تأثير.

### (الثالث) أن يتأمل فى أن الوقف على كنه صفات الله فى حيز المحال،

و أن الإحاطه بكنه الأمور ليس فى مقدرة البشر، إذ هى مرتبطه بالمشيه ارتباطا يخرج عن حد المعقول و المألوف. و من عرف ذلك على التحقيق يعلم أن الحكم على أمر من الأمور الآتية غير ممكن بالحدس و القياس، فضلا

ص: ٢٦٨

١-١) آل عمران، الآية: ٢٨.

١-٢) آل عمران، الآية: ١٠٢.

عن القطع و التحقيق، و حينئذ يعظم خوفه و يشتد ألمه، و إن كانت الخيرات كلها له ميسره و نفسها عن الدنيا بالمره منقطعه. و إلى الله بشرها ملتفته، إذ خطر الخاتمه و عسر الثبات على الحق مما لا- يمكن دفعه، و كيف يحصل الاطمئنان من تغير الحال، و قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن، و أنه أشد تقلبا من القدر في غليانها، و قد قال مقلب القلوب:

إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (١) فإني للناس أن يطمثوا و هو يناديهم بالتحذر، و لذا قال بعض العرفاء:

«لو حالت بيني و بين من عرفته بالتوحيد خمسين سنه أسطوانه فمات لم أقطع له بالتوحيد، لأنني لا أدري ما ظهر له من التقلب» (٢).

### فصل خوف سوء الخاتمه و أسبابه

قد أشير إلى أن أعظم المخاوف خوف سوء الخاتمه، و له أسباب مختلفه ترجع إلى ثلاثه:

#### (الأول) و هو الأعظم، و هو أن يغلب على القلب عند سكرات الموت و ظهور أهواله،

إما الجحود أو الشك، فتقبض الروح في تلك الحاله، و تصير عقده الجحود أو الشك حجابا بينه و بين الله تعالى، و ذلك يقتضى البعد الدائم، و الحرمان اللازم، و خسران الأبد، و العذاب المخلد.

ثم هذا الجحود أو الشك إما يتعلق ببعض العقائد الأصوليه، كالتوحيد

ص: ٢٦٩

١- ١) المعارج، الآية: ٢٨.

٢- ٢) نقل هذه الكلمه في أحياء العلوم (ج ٤ ص ١٤٩) عن بعض العارفين و لم يذكر اسمه أيضا.

و علمه تعالى أو غير ذلك من صفاته الكماله، أو بضروريات أمر الآخرة و النبوه. و كل واحد من ذلك كاف في الهلاك و زهوق النفس على الزندقه.

أو يتعلق بجميعها إما إصالة أو سرايه، و المراد بالسرايه أن الرجل ربما اعتقد في ذات الله و صفاته و أفعاله خلاف ما هو الحق و الواقع، إما برأيه و معقوله، أو بالتقليد، فإذا قرب الموت و ظهرت سكراته و اضطرب القلب بما فيه، ربما انكشف بطلان ما اعتقده جهلاً، إذ حال الموت حال كشف الغطاء، و يكون ذلك سبباً لبطلان بقيه اعتقاداته أو الشك فيها، و إن كانت صحيحه مطابقه للواقع، إذ لم يكن عنده أولاً فرق بين هذا الاعتقاد الفاسد الذى انكشف فساده و بين سائر عقائده الصحيحه، فإذا علم خطأه فى البعض لم يبق له اليقين و الاطمئنان فى البواقي. كما نقل أن (الفخر الرازى) بكى يوماً، فسأله عن سبب بكائه، قال: «اعتقدت فى مسأله منذ سبعين سنه على نحو انكشف اليوم لى بطلانه، فما أدرانى أن لا تكون سائر عقائدى كذلك» و بالجملة: إن اتفق زهوق روحه فى هذه الخطره قبل أن ينيب و يعود إلى أصل الإيمان، فقد ختم له بالسوء و خرجت روحه على الشرك، أعادنا الله منه، و ثبتنا على الاعتقاد الحق لديه، و هم المقصودون من قوله:

وَ بَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ

(١)

و من قوله: قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (٢).

ص: ٢٧٠

١-١) الزمر، الآية: ٤٧.

٢-٢) الكهف، الآية: ١٠٣-١٠٤.



و البله:أعنى الذين آمنوا بالله و رسوله و اليوم الآخر إيماننا مجملا راسخا، بمعزل عن هذا الخطر،

و لذلك ورد: أن أكثر أهل الجنه البله. و ورد المنع من البحث و النظر و الخوض فى الكلام،و الأخذ بظواهر الشرع،مع اعتقاد كونه تعالى منزها عن النقص متصفا بما هو الغايه و النهايه من صفات الكمال و السر فى ذلك:أن البله إذا أخذوا بما ورد من الشرع و اعتقدوا به،يثبتون عليه لقصور أذهانهم عن درك الشبهات و عدم اعتيادهم بالتشكيك،فلا يختلج ببالهم شك و شبهه و لو عند الموت.

و أما الخائضون فى غمرات البحث و النظر،و الآخذون عقائدهم من عقولهم المزجاء،فليس لهم تثبت على عقائدهم،إذ العقول عن درك صفات الله و سائر العقائد الأصوليه على ما هى عليه قاصره،و الأدله التى يستخرجها مضطربه متعارضه.و أبواب الشكوك و الشبهات بالخوض و البحث تصير مفتوحه.

فأذهانهم دائما محل تعارض العقائد و الشكوك،فربما تثبت لهم عقيدته بملاحظه بعض دلائله،فيحصل لهم فيها طمأنينه،ثم يعرض لهم شك يرفعها أو يضعفها،فهم دائما فى غمرات الحيره و الاضطراب.فإذا كان حالهم هذا فأخذتهم سكرات الموت،فأى استبعاد فى أن يختلج لهم حينئذ شك فى بعض عقائدهم.و مثله مثل من انكسرت سفينته و هو فى ملتطم الأمواج يرميه موج إلى موج،و الغالب فى مثله الهلاك،و إن اتفق نادرا أن يرميه موج إلى الساحل.

و قد نقل عن (نصير الدين الحللى)-و هو من أعظم المتكلمين-أنه قال:

«إنى تفكرت فى العلوم العقليه سبعين سنه،و صنفت فيها من الكتب ما لا يحصى،لم يظهر لى منها شىء سوى أن لهذا المصنوع صانعا،و مع ذلك عجائز القوم فى ذلك أشد يقينا منى». فالصواب تلقى أصل الإيمان و العقائد من صاحب الوحي،مع تطهير الباطن عن خبائث الأخلاق،و الاشتغال

بالتطاعات و صوالح الأعمال، و عدم التعرض لما هو خارج عن طاقتهم من التفكير فى حقائق المعارف، إلا من أيدته الله بالقوه القدسيه و القريحه المستقيمه، و أشرق نور الحكمه فى قلبه. و شمله خفى الألفاف من ربه، فله الخوض فى غمرات العلوم. و أما غيره فينبغى أن يأخذ منه أصول عقائده الوارده من الشرع، و يشتغل بخدمته حتى تشمله بركات أنفاسه، فإن العاجز عن المجاهده فى صف القتال ينبغى أن يسقى القوم و يتعهد دوابهم، ليحشر يوم القيامة فى زمرتهم و إن كان فاقدا لدرجتهم.

### (الثانى) ضعف الإيمان فى الأصل،

و مهما ضعف الإيمان ضعف حب الله و قوى حب الدنيا فى القلب، و استولى عليه بحيث لا يبقى فى القلب موضع لحب الله إلا من حيث حديث النفس، فلا يظهر له أثر فى مخالفه النفس و الشيطان، فيورث ذلك الانهماك فى اتباع الشهوات، حتى يظلم القلب و يسود، و تتراكم ظلمه الذنوب عليه، و لا يزال يطفى ما فيه من نور الإيمان حتى ينطفى بالكليه، فإذا جاءت سكره الموت ازداد حب الله ضعفا، و ربما عدم بالمره، لما يستشعر من فراقه محبوبه الغالب على قلبه و هو الدنيا، فيتألم و يرى ذلك من الله، فيختلج ضميره بإنكاره ما قدره الله من الموت، و ربما يحدث فى باطنه بغض الله بدل الحب، لما يرى أن موته من الله، كما أن من يحب ولده حبا ضعيفا، إذا أخذ مالا له هو أحب إليه منه و أتلفه، انقلب حبه بغضا. فإن اتفق زهوق روحه فى تلك اللحظه التى خطر فيها هذه الخطره فقد ختم له بالسوء. نعوذ بالله من ذلك.

و قد ظهر أن السبب المفضى إلى ذلك غلبه حب الدنيا مع ضعف الإيمان الموجب لضعف حب الله، فمن وجد فى قلبه حب الله أغلب من حب الدنيا فهو أبعد من هذا الخطر، و إن أحب الدنيا أيضا، و من وجد فى قلبه عكس

ذلك فهو قريب من هذا الخطر. و السبب في قله حب الله قله المعرفه به، إذ لا يحب الله إلا من عرفه، و إلى هذا القسم من سوء الخاتمه أشير في الكتاب الإلهي بقوله:

قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ

(١)

فمن فارقته روحه في حاله كراهه فعل الله و بغضه له في تفريقه بينه و بين أهله و ماله و سائر محابه، فيكون موته قدوما على ما أبغضه و فراقا لما أحبه فيقدم على الله قدوم العبد المبغض الآبق إذا قدم به على مولاه قهرا، و لا يخفى ما يستحق مثله من الخزي و النكال و أما الذي يموت على حب الله و الرضا بفعله كان قدومه قدوم العبد المحسن المشتاق إلى مولاه، و لا يخفى ما يلقاه من الفرح و السرور.

### (و الثالث) كثره المعاصي و غلبه الشهوات، و إن قوى الإيمان.

و بيان ذلك: أن مفارقه المعاصي سببها غلبه الشهوات و رسوخها في القلب بكثره الألف و العاده، و جميع ما ألفه الإنسان في عمره يعود ذكره في قلبه عند موته، فإن كان أكثر ميله إلى الطاعات كان أكثر ما يحضره عند الموت طاعه الله، و إن كان أكثر ميله إلى المعاصي غلب ذكرها على قلبه عنده، و إن كان أكثر

ص: ٢٧٣

شغله السخريه و الاستهزاء و المزاح و أمثال ذلك كان الغالب عند الموت ذلك، و هكذا الحال فى جميع الأشغال و الأعمال الغالبه فى عمره، فإنها تغلب على قلبه عند موته، فربما يقبض روحه عند غلبه شهوه من شهوات الدنيا و معصيه من المعاصى، فيعتقد بها قلبه، و يصير محجوبا عن الله تعالى.

و هو المراد بالختم على السوء. فالذى غلبت عليه المعاصى و الشهوات، و كان قلبه أميل إليها منه إلى الطاعه، فهذا الخطر قريب فى حقه و لا- يميل إليها أصلا، فهو بعيد منه جدا. و من غلبت عليه الطاعات و لم يقارف المعاصى إلا نادرا، فلعل الراجح فى حقه النجاه منه، و إن أمكن حصوله. و من لم يغلب شىء من طاعاته و معاصيه على الآخر فأمره فى هذا الخطر إلى الله، و لا يمكن لنا الحكم بشىء من القرب و البعد فى حقه.

و السر فى ذلك: أن الغشيه المتقدمه على الموت شبيهه بالنوم، فكما أن الإنسان يرى فى منامه جمله من الأحوال التى عهدا طول عمره و ألفها، حتى أنه لا- يرى فى منامه إلا- ما يماثل مشاهداته فى اليقظه، و حتى أن المراهق الذى يحتلم لا- يرى صوره الوقاع، فكذلك حاله عند سكرات الموت و ما يتقدمه من الغشيه، لكونه شبيها بالنوم و إن كان فوقه، فيقتضى ذلك تذكّر المألوفات و عودها إلى القلب، فربما يكون غلبه الألف سببا لأن تتمثل صورته فاحشه فى قلبه و تميل نفسه إليها و تقبض عليها روحه، و يكون ذلك سبب سوء خاتمته، و إن كان أصل الإيمان باقيا بحيث يرجى له الخلاص منها بعنايه الله و فضله. و كما أن ما يخطر بالبال فى اليقظه إنما يخطر بسبب خاص لا يعلمه بحقيقته أحد إلا الله، فكذلك ما يرى فى آحاد المنامات و ما يختلج فى القلب عند سكرات الموت له أسباب عند الله لا نعرف بعضها، و ربما تتمكن من معرفه بعضه، فإننا نعلم أن الخاطر ينتقل من الشىء إلى ما يناسبه، إما بالمشابهه

بأن ينظر إلى جميل فيتذكر جميلا آخر، وإما بالمضاده، بأن ينظر إلى جميل فيتذكر قبيحا، وإما بالمقارنه، بأن ينظر إلى فرس قد رآه من قبل مع إنسان فيتذكر ذلك الإنسان، وقد ينتقل الخاطر من شيء إلى شيء، ولا يدري وجه المناسبه له، وربما ينتقل إلى شيء لا يعرف سببه أصلا. وكذلك انتقالات الخواطر بالمنام و عند سكرات الموت لها أسباب لا نعرف بعضها ونعرف بعضها بالنحو المذكور. و من أراد أن يكف خاطره عن الانتقال إلى المعاصي و الشهوات، فلا طريق له إلا المجاهده طول عمره في فطام نفسه عنها، و في قمع الشهوات عن قلبه، فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار، و يكون طول المجاهده و المواظبه على العلم و تخليه السر عن الشواغل الدنيويه و تقييده بالتوجه إلى الله و حبه و أنسه عده و ذخيره لحاله سكرات الموت،

إذ المرء يموت على ما عاش عليه، و يحشر على ما مات عليه، كما ورد في الخبر (١).

و قد دلت المشاهده على أن كل أحد يكون عند موته مشغول القلب بما هو الغالب عليه طول عمره، حيث يظهر منه عند ذلك، و إنما المخوف الموجب لسوء الخاتمه هو خاطر سوء يخطر، و منه عظم خوف العارفين، إذ اختلاج الخواطر و الاتفاقات المقتضيه لكونها مذمومه أو ممدوحه لا يدخل تحت الاختيار دخولا كلياً، و إن كان لطول الألف و العاده تأثير و مدخليه، و لذا إذا أراد الإنسان ألا يرى في المنام إلا الأنبياء و الأئمه -عليهم السلام- و أحوال الصالحين و العبادات لم يتيسر له، و إن كانت كثره الحب و المواظبه على الصلاح و الطاعه مؤثره فيه. و بالجملة: اضطرابات الخيال لا تدخل بالكليه تحت الضبط، و إن كان الغالب مناسبه ما يظهر في النوم لما غلب في

ص: ٢٧٥

---

١- ١) لم نعثر على مصدر لهذا الخبر، و جاء ذكر هذا الخبر مرسلًا في (الحقائق) - ص ٨٨ طبع إيران - للشيخ (ملا محسن الفيض) و لم يذكر المصدر له.

اليقظه.و بذلك يعلم أن أعمال العبد كلها ضائعه إن لم يسلم في النفس الأخير الذى عليه خروج الروح،و أن السلامه مع اضطراب أمواج الخواطر مشكله و لذلك

قال رسول الله-صلى الله عليه و آله و سلم-: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنه حتى لا يبقى بينه و بين الجنة إلا فواق ناقيه، فيختم له بما سبق به الكتاب» و معلوم أن فواق الناقيه لا يتسع لأعمال توجب الشقاوه،بل هى الخواطر التى تضطرب و تخطر خطور البرق الخاطف.و من هنا قيل (١):«إني لا أعجب ممن هلك، كيف هلك،و لكنى أعجب ممن نجا كيف نجا»،

و ورد (٢): «أن الملائكه إذا سعدت بروح المؤمن،و قد مات على الخير و الإسلام،تعجبت الملائكه منه،و قالوا:كيف نجا من دنيا فسد فيها خيارنا». و لذلك قيل (٣):من وقعت سفينته فى لجه البحر،و هجمت عليه الرياح العاصفه،و اضطربت الأمواج،كانت النجاه فى حقه أبعد من الهلاك،و قلب المؤمن أشد اضطرابا من السفينه،و أمواج الخواطر أعظم التطاما من أمواج البحر،و مقلب القلوب هو الله.و من هنا يظهر سر

قوله:

«الناس كلهم هلكى إلا العالمون،و العالمون كلهم هلكى إلا العاملون، و العاملون كلهم هلكى إلا المخلصون،و المخلصون على خطر عظيم» (٤).

ص: ٢٧٤

١-١) القائل هو(مطرف بن عبد الله)كما فى إحياء العلوم:ج ٤ ص ١٥٥

٢-٢) يظهر من كلمه(ورد)أن هذا حديث.و فى إحياء العلوم-ج ٤ ص ١٥٥-كلام ينقله عن(حامد اللفاف).

٣-٣) القائل هو(الغزالي)فى إحياء العلوم،فى الصفحه المتقدمه.

٤-٤) جاء نص هذا الكلام فى أثناء كلام(الغزالي)فى إحياء العلوم-ج ٤ ص ١٥٦-و كأنه من كلام نفسه.إلا أنه جاء نص هذه العبارة فى(مجموعه الشيخ ورام)ص ٣٢٠،عن النبی-صلى الله عليه و آله و سلم-مرسلا.و كذلك جاء فى(مصباح الشريعه)المنسوب إلى الصادق-عليه السلام-فى الباب-٧٧ ما يقرب من هذا النص.فما ذا نظن أراد المؤلف بقوله:(سر قوله)،هل أراد الغزالي ما ترى؟

و لأجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مطلوبه و موت الفجأه مكروهها، إذ موت الفجأه ربما يتفق عند غلبه خاطر سوء و استيلائه على القلب.

و أما الشهاده فى سبيل الله فإنها عباره عن قبض الروح فى حاله لم يبق فى القلب غير حب الله، و خرج حب الدنيا و المال و الولد، فإن من هجوم على صف القتال بأمر الله و أمر رسوله يكون موطننا نفسه على الموت لرضا الله و حبه، بائعا دنياه بآخرته، راضيا بالبيع الذى بايعه الله به فى قوله:

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ

(١)

و بذلك يظهر أن القتل لا بسبب الشهاده التى حقيقتها ما فسر، لا يفيد الاطمئنان من هذا الخطر، و إن كان ظلما، و إن كان فى الجهاد، إذا لم تكن هجرته فيه إلى الله و رسوله، بل إلى دنيا يصيبها أو امرأه يأخذها.

و قد ظهر مما ذكر: أن سوء الخاتمه باختلاف أسبابه راجع إلى أحوال القلب، و حاله القلب إما خاطر خير أو خاطر سوء أو خاطر مباح، فمن زهق روحه على خاطر مباح لم يمكن الحكم بأنه ختم على خير أو سوء، بل أمره إلى الله، و إن كانت النجاه له أقرب بعد غلبه صالحات أعماله على فاسداتها، و من زهق روحه على خاطر سوء و هو أحد الخواطر المتقدمه:

فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا، وَ خَسِرَ خُسْرًا مُّبِينًا (٢) و من زهق روحه على خاطر خير و هو أن يكون قلبه فى حاله الموت

ص: ٢٧٧

١- (١) التوبه، الآية: ١١١.

٢- (٢) النساء، الآية: ١١٩، ١١٦.

متوجها إلى الله ممتليا من حبه و أنسه «فقد فاز فوزا عظيما». و هذا موقف على المجاهدة في فطام النفس عن الشهوات الحيوانيه، و إخراج حب الدنيا عنها رأسا، و الاحتراز عن فعل المعاصي و مشاهداتها و التفكير فيها، و عن مجالسه أهلها و استماع حكاياتهم، بل عن مباحات الدنيا بالكليه، و تخليه السر عما سوى الله، و الانقطاع بشرائه إليه، و إخراج محبه كل شىء سوى محبته عن قلبه، حتى يصير حبه سبحانه و الأنس به ملكه راسخه، ليغلب على القلب عند سكره الموت، و بدون ذلك لا يمكن القطع بذلك، كيف و قد علمت أن الغشيه المتقدمه على الموت شبه النوم، و أنت في غالب الرؤيا الظاهره عليك في المنام لا تجد في قلبك حبا لله و أنسا به و توجهها إليه، بل لا يخطر ببالك أن لك ربا متصفا بالصفات الكماليه، بل ترى ما كنت تألفه و تعتاده من الأمور الباطله و الخيالات الفاسده، فإن زهق روحك عند اشتغال خاطرک بشىء من الأمور الدنيويه، و لم يكن متوجها إلى الله و مستحضرا معرفته و مبتهجا بحبه و أنسه، لبقيت على تلك الحاله أبدا، و هو الشقاوه العظمى و الخيبه الكبرى.

فتيقظ-يا حبيبي-من سنه الغفله، و تنبه عن سكر الطبيعه، و اخرج حب الدنيا عن قلبك، و توجه بشرائرك إلى جناب ربك، و اكتف من الدنيا بقدر ضرورتك و لا تطلب منها فوق حاجتك، و اقنع من الطعام ما يقيم صلبك و لا تكثر تناول منه ليزيل من ربك قربك، و ارض من اللباس بما يستر عورتك و لا- يظهر للناس سوءتك، و اكتف من المسكن بما يحول بينك و بين الأبصار و يدفع عنك حر الشمس و برد الأمطار، فإن جاوزت عن ذلك تشعبت همومك و تكثرت غمومك، و أحاط بك الشغل الدائم و العناء اللازم و ذهب عنك جل خيراتك و ضاعت بركات أوقاتك. و بعد ذلك راقب قلبك



فى جميع الأوقات، و إياك أن تهمله لحظه من اللحظات، و احفظه من أن يكون محلا- لغير معرفه الله و حبه، و ليكن القرب إلى الله و الأنس به غاية همك، إذ العاقل إنما يميل و يشناق إلى ما هو الأشرف و الأكمل، و يسر و يرتاح بما له أحسن و أنفع، و لا ريب فى أن أشرف الموجودات و أكملها هو سبحانه، بل هو الموجود الحقيقى و الكمال الواقعى، و غيره من الموجودات و الكمالات من لوازم فيضه و رشحات وجوده و فضله، و له غاية ما يتصور من العلو و الكمال و البهاء و الجلال، و إن معرفته و حبه أحسن الأشياء و أنفعها لكل أحد، لأنه الباعث للسعادة الأبدية و البهجة الدائمة، فلا ينبغي للعاقل أن يترك ذلك اشتغالا بفضول الدنيا و خسائسها، بل يلزم عليها أن يترك حبلها على غاربها، و يخلص نفسه الشريفه عن مخالبتها، و يتوجه بكليته إلى جناب ربه، و لم يكن فرحه و ابتهاجه إلا بحبه و أنسه.

### فصل الفرق بين الاطمئنان و الأمن من مكر الله

ضد الخوف المذموم هو اطمئنان القلب فى الأمور المذكوره، و لا ريب فى كونه فضيله و كمالا، إذ قوه القلب و عدم اضطرابه مما يحكم العقل بعدم الحذر عنه صفة كمال، و نقيضه نقص و رذيله.

و أما الخوف الممدوح، فضده الأمن من مكر الله، و هو من المهلكات، و قد ورد به الذم فى الآيات و الأخبار، قال الله سبحانه:

فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ

(١)

و قد ثبت بالتواتر: أن الملائكة و الأنبياء كانوا خائفين من مكره،

كما

ص: ٢٧٩

روى: «أنه لما ظهر على إبليس ما ظهر، طفق جبرئيل و ميكائيل يبكيان، فأوحى الله إليهما: ما لكما تبكيان؟ فقالا: يا رب! لا نأمن مكرك. فقال الله هكذا كوننا، لا تأمنا مكرى».

و روى: «أن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- و جبرئيل بكيا من خوف الله تعالى، فأوحى الله إليهما: لم تبكيان و قد أمنتكما؟ فقالا: و من يأمن مكرك؟» و كأنهما لم يأمنا أن يكون قوله (قد أمنتكما) ابتلاء لهما و امتحانا، حتى أن سكن خوفهما (1) ظهر أنهما قد أمتنا المكر و ما و فيا بقولهما، كما أن إبراهيم عليه السلام لما وضع فى المنجنيق قال: حسبى الله و كان هذا القول منه من الدعوى العظيمة، فامتحن و عورض بجبرئيل عليه السلام فى الهواء حتى قال: أ لك حاجه؟ قال: أما إليك فلا. و كان ذلك و فاء بمقتضى قوله، فأخبر الله تعالى عنه و قال:

وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى

(٢)

و بالجملة: ينبغى للمؤمن ألا يأمن من مكر ربه، كما لم يأمن منه الملائكة و الأنبياء، و إذا لم يأمن منه كان خائفا منه دائما.

### تتميم التلازم بين الخوف و الرجاء

الرجاء ارتياح القلب لانتظار المحبوب، و هو يلازم الخوف، إذ الخوف - كما عرفت - عباره عن التألم من توقع مكروه ممكن الحصول، و ما يمكن حصوله يمكن عدم حصوله أيضا، و ما كان حصوله مكروها كان عدم حصوله محبوبا، فكما أنه يتألم بتوقع حصوله يرتاح ليتوقع عدم حصوله أيضا، فالخوف عن شىء وجودا يلزمه الرجاء عدما، و عنه عدما يلزمه الرجاء

ص: ٢٨٠

- 
- ١- ١) هذه العبارة لبيان الابتلاء و الامتحان، يعنى: أنهما يخشيان إذا سكن خوفهما أن يظهر أنهما قد امتنا المكر و لم يوفيا بقولهما فيكون ذلك امتحانا لهما
- ٢- ٢) النجم، الآية: ٣٧.

وجودا. وقس عليه استلزام الرجاء للخوف، فهما متلازمان، وإن أمكن غلبه أحدهما نظرا إلى كثره حصول أسبابه. وإن تيقن الحصول أو عدمه لم يكن انتظارهما خوفا ورجاء، بل سمي انتظار مكروه أو انتظار محبوب.

ثم كما أن الخوف من متعلقات قوه الغضب، وأن الممدوح منه من فضائلها، لكونه مقتضى العقل و الشرع، و باعنا للعمل من حيث الرهبه، فكذا الرجاء متعلق بها و من فضائلها، لكونه مقتضاهما و باعنا للعمل من حيث الرغبه. إلا أن الخوف لترتبه على ضعف القلب يكون أقرب إلى طرف التفریط، و الرجاء لترتبه على قوته يكون أقرب إلى طرف الإفراط، و إن كان كلاهما ممدوحين. ثم لا بد أن يحصل أكثر أسباب حصول المحبوب حتى يصدق اسم الرجاء على انتظاره، كتوقع الحصاد ممن ألقى بذرا جيدا فى أرض طيبه يصلها الماء. و أما انتظار ما لم يحصل شىء من أسبابه فيسمى غرورا و حماقه، كتوقع من ألقى بذرا فى أرض سبخه لا يصلها الماء. و انتظار ما كان أسبابه مشكوكه يسمى تمنيا، كما إذا صلحت الأرض و لا ماء.

و تفصيل ذلك: أن الدنيا مزرعه الآخره، و القلب كالأرض، و الإيمان كالبذر، و الطاعات هى الماء الذى تسقى به الأرض، و تطهير القلب من المعاصى و الأخلاق الذميمة بمنزله تنقيه الأرض من الشوك و الأحجار و النباتات الخبيثه، و يوم القيامة هو وقت الحصاد. فينبغى أن يقاس رجاء العبد (المغفره) برجاء صاحب الزرع (التميه)، و كما أن من ألقى البذر فى أرض طيبه، و ساق إليها الماء فى وقته، و نقاها الشوك و الأحجار، و بذل جهده فى قلع النباتات الخبيثه المفسده للزرع، ثم جلس ينتظر كرم الله و لطفه مؤملا. أن يحصل له وقت الحصاد مائه قفيز مثلا، سمي انتظاره رجاء ممدوحا، فكذلك العبد إذا طهر أرض قلبه عن شوك الأخلاق الرديه و بث فيه بذر الإيمان بماء

الطاعات، ثم انتظر من فضل الله تثبيته إلى الموت و حسن الخاتمه المفضيه إلى المغفره، كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه. و كما أن من تغافل عن الزراعه و اختار الراحة طول السنه، أو ألقى البذر في أرض سبخه مرتفعه لا ينصب إليها ماء، و لم يشتغل بتعهد البذر و إصلاح الأرض من النباتات المفسده للزرع، ثم جلس منتظرا إلى أن ينبت له زرع يحصده، سمي انتظاره حمقا و غرورا. كذلك من لم يلق بذر الإيمان في أرض قلبه، أو ألقاه فيه مع كونه مشحونا برذائل الأخلاق منهمكا في خسائس الشهوات و اللذات، و لم يسق إليها ماء الطاعات، ثم انتظر المغفره، كان انتظاره حمقا و غرورا.

و كما أن من بث البذر في أرض طيبه لا ماء لها، و جلس ينتظر مياه الأمطار حيث لا تغلب الأمطار، و إن لم يمتنع أيضا، سمي انتظاره تمنيا. كذلك من ألقى بذر الإيمان في أرض قلبه، و لكنه لم يسق إليه ماء الطاعات و انتظر المغفره بلطفه و فضله، كان انتظاره تمنيا.

فإذن، اسم (الرجاء) إنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد، و لم يبق إلا ما ليس يدخل تحت اختياره، و هو فضل الله تعالى بصرف القواطع و المفسدات. فالأحاديث الواردة في الترغيب على الرجاء و في سعه عفو الله و جزيل رحمته و وفور مغفرته، إنما هي مخصوصه بمن يرجو الرحمه و الغفران بالعمل الخاص المعد لحصولهما، و ترك الانهماك في المعاصي المفوت لهذا الاستعداد. فاحذر أن يغرك الشيطان و يثبطك عن العمل و يقنعك بمحض الرجاء و الأمل. و انظر إلى حال الأنبياء و الأولياء و اجتهادهم في الطاعات و صرفهم العمر في العبادات ليلا و نهارا، أما ما كان يرجون عفو الله و رحمته؟ بلى و الله! إنهم كانوا أعلم بسعه رحمه الله و أرجى لها منك و من كل أحد، و لكن علموا أن رجاء الرحمه من دون العمل

غرور محض و سفه بحت، فصرفوا في العبادات أعمارهم و قصروا على الطاعات ليهم و نهارهم.

و نحن نشير (أولاً) إلى بعض ما ورد في الرجاء من الآيات و الأخبار، ثم نورد نبذا مما يدل على أنه لا معنى للرجاء بدون العمل، ليعلم أن إطلاق الأول محمول على الثاني. فنقول:

### **الظواهر الواردة في الرجاء أكثر من أن تحصى، و هي على أقسام:**

#### **(الأول) ما ورد في النهي عن القنوط و اليأس من رحمه الله**

كقوله تعالى:

يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ

(١)

:

و قول علي (ع) لرجل أخرجته الخوف إلى القنوط لكثرة ذنوبه:

«أيا هذا! يأسك من رحمه الله أعظم من ذنوبك».

و ما روى: «أنه -صلى الله عليه و آله و سلم- لما قال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا و لبيكنم كثيرا و لخرجتم إلى الصعادات تلدمون صدوركم و تجأرون إلى ربكم. فهبط جبرئيل (ع) فقال: إن ربك يقول: لم تقنط عبادي؟ فخرج عليهم و رجاهم و شوقهم».

و ما ورد: «أن رجلا -من بني إسرائيل كان يقنط الناس و يشدد عليهم، فيقول الله له يوم القيامة: اليوم أويسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها».

#### **(الثاني) ما ورد في الترغيب على خصوص الرجاء و كونه سبب النجاة،**

كما ورد في أخبار يعقوب من «أنه تعالى أوحى إليه أ تدري لم فرقت بينك و بين يوسف؟ لقولك:

وَ أَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذُّبُّ وَ أَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ

(٢)

١-١) الزمر، الآية: ٥٣.

٢-٢) يوسف، الآية: ١٣.

لم خفت الذئب و لم ترجنى؟ و لم نظرت إلى غفله إخوته و لم تنظر إلى حفظى؟»

و قول أمير المؤمنين (ع) لرجل قال عند النزاع: أجدنى أخاف ذنوبى و أرجو رحمه ربي: «ما اجتماعا فى قلب عبد فى هذا الوطن إلا أعطاه الله ما رجا و أمنه مما يخاف»

(١)

و قول النبى -صلى الله عليه و آله و سلم-: «إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة، ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره؟ فإن لقنه الله حجته، قال: رب رجوتك و خفت الناس، فيقول الله: قد غفرت لك».

و ما روى عنه -صلى الله عليه و آله و سلم-: «أن رجلا- يدخل النار فيمكث فيها ألف سنة ينادى يا حنان يا منان، فيقول الله لجبرئيل: اذهب فأتنى بعبدى، فيجىء به، فيوقفه على ربه، فيقول الله له: كيف وجدت مكانك؟ فيقول: شر مكان، فيقول: رده إلى مكانه. قال: فيمشى و يلتفت إلى ورائه، فيقول الله عز و جل: إلى أى شىء تلتفت؟ فيقول: لقد رجوت ألا- تعيدنى إليها بعد إذ أخرجتنى منها، فيقول الله تعالى: اذهبوا به إلى الجنة».

و قوله -صلى الله عليه و آله و سلم-: «قال الله تعالى: لا- يتكل العاملون على أعمالهم التى يعملونها لثوابى، فإنهم لو اجتهدوا و أتعبوا أنفسهم أعمارهم فى عبادتى، كانوا مقصرين غير بالغين فى عبادتهم كنه عبادتى، فيما يطلبون عندى من كرامتى، و النعيم فى جناتى، و رفيع الدرجات العلى فى جوارى، و لكن برحمتى فليثقوا، و إلى حسن الظن بى فليطمثوا، و فضلى فليرجوا (٢)، فإن رحمتى عند ذلك تدركهم، و منى يبلغهم رضوانى، و مغفرتى تلبسهم عفوى فإنى أنا الله الرحمن الرحيم و بذلك تسميت».

و عن أبى جعفر (ع) قال:

ص: ٢٨٤

١- ١) روى (احياء العلوم: ج ٤ ص ١٢٥) هذا الحديث عن النبى -صلى الله عليه و آله و سلم-.

٢- ٢) فى الكافى فى (باب حسن الظن بالله عز و جل) تقديم و تأخير عما هنا، فقد جاء فيه: «و فضلى فليرجوا و إلى حسن الظن بى فليطمثوا».

«وجدنا في كتاب علي (ع) أن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- قال و هو على منبره. و الذي لا إله إلا هو ما أعطى مؤمن قط خير الدنيا و الآخرة إلا بحسن ظنه بالله و رجائه له و حسن خلقه و الكف عن اغتياب المؤمنين و الذي لا إله إلا هو لا يعذب الله مؤمنا بعد التوبه و الاستغفار إلا بسوء ظنه بالله و تقصيره من رجائه و سوء خلقه و اغتيابه للمؤمنين، و الذي لا إله إلا هو لا يحسن ظن عبد مؤمن بالله إلا كان الله عند ظن عبده المؤمن، لان الله كريم بيده الخيرات يستحيى (١) أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظن ثم يختلف ظنه و رجاءه، فأحسنوا بالله الظن و ارجبوا إليه».

### (الثالث) ما ورد في استغفار الملائكة و الأنبياء للمؤمنين

كقوله تعالى:

و الْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ

(٢)

و قوله -صلى الله عليه وآله وسلم-: «حياتي خير لكم و موتي خير لكم، أما حياتي فأسن لكم السنن و أشرع لكم الشرائع، و أما موتي فإن أعمالكم تعرض علي، فما رأيت منها حسنا حمدت الله عليه و ما رأيت منها سيئا استغفرت الله لكم».

### (الرابع) ما ورد في تأجيل المذنب إلى أن يستغفر،

كقول الباقر -عليه السلام-: «إن العبد إذا أذنب أجل من غدوه إلى الليل، فإن استغفر لم يكتب عليه» (٣).

و قول الصادق (ع): «من عمل سيئه أجل فيها

ص: ٢٨٥

١- ١) في الكافي في (باب حسن الظن): (يستحي).

٢- ٢) الشورى، الآية: ٥.

٣- ٣) روى الكافي في (باب الاستغفار من الذنب) هذا الحديث عن الصادق -عليه السلام-.



سبع ساعات من النهار، فإن قال: أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم و أتوب إليه ثلاث مرات، لم تكتب عليه».

### (الخامس) ما ورد فى شفاعه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -

كقوله تعالى:

وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ

(١)

وقد ورد فى تفسيره أنه لا يرضى محمد و واحد من أمته فى النار،

وقوله -صلى الله عليه وآله وسلم-: «ادخرت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى»، و كذا ما ورد فى شفاعه الأئمه و المؤمنين.

### (السادس) ما ورد من البشارات للشيعة و من عدم خلودهم فى النار،

و من أن حب النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- و العتره الطاهره ينجيهم من العذاب، و إن فعلوا ما فعلوا.

### (السابع) ما دل على أن النار إما أعدها الله لأعدائه من الكافرين،

و إنما يخوف بها أوليائه، كقوله تعالى.

لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ

(٢)

، و قوله: وَ اتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٣) و قوله: لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَ تَوَلَّى (٤).

ص: ٢٨٦

١-١ (١) الضحى، الآية: ٥.

٢-٢ (٢) الزمر، الآية: ١٦.

٣-٣ (٣) آل عمران، الآية: ١٣١.



كقوله:

وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ

(١)

و ما روى في تفسير قوله تعالى:

يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ

(٢)

«أن الله أوحى إلى نبيه: أنى أجعل حساب أمتك إليك، فقال: لا يا رب! أنت خير لهم منى (٣)، فقال إذن لا أخزيك فيهم»

و ما روى: «أنه -صلى الله عليه و آله و سلم- قال يوما: يا كريم العفو! فقال جبرئيل: أ تدرى ما تفسير يا كريم العفو؟ هو: أنه يعفو عن السيئات برحمته ثم يبدلها حسنات بكرمه» (٤).

و ما ورد: أن العبد إذا أذنب فاستغفر، يقول الله لملائكته:

انظروا إلى عبدى أذنب ذنبا، فعلم أنه له ربا يغفر الذنوب و يأخذ بالذنوب أشهدكم أنى قد غفرت له.

و ما ورد في الخبر القدسى: إنما خلقت الخلق ليربحوا على، و لم أخلقهم لأربح عليهم .

و ما ورد من «أنه لو لم يذنبوا، لخلق الله تعالى خلقا يذنبون ليغفر لهم

و قوله صلى الله عليه و آله و سلم:-:

«و الذى نفسى بيده. الله أرحم بعبده المؤمن من الوالده الشفيقه بولدها»

و ما ورد من «أنه سبحانه ليغفرن يوم القيامة مغفره ما خطرت قط على قلب أحد حتى أن إبليس يتناول لها رجاء أن تصيبه». و الآيات و الاخبار الواردة فى هذا المعنى متجاوزة عن حد التواتر.

ص: ٢٨٧

- ٣-٣) فى (إحياء العلوم: ج ٤ ص ١٢٨) هكذا: «أنت أرحم بهم منى»، و كذا بدل لا أخزيك: «لا نخزيك».
- ٤-٤) فى (إحياء العلوم: ص ١٢٩ من ج ٤) هكذا: «هو إن عفا عن السيئات برحمته بدلها حسنة بكرمه».

### **(التاسع) ما دل على أن ابتلاء المؤمن في الدنيا بالبلايا والأمراض كفاره لذنوبه،**

كقوله-صلى الله عليه وآله وسلم-: «الحمى من قيح جهنم، و هي حظ المؤمن من النار».

### **(العاشر)- ما ورد في أن الإيمان لا يضر معه عمل،**

كما أن الكفر لا ينفع معه عمل، و في أنه قد يغفر الله عبداً و يدخله الجنة لأجل مثقال ذره من الإيمان أو عمل جزئى من الأعمال الصالحة.

### **(الحادى عشر) ما ورد في الترغيب على حسن الظن بالله،**

كقوله -صلى الله عليه وآله وسلم-: «لا يموتن أحدكم إلا و هو يحسن الظن بالله»

و قوله-صلى الله عليه وآله وسلم-: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء».

و قول الرضا(ع): «أحسن الظن بالله، فإن الله عز و جل يقول: أنا عند ظن عبدى لى، إن خيراً فخير و إن شراً فشر».

و قول الصادق(ع): «حسن الظن بالله: ألا- ترجو إلا- الله، و لا تخاف إلا ذنبك» و قد تقدم بعض أخبار آخر فى هذا المعنى. ثم إيجاب حسن الظن للرجاء و جلبه له مما لا ريب فيه.

### **(الثانى عشر) ما دل على أن الكافر أو النصاب يكونون يوم القيامة فداء للمؤمنين أو الشيعة،**

كما روى أنه-صلى الله عليه وآله وسلم-قال:

«أمتى أمه مرحومه لا عذاب عليها فى الآخرة، و عجل عقابها فى الدنيا بالزلازل و الفتن، فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من أمتى رجل من أهل الكتاب، فقيل هذا فداؤك من النار».

و عن أهل البيت-عليهم السلام-: «أن النصاب يجعلون فداء لشيعتنا بظلمهم إياهم و وقيعتهم فيهم».

و عن الصادق(ع): «سيئتى بالواحد من مقصرى شيعتنا فى أعماله، بعد أن صان الولايه و التقيه و حقوق إخوانه، و يوقف بإزائه ما بين مائه و أكثر من ذلك إلى مائه ألف من النصاب، فيقال

له: هؤلاء فداؤك من النار، فيدخل هؤلاء المؤمنون إلى الجنة و أولئك النصاب إلى النار، وذلك ما قال الله تعالى:

رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ

(١)

فى الدنيا منقادين للإمامه، ليجعل مخالفوهم من النار فداءهم.

**و أما (الثانى) - أعنى ما يدل على أن رجاء المغفره و العفو و الرحمه إنما هو بعد العمل**

- فأكثر من أن يحصى، كقوله تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ

(٢)

و قوله: فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَذْنَى وَ يَقُولُونَ سَيُعْفَرُ لَنَا (٣).

و قول النبى -صلى الله عليه و آله و سلم-: «الكيس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت، و الأحمق من اتبع نفسه هواها و تمنى على الله الجنة».

و ما روى عن الصادق عليه السلام أنه قيل له: قوم يعملون بالمعاصى و يقولون: نرجوا فلا- يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت، فقال: «هؤلاء قوم يترجعون فى الأمانى كذبوا ليسوا براجين»، «إن» (٤) من رجا شيئاً طلبه، و من خاف من شىء هرب منه»

و عن على بن محمد، قال: قلت له عليه السلام: إن قوما من مواليك يلمون بالمعاصى و يقولون نرجوا، فقال: «كذبوا، ليسوا لنا بموال

ص: ٢٨٩

١-١ (١) الحجر، الآية: ٢.

٢-٢ (٢) البقره، الآية: ٢١٨.

٣-٣ (٣) الأعراف، الآية: ١٦٩.

٤-٤ (٤) روى الحديث فى الكافى (باب الرجاء) و ليس فيه كلمه «إن».

أولئك قوم ترجحت بهم الأمانى. من رجا شيئاً عمل له، و من خاف شيئاً هرب منه».

و عنه قال: «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف و يرجو».

### فصل مواقع الخوف و الرجاء و ترجيح أحدهما على الآخر

قد عرفت أن الخوف و الرجاء محمودان، لكونهما باعثين على العمل، و دواءين يداوى بهما أمراض القلوب، فضل كل منهما إنما هو بحسب ما يترتب عليه من فائده العمل و معالجه المرض.

و هذا يختلف باختلاف الأشخاص: فمن كان تأثير الخوف فى بعثه على العمل أكثر من تأثير الرجاء فيه، فالخوف له أصلح من الرجاء و من كان بالعكس فبالعكس و من غلب عليه مرض الأمن من مكر الله و الاغترار به، فالخوف له أصلح. و من غلب عليه اليأس و القنوط، فالرجاء له أصلح. و من انهمك فى المعاصى، فالخوف له أصلح. و من ترك ظاهر الإثم و باطنه و خفيه و جليه، فالأصلح له أن يعتدل خوفه و رجاؤه.

و الوجه فى ذلك: أن كل ما يراد به المقصود، ففضله إنما يظهر بالإضافة إلى مقصوده لا إلى نفسه، فلو فرض تساويهما فى البعث على العمل و لم يغلب شىء من المذكورات، فالأصلح اعتدالهما،

كما قال أمير المؤمنين عليه السلام لبعض ولده: «يا بنى! خف الله خوفاً ترى أنك إن أتيت بحسنات أهل الأرض لم يتقبلها منك، و ارج الله رجاء كأنك لو أتيت بسيئات أهل الأرض غفرها لك».

و قال الباقر عليه السلام: «ليس من عبد مؤمن إلا و فى قلبه نوران: نور خيفه، و نور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا، و قد جمع الله سبحانه بينهما فى وصف من أثنى عليهم، فقال: يدعون ربهم خوفاً و طمعا

و قال: يدعوننا رغبا و رهبا».

و عن الحارث بن المغيرة قال: قلت للصادق عليه السلام: ما كان في وصيه لقمان؟ قال: «كان فيها الأعاجيب، و كان أعجب ما كان فيها أن قال لابنه: خف الله عز و جل خيفه لو جئته ببر الثقلين لعذبك، و ارج الله رجاء لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك»، ثم قال عليه السلام: «كان أبي عليه السلام يقول: إنه ليس من عبد مؤمن إلا و في قلبه نوران. نور خيفه، و نور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا، و لو وزن هذا لم يزد على هذا».

و قال عليه السلام: «الخوف رقيب القلب، و الرجاء شفيح النفس، و من كان بالله عارفا كان من الله خائفا و إليه راجيا، و هما جناحا الإيمان، يطير العبد المحلق بهما إلى رضوان الله، و عينا عقله، يبصر بهما إلى وعد الله و وعيده، و الخوف طالع عدل الله و ناعى وعيده، و الرجاء داعى فضل الله، و هو يحيى القلب، و الخوف يميت النفس... و من عبد الله على ميزان الخوف و الرجاء لا يضل، و يصل إلى مأموله، و كيف لا- يخاف العبد و هو غير عالم بما تختم صحيفته، و لا له عمل يتوسل به استحقاقا، و لا قدره له على شيء و لا- مفر، و كيف لا- يرجو و هو يعرف نفسه بالعجز، و هو غريق في بحر آلاء الله و نعمائه من حيث لا تحصي و لا تعد، و المحب يعبد ربه على الرجاء بمشاهدته أحواله بعين سهر (١)، و الزاهد يعبد على الخوف» (٢).

ص: ٢٩١

---

١-١) هكذا في نسخ هذا الكتاب و نسخه البحار، و لم نعثر على استعمال (سهر) للمبالغة في معنى ساهره.  
٢-٢) هذه الرواية نقلها في البحار (الجزء الثاني من المجلد ١٥ في باب الخوف و الرجاء) عن مصباح الشريعة. و قد تقدم رأى صاحب البحار في مصباح الشريعة ص ١٢١ في تعليقتنا و هذه الرواية ظاهره أنها ليست من أسلوب كلام الإمام-عليه السلام-.



وقد ظهر مما ذكر: أن الرجاء أصلح و أفضل في موضعين: (أحدهما) في حق من تفتت نفسه عن فضائل الأعمال و يقتصر على الفرائض، و كان الرجاء باعثاً له على التشمير و النشاط للطاعات، و مثله ينبغي أن يرجي نفسه نعم الله تعالى و ما وعد الله به الصالحين في العليين، حتى ينبعث من رجائه نشاط العبادة. (و ثانيهما) في حق العاصي المنهمك إذا خطر له خاطر التوبة، فيقنطه الشيطان من رحمه الله، و يقول له: كيف تقبل التوبة من مثلك؟ فعند هذا يجب عليه أن يجمع قنوطه بالرجاء و يتذكر ما ورد فيه، كقوله تعالى:

□ □  
لَا تَقْنُطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ

(١)

□ □  
و قوله: وَ إِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ (٢).

و يتوب و يتوقع المغفرة مع التوبة لا- بدونها، إذ لو توقع المغفرة مع الإصرار كان مغروراً. و الرجاء الأول يجمع الفتور المانع من النشاط و التشمير و الثاني يقطع القنوط المانع من التوبة.

### فصل العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف

العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف، لأن أقرب العباد أحبهم إليه، و الحب يغلب بالرجاء. و اعتبر ذلك بملكين يخدم أحدهما خوفاً من عقابه و الآخر رجاء لعطائه، و لذلك غير الله أقواما يظنون السوء بالله، قال:

□ □  
وَ ذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَأَيْتُمْ

(٣)

ص: ٢٩٢

١- (١) الزمر، الآية: ٥٣

٢- (٢) طه، الآية: ٨٢.

٣- (٣) فصلت، الآية: ٢٣.

و قال:

وَ ظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوِّءِ وَ كُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا

(١)

و ورد فى الرجاء و حسن الظن ما ورد- كما تقدم-

و فى الخبر: «أن الله تعالى أوحى إلى داود: أحب من يحبني و أحب من يحبنى إلى خلقى، فقال:

يا رب! كيف أحببك إلى خلقك؟ قال: اذكرنى بالحسن الجميل، و اذكر آلائى و إحسانى، و ذكرهم ذلك، فإنهم لا يعرفون منى إلا- الجميل». و رأى بعض الأكابر فى النوم- و كان يكثر ذكر أبواب الرجاء- فقال: «أوقفنى الله بين يديه، فقال: ما الذى حملك على ذلك؟ فقلت: أردت أن أحببك إلى خلقك. فقال: قد غفرت لك».

هذا مع أن الرجاء أفضل من الخوف للعبد بالنظر إلى مطلعهما، إذ الرجاء مستقى من بحر الرحمه و الخوف مستقى من بحر الغضب. و من لاحظ من صفات الله ما يقتضى اللطف و الرحمه كانت المحبه عليه أغلب، و ليس وراء المحبه مقام. و أما الخوف فمستنده الالتفات إلى الصفات التى تقتضى الغضب فلا تمازجه المحبه كما تمازجتها للرجاء. نعم، لما كانت المعاصى و الاغترار على الخلق أغلب، (لا-) سيما على الموجودين فى هذا الزمان، فالأصلح لهم غلبه الخوف، بشرط ألا- يخرجهم إلى اليأس و قطع العمل، بل يحثهم على العمل، و يكدر شهواتهم، و يزعج قلوبهم عن الركون إلى دار الغرور، و يدعوهم إلى التجافى عن عالم الزور، إذ مع غلبه المعاصى على الطاعات لا ريب فى أصلحيه الخوف، (لا-) سيما أن الآفات الخفيه: من الشرك الخفى، و النفاق، و الرياء و غير ذلك من خفايا الأخلاق الخبيثه فى أكثر الناس موجوده، و محبه الشهوات و الحطام الدنيوى فى بواطنهم كامنه، و أهوال سكرات الموت و اضطراب

ص: ٢٩٣

الاعتقاد عنده ممكنه، و مناقشات الحساب و رد أعمالهم الصالحه لأسباب خفيه محتمله، فمن عرف حقائق هذه الأمور، فإن كان ضعيف القلب جباناً في نفسه غلب خوفه على رجائه، و إن كان قوى القلب ثابت الجأش تام المعرفة استوى خوفه و رجائه. و أما أن يغلب رجائه فلا بل غلبته إنما هو من الاغترار و قله التدبر، كما في غالب الناس، بل الأصلح لهم غلبه الخوف، و لكن قبل الإشراف على الموت، و أما عنده فالأصلح لهم غلبه الرجاء و حسن الظن، لأن الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل، و قد انقضى وقته و هو لا يطيق هنا أسباب الخوف، لأنها تقطع نياط قلبه و تعين على تعجيل موته و أما روح الرجاء فيقوى قلبه و يحب إليه ربه الذى إليه رجائه.

و ينبغي أن لا يفارق أحد الدنيا إلا محباً لله، ليكون محباً للقائه، و من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، و من أحب الله و لقاءه، و علم أنه تعالى أيضاً يحب لقاءه، اشتقاق إليه تعالى، و كان فرحانا بالقدوم عليه، إذ من قدم على محبوبه عظم سروره بقدر محبته، و من فارق محبوبه اشتد عذابه و محتته، فمهما كان الغالب على القلب عند الموت حب الأهل و الولد و المال كانت محابه كلها في الدنيا، فكانت الدنيا جنته، إذ الجنة هي البقعه الجامعه لجميع المحاب، فكان موته خروجاً عن الجنة و حيلولة بينه و بين ما يشتهي. و هذا أول ما يلقاه كل محب للدنيا، فضلاً عما أعد الله له من ضرور الخزي و النكال و السلاسل و الأغلال. و أما إذا لم يكن له محبوب سوى الله و سوى معرفته و حبه و أنسه، فالدنيا و علائقها شاغله له عن المحبوب، فالدنيا أول سجنه، إذ السجن هي البقعه المانع عن الوصول إلى محابه، فموته خلاص له من السجن و قدوم على المحبوب، و لا يخفى حال من خلص من السجن و خلى بينه و بين محبوبه، و هذا أول ابتهاج يلقاه من كان محباً لله غير محب للدنيا و ما فيها، فضلاً عما

أعدّه الله مما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر.

### فصل مداواه الناس بالخوف أو الرجاء على اختلاف أمراضهم

قد عرفت أن المحتاج إلى تحصيل دواء الرجاء من غلب عليه اليأس فترك العباده أو غلب عليه الخوف فأسرف فيها حتى أضر بنفسه و أهله. و أما المنهمكون في طغيان الذنوب و المغرورون بما هم فيه من الفساد و الخوف - كأكثر أبناء زماننا- فأدويه الرجاء بالنسبه إليهم سموم مهلكه، إذ لا يزداد سماعهم لها إلا تماديا في طغيانهم و فسادا في فسادهم و عصيانهم، فواعظ الخلق ينبغي أن يعرف أمراضهم و ينظر إلى مواقع عللهم، و يعالج كل عله بما يضادها لا بما يزيدها، ففي مثل هذا الزمان ينبغي ألا يذكر لهم بواعث الرجاء، بل يبالغ في ذكر أسباب الخوف، لئلا يهلكهم و يردبهم بالكلية، و لا يقصد بموعظته استماله القلوب و توقع الثناء من الناس، فينتقل إلى الترغيب على الرجاء لكونه أخف على القلوب و ألد عند النفوس، فيهلك و يهلكهم و يضل و يضلهم.

و بالجملة: الطريق إلى تحصيل الرجاء لمن يحتاج إليه: أن يتذكر الآيات و الأخبار المتواتره الوارده فيه و في سعه رحمته و وفور عفوه و رأفته - كما تقدم شطر منها - ثم يتأمل في لطائف نعمائه و عجائب آلائه لعباده في دار الدنيا، حتى أعد لهم كل ما هو ضرورى لهم في دوام الوجود، بل لم يترك لهم شيئا جزئيا يحتاجون إليه نادرا يفوت بفقده ما هو الأصلح الأولى لهم من الزينه و الجمال. فإذا لم تقصر العنايه الإلهيه عن عباده في جميع ما يحب و يحسن لهم من اللطف و الإحسان في دار الدنيا - و هى حقيقه دار البليه و المحنه

لا دار النعمه و الراحه -و لم يرض أن يفوته شىء من المزايد و المزايا فى الحاجه و الزينه، فكيف يرضى فى دار الآخره التى هى دار الفيض و الجود بسياقهم إلى الهلاك المؤبد و العذاب المخلد، مع أنه تعالى أخبر بأن رحمته سابقه على غضبه؟! و أقوى ما يجلب به الرجاء أن يعلم أن الله تعالى خير محض لا شريه فيه أصلاً، و فياض على الإطلاق، و إنما أوجد الخلق لإفاضه الجود و الإحسان عليهم، فلا بد أن يرحمهم و لا يبيحهم فى الزجر الدائم.

از خير محض جز نكوئى نايد

خوش باش كه عاقبت نكو خواهد شد (۱)

**و منها:**

صغر النفس

و هو ملكه العجز عن تحمل الواردات، و هو من نتائج الجبن، و من خبائث الصفات. و تلزمه الذله و المهانه، و عدم الاقتحام فى معالى الأمور، و المسامحه فى النهى عن المنكر و الأمر بالمعروف، و الاضطراب بعروض أدنى شىء من البلايا و المخاوف.

و قد ورد فى الأخبار بأن المؤمن برىء عن ذله النفس،

قال الصادق عليه السلام: «إن الله عز و جل فوض إلى المؤمن أموره كلها و لم يفوض إليه أن يكون ذليلاً: أ ما تسمع الله تعالى يقول:

□  
و لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ

(۲)

فالمؤمن يكون عزيزاً و لا يكون ذليلاً، إن المؤمن أعز من الجبل،

ص: ۲۹۶

۱- ۱) و حاصل معنى هذا البيت! (أن الخير المحض لا يصدر عنه إلا الجميل فكن مطمئناً أن عاقبتك ستكون إلى الجميل).

۲- ۲) المنافقون، الآية: ۸.

الجبل يستقل منه (١) بالمعاول و المؤمن لا يستقل من دينه شيء».

وقال (ع) «إن الله فوض إلى المؤمن كل شيء إلا إذلال نفسه». وقد وردت بهذا المضمون أخبار أخرى. وعلاجه ما تقدم في معالجه الجبن.

### وصل كبر النفس و صلابتها

و ضده (كبر النفس و صلابتها)، وقد عرفت أنه ملكه التحمل لما يرد عليه كائنا ما كان. وقد دلت الأخبار على أن المؤمن ذو صلابه و عزه و مهابه، و كل ذلك فرع كبر النفس.

قال الباقر (ع): «المؤمن أصلب من الجبل»،

وقال (ع): «إن الله أعطى المؤمن ثلاث خصال: العز في الدنيا والآخرة، و الفلح في الدنيا والآخرة، و المهابه في صدور الظالمين». و صاحب هذه الملكة لا يبالي بالكرامه و الهوان، و يتساوى عنده الفقر و اليسار و الغنى و الإعسار، بل الصحة و المرض و المدح و الذم، و لا يتأثر بتقلب الأمور و الأحوال. و هي ملكة شريفه ليست شريعه لكل وارد، و لا يصل إليها إلا واحد بعد واحد، بل لا يحوم حولها إلا أوحدي من أفاضل الحكماء، أو المعى قوى القلب من أمثال العرفاء. و طريق تحصيلها - بعد تذكر شرافتها - أن يتكلف في المواظبه على آثارها و الاجتناب عما ينافيها، حتى تحصل بالتدريج.

ص: ٢٩٧

---

١ - ١) تقدم في صفحه (٢٠٨) مضمون هذا الحديث، و رجعنا فيه كلمه (يستقل) بدل (يستقل) و فسرناها ثم بعد التحقيق وجدنا ذلك الحديث المتقدم في أصول الكافي في باب صفات المؤمن بكلمه (يستقل) - بالقاف - و كذلك نسخ جامع السعادات هنا و هناك. و جاء في البحار (الجزء الأول من المجلد ١٥ - باب علامات المؤمن و صفاته ص ٥٩٦) في شرح هذا الحديث هكذا: «الجبل يستقل منه: من القله، أى ينقص و يؤخذ منه بعضه بالفأس و المعول و نحوهما»

قد عرفت أن الثبات أخص من كبر النفس، وهو ملكه التحمل على الخوض في الأهوال، وقوه المقاومه مع الشدائد و الآلام، بحيث لا- يعتريه الانكسار، وإن زادت و كثرت. و ضده الاضطراب في الأهوال و الشدائد، و من جمله الثبات الثبات في الإيمان، و هو اطمئنان النفس في عقائدها، بحيث لا يتزلزل فيها بالشبهات، قال الله تعالى:

يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ

(١)

و هذا الاطمئنان من شرائط كسب الكمال و فضائل الأعمال، إذ ما لم تستقر النفس على معتقداتها في المبدأ و المعاد لم يحصل لها العزم البالغ على تحصيل ما يتوقف فائدته عليها فمن ليس له هذا الثبات لا- تجده ثابتا و مواظبا على شىء من الأعمال الفاضله، بل هو:

كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ

(٢)

و المتصف به مواظب لها دائما من غير فتور. و عدم هذا الثبات لعدم البصيره الباطنه أو لضعف في النفس. فوجوده يحصل من المعرفه و قوه النفس، فهو من فضائل العاقله و قوه الغضب، و عدمه من رذائل إحداهما أو كليهما،

ص: ٢٩٨

١- ١) إبراهيم، الآية: ٢٧.

٢- ٢) الانعام، الآية: ٧١.

دناءه الهمه

و هو قصور النفس عن طلب معالى الأمور و قناعتها بأدانيها، و هو من نتائج ضعف النفس و صغرها. و ضده (علو الهمه). و هو ملكه السعى فى تحصيل السعاده و الكمال و طلب معالى الأمور، من دون ملاحظه منافع الدنيا و مضارها، حتى لا يعتريه السرور بالوجدان و لا الحزن بالفقدان، بل لا يبالى فى طريق الطلب بالموت و القتل و أمثالهما. و صاحب هذه الملكه هو المؤمن الحقيقى الشائق للموت، و الموت تحفه له، و أعظم سرور يصل إليه، كما ورد فى الأخبار. و هو الذى يقول:

آن مرد نيم كز عدمم بيم آيد

كان بيم مرا خوشتر از اين بيم آيد

جانى است مرا بعاريت داده خدا

تسليم كنم چو و قد تسليم آيد (١)

و يقول:

مرگ اگر مرد است گو نزد من آي

تا در آغوشش در آرم تنگ تنگ

ص: ٢٩٩

---

١ - ١) الأبيات كلها ل(حافظ الشيرازي) المتقدم ذكره. و معنى البيتين: (لست بذلك الرجل الذى يخشى من فناء نفسه، فإن ما أخشى منه - و هو الموت - أحسن عندى من نفس الخوف منه، لأن نفسى قد أعارنيها الله تعالى، فعلى أن أسلمها عند ما يطلب تسليم العاربه).



من از آن عمری ستانم جاودان

آن ز من دلقي ستاند رنگ رنگ (۱)

و يقول:

این جان عاريت كه بحافظ سپرده دوست

روزی رخس بینم و تسلیم وی کنم (۲)

و هذه الملكة من نتائج كبر النفس و شجاعته، و هي أعظم الفضائل النفسانية، إذ كل من وصل إلى المراتب العظيمة و الأمور العالیه فإنما وصل إليها لأجلها، إذ صاحبها لا يرضى بالمراتب الدنيه، و يشمر لتحصيل المراتب العالیه و الأمور المتعالیه، و في جوهر الإنسان و جبلته أن يصل إلى كل ما يجتهد في طلبه:

وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا

(۳)

من طلب الشيء و جدّ وجدو. من أفراد علو الهمة الشهامه، و هو الحرص على اقتناء عظام الأمور توقعا لجميل الذكر على مر الدهور.

**و منها:**

عدم الغيره و الحميه

و هو الإهمال في محافظه ما يلزم محافظته: من الدين، و العرض، و الأولاد، و الأموال. و هو من نتائج صغر النفس و ضعفها، و من المهلكات العظيمة، و ربما يؤدي إلى الدياثة و القياده.

قال رسول الله -صلى الله عليه

ص: ۳۰۰

۱ - ۱) معنى البيتين: (لو أن الموت رجل، فقل له: يأتيني حتى أحتظنه شوقا إليه، و أزره لزا، و ذلك لأنى آخذ منه الحياه الخالده و يأخذ منى هذه الزخارف الفانيه للوارث).

٢-٢) معنى البيت: (أن هذه النفس العارِيه التى أمنها الحبيب عند حافظ-و يعنى نفسه- لا بد أن أسلمها فى يوم من الأيام عند ما أرى وجه الحبيب-يعنى بالحبيب:الله تعالى)

٣-٣) العنكبوت، الآية: ٦٩.

و آله و سلم- إذا لم يغر الرجل فهو منكوس القلب».

وقال-صلى الله عليه و آله و سلم:- «إذا غير الرجل في أهله أو بعض مناكحه من مملوكته فلم يغر، بعث الله إليه طائرا يقال له (القندر) حتى يسقط على عارضه بابه، ثم يمهله أربعين يوما، ثم يهتف به: إن الله غيور يحب كل غيور، فإن هو غار و غير و أنكر ذلك فأكبره، و إلا- طار حتى يسقط على رأسه فيخفق بجناحيه على عينيه ثم يطير عنه، فينزع الله منه بعد ذلك روح الإيمان، و تسميه الملائكة:

الديوث».

وقال-صلى الله عليه و آله و سلم:- «كان إبراهيم غيورا و أنا أغير منه، و جدع الله أنف من لا يغار على المؤمنين و المسلمين».

وقال أمير المؤمنين (ع): «يا أهل العراق! نبئت أن نساءكم يدافعن الرجال في الطريق، أ ما تستحيون؟».

وقال (ع): «أ ما تستحيون و لا تغارون، نساؤكم يخرجن إلى الأسواق و يزاحمن العلوج؟».

### وصل الغيره و الحميه

و ضده (الغير و الحميه)، و هو السعى في محافظه ما يلزم محافظته، و هو من نتائج الشجاعه و كبر النفس و قوتها. و هى شرائف الملكات، و بها تتحقق الرجوليه و الفحليه، و الفاقد لها غير معدود من الرجال.

قال رسول الله-صلى الله عليه و آله و سلم:- «إن سعدا لغيور، و أنا أغير من سعدي، و الله أغير منى».

وقال-صلى الله عليه و آله و سلم:- «إن الله لغيور، و لأجل غيرته حرم الفواحش»

وقال: «إن الله يغار، و المؤمن يغار، و غيره الله أن يأتي الرجل المؤمن ما حرم الله عليه».

وقال الصادق (ع): «إن الله تعالى غيور و يحب الغيره، و لغيرته حرم الفواحش ظاهرها و باطنها».

ص: ٣٠١

مقتضى الغيره و الحميه فى (الدين)

أن يجتهد فى حفظه عن بدع المبتدعين، و انتحال المبطلين، و قصاص المرتدين، و إهانته من يستخف به من المخالفين، و رد شبه الجاحدين، و يسعى فى ترويجه و نشر أحكامه، و يبالح فى تبين حلاله و حرامه، و لا- يتسامح فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر.

و مقتضى الغيره على (الحريم)

ألا يتغافل عن مبادئ الأمور التى تخشى غوائلها، فيحفظهن عن أجانب الرجال، و يمنعهن عن الدخول فى الأسواق.

قال رسول الله- صلى الله عليه و آله و سلم- لفاطمه (ع): «أى شىء خير للمرأة؟ قالت: أن لا- ترى رجلا و لا يراها رجل. فضمها إليه، و قال:

ذريه بعضها من بعض». و كان أصحاب النبى- صلى الله عليه و آله و سلم- يسدون الثقب و الكوى فى الحيطان، لئلا تطلع النساء على الرجال.

و قال- صلى الله عليه و آله و سلم-: «من أطاع امرأته أكبه الله على وجهه فى النار»

و ما روى أنه- صلى الله عليه و آله و سلم-: «أذن للنساء فى حضور المساجد، و قال: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»، فالظاهر انه كان مختصا بنساء عصره- صلى الله عليه و آله و سلم-: لعلمه بعدم ترتب فساد على حضورهن فيها. و الصواب اليوم أن يمنع من حضور المساجد و الذهاب إلى المشاهد إلا العجائز منهن، للقطع بترتب الفساد و المعصية على خروج نساء هذا العصر إلى أى موضع كان.

و سئل الصادق (ع) عن خروج النساء فى العيدين، فقال: «لا! إلا العجوز عليها منقلاها»، يعنى الخفين.

و فى روايه أخرى أنه (ع): «سئل عن خروج النساء فى العيدين و الجماعه، فقال: لا! إلا امرأه مسنه».

و بالجمله: من اطلع على أحوال نساء أمثال عصرنا يعلم أن مقتضى غيره أن يبالغ في حفظهن عن جميع ما يحتمل أن يؤدي إلى فتنه و فساد، سواء كان في نفسه محرما كالنظر إلى الرجال الأجانب و استماع كلامهم بلا ضروره شرعيه و ارتكاب الملاهى المحرمه، أولا، كالخروج عن البيت بلا داع شرعى أو ضرورى، و لو إلى المساجد و المشاهد المشرفه و مجامع تعزيه مولانا أبى عبد الله الحسين (ع)، إذ ذلك و إن كان في نفسه راجحا إلا- أن الغالب عدم انفكاكه عما ينافى غيره و الحميه على ما هو المشاهد في عصرنا، فإن أقل ما فى الباب أنه لا ينفك عن نظرهن إلى الأجانب و استماع كلامهم، بل عن نظرهم إليهن و استماع كلامهن، و هذا خروج للطرفين إلى الانحراف عن قانون العفه مع أننا نعلم قطعا أن خروج أكثرهن لا يخلو عن غرض فاسد أو مرجوح، و ما أقل فيهن أن يكون خروجها إلى أحد المواضع المذكوره لمحض القربه و الثواب. فالصواب أن يمنع فى أمثال هذا العصر عن مطلق الخروج، إلا إلى سفر واجب كالحج، أو إلى بيت عالم عادل لأخذ ما يجب عليهن من المسائل، إذا لم يتمكن أزواجهن من أخذها و إيصالها إليهن. نعم، لو فرض خروجها إلى أحد المشاهد أو إلى مجمع تعزيه من مجامع النساء بل إلى مجمع العرس على نحو اطمأن الزوج منها و تيقن عدم حدوث ما ينافى غيره و عدم ترتب فساد و معصيه و ريبه عليه، فالظاهر جواز الإذن بل رجحانه. و جميع ذلك إنما هو فى الشواب من النساء، و أما العجائز فلا بأس بخروجهن إلى المواضع المذكوره! و مقتضى غيره أن يمنع من استماع الكلمات الملهيه و الحكايات المهيجه للشهوه، و عن مجالسه العجائز اللاتى يحضرن مجامع الرجال و ينقلن حكاياتهم و قصصهم لأنهن ناقصات العقل و الإيمان، و مع ذلك شهوتهن فى غايه القوه و الغلبه، فاستماعهن لشيء من المذكورات يوجب ثوران الشهوه

و هيجانها فيهن فلما لم يكن فيهن قاهر العقل و مانع الإيمان فربما أدى ذلك إلى فساد عظيم. و لذلك ورد في الأخبار منعهن عن تعلم سورة يوسف (ع)، إذ استماعهن لأمثال القصة المذكورة فيها ربما أدى إلى انحرافهن عن طريق العفة.

قال أمير المؤمنين (ع) «لا- تعلموا نساءكم سورة يوسف و لا- تقرأوهن إياها فإن فيها الفتن، و علموهن سورة النور فإن فيها المواعظ».

و قال (ع):

«لا تحملوا الفروج على السروج فتهيجوهن للفجور».

و قال رسول الله -صلى الله عليه و آله و سلم-: «لا تنزلوا النساء الغرف و لا تعلموهن الكتابه و علموهن الغزل و سورة النور».

و بالجملة: مقتضى العقل و النقل أن يمنع عن جميع ما يمكن أن يؤدي إلى فساد و ريبه، و عن مبادئ الأمور التي تخاف غوائلها، و ينبغي لصاحب غيره أن يجعل نفسه مهيبا في نظرها، حتى تكون منه على خوف و حذر، و لا تطمئن منه فتتبع هواها و ما تقتضيه جبلتها، و أن يجعلها مشغولة في كل وقت بأمر من الأمور، كتدبير المنزل و إصلاح أمر المعيشه، أو بكسب من المكاسب، حتى يكون لها دائما شغل شاغل، و لا تكون فارغه عنه في وقت من الأوقات، إذ لو خلت عن الأشغال و تعطلت عن المهمات أوقعها الشيطان في أوديه الأفكار الرديه، فتميل إلى الزينه و الخروج و التفرج، و النظر إلى أجنب الرجال، و الملاعبه و المضاحكه للنسوان، فينجر أمرها إلى الفساد، و ينبغي أيضا لصاحب غيره أن يعطى امرأته ما تحتاج إليه من القوت و اللباس و سائر الضروريات، حتى لا تضطر إلى ارتكاب ما لا ينبغي من الحركات و الأفعال توصلا إلى أخذ شيء من ذلك من غير زوجها.

ثم ينبغي ألا توقعه غيره في طرف الإفراط فيبالغ في إساءه الظن و العنتت و تجسس البواطن،

فقد نهى رسول الله -صلى الله عليه و آله و سلم-:

«أن يتبع عورات النساء و أن يتعنت بهن».

و فى الخبر المشهور: أن المرأة كالضلع، إن أردت أن تقيمه كسرتة، فدعه تستمتع به على عوج».

و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-: «من الغيره غيره يبغضها الله و رسوله، و هى غيره الرجل على أهله من غير ريبه»

و قال أمير المؤمنين (ع): «لا تكثر الغيره على أهلك فترمى بالسوء من أجلك».

و قال (ع) فى رسالته إلى الحسن (ع): «إياك و التغاير فى غير موضع الغيره، فإن ذلك يدعوهم إلى السقم، و لكن احكم أمرهن، فإن رأيت عيبا فعجل النكير على الصغير و الكبير، بأن تعاقب منهن البريئه فتعظم الذنب و تهون العيب». و بالجمله: لا ينبغي المبالغه فى الفحص و التفتيش، إذ لا ينفك ذلك عن سوء الظن الذى نهينا عنه، فإن بعض الظن إثم.

### و أما مقتضى الغيره على (الأولاد):

أن تراقبهم من أول أمرهم، فاستعمل فى حضانه كل مولود له و إرضاعه امرأه صالحه تأكل الحلال، إذ الصبى الذى تتكون أعضاؤه من اللبن الحاصل من غذاء حرام يميل طبعه إلى الخبائث، لأن طينته انعجت من الخبث.

و إذا بدأت فيه مخائل التمييز فينبغى أن يؤدب بآداب الأخيار. و لما كان أول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام، فينبغى أن يؤدب فيه بأن يؤمر بألا يأخذ إلا بيمينه، و يقول (باسم الله) عند أكله، و يأكل مما يليه، و لا يبادر إلى الطعام قبل غيره، و لا يحدق إلى الطعام و لا إلى من يأكل، و لا يسرع فى الأكل، و يمضغ الطعام مضغا جيدا، و لا يلطخ ثوبه و لا يده.

و يقبح عنده كثرة الأكل بأن يذم كثير الأكل و يشبه بالبهايم، و يمدح الصبى الذى يقنع بالقليل و يحب إليه الإيثار بالطعام و قله المبالاه به

و القناعه بأى طعام اتفق. ثم يؤدب فى أمر اللباس، حتى لا- يخرج فيه عن زى الأبرار و أهل الورع، فيجب إليه ثياب القطن و البيض، دون الإبريسم الملون، و يقرر عنده بأن ذلك شأن النساء و المخنثين، و الرجال يستتكفون منه، و يحفظ من الصبيان الذين تعودوا التنعم و الترفه و الزينه. ثم يؤدب فى الأخلاق و الأفعال و يبالح فى ذلك، لأن الصبى إذا أهمل فى أول نشوه خرج فى الأ- كثر ردى الأخلاق و الأفعال، فيكون كذابا، حسودا، لجوجا، عنودا، سارقا، خائنا، ذا ضحك و فضول، و ربما صار مختنا مائلا إلى الفسوق و الفجور. فينبغى أن يحفظ من قرناء السوء، و هو الأصل فى تأديبه. و يسلم إلى معلم دين صالح، يعلمه القرآن و أحاديث الأخيار و حكايات الأبرار، لينغرس فى نفسه حب الصالحين. و يحفظ عن الأشعار التى فيها ذكر الفسوق و أهله. إذ ذلك يغرس فى قلبه بذر الفساد. و ينبغى أن يعود الصبر و السكوت إذا ضربه المعلم، حتى لا يكثر الصراخ و الشغب و لا يستشفع بأحد حينئذ، و يذكر له أن ذلك دأب الرجال و الشجعان، و أن كثره الصراخ دأب المماليك و النسوان. و ينبغى أن يؤذن له بعد الفراغ من المكتب باللعب المباح الجميل حتى يستريح من تعب الأدب، و لا- يموت قلبه، و لا- ينقص ذكاء. و يعلم محاسن الأخلاق و الأفعال، و يجنب عن خبائث الصفات و رذائل الأعمال.

فيخوف من الحسد، و العداوه، و الجبن، و البخل، و الكبر، و العجب.

و يحذر من السرقة، و أكل الحرام، و الكذب، و الغيبه، و الخيانه، و الفحش، و اللعن، و السب، و لغو الكلام... و غير ذلك. و يرغب فى الصبر، و الشكر، و التوكل، و الرضا، و الشجاعه، و السخاء، و الصدق، و النصيحه...

و غير ذلك من محاسن الأخلاق و فضائلها. و يمدح عنده الأخيار و يذم الأشرار، حتى يصير الخير عنده محبوبا، و يصير الشر عنده مبغوضا.



و إذا بلغ سن التمييز، يؤمر بالطهاره و الصلاه و الصوم فى بعض الأيام من شهر رمضان، و يعلم أصول العقائد و كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع. و مهما ظهر منه خلق جميل أو فعل محمود، فينبغى أن يكرم عليه و يجازى لأجله بما يفرح به، و يمدح بين أظهر الناس. و إن ظهر منه فعل قبيح مره واحده ينبغى أن يتغافل عنه و لا يهتك ستره، و لا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله، (لا) سيما إذا ستره الصبى و اجتهد فى إخفائه، فإن إظهار ذلك ربما يفسده جساره حتى لا يبالى بالمكاشفه بعد ذلك، فإن عاد ثانيا إلى مثله، فينبغى أن يعاتب عليه سرا و يعظم الأمر فيه، و يقال له: إياك أن يطلع على فعلك هذا أحد فتفتضح عند الناس. و لا يكثر العتاب عليه حتى يسقط وقع الكلام من قلبه. و ليكن الأب حافظا هيئته فى الكلام و الحركات معه. و ينبغى للأب أن تخوفه بالأب. و ينبغى أن يمنع من كل ما يفعله خفيه، فإنه لا يخفيه إلا و هو يعتقد أنه قبيح، فإذا ترك يعود فعل القبيح. و يعود الوقار و الطمأنينه فى المشى و سائر الحركات و الأفعال، و عدم كشف أطرافه، و التواضع و الإكرام لكل من عاشره، و التلطف معه فى الكلام. و يعلم طاعه والديه، و معلمه، و مؤدبه، و كل من هو أكبر سنا منه، من قريب و بعيد، و يعود النظر إليهم بعين التعظيم و الجلاله و ترك اللعب بين أيديهم و يمنع من الفخر على أقرانه بشىء مما تملكه نفسه أو والده. و يخوف من أخذ شىء من الصبيان أو الرجال، أو يذكر له أن الرفعه فى العطاء، و الأخذ لؤم و حسه و مهانه و ذله، فإنه دأب الكلب، إذ هو يتصبص فى انتظار لقمه، و يقبح عنده حب الذهب و الفضه، و يحذر منهما أكثر مما يحذر من الحيات و العقارب، إذ آفه جبهما أكثر من آفه السموم، و قد هلك لأجله كل من هلك العالم. و يعود ألا يبصق فى مجلسه، و لا يتمخط، و لا يتمطط، و لا

يتشأب بحضره غيره، و لا- يستدبر غيره، و لا- يضع رجلا- على رجل و لا- يضرب كفه تحت ذقنه، لأنه دليل الكسل. و يعلم كيفيه الجلوس و الحركه و السكون. و يمنع من النوم فى النهار، و من التتعم فى المفرش و الملابس و المطعم بل يعود الخشونه فيها حتى تنصلب أعضاؤه، و لا يستخف بدنه، و يذكر له أنها خلقت لدفع الضرر و الألم لا لأجل اللذه، و أن الأطمعه أدويه يتقوى الإنسان بها على عباده الله، و أن الدنيا كلها لا أصل لها و لا بقاء لها، و أن الموت يقطع نعيمها، و أنها دار ممر لا دار مقر. و أن الآخره هى دار القرار و محل الراحة و اللذات، و الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخره. و ينبغى أن يمنع من كثره الكلام، و من الكذب، و اليمين و لو كان صدقا، و من اللهو و اللعب و السخريه و كثره المزاح، و من أن يبتدىء بالكلام، و يعود ألا يتكلم إلا جوابا و بقدر السؤال، و أن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر سنا منه، و أن يقوم لمن هو أكبر منه، و يوسع له المكان و يجلس بين يديه.

فإذا تأدب الصبى بهذه الآداب فى صغره صارت له بعد بلوغه ملكات راسخه، فيكون خيرا صالحا. و إن نشأ على خلاف ذلك، حتى ألفت اللعب، و الفحش، و الوقاحه، و الخرق، و شره الطعام. و اللباس، و التزين و التفاخر بلغ و هو خبيث النفس كثيف الجوهر، و كان وبالا لوالديه، و صدر منه ما يوجب الفضيحه و العار. فيجب على كل والد ألا يتسامح فى تأديب ولده فى حاله الصبا، لأنه أمانه الله عنده، و قلبه الطاهر جوهره نفيسه ساذجه عن كل نقش و صوره، و قابل للخير و الشر، و أبواه يميلان به إلى أحدهما، فإن عود الخير نشأ عليه و سعد فى الدنيا و الآخره، و شاركه فى ثوابه أبواه و كل معلم و مؤدب، و إن عود الشر و أهمل شقى و هلك، و كان الوزر فى رقبه أبيه

أو من كان قيما و وليا له.

ثم الصبيه تؤدب بمثل ما مر، إلا فيما يتفاوت به الصبى و الصبيه، فيستعمل ما يليق بها، و يجب السعى فى جعلها ملازمه للبيت، و الحجاب، و الوقار، و العفه و الحياء، و سائر الخصال التى ينبغى أن تتصف بها النساء.

ثم ينبغى أن يتفرس من حال الصبى أنه مستعد لأى علم و صناعه، فيجعل مشغولا باكتسابه و يمنع من اكتساب غيره، لئلا يضيع عمره و لا تترتب عليه فائده، إذ كل أحد ليس مستعدا لكل صناعه، و إلا لاشتغل الجميع بأشراف الصناعات، و اختلاف الناس و تفاوتهم فى هذا الاستعداد لتوقف قوام النوع و انتظام العالم عليه.

### و أما الغيره على (المال)،

فلا- تظن أنها ليست ممدوحه لسرعه فناء المال و عدم اعتناء الأختيار، إذ كل إنسان ما دام فى دار الدنيا محتاج إليه، و تحصيل الآخره أيضا يتوقف عليه، إذ كسب العلم و العمل موقوف على بقاء البدن، و هو موقوف على بدل مما يتحلل عنه من الأغذيه و الأقوات. فلا بد لكل عاقل أن يعتنى بالمال و يجتهد فى حفظه و ضبطه، بعد تحصيله من المداخل الطيبه و المكاسب المحموده، و مقتضى السعى فى حفظه المعبر عنه بالغيره عليه ألا- يصرفه فى مصرف لا- تترتب عليه فائده لآخرته أو دنياه، كإنفاقه للرياء و المفاخره و التضييف، أو بذله على غير المستحقين بلا داع دينى أو دنيوى أو عادى، أو تمكينه الظلمه و السارقين و أهل الخيانه من أخذه علانيه أو سرا، أو عدم مبالاته بتضييعه من غير أن يصل نفعه إلى أحد، أو إسرافه فى بذله، أو غير ذلك من المصارف التى ليست راجحه بحسب العقل و الشرع و لا يعود إليه عوض فى الآخره و الدنيا. بل مقتضى الغيره عليه أن يصرف

جميع أمواله في حياته في المصارف التي تعود فائدتها إلى نفسه، ولا يترك شيئاً منها لوارثه إلا للأخيار من أولاده، إذ بقائهم بمنزله بقائه، و يترتب على وجودهم -مع حسن حالهم و عيشهم- جميل الذكر و جزيل الثواب له بعد موته و كيف يرضى صاحب الغيره أن يترك ماله الذى أتعب نفسه في اكتسابه و فنى عمره في تحصيله و يحاسب عليه في عرصات القيامة. لزوج امرأته، فيأكله و يجامعها، و غايه رضى هذه المرأة الخبيثة التي ليست لها حميه و وفاء و لا لها مطلوب أهم من مقاربه الرجال، أن يأكل هذا الرجل صفو ماله ليتقوى على مجامعتها، و هذا محنه لا يتحمل مثلها أهل الديانه و القيادة، فضلاً عن صاحب الغيره و الحميه، و قس على ذلك تخليف الأموال لسائر الوراث الذين لا يعرفون الحقوق، و ليسوا من أهل الخير و الصلاح و الوفاء، من أولاد السوء و أزواج البنات، و سائر الأقارب من الإخوان و الأخوات و الأعمام و العمات و الأخوال و الخالات. و هؤلاء و إن لم يكونوا بمثابة زوج امرأته، إلا أن ترك الأموال لهم إذا لم يكونوا من أهل الخير و الصلاح لا تثمر له فائده سوى الوزر و الوبال و ذكره بالسوء و الشتم و الفحش كما هو المشاهد في زماننا هذا.

**و منها:**

العجله

و هى المعنى الراتب فى القلب، الباعث على الإقدام على الأمور بأول خاطر، من دون توقف و استبطاء فى اتباعها و العمل بها. و قد عرفت أنه من لوازم ضعف النفس و صغرها، و هو من الأبواب العظيمة للشيطان، قد أهلك به كثيراً من الناس،

قال رسول الله -صلى الله عليه و آله و سلم-:

«العجله من الشيطان. و التأنى من الله». و قد خاطب الله تعالى نبيه -صلى الله

ص: ٣١٠

عليه و آله و سلم - بقوله:

وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ

(١)

و قد روى: «أنه لما ولد عيسى (ع) أتت الشياطين إبليس، فقالت:

أصبحت الأصنام قد نكست رءوسها. فقال: هذا حادث قد حدث، مكانكم. فطار حتى جاء خافق الأرض، فلم يجد شيئا، ثم وجد عيسى (ع) قد ولد، وإذا الملائكة قد حفت حوله، فرجع إليهم، فقال: إن نبيا قد ولد البارحة، ما حملت أنثى قط ولا وضعت إلا وأنا بحضرتها، إلا هذا، فأيأسوا أن تعبد الأصنام بعد هذه الليلة، ولكن اتنوا بنى آدم من قبل العجله و الخفه».

و الظواهر فى ذم العجله أكثر من أن تحصى، و لذلك أفتى بعض علماء العامه بالمنع من التعجيل لمن خاف فوت صلاه الجمعه. و السر فى شده ذمها:

أن الأعمال ينبغى أن تكون بعد المعرفه و البصيره، و هما موقوفان على التأمل و المهله، و العجله تمنع من ذلك، فمن يستعجل فى أمر يلقي الشيطان شره عليه من حيث لا يدري. و تجربه شاهده بأن كل أمر يصدر على العجله يوجب الندامه و الخسران، و كل ما يصدر على التأنى و الثبوت لا تعرض بعده ندامه، بل يكون مرضيا، و بأن كل خفيف عجول ساقط عن العيون، و لا وقع له عند القلوب. و المتأمل فى الأمور يعلم أن العجله هو السبب الأعظم لتبديل نعيم الآخره و ملك الأبد بخسائس الدنيا و مزخرفاتها.

و بيان ذلك: أنه لا ريب فى أن أحب اللذات و ألذها للنفس هو الغلبه و الاستيلاء، لأنها من صفات الربوبيه التى هى مطلوبه بالطبع للنفوس المجرده.

ص: ٣١١

١-١ طه، الآية: ١١٤.

و السر فيه: أن كل معلول من سنخ علقته، و يناسبها فى صفاتها و آثارها، و غاية ابتهاجه أن يتصف بمثل كمالاتها، و لذا قيل: «كل ما يصدر عن شىء لا يمكن أن يكون من جميع الجهات هو هو، و لا أن يكون من جميع الجهات ليس هو بل من جهة هو هو و من جهة ليس هو». و هذا معنى كلام قدماء الحكمه:

(الممكن زوج تركيبى). و لا- ريب فى أن جميع الموجودات معلومه للواجب سبحانه، صادره عن محض وجوده و مترشحه عن فيضه و وجوده، فهو غاية الكل و الكل طالبه نحو كمالاته، إلا أن ما هو فى سلسله الصدور إليه أقرب و الواسطه بينهما أقل، تكون مناسبه له أتم و شوقه إلى الاتصاف بكماله أشد و لا- ريب فى أن الذوات المجرده النوريه التى هى من عالم الأمر مقتبسه من مشكاه نوره، فلها غاية القرب إليه فى سلسله الصدور، فتكون شديده الشوق إلى الاتصاف بنحو كماله. و النفس الإنسانيه لكونها منها و من عالم الأمر - كما قال الله تعالى:-

قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي

(١)

تكون مثلها فى القرب إليه تعالى أو فى المناسبه له، فلها غاية الشوق فى الاتصاف بصفاته و كمالاته التى من جملتها الغلبه و الاستعلاء و ليس ذلك مذموما، إذ ينبغى لكل عبد أن يطلب ملكا عظيما لا آخر له، و سعادته دائميه لا نفاذ لها، و بقاء لا فناء فيه، و عز لا ذل معه، و أمنا لا خوف فيه، و غنى لا فقر معه، و كمالا لا نقصان فيه. و هذه كلها من أوصاف الربوبيه، و طالبها طالب للعلو و العز و الكمال لا محاله.

فالمذموم من الرئاسه و الاستيلاء إنما هو الغلظ الذى وقع للنفس بسبب تغرير اللعين المبعد عن عالم الأمر، إذ حسدها على كونها من عالم الأمر،

ص: ٣١٢

(١ - ١) الإسراء، الآية: ٨٥.

فأضلها و أغواها من طريق العجله، فزين في نظره الملك الفانى المشوب بأنواع الآلام، لكونه عاجلا، و صده عن الملك المخلد الدائم الذى لا يشوبه كدر و لا يقطعه قاطع، لكونه آجلا. و المسكين المخدول ابن آدم لما خلق عجولا راغبا فى العاجله، لما جاءه المطرود من عالم الأمر، و توسل إليه بواسطة العجله التى فى طبعه، و استغواه بالعاجله، و أمال قلبه إلى عدم الاعتناء بالآجله، و زين له الحاضره، و وعده بالغرور و بالتمنى على الله فى باب الآخره، فانخدع بغروره و اشتغل بطلب ملك الدنيا و مزخرفاتها مع فنائها، و ترك سلطنه الآخره مع بقائها، و لم يتأمل المسكين فى أن ملك الدنيا و رئاستها ليس كاملا و لا علوا و استيلاء فى الحقيقه، بل هو صفة نقص يصده عن الكمال الحقيقى و الرئاسة المعنويه. مثال ذلك: أنه لا ريب فى أن الحب و العشق صفة كمال، و لكن إذا وقع فى موقعه، و ذلك إذا كان المحبوب شريفا كاملا فى ذاته و صفاته، فحب الله سبحانه أشرف الصفات الكماليه، و حب الجمادات و خسائس الحيوانات أخس الرذائل النفسيه، فكل من كان جاهلا بحقائق الأمور ينخدع بغروره، و يختار الملك العاجل الفانى على السلطنه الآجله الباقيه، و أما العالم الموفق فلا يتدلى بحبل غروره، إذ علم مداخل مكره، فأعرض عن العاجله و اختار الآجله.

و لما استطار مكر اللعين فى كافه الخلق، أرسل الله إليهم الأنبياء، و اشتغلوا بدعوتهم من الملك المجازى الذى لا أصل له و لا دوام ان سلم إلى الملك الحقيقى الذى لا زوال له أصلا، فنادوا فيهم:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ

الْآخِرَةَ فَمَا مِتَّاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ

(١)

و ذموا من اختار العاجله الفانيه على الآخره الباقيه كما قال سبحانه:

إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا

(٢)

وقال: كَلَّا- بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَ تَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٣) فالغرض من بعثه الرسل ليس إلا دعوه الخلق إلى الملك المخلد، ليكونوا ملوكا في الآخره بسبب القرب من الله تعالى، و درك بقاء لا فناء فيه، و عز لا ذل معه، و قره عين أخفيت لا يعلمها أحد. و الشيطان يدعوهم من طريق العجله إلى ملك الدنيا الفاني، لعلمه بأن ما سمي ملك الدنيا، مع أنه لا يسلم و لا يخلو عن المنازعات و المكدرات و طول الهموم في التدبيرات، يفوت به ملك الآخره، إذ الدنيا و الآخره ضرتان. بل يفوت به الملك الحاضر الذي هو الزهد في الدنيا، إذ معناه أن يملك العبد شهوته و غضبه، فينقادان لباعث الدين و إشاره الإيمان. و هذا ملك بالاستحقاق، إذ به يصير صاحبه حرا و باستيلاء الشهوه يصير عبد لبطنه و فرجه و سائر أعضائه، فيكون مسخرا مثل البهيمة، مملوكا يسخره زمام الشهوه، أخذ المخنقه إلى حيث يريد و يهوى فما أعظم اغترار الإنسان، إذ ظن أنه ينال الملك بأن يصير مملوكا، و ينال الربوبيه بأن يصير عبدا. و مثل هذا هل يكون إلا معكوسا في الدنيا منكوسا في الآخره؟ فقد ظهر أن منشأ الخسران في الدنيا و الآخره هو العجله.

ص: ٣١٤

١-١ (١) التوبه، الآية: ٣٨.

٢-٢ (٢) الدهر، الآية: ٢٧.

٣-٣ (٣) القيامه، الآية: ٢٠-٢١.



و الطريق فى علاجها: أن يتذكر فسادها، و سوء عاقبتها، و إيجابها للخفه و المهانه عند الناس، و تأديتها إلى الندامه و الخسران. ثم يتذكر شرافه الوقار الذى هو ضده، و كونه صفه الأنبياء و الأخيار، فيوطن نفسه على ألا يرتكب فعلا إلا بعد التأمل و المهلكه، و لا يترك الطمأنينه و السكون باطنا و ظاهرا فى جميع أفعاله و سكناته، فإذا فعل ذلك مده، و لو بالتكلف و العمل، يصير ذلك عاده له، فتزول عنه هذه الصفه، و تحدث صفه الوقار و السكينه.

## وصل الأناه و التوقف و الوقار و السكينه

ضد العجله (الأناه) (١)، و هو المعنى الراتب فى القلب، الباعث على الاحتياط فى الأمور و النظر فيها، و التأنى فى اتباعها و العمل بها.

ثم (التوقف) قريب من التأنى و الأناه، و الفرق بينهما: أن التوقف هو السكون قبل الدخول فى الأمور حتى يستبين له رشدها، و التأنى سكون و طمأنينه بعد الدخول فيها، حتى يؤدى لكل جزء منها حقه، و ضد التوقف و التعسف.

و (الوقار) يتناول الأناه و التوقف كليهما، فهو طمأنينه النفس و سكونها فى الأقوال و الأفعال و الحركات قبل الدخول فيها و بعدها. و هو من نتائج قوه النفس و كبرها. و ما قل من الفضائل النفسانيه أن يبلغ مرتبه فى الشرافه، و لذا يمدح به الأنبياء و الأصفياء،

و ورد فى الأخبار: «أن المؤمن متصف به البته» فينبغى لكل مؤمن أن يتكلف آثاره فى الحركات

ص: ٣١٥

---

١- ١) فى النسخ (الأناه)، فصحناه كما هنا.

و الأفعال، حتى يصير بالتدرّيج ملكه، و تكلف الطمأنينه فى الأفعال و الحركات قبل أن تصير ملكه يختص باسم الوقار، و إذا صارت ملكه سميت سكينه، إذ هى طمأنينه الباطن، و الوقار اطمئنان الظاهر.

**و منها:**

سوء الظن بالخالق و المخلوق

و هو من نتائج الجبن و ضعف النفس، إذ كل جبان ضعيف النفس تدعن نفسه لكل فكر فاسد يدخل فى وهمه و يتبعه، و قد يترتب عليه الخوف و الغم و هو من المهلكات العظيمة، و قد قال الله سبحانه:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ

(١)

و قال تعالى: وَ ذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ (٢). و قال: وَ ظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْءًا وَ كُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا (٣).

و قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه، و لا تظن بكلمه خرجت من أخيك سوءاً و أنت تجد لها فى الخير محملاً». و لا ريب فى أن من حكم بظنه على غيره بالشر، بعثه الشيطان على أن يفتابه أو يتوانى فى تعظيمه و إكرامه، أو يقصر فيما يلزمه من القيام بحقوقه، أو ينظر إليه بعين الاحتقار و يرى نفسه خيراً منه و كل ذلك من

ص: ٣١٦

١-١ (١) الحجرات، الآية: ١٢.

٢-٢ (٢) فصلت، الآية: ٢٣.

٣-٣ (٣) الفتح، الآية: ١٢.

المهلكات. على أن سوء الظن بالناس من لوازم خبث الباطن و قذراته، كما أن حسن الظن من علائم سلامه القلب و طهارته، فكل من يسىء الظن بالناس و يطلب عيوبهم و عثراتهم فهو خبيث النفس سقيم الفؤاد، و كل من يحسن الظن بهم و يستر عيوبهم فهو سليم الصدر طيب الباطن، فالمؤمن يظهر محاسن أخيه، و المنافق يطلب مساويه، و كل إناء يترشح بما فيه.

و السر فى خباثه سوء الظن و تحريمه و صدوره عن خبث الضمير و إغواء الشيطان: أن أسرار القلوب لا- يعلمها إلا- علام الغيوب، فليس لأحد أن يعتقد فى حق غيره سوء إلا إذا انكشف له بعيان لا يقبل التأويل، إذ حينئذ لا يمكنه ألا يعتقد ما شاهده و علمه، و أما ما لم يشاهده و لم يعلمه و لم يسمعه و إنما وقع فى قلبه، فالشيطان ألقاه إليه، فينبغى أن يكذبه، لأنه أفسق الفسقه، و قد قال الله:

إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ

(١)

فلا- يجوز تصديق اللعين فى نبأه، و إن حف بقرائن الفساد، ما احتمل التأويل و الخلاف فلو رأيت عالما فى بيت أمير ظالم لا تظن أن الباعث طلب الحطام المحرمه، لاحتمال كون الباعث إغائه مظلوم. و لو وجدت رائحه الخمر فى فم مسلم فلا تجز من شرب الخمر و وجوب الحد، إذ يمكن أنه تمضمض بالخمر و مجه و ما شربه، أو شربه إكراها و قهرا. فلا يستباح سوء الظن إلا بما يستباح به المال، و هو صريح المشاهده، أو قيام بينه فاضله.

و لو أخبرك عدل واحد بسوء من مسلم، و جب عليك أن تتوقف فى

ص: ٣١٧

١- ١) الحجرات، الآية: ٦.

إخباره من غير تصديق و لا تكذيب، إذ لو كذبه لكنت خائنا على هذا العدل، إذ ظننت به الكذب، و ذلك أيضا من سوء الظن، و كذا إن ظننت به العداوة أو الحسد أو المقت لتتطرق لأجله التهمة، فترد شهادته، و لو صدقته لكنت خائنا على المسلم المخبر عنه، إذ ظننت به سوء، مع احتمال كون العدل المخبر ساهيا، أو التباس الأمر عليه بحيث لا يكون في إخباره بخلاف الواقع آثما و فاسقا. و بالجملة: لا ينبغي أن تحسن الظن بالواحد و تسيء بالآخر، فتذكر المذكور حاله على ما كان في الستر و الحجاب، إذ لم ينكشف لك حاله بأحد القواطع، و لا بحجه شرعية يجب قبولها، و تحمل خبر العدل على إمكان تطرق شبهه مجوزه للخبار و إن لم يكن مطابقا للواقع ثم المراد بسوء الظن هو عقد القلب و ميل النفس دون مجرد الخواطر و حديث النفس، بل الشك أيضا، إذ المنهى عنه في الآيات و الأخبار إنما هو أن يظن، و الظن هو الطرف الراجح الموجب لميل النفس إليه. و الأمارات التي بها يمتاز العقد عن مجرد الخواطر و حديث النفس، هو أن يتغير القلب منه عما كان من الألف و المحبه إلى الكراهه و النفرة، و الجوارح عما كانت عليه من الأفعال اللازمه في المعاشرات إلى خلافها. و الدليل على أن المراد هو ما ذكر،

قوله -صلى الله عليه و آله و سلم - ثلاث في المؤمن لا - تستحسن و له منهن مخرج، فمخرجه من سوء الظن ألا - يحققه، أى لا يحقق في نفسه بعقد و لا فعل لا في القلب و لا في الجوارح.

ثم لكون سوء الظن من المهلكات، منع الشرع من التعرض للتهمه، صيانه لنفوس الناس عنه،

فقال -صلى الله عليه و آله و سلم - «اتقوا مواقع التهم».

و قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من عرض نفسه للتهمه فلا يلومن من أساء به الظن».

و روى: «أنه -صلى الله عليه و آله و سلم - كان يكلم زوجته

صفيه بنت حى ابن أخطب، فمر به رجل من الأنصار، فدعاه رسول الله، و قال: يا فلان! هذه زوجتى صفيه. فقال: يا رسول الله أ فظن بك إلا خيراً؟ قال: إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم، فخشيت أن يدخل عليك» فانظر كيف أشفق رسول الله -صلى الله عليه و آله و سلم- على دينه فحرسه و كيف علم الأُمه طريق الا-حتراز عن التهمه، حتى لا- يظن العالم الورع المعروف بالتقوى و الدين أن الناس لا يظنون به إلا خيراً، إعجاباً منه بنفسه، فإن ما لا جزم بتحقيقه فى حق سيد الرسل و أشرفهم، فكيف يجزم بتحقيقه فى حق غيره، و إن بلغ من العلم و الورع ما بلغ. و السر فى ذلك: أن أروع الناس و أفضلهم لا- ينظر الناس كلهم إليه بعين واحده، بل إن نظر إليه بعضهم بعين الرضا ينظر إليه بعض آخر بعين السخط:

و عين الرضا عن كل عيب كليله

و لكن عين السخط تبنى المساويا

فكل عدو و حاسد لا ينظر إلا بعين السخط، فيكتم المحاسن و يطلب المساوى، و كل شرير لا يظن بالناس كلهم إلا شراً، و كل معيوب مفتضح عند الناس يحب أن يتفضح غيره و تظهر عيوبه عندهم، لأن البليه إذا عمت هانت، و لأن يشتغل الناس به فلا تطول ألسنتهم فيه. فاللازم لكل مؤمن ألا- يتعرض لموضع التهمه حتى يوقع الناس فى المعصيه بسوء الظن، فيكون شريكاً فى معصيتهم، إذ كل من كان سبباً لمعصيه غيره يكون شريكاً له فى هذه المعصيه. و لذا قال الله تعالى:

وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ

(١)

ص: ٣١٩

١- (١) الأنعام، الآية: ١٠٨.

وقال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-: «كيف ترون من يسب أبويه؟ فقالوا: هل من أحد يسب أبويه؟ فقال: نعم! يسب أبوى غيره فيسبون أبويه».

ثم طريق المعالجه فى إزالته-بعد تذكر ما تقدم من فسادة و ما يأتى من فضيله ضده-أنه إذا خطر لك خاطر سوء على مسلم، لا تتبعه، و لا تحققه و لا تغير قلبك عما كان عليه بالنسبه إليه، من المراعاة و التفقد و الإكرام و الاعتماد بسببه، بل ينبغى أن تزيد فى مراعاته و إعظامه و تدعو له بالخير، فإن ذلك يقنط الشيطان و يدفعه عنك، فلا يلقى إليك خاطر السوء خوفا من اشتغالك بالدعاء و زياده الإكرام. و مهما عرفت عثره من مسلم فانصحه فى السر و لا تبادر إلى اغتيابه، و إذا وعظته فلا تعظه و أنت مسرور باطلاعك على عيبه، لتنظر إليه بعين الحقاره، مع أنه ينظر إليك بعين التعظيم، بل ينبغى أن يكون قصدك استخلاصه من الإثم، و تكون محزونا كما تحزن على نفسك إذا دخل عليك نقصان، و ينبغى أن يكون تركه ذلك العيب من غير نصيحتك أحب إليك من تركه بنصيحتك، و إذا فعلت ذلك جمعت بين أجر نصيحتك و أجر الحزن بمصيبته و أجر الإعانه على آخرته.

### وصل حسن الظن

قد عرفت أن ضد سوء الظن بالخالق و المخلوق هو (حسن الظن بهما) و لما كان الأول من لوازم ضعف النفس و صغرها، فالثانى من نتائج قوتها و ثباتها، و فوائده أكثر من أن تحصى، و قد تقدمت الظواهر الوارده فى مدحه، فينبغى لكل مؤمن ألا ييأس من روح الله، و لا يظن أنه لا يرحمه

و يعذبه البته و لا- يخلصه من العقاب، و أن ما يرد عليه فى الدنيا من البلايا و المصائب هو شر له و عقوبه، بل ينبغى أن يعلم أنه أرحم و أرفأ به من والديه، و إنما خلقه لأجل الفيض و الجود، فلا- بد أن يرحمه فى دار الآخرة، و خلصه من عذاب الأبد و يوصله إلى نعيم السرمد، و ما يرد عليه من المصائب و البلايا فى دار الدنيا خير له و صلاح، و ذخيره له فى يوم المعاد.

و كذا لا يظن السوء و الشر بالمسلمين، و لا يحملن ما له وجه صحيح من أعمالهم و أقوالهم على وجه فاسد، بل يجب أن يحمل كل ما يشاهده من أفعالهم و حركاتهم على أحسن الوجوه و أصحابها، ما لم يجزم بفساده، و يكذب وهمه و سائر حواسه، فيما يذهب إليه من المحامل الفاسده و الاحتمالات القبيحه المحرمه، و يكلف نفسه على ذلك، حتى يصير ذلك ملكه له، فترتفع عنه ملكه سوء الظن بالكليه. نعم، الحمل على الوجه الصحيح على تقدير عدم مطابقته للواقع، لو كان باعثا لضرر مالى أو فساد دينى أو عرضى، لزم فيه الحزم و الاحتياط، و عدم تعليق أمورهِ الدينيه و الدنيويه عليه، لئلا- يترتب عليه الخسران و الإضرار، و تلزمه الفضيحه و العار.

## و منها:

### الغضب

و هو كيفيه نفسانيه موجبه لحركه الروح من الداخلى إلى الخارج للغلبه، و مبدؤه شهوه الانتقام، و هو من جانب الإفراط، و إذا اشتد يوجب حركه عنيفه، يمتلى لأجلها الدماغ و الأعصاب من الدخان المظلم، فيستر نور العقل و يضعف فعله، و لذا لا يؤثر فى صاحبه الوعظ و النصيحه، بل تزيده الموعظه غلظه و شده. قال بعض علماء الأخلاق: «الغضب شعله نار اقتبست من نار

اللّه الموقده، إلا أنها لا تطلع إلا على الأفئده، وإنها لمستكنه فى طى الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد، و تستخرجها حميه الدين من قلوب المؤمنين، أو حميه الجاهليه و الكبر الدفين من قلوب الجبارين، التى لها عرق إلى الشيطان اللعين، حيث قال:

خَلَقْتَنِي مِنْ تَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ

(١)

فمن شأن الطين السكون و الوقار، و من شأن النار التلظى و الاستعار.

ثم قوه الغضب تتوجه عند ثورانها إما إلى دفع المؤذيات إن كان قبل وقوعها أو إلى التشفى و الانتقام إن كان بعد وقوعها، فشهوتها إلى أحد هذين الأمرين و لذتها فيه، و لا تسكن إلا به. فإن صدر الغضب على من يقدر أن ينتقم منه، و استشعر باقتداره على الانتقام، انبسط الدم من الباطن إلى الظاهر، و احمر اللون، و هو الغضب الحقيقى. و إن صدر على من لا يتمكن أن ينتقم منه لكونه فوقه، و استشعر باليأس عن الانتقام. انقبض الدم من الظاهر إلى الباطن، و صار حزنا. و إن صدر على من يشك فى الانتقام منه انبسط الدم تاره أو انقبض أخرى، فيحمر و يصفر و يضطرب.

### فصل الإفراط و التفريط و الاعتدال فى قوه الغضب

الناس فى هذه القوه على إفراط و تفريط و اعتدال. فالإفراط: أن تغلب هذه الصفه حتى يخرج عن طاعه العقل و الشرع و سياستها، و لا تبقى له فكره و بصيره. و التفريط: أن يفقد هذه القوه أو تضعف بحيث لا يغضب عما ينبغى الغضب عليه شرعا و عقلا. و الاعتدال: أن يصدر غضبه فيما ينبغى

ص: ٣٢٢

(١ - ١) الأعراف، الآيه ١٢. و ص، الآيه: ٧٦.



و لا يصدر فى ما لا ينبغى، بحيث يخرج عن سياسه الشرع و العقل، بل يكون تابعا لهما فى الغضب و عدمه، فيكون غضبه و انتقامه بأمرهما. و لا ريب فى أن الاعتدال ليس مذموما، و لا معدودا من الغضب، بل هو من الشجاعه.

و التفريط مذموم معدود من الجبن و المهانه، و ربما كان أخبث من الغضب، إذ الفاقد لهذه القوه لا حميه له، و هو ناقص جدا. و من آثاره عدم الغيره على الحرم و صغر النفس. و الجور، و تحمل الذل من الأخصاء، و المداهنه فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و الفحشاء. و لذا قيل: «من استغضب فلم يغضب فهو حمار» (١). و قد وصف الله خيار الصحابه بالحميه و الشده، فقال:

أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ

(٢)

و خاطب نبيه -صلى الله عليه و آله و سلم- بقوله:

وَ اغْلَظْ عَلَيْهِمْ

(٣)

و الشده و الغلظه من آثار قوه الغضب، ففقد هذه القوه بالكلية أو ضعفها مذموم. و قد ظهر أن الغضب المعدود من الرذائل هو حد الإفراط الذى يخرج عن مقتضى العقل و الدين، و حد التفريط و إن كان رذيله إلا أنه ليس غضبا، بل هو ضد له معدود من الجبن، و حد الاعتدال فضيله و ضد له و معدود من الشجاعه، فانحصر الغضب بالأول.

ثم الناس كما هم مختلفون فى أصل قوه الغضب، كذلك مختلفون فى حدوثة و زواله سرعه و بطأ، فيكونان فى بعضهم سريعين، و فى بعضهم بطيئين و فى بعضهم يكون أحدهما سريعا و الآخر بطيئا، و فى بعضهم يكون كلاهما

ص: ٣٢٣

١-١) هذه الكلمه منسوبه للشافعى -على ما فى إحياء العلوم: ج ٣ ص ١٤٥ و ١٥٦-

٢-٢) الفتح، الآية: ٢٩.

٣-٣) التوبه، الآية: ٧٣.

أو أحدهما متوسطا بين السرعة و البطء. و ما كان من ذلك بإشاره العقل فهو ممدوح معدود من أوصاف الشجاعه، و غير مذموم محسوب من آثار الغضب أو الجبن.

## فصل (الغضب)

(الغضب) من المهلكات العظيمه، و ربما أدى إلى الشقاوه الأبدية، من القتل و القطع، و لذا قيل: (إنه جنون دفعي).

قال أمير المؤمنين (ع):

«الحده ضرب من الجنون، لأن صاحبها يندم، فإن لم يندم فجنونه مستحکم» و ربما أدى إلى اختناق الحراره، و يورث الموت فجأه. و قال بعض الحكماء:

«السفينه التي وقعت في اللجج الغامره، و اضطربت بالرياح العاصفه و غشيتها الأمواج الهائله أرجى إلى الخلاص من الغضبان الملتهب». و قد ورد به الذم الشديده في الأخبار،

قال رسول الله -صلى الله عليه و آله و سلم-: «الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل»،

و قال الباقر (ع)، إن هذا الغضب جمره من الشيطان توقد في قلب ابن آدم، و إن أحدكم إذا غضب احمرت عيناه و انتفخت أوداجه و دخل الشيطان فيه، فإذا خاف أحدكم ذلك من نفسه فليلزم الأرض، فإن رجز الشيطان ليذهب عنه عند ذلك».

و قال الصادق (ع): (و كان أبي (ع) يقول: أي شيء أشد من الغضب؟ إن الرجل يغضب فيقتل النفس التي حرم الله، و يقذف المحصنه»

و قال (ع) (١): «إن الرجل ليغضب فما يرضى أبدا حتى يدخل النار».

و قال الصادق (ع):

ص: ٣٢٤

---

١ - ١) أي: الباقر -عليه السلام و قد روى هذه الأخبار المذكوره هنا الكافي في باب الغضب، فروى هذا الخبر عنه -عليه السلام- لا عن الصادق -عليه السلام.

«الغضب مفتاح كل شر».

وقال (ع): «الغضب ممحقه لقلب الحكيم».

وقال (ع): من لم يملك غضبه لم يملك عقله».

ثم مما يلزم الغضب من الآثار المهلكه الذميمة، والأغراض المضرة القبيحة: انطلاق اللسان بالشتم والسب، وإظهار السوء والشماته بالمساءه وإفشاء الأسرار و هتك الأستار و السخرية و الاستهزاء، وغير ذلك من قبيح الكلام الذى يستحي منه العقلاء، وتوثب الأعضاء بالضرب و الجرح و التمزيق و القتل و تألم القلب بالحقد و الحسد و العداوه و البغض و مما تلزمه الندامه بعد زواله، و عداوه الأصدقاء، و استهزاء الأراذل، و شماته الأعداء، و تغير المزاج، و تألم الروح و سقم البدن، و مكافاه العاجل و عقوبه الآجل.

و العجب ممن توهم أن شدة الغضب من فرط الرجوليه، مع أن ما يصدر عن الغضبان من الحركات القبيحة إنما هو أفعال الصبيان و المجانين دون الرجال و العاقلين، كيف و قد تصدر عنه الحركات غير المنتظمة، من الشتم و السب بالنسبه إلى الشمس، و القمر، و السحاب، و المطر، و الريح، و الشجر، و الحيوانات و الجمادات، و ربما يضرب القصعه على الأرض، و يكسر المائده، و يخاطب البهيمة و الجماد كما يخاطب العقلاء، و إذا عجز عن التشفى، ربما مزق ثوبه، و لطم وجهه، و قد يعدو عدو المدهوش المتحير، و ربما اعتراه مثل الغشيه، أو سقط على الأرض لا يطيق النهوض و العدو. و كيف يكون مثل هذه الأفعال القبيحة من فرط الرجوليه

و قد قال رسول الله -صلى الله عليه و آله و سلم-: «الشجاع من يملك نفسه عند غضبه».

ص: ٣٢٥

## فصل (إمكان إزالة الغضب و طرق علاجه)

قد اختلف علماء الأخلاق في إمكان إزالة الغضب بالكليه و عدمه، فقيل: قمع أصل الغضب من القلب غير ممكن، لأنه مقتضى الطبع، إنما الممكن كسر سورتة و تضعيفه، حتى لا يشتد هيجانه، و أنت خير بأن الغضب الذي يلزم إزالته هو الغضب المذموم، إذ غيره مما يكون بإشاره العقل و الشرع ليس غضبا فيه كلامنا، بل هو من آثار الشجاعه، و الاتصاف به من اللوازم، و إن أطلق عليه اسم الغضب أحيانا حقيقه أو مجازا،

كما روى عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال: «كان النبي -صلى الله عليه و آله و سلم- لا يغضب للدنيا، و إذا أغضبه الحق لم يصرفه أحد، و لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له». و لا ريب أن الغضب الذي يحصل لرسول الله -صلى الله عليه و آله و سلم- لم يكن غضبا مذموما، بل كان غضبا ممدوحا يقتضيه منصب النبوه، و توجيه الشجاعه النبويه. ثم الغضب المذموم ممكن الزوال، و لو لا إمكانه لزوم وجوده للأنبياء و الأوصياء، و لا ريب في بطلانه.

### ثم علاجه يتوقف على أمور،

و ربما حصل ببعضها:

### (الأول) إزالة أسبابه المهيجه له،

إذ علاج كل عله بحسم مادتها، و هي: العجب، و الفخر، و الكبر، و الغدر، و اللجاج، و المراء، و المزاح، و الاستهزاء، و التعيير، و المخاصمه، و شدة الحرص على فضول الجاه و الأموال الفانيه، و هي بأجمعها أخلاق رديه مهلكه، و لا خلاص من الغضب مع بقائها، فلا بد من إزالتها حتى تسهل إزالته.

### (الثاني) أن يتذكر قبح الغضب و سوء عاقبته،

و ما ورد في الشريعة

ص: ٣٢٦

من الّدم عليه، كما تقدم.

### (الثالث) أن يتذكر ما ورد من المدح و الثواب على دفع الغضب في موارد،

و يتأمل فيما ورد من فوائد عدم الغضب،

كقول النبي-صلى الله عليه و آله و سلم-: «من كف غضبه عن الناس كف الله تبارك و تعالى عنه عذاب يوم القيامة».

و قول الباقر(ع): «مكتوب في التوراه: فيما ناجى الله به موسى: أمسك غضبك عن ملكتك عليه أكف عنك غضبي».

و قول الصادق(ع): «أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه: يا بن آدم! اذكرني في غضبك أذكرك في غضبي، و لا أمحك فيمن أمحك، و إذا ظلمت بمظلمه فارض بانتصاري لك، فإن انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك».

و قوله(ع):

«سمعت أبي يقول: أتى رسول الله-صلى الله عليه و آله و سلم-رجل بدوى:

فقال: إنى أسكن البادية، فعلمنى جوامع الكلم. فقال: آمرك ألا تغضب.

فأعاد الأعرابي عليه المسأله ثلاث مرات، حتى رجع الرجل إلى نفسه، فقال: لا أسألك عن شىء بعد هذا، ما أمرنى رسول الله-صلى الله عليه و آله-إلا بالخير».

و قوله(ع): «إن رسول الله-صلى الله عليه و آله- أتاه رجل، فقال: يا رسول الله! علمنى عظه أتعظ بها، فقال له: انطلق و لا تغضب، ثم عاد عليه، فقال له: انطلق و لا تغضب... ثلاث مرات»

و قوله(ع): «من كف غضبه ستر الله عورته»... إلى غير ذلك من الأخبار.

### (الرابع) ان يتذكر فوائد ضد الغضب، أعنى الحلم و كظم الغيظ،

و ما ورد من المدح عليهما فى الأخبار- كما يأتى- و يواظب على مباشرته و لو بالتكلف، فيتحلم و إن كان فى الباطن غضباناً، و إذا فعل ذلك مدته صار عادة مألوفه هنيئه على النفس، فتقطع عنها أصول الغضب.

### (الخامس)

أن يقدم الفكر و الروايه على كل فعل أو قول يصدر عنه،



و يحافظ نفسه من صدور غضب عنه.

### (السادس) أن يحترز عن مصاحبه أرباب الغضب،

و الذين يتبجحون بتشفي الغيظ و طاعه الغضب،و يسمون ذلك شجاعه و رجوليه،فيقولون:

نحن لا نصبر على كذا و كذا،و لا نحتمل من أحد أمرا.و يختار مجالسه أهل الحلم،و الكاظمين الغيظ،و العافين عن الناس.

### (السابع) أن يعلم أن ما يقع إنما هو بقضاء الله و قدره،

□  
و أن الأشياء كلها مسخره في قبضه قدرته،و أن كل ما في الوجود من الله،و أن الأمر كله لله،و أن الله لا يقدر له ما فيه الخيره،و ربما كان صلاحه في جوعه،أو مرضه،أو فقره،أو جرحه أو قتله،أو غير ذلك.فإذا علم بذلك غلب عليه التوحيد،و لا يغضب على أحد،و لا يفتنظ عما يرد عليه،إذ يرى-حينئذ- أن كل شيء في قبضه قدرته أسير،كالقلم في يد الكاتب.فكما أن من وقع عليه ملك بضرب عنقه لا- يغضب على القلم،فكذلك من عرف الله و علم أن هذا النظام الجملي صادر منه على وفق الحكمة و المصلحه،و لو تغيرت ذره منه عما هي عليه خرجت عن الأصلحيه،لا- يغضب على أحد،إلا- أن غلبه التوحيد على هذا الوجه كالكبريت الأحمر و توفيق الوصول إليه من الله الأكبر.و لو حصل لبعض المتجردين عن جلاباب البدن يكون كالبرق الخاطف،و يرجع القلب إلى الالتفات إلى الوسائط رجوعا طبيعيا،و لو تصور دوام ذلك لأحد لتصور لفرق الأنبياء،مع أن التفاتهم في الجملة إلى الوسائط مما لا يمكن إنكاره.

### (الثامن) أن يتذكر أن الغضب مرض قلب و نقصان عقل،

صادر عن ضعف النفس و نقصانها،لا عن شجاعتها و قوتها،و لذا يكون المجنون أسرع غضبا من العاقل،و المريض أسرع غضبا من الصحيح.و الشيخ الهرم أسرع

غضباً من الشاب، والمرأه أسرع غضباً من الرجل، وصاحب الأخلاق السيئه و الرذائل القبيحه أسرع غضباً من صاحب الفضائل. فالرذل يغضب لشهوته إذا فاتته اللقمه، والبخيل يغاظ لبخله إذا فقد الحبه، حتى يغضب لقد أدنى شىء على أعزه أهله و ولده. و النفس القويه المتصفه بالفضيله أجل شأناً من أن تتغير و تضطرب لمثل هذه الأمور، بل هى كالطود الشاهق و لا تحركه العواصف،

□  
و لذا قال سيد الرسل -صلى الله عليه و آله و سلم-: «ليس الشديد بالصرعه، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب». و إن شككت فى ذلك فافتح عينيك و انظر إلى طبقات الناس الموجودين، ثم ارجع إلى كتب السير و التواريخ، و استمع إلى حكايات الماضين، حتى تعلم: أن الحلم و العفو و كظم الغيظ شيمه الأنبياء و الحكماء و أكابر الملوك و العقلاء، و الغضب خصله الجهله و الأغبياء.

### □ **(التاسع) أن يتذكر أن قدره الله عليه أقوى و أشد من قدرته**

على هذا الضعيف الذى يغضب عليه، و هو أضعف فى جنب قوته القاهره بمراتب غير متناهيه من هذا الضعيف فى جنب قوته، فليحذر، و لم يأمن إذا أمضى غضبه عليه أن يمضى الله عليه غضبه فى الدنيا و الآخره،

و قد روى: «أنه ما كان فى بنى إسرائيل ملك إلا و معه حكيم، إذا غضب أعطاه صحيفه فيها: (ارحم المساكين، و اخش الموت، و اذكر الآخره)، فكان يقرأها حتى يسكن غضبه»

و فى بعض الكتب الإلهيه: «يا ابن آدم! اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب، فلا امحكك فيمن أمحق» (١).

ص: ٣٢٩

---

١ - ١) روى الكافى فى باب الغضب نفس هذا الحديث عن الصادق -عليه السلام- بهذه العبارة: «أن فى التوراه مكتوباً: يا بن آدم! اذكرنى حين تغضب أذكرك عند غضبى، فلا امحكك فيمن أمحق...» و قد تقدم مثله ص ٢٩١.



أن يتذكر أن من يمضى عليه غضبه ربما قوى و تشمر لمقابلته و جرد عليه لسانه بإظهار معائبه و الشماته بمصائبه، و يؤذيه فى نفسه و أهله و ماله و عرضه.

### (الحادى عشر) أن يتفكر فى السبب الذى يدعو إلى الغيظ و الغضب

فإن كان خوف الذله و المهانه و الاتصاف بالعجز و صغر النفس عند الناس، فليتنبه أن الحلم و كظم الغيظ و دفع الغضب عن النفس ليست ذله و مهانه، و لم يصدر من ضعف النفس و صغرها، بل هو من آثار قوه النفس و شجاعته و أضدادها تصدر من نقصان النفس و خورها. فدفع الغضب عن نفسه لا- يخرج من كبر النفس فى الواقع، و لو فرض خروجه به منه فى أعين جهله الناس فلا يبالى بذلك، و يتذكر أن الاتصاف بالذله و الصغر عند بعض أراذل البشر أولى من خزى يوم المحشر و الافتضاح عند الله الملك الأ-كبر، و إن كان السبب خوف أن يفوت منه شىء مما يحبه، فليعلم أن ما يحبه و يغضب لفقده إما ضرورى لكل أحد، كالقوت و المسكن و اللباس و صحه البدن، و هو الذى أشار إليه سيد الرسل -صلى الله عليه و آله و سلم

-بقوله: «من أصبح آمنا فى سربه، معافى فى بدنه، و له قوت يومه، فكأنما خيرت له الدنيا بحذافيرها». أو غير ضرورى لأحد، كالجاه و المنصب و فضول الأموال.

أو ضرورى لبعض الناس دون بعض، كالكتاب للعالم، و أدوات الصناعات لأربابها. و لا- ريب أن كل ما ليس من هذه الأقسام ضروريا فلا يلىق أن يكون محبوبا عند أهل البصيره و ذوى المرات، إذ ما لا يحتاج إليه الإنسان فى العاجل لا بد له من تركه فى الآجل، فما بال العاقل أن يحبه و يغضب لفقده و إذا علم ذلك لم يغضب على فقد هذا القسم البته. و أما ما هو ضرورى للكل أو البعض، و إن كان الغضب و الحزن من فقده مقتضى الطبع لشده الاحتياج

إليه، إلا- أن العاقل إذا تأمل يجد أن ما فقد عنه من الأشياء الضرورية إن أمكن رده و الوصول إليه يمكن ذلك بدون الغيظ و الغضب أيضا، و إن لم يمكن لم يمكن معهما أيضا. و على أى حال بعد التأمل يعلم أن الغضب لا ثمره له سوى تألم العاجل و عقوبه الآجل، و حينئذ لا يغضب، و إن غضب يدفعه عن نفسه بسهولة.

### □ **(الثانى عشر) أن يعلم أن الله يحب منه ألا يغضب،**

□  
و الحبيب يختار البتة ما يحب محبوبه، فإن كان محبا لله فليطفيئ شدة حبه له غضبه.

### **(الثالث عشر) أن يتفكر فى قبح صورته و حر كاته عند غضبه،**

بأن يتذكر صورته غيره و حر كاته عند الغضب.

### **تتميم**

اعلم أن بعض المعالجات المذكوره يقتضى قطع أسباب الغضب و حسم مواده، حتى لا يهيج و لا يصدر، و بعضها يكسر سورته أو يدفعه إذا صدر و هاج. و من علاجه عند الهيجان الاستعاذه من الشيطان، و الجلوس إن كان قائما، و الاضطجاع إن كان جالسا، و الوضوء أو الغسل بالماء البارد، و إن كان غضبه على ذى رحم فليدن منه و ليمسه، فإن الرحم إذا مست سكنت، كما ورد فى الأخبار (1).

### **وصل (فضيله الحلم و كظم الغيظ)**

قد عرفت أن الحلم هو طمأنينه النفس، بحيث لا- يحركها الغضب بسهولة و لا- يزعجه المكروه بسرعه، فهو الضد الحقيقى للغضب، لأنه المانع من حدوثه

ص: ٣٣١

و بعد هيجانه لما كان كظم الغيظ مما يضعفه و يدفعه، فمن هذه الحثيه يكون كظم الغيظ أيضا ضدا له. فنحن نشير إلى فضيله الحلم و شرافته، ثم إلى فوائد كظم الغيظ و منافعه، ليجتهد طالب إزاله الغضب فى الاتصاف بالأول فلا يحدث فيه أصلا، و بالثانى، فيدفعه عند هيجانه. فنقول:

### أما (الحلم)

فهو أشرف الكمالات النفسانيه بعد العلم، بل لا ينفع العلم بدونه أصلا، و لذا كلما يمدح العلم أو يسأل عنه يقارن به،

□ □  
قال رسول الله -صلى الله عليه و آله و سلم-: «اللهم أغنى بالعلم و زينى بالحلم».

□  
و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-: «خمس من سنن المرسلين. و عد منها الحلم».

□ □ □  
و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-: «ابتغوا الرفعه عند الله». قالوا: و ما هى يا رسول الله؟! قال: «تصل من قطعك، و تعطى من حرمك، و تحلم عن جهل عليك».

□  
و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-: «إن الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم».

□ □  
و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-: «إن الله يحب الحى الحليم، و يبغض الفاحش البذى».

□  
و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-: «ثلاث من لم تكن فيه واحده منهن فلا تعتدوا بشيء من عمله:

□  
تقوى تحجزه عن معاصى الله، و حلم يكف به السفيه، و خلق يعيش به فى الناس».

□  
و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-: «إذا جمع الخلاق يوم القيامة نادى مناد: أين أهل الفضل؟ فيقوم ناس -و هم يسير- فينطلقون سراعا إلى الجنه، فتلقاهم الملائكه فيقولون: إننا نراكم سراعا إلى الجنه؟ فيقولون نحن أهل الفضل. فيقولون: ما كان فضلكم؟ فيقولون: كنا إذا ظلمنا صبرنا و إذا أسىء إلينا عفونا، و إذا جهل علينا حلمنا. فقال لهم: ادخلوا الجنه فنعم أجر العاملين».

□ □  
و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-: «ما أعز الله بجهل قط، و لا أذل بحلم قط».

و قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ليس الخير أن يكتر مالك

و ولدك، و لكن الخير أن يكثر علمك و يعظم حلمك».

و قال علي بن الحسين -عليهما السلام-: «إنه ليعجبني الرجل أن يدركه حلمه عند غضبه»

و قال الصادق -عليه السلام-: «كفى بالحلم نصرا».

و قال عليه السلام: «و إذا لم تكن حليما فتحلم».

و قال عليه السلام: «إذا وقع بين رجلين منازعه نزل ملكان، فيقولان للسفيه منهما: قلت و أنت أهل لما قلت، و ستجزي بما قلت، و يقولان للحليم منهما: صبرت و حلمت سيغفر لك إن أتممت ذلك».

قال عليه السلام: فان رد الحليم عليه ارتفع الملكان».

و بعث عليه السلام غلاما له في حاجه فأبطأ، فخرج على أثره فوجده نائما، فجلس عند رأسه يروحه حتى انتبه، فقال له: «يا فلان! والله ما ذلك لك! تنام الليل و النهار لك الليل و لنا منك النهار».

و قال الرضا -عليه السلام-: «لا يكون الرجل عابدا حتى يكون حليما».

### و اما (كظم الغيظ)

فهو و إن لم يبلغ مرتبه الحلم فضيله و شرافه، لأنه التحلم: أي تكلف الحلم، إلا أنه إذا واظب عليه حتى صار معتادا تحدث بعد ذلك صفة الحلم الطبيعي، بحيث لا يهيج الغيظ حتى يحتاج إلى كظمه،

و لذا قال رسول الله -صلى الله عليه و آله و سلم-: «إنما العلم بالتعلم و الحلم بالتحلم» فمن لم يكن حليما بالطبع لا بد له من السعى في كظم الغيظ عند هيجانه، حتى تحصل له صفة الحلم. و قد مدح الله سبحانه كاظمي الغيظ في محكم كتابه، و تواترت الأخبار على شرافته و عظم أجره،

قال رسول الله -صلى الله عليه و آله و سلم-: «من كظم غيظا و لو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا»

(١)

و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-: «ما جرع عبد جرعه أعظم أجرا من جرعه غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى»:

و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-: «إن لجهنم بابا لا يدخله إلا من شفى غيظه بمعصيه الله تعالى».

١-١) روى الحديث الكافى فى باب كظم الغيظ عن أبى عبد الله عليه السلام-

وقال-صلى الله عليه وآله وسلم:- «من كظم غيظا وهو يقدر على أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق، حتى يخير من أى الحور شاء» (١)

وقال-صلى الله عليه وآله وسلم:- «من أحب السبيل (٢) إلى الله تعالى جرعتان: جرعه غيظ يردّها بحلم. وجرعه مصيبه يردّها بصبر».

وقال سيد الساجدين عليه السلام: «وما تجرعت جرعه أحب إلى من جرعه غيظ لا أكفى بها صاحبها».

وقال الباقر-عليه السلام:- «من كظم غيظا وهو يقدر على إمضائه، حشا الله تعالى قلبه أمنا وإيماننا يوم القيامة».

وقال-عليه السلام- لبعض ولده (٣): «يا بنى! ما من شىء أقر لعين أبيك من جرعه غيظ عاقبتها صبر و ما يسرنى أن لى بذل نفسى حمر النعم».

وقال الصادق-عليه السلام- «نعم الجرعه الغيظ لمن صبر عليها. فإن عظيم الأجر البلاء. و ما أحب الله قوما إلا ابتلاهم».

وقال-عليه السلام:- «ما من عبد كظم غيظا إلا زاده الله -عز و جل- عزا فى الدنيا والآخرة. و قد قال الله-عز و جل:-

وَ الْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

(٤)

ص: ٣٣٤

١-١) صححنا هذا الحديث على ما فى البحار (الجزء الثانى من المجلد ١٥- فى باب الحلم) رواه عن جامع الأخبار للشيخ الجليل الحسن بن فضل الطبرسى و فيه اختلاف كثير عما فى نسخ جامع السعادات.

٢-٢) كذا وجدنا الحديث فى البحار و الكافى و نسخ جامع السعادات. و الظاهر أن الأصح (السبيل).

٣-٣) فى الكافى فى باب كظم الغيظ روى هذا الحديث هكذا: «عن أبى جعفر -عليه السلام- قال: قال لى أبى: يا بنى! ما من شىء... إلى آخر الحديث فالقائل هو سيد الساجدين لا الباقر-عليهما السلام-.

٤-٤) آل عمران. الآية: ١٣٤

و أثابه الله مكان غيظه ذلك».

و قال أبو الحسن الأول-عليه السلام:-

«اصبر على أعداء النعم، فإنك لن تكافى من عصى الله فيك بأفضل من أن تطيع الله فيه».

**و منها:**

الانتقام

بمثل ما فعل به، أو بالأزيد منه-و إن كان محرما ممنوعا من الشريعة- و هو من نتائج الغضب، إذ كل انتقام ليس جائزا، فلا يجوز مقابله الغيبه بالغيبه، و الفحش بالفحش، و البهتان بالبهتان، و السعاه إلى الظلمه بمثلها.

و هكذا فى سائر المحرمات.

قال سيد الرسل-صلى الله عليه و آله و سلم:-

«إن امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه».

و قال-صلى الله عليه و آله و سلم:- «المستبان شيطانان يتهاثران».

و قد ورد. أن رجلا شتم أبا بكر بحضره النبي-صلى الله عليه و آله و سلم-و هو ساكت، فلما ابتدأ لينتصر منه، قام رسول الله-صلى الله عليه و آله و سلم-و قال مخاطبا له: «إن الملك كان يجيب عنك، فلما تكلمت ذهب الملك و جاء الشيطان، فلم أكن لأجلس فى مجلس فيه الشيطان».

فكل فعل أو قول يصدر من شخص بالنسبه إلى غيره ظلما، إن كان له فى الشرع قصاص و غرامه، فيجب ألا يتعدى عنه، و إن كان العفو عن الجائر أيضا أفضل و أولى و أقرب إلى الورع و التقوى، و إن لم يرد له بخصوصه من الشرع حكومه معينه، و جب أن يقتصر فى الانتقام و ما يحصل به التشفى على ما ليس فيه حرمه و لا كذب، مثل أن يقابل الفحش و الدم و غيرهما من الأذى التى لم يقدر لها فى الشرع حكومه معينه، بقوله: يا قليل الحياء و يا سىء الخلق! و يا صفيق الوجه!... و أمثال ذلك، إذا كان متصفا بها و مثل

ص: ٣٣٥

قوله: جزاك الله و انتقم منك! و من أنت؟ و هل أنت إلا- من بنى فلان؟ و مثل قوله: يا جاهل! و يا أحمق! و هذا ليس فيه كذب مطلقا، إذ ما من أحد إلا و فيه جهل و حمق، (أما الأول) فظاهر، (و أما الثاني) فلما ورد من أن الناس كلهم حمقى فى ذات الله.

و الدليل على جواز هذا القدر من الانتقام،

□  
قول النبى صلى الله عليه و آله و سلم- «المستبان ما قالا فعلى البادئ منهما حتى يتعدى المظلوم» (١).

و قول الكاظم عليه السلام فى رجلين يتساiban: «البادئ منهما أظلم، و وزره و وزر صاحبه عليه ما لم يتعد المظلوم» (٢). و هما يدلان على جواز الانتصار لغير البادئ من دون وزر ما لم يتعد، و معلوم أن المراد بالسب فيهما أمثال الكلمات المذكوره دون الفحش و الكلمات الكاذبه، و لا- ريب فى أن الاقتصار على مجرد ما وردت به الرخصه بعد الشروع فى الجواب مشكل، و لعل السكوت عن أصل الجواب و حواله الانتقام إلى رب الأرباب أيسر و أفضل. ما لم يؤد إلى فتور الحميه و غيره، إذ أكثر الناس لا يقدر على ضبط نفسه عند فور الغضب. لاختلاف حالهم فى حدوث الغضب و زواله.

□ □  
قال رسول الله- صلى الله عليه و آله-: «ألا- إن بنى آدم خلقوا على طبقات شتى، منهم بطيء الغضب سريع الفىء. و منهم سريع الغضب سريع الفىء فتلكك بتلك. و منهم سريع الغضب بطيء الفىء، و منهم بطيء الغضب بطيء الفىء. ألا و إن خيرهم البطيء الغضب السريع الفىء، و شرهم السريع الغضب البطيء الفىء»

و قد ورد فى خبر آخر: «إن المؤمن سريع الغضب سريع الرضا، فهذه بتلك»

ص: ٣٣٦

١- ١) صححنا الحديث على ما فى إحياء العلوم (ج ٣ ص ١٠٦) و على نسختنا الخطيه و فى المطبوعه: «حتى يعتذر إلى المظلوم».

٢- ٢) صححنا الحديث على ما فى أصول الكافى فى باب السفه و فى نسختنا الخطيه و المطبوعه: «ما لم يعتذر إلى المظلوم».



ثم طريق العلاج في ترك الانتقام: أن يتنبه على سوء عاقبته في العاجل و الآجل، و يتذكر فوائد تركه، و يعلم أن الحوالة إلى المنتقم الحقيقي أحسن و أولى، و أن انتقامه أشد و أقوى، ثم يتأمل في فوائد العفو و فضيلته، كما يأتي،

## وصل (العفو)

ضد الانتقام (العفو)، و هو إسقاط ما يستحقه من قصاص أو غرامه، ففرقه عن الحلم و كظم الغيظ ظاهر، و الآيات و الأخبار في مدحه و حسنه أكثر من أن تحصى، قال الله تعالى سبحانه:

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ

(١)

و قال:

وَ يُعْفُوا وَ لِيُصْفَحُوا

(٢)

و قال: وَ أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى (٣)

و قال رسول الله-صلى الله عليه و آله و سلم-: «ثلاث و الذى نفسى بيده إن كنت حالفا لحلفت عليهن: ما نقصت صدقه من مال فتصدقوا، و لا- عفا رجل من مظلمه يتغى بها وجه الله إلا زاده الله بها عزا يوم القيامة، و لا فتح رجل على نفسه باب مسأله إلا فتح الله عليه باب فقر».

و قال-صلى الله عليه و آله و سلم-: «العفو لا يزيد العبد إلا عزا، فاعفوا يعزكم الله».

و قال-صلى الله عليه و آله و سلم-لعقبه: «ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل

ص: ٣٣٧

١-١) الأعراف، الآية: ١٩٩.

٢-٢) النور، الآية: ٢٢.

٣-٣) البقره، الآية: ٢٣٧.

الدنيا والآخرة: تصل من قطعك و تعطي من حرمك. و تعفو عن ظلمك» (١)

□  
و قال-صلى الله عليه و آله و سلم-: «قال موسى، يا رب! أى عبادك أعز عليك؟ قال: الذى إذا قدر عفى».

□  
و قال سيد الساجدين (ع) «إذا كان يوم القيامة، جمع الله الأولين و الآخريين فى صعيد واحد، ثم ينادى مناد، أين أهل الفضل؟ قال: فيقوم عنق من الناس، فتلقاهم الملائكة، فيقولون: و ما فضلكم؟ فيقولون، كنا نصل من قطعنا، و نعطي من حرمانا، و نعفو عن ظلمنا، قال: فيقال لهم: صدقتم، ادخلوا الجنة».

و قال الباقر (ع): «الندامة على العفو أفضل و أيسر من الندامة على العقوبة».

و قال الصادق (ع):

«ثلاث من مكارم الدنيا و الآخرة: تعفو عن ظلمك... إلى آخر الحديث.

و قال أبو الحسن (ع) «ما التقت فتان قط إلا نصر أعظمهما عفوا». و كفى للعفو فضلا و شرافه أنه من أجمل الصفات الإلهية، و قد يمدح الله تعالى به فى مقام الخضوع و التذلل،

قال سيد الساجدين (ع):

«أنت الذى سميت نفسك بالعفو، فاعف عنى»

و قال (ع)، «أنت الذى عفوه أعلى من عقابه».

**و منها:**

العنف

و هو الغلظة و الفظاظه فى الأقوال أو الحركات أيضا، و هو من نتائج الغضب، و ضده (الرفق)، أى اللين فيهما، و هو من نتائج الحلم. و لا-ريب فى أن الغلظة فى القول و الفعل ينفر الطباع و يؤدى إلى اختلال أمر المعاش و المعاد، و لذلك نهى الله- سبحانه- نبيه عنه فى مقام الإرشاد، و قال:

ص: ٣٣٨

□  
و روى عن سلمان: «أنه قال: إذا أراد الله تعالى هلاك عبد نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء، لم يلقه إلا خائنا مخوفا، وإذا كان خائنا مخوفا نزعته منه الأمانة، فإذا نزعته منه الأمانة لم يلقه إلا فظا غليظا، فإذا كان فظا غليظا نزعته منه ربه الإيمان، فإذا نزعته منه ربه الإيمان لم يلقه إلا شيطان ملعونا».

و يظهر من هذا الكلام أن من كان من أهل الغلظة و الفظاظه فهو الشيطان حقيقه، فيجب على كل عاقل أن يجتنب عن ذلك كل الاجتناب، و يقدم التروى على كل ما يصدر عنه من القول و الفعل، ليحافظ نفسه عن التعنف و الغلظه فيه، و يتذكر ما ورد فى فضيله الرفق، و يرتكبه فى حركاته، و لو بالتكلف، إلى أن يصير ملكه، و تزول عن نفسه آثار العنف بالكلية.

### وصل (فضيله الرفق)

الأخبار فى فضيله الرفق و فوائده أكثر من أن تحصي، و نحن نشير إلى شطر منها هنا،

□ □ □  
قال رسول الله -صلى الله عليه و آله و سلم-: «لو كان الرفق خلقا يرى، ما كان فيما خلق الله شىء أحسن منه».

□  
و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-، «إن الرفق لم يوضع على شىء إلا زانه، و لا ينزع من شىء إلا شانه».

□  
و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-، «لكل شىء قفل، و قفل الإيمان الرفق».

□ □  
و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-: «إن الله رفيق يحب

ص: ٣٣٩

الرفيق، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف» (١).

□ □  
وقال-صلى الله عليه وآله وسلم-، «ما اصطحب اثنان إلا كان أعظمهما أجرا وأحبهما إلى الله تعالى، أرفقهما بصاحبه».

□ □  
وقال-صلى الله عليه وآله وسلم-، «الرفق يمن، والخرق شؤم».

□ □  
وقال-صلى الله عليه وآله وسلم-: «من كان رفيقا في أمره نال ما يريد من الناس».

□ □  
وقال-صلى الله عليه وآله وسلم-: «إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق».

□ □  
وقال-صلى الله عليه وآله وسلم-، «من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة، ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من الدنيا والآخرة».

□ □  
وقال-صلى الله عليه وآله وسلم-: «إذا أحب الله عبدا أعطاه الرفق، ومن يحرم الرفق يحرم الخير كله».

□ □  
وقال-صلى الله عليه وآله وسلم-: «أتدرون من يحرم على النار كل هين لين سهل قريب».

□ □  
وقال الكاظم (ع): «الرفق نصف العيش».

□ □  
وقال (ع) لمن جرى بينه وبين رجل من القوم كلام: «إرفق بهم، فإن كفر أحدكم في غضبه، ولا خير فيمن كان كفره في غضبه».

□ □  
ثم تجربته شاهده بأن إمضاء الأمور وإنجاح المقاصد موقوف على الرفق واللين مع الخلائق، فكل ملك كان رفيقا بجنده و رعيته انتظم أمره و دام ملكه، وإن كان فظا غليظا اختل أمره و انفض الناس من حوله، و زال ملكه و سلطانه في أسرع زمان. و قس عليه غيره من طبقات الناس من العلماء و الأمراء و غيرهما، من ذوى المناصب الجليله، و أرباب المعامله و المكاسبه، و أصحاب الصنایع و الحرف.

ص: ٣٤٠

(١-١) روى هذان الحديثان في أصول الكافي، في باب الرفق، عن أبي جعفر الباقر-عليهما السلام-.

(المداراه): قريب من الرفق معنى، لأنها ملائمة الناس، و حسن صحبتهم، و احتمال أذاهم، و ربما فرق بينهما باعتبار تحمل الأذى في المداراه دون الرفق، و قد ورد في مدحها و فوائدها الدنيويه و الأخرويّه أخبار كثيره

□ كقول النبي -صلى الله عليه و آله و سلم-: «المداراه نصف الإيمان» ،

□ و قوله -صلى الله عليه و آله و سلم-: «ثلاث من لم يكن فيه لم يتم عمله: وورع يحجزه عن معاصي الله، و خلق يدارى به الناس، و حلم يرد به جهل الجاهل،

□ و قوله -صلى الله عليه و آله و سلم-، «أمرني ربي بمداراه الناس كما أمرني بأداء الفرائض».

□ و قول الباقر(ع): «في التوراه مكتوب: فيما ناجى الله عز و جل -به موسى بن عمران(ع): يا موسى! اكنتم مكتوم سري في سريرتك و أظهر في علانيتك المداراه عنى لعدوى و عدوك من خلقى... إلى آخر الحديث» (1).

□ و قول الصادق(ع): «جاء جبرئيل إلى النبي(ص) فقال:

يا محمد! ربك يقرئك السلام، و يقول: دار خلقى».

□ و قوله(ع): «إن قوما من الناس قلت مداراتهم للناس فنفوا (2) من قريش، و أيم الله ما كان

ص: ٣٤١

١ - ١) و تمام الحديث في أصول الكافي في باب المداراه: «و لا تستسب لي عندهم بإظهار مكتوم سري، فتشرك عدوى و عدوك في سبي». قال في الوافي، «و لا تستسب لي: أي لا تطلب سبي، فان من لم يفهم السر يسب من تكلم به، فتشرك: أي تكون شريكا له، لانك أنت الباعث له عليه.

٢ - ٢) هكذا في النسخه المطبوعه. و في بعض نسخ الكافي المصححه «فانفوا»، و في بعضها «فالقوا». قال في الوافي، «فانفوا»، كأنه صيغه مجهول من الأنفه بمعنى الاستنكاف، إذا لم يأت الإنفاء بمعنى النفي. و في بعض النسخ، فآلقوا من الإلقاء، و لعله الأصح».

ياحسابهم بأس، و إن قوما من غير قريش حسنت مداراتهم فألحقوا بالبيت الرفيع... ثم قال: من كف يده عن الناس، فإنما يكف عنهم يدا واحده و يكفون عنه أيدي كثيره».

**و منها:**

سوء الخلق بالمعنى الأخص

و هو التضجر، و انقباض الوجه، و سوء الكلام، و أمثال ذلك. و هو أيضا من نتائج الغضب، كما أن ضده -أعنى (حسن الخلق بالمعنى الأخص) و هو أن تلين جناحك، و تطيب كلامك، و تلقى أخاك ببشر حسن -من نتائج الحلم، و أكثر ما يطلق سوء الخلق و حسنه فى الأخبار يراد به هذا المعنى و لا ريب فى أن سوء الخلق مما يبعد صاحبه عن الخالق و الخلق، و التجربه شاهده بأن الطباع متنفره عن كل سىء الخلق، و يكون دائما أضحوكه للناس و لا ينفك لحظه عن الحزن و الألم،

و لذا قال الصادق (ع): «من ساء خلقه عذب نفسه»، و قد يعتريه لأجله الضرر العظيم. هذا كله مع سوء عاقبته فى الآخرة و أدائه إلى العذاب الأبدى، و لذا ورد به الذم الشديد من الشريعة

□ □ □  
قال رسول الله -صلى الله عليه و آله و سلم-: «لما خلق الله الإيمان قال:

□  
اللهم قونى، فقواه بحسن الخلق و السخاء. و لما خلق الله الكفر قال: اللهم قونى، فقواه بالبخل و سوء الخلق».

□  
و روى أنه قيل له -صلى الله عليه و آله و سلم-: «إن فلانه تصوم النهار و تقوم الليل و هى سيئه الخلق تؤذى جيرانها بلسانها. قال: لا خير فيها! هى من أهل النار».

□  
و عنه -صلى الله

ص: ٣٤٢

عليه وآله وسلم - «سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل (١)».

□  
و عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - : «إن العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم».

□  
□  
□  
و عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - : «أبى الله لصاحب الخلق السىء بالتوبه، قيل فكيف ذاك يا رسول الله؟! قال: «لأنه إذا تاب من ذنب وقع فى ذنب أعظم منه».

□  
و قال - صلى الله عليه وآله وسلم - : «سوء الخلق ذنب لا يغفر».

□  
□  
و قال الإمام جعفر بن محمد - عليهما السلام - : «إذا خلق الله العبد فى أصل الخلق كافراً لم يمت حتى يجبب الله إليه الشر، فيقرب منه. فابتلاه بالكبر والجبروت، فقسى قلبه، وساء خلقه، وغلظ وجهه، وظهر فحشه، وقل حياؤه، وكشف الله تعالى سره، وركب المحارم ولم ينزع عنها، ثم ركب معاصى الله، وأبغض طاعته، ووثب على الناس لا يشبع من الخصومات، فاسألوا الله العافيه واطلبوها منه». و قال بعض الأكابر: «لئن يصحبنى فاجر حسن الخلق أحب إلى من أن يصحبنى عابد سىء الخلق».

و طرق العلاج فى إزالته: أن يتذكر أولاً أنه يفسد آخرته و دنياه، و يجعله ممقوتا عند الخالق و الخلق، فيعد نفسه لإزالته، ثم يقدم التروى و التفكير عند كل حركه و تكلم، فيحفظ نفسه عنده - لو بالتحمل و التكلف - من صدور سوء الخلق، و يتذكر ما ورد فى مدح حسن الخلق الذى هو ضده - كما يأتى - و يواظب حتى تزول على التدرىج آثاره بالكلية.

### وصل (طرق اكتساب حسن الخلق)

قد عرفت أن ضد هذه الرذيله (حسن الخلق بالمعنى الأخص)، فمن

ص: ٣٤٣

---

١ - ١) روى هذا الحديث أصول الكافى فى باب سوء الخلق عن الصادق - عليه السلام - و لكن جاء فيه «ليفسد العمل» بدل «يفسد العمل».

معالجاتها أن يواظب عليه حتى ترتفع آثارها بالكليه. و أقوى البواعث على اكتسابه و المواظبه عليه أن يتذكر ما يدل على شرافته و مدحه عقلا و نقلا:

أما حكم العقل على مدحه فظاهر لا يحتاج إلى بيان، و أما النقل فالأخبار التي وردت به أكثر من أن تحصى، و نحن نورد شطرا منها تذكره لمن أراد أن يتذكر،

□ □  
قال رسول الله -صلى الله عليه و آله و سلم-: «ما يوضع فى ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق»

و قال: «يا بنى عبد المطلب! إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم. فالقوهم بطلاقه الوجه، و حسن البشر».

□ □  
و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-: «إن الله استخلص هذا الدين لنفسه، و لا يصلح لدينكم إلا السخاء و حسن الخلق، ألا فزينا دينكم بهما».

□ □  
و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-: «حسن الخلق خلق الله الأعظم».

□  
و قيل له -صلى الله عليه و آله و سلم-: أى المؤمنين أفضلهم إيمانا؟ قال: «أحسنهم خلقا».

□  
و قال -صلى الله عليه و آله و سلم- «إن أحبكم إلى و أقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحسنكم خلقا».

□ □  
و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-: «ثلاث من لم يكن فيه واحده منهن فلا يعتد بشيء من عمله: تقوى تحجزه عن محارم الله و حلم يكف به السيئه، و خلق يعيش به فى الناس».

□  
و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-: «إن الخلق الحسن يميت الخطيئه، كما تميت الشمس الجليلد (1)»

□  
و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-: «إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة و أشرف المنازل، و إنه يضعف العباده».

□  
و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-: «إن حسن الخلق ذهب بخير الدنيا و الآخرة»

ص: ٣٤٤

□  
١ - ١) روى هذا الحديث فى الكافى فى باب حسن الخلق عن أبى عبد الله الصادق -عليه السلام، و فى نهايه ابن الأثير: فى الحديث: حسن الخلق يذيب الخطيئه كما تذيب الشمس الجليلد، و يذيب بمعنى يميت.



وقال لها-بعد ما سألته إن المرأه يكون لها زوجان فى الدنيا فتموت و يموتان و يدخلان الجنة لا يهما هى؟-:«إنها لأحسنهما خلقا».

□  
و قال صلى الله عليه و آله و سلم-: «إن حسن الخلق يبلغ بصاحبه درجه الصائم القائم» (١).

□  
و قال-صلى الله عليه و آله و سلم-: «أكثر ما يلج به أمتى الجنة تقوى الله و حسن الخلق».

□  
و قال-صلى الله عليه و آله و سلم-: «أفضلكم أحسنكم أخلاقا،الموطنون أكنافا (٢)الذين يألفون و يؤلفون».

و قال أمير المؤمنين (ع): «المؤمن مألوف،ولا خير فيمن لا يألف و لا يؤلف». و لا ريب فى أن سىء الخلق تتنفر عنه الطباع،فلا يكون مألوفاً.

و قال الإمام أبو جعفر الباقر-عليهما السلام-: «إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً».

□ □  
و قال (ع): «أتى رجل رسول الله،فقال:يا رسول الله!أوصنى فكان فيما أوصاه أن قال:(الق أخاك بوجه منبسط)»

□ □  
و قال الصادق(ع): «ما يقدم المؤمن على الله-عز و جل-بعمل بعد الفرائض أحب إلى الله تعالى من أن يسع الناس بخلقه»

و قال(ع): «البر و حسن الخلق يعمران الديار و يزيدان فى الأعمار».

□ □  
و قال(ع): «إن الله تبارك و تعالى ليعطى العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطى المجاهد فى سبيل الله يغدو عليه و يروح».

و قال(ع):

□ □  
«ثلاث من أتى الله بواحده منهن أوجب الله له الجنة:الإنفاق من إقتار، و البشر لجميع العالم،و الإنصاف من نفسه».

□  
و قال(ع): «صنایع المعروف و حسن البشر يكسبان المحبه و يدخلان الجنة،و البخل و عبوس الوجه يبعدان من الله و يدخلان النار».

ص: ٣٤٥

□  
١-١) هذا الحديث مروى فى الكافى فى باب حسن الخلق عن أبى عبد الله-عليه السلام-

٢-٢) قال المبرد فى الكامل ص ٣:«قوله-صلى الله عليه و آله و سلم-:الموطنون أكنافا،مثل،و حقيقته:أن التوطئه هى التذليل و التمهيد...فأراد القائل بقوله:موطأ الأكناف،أن ناحيته يتمكن فيها صاحبها غير مؤذى و لا ناب به موضعه

و من تأمل في هذه الأخبار، و رجع إلى الوجدان و التجربة، و تذكر أحوال الموصوفين بسوء الخلق و حسنه، يجد أن كل سيء الخلق بعيد من الله و من رحمته، و الناس ييغضونه و يشتمزون منه، و لذا يحرم من برهم و صلتهم و كل حسن الخلق محبوب عند الله و عند الناس، فلا- يزإل محلا- لرحمه الله و فيوضاته، و مرجعا للمؤمنين بإيصال نفعه و خيره إليهم، و إنجاح مقاصده و مطالبه منهم، و لذلك لم يبعث الله سبحانه نبيا إلا و أتم فيه هذه الفضيله، بل هي أفضل صفات المرسلين و أشرف أعمال الصديقين، و لذا قال الله تعالى لحبيبه مثنيا عليه و مظهرها نعمته لديه.

وَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ

(١)

و لعظم شرافته بلغ رسول الله- صلى الله عليه و آله و سلم- فيه ما بلغ من غايته، و تمكن على ذروته و نهايته،

حتى ورد: بينا رسول الله- صلى الله عليه و آله- ذات يوم جالس في المساجد، اذ جاءت جاريه لبعض الأنصار و هو قائم (٢) فأخذت بطرف ثوبه، فقام لها النبي (ص) فلم تقل شيئا و لم يقل لها النبي (ص) شيئا، حتى فعلت ذلك ثلاث مرات، فقام لها النبي (ص) في الرابعه، و هي خلفه، فأخذت هدبه من ثوبه ثم رجعت. فقال لها الناس:

فعل الله بك و فعل! (٣) حسبت رسول الله ثلاث مرات لا تقولين له شيئا و لا هو يقول لك شيئا! ما كانت حاجتك إليه؟ قالت: إن لنا مريضا فأرسلني

ص: ٣٤٦

١- ١) القلم، الآية: ٤.

٢- ٢) قال في البحار- ج ١٥ في باب حسن الخلق ص ٢٠٧- «حال عن بعض الأنصار» أي ان القائم هذا البعض صاحب الجاريه لا النبي- صلى الله عليه و آله

٣- ٣) قال في البحار- في الموضوع المتقدم-: «كنايه عن كثره الدعاء عليها بإيذائها النبي- صلى الله عليه و آله- و هذا شائع في عرف العرب و العجم».

أهلى لأخذ هذبه من ثوبه يستشفى (١) بها. فلما أردت أخذها رأنى فقام، استحييت أن أخذها و هو يرانى، و أكره أن استأمره فى أخذها، فأخذتها» (٢).

**و منها:**

الحقد

و قد عرفت أنه إضمار العداوه فى القلب، و هو من ثمره الغضب، لأن الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشفى فى الحال، رجع إلى الباطن و احتقن فيه فصار حقدًا، و هو من المهلكات العظيمة.

و قد قال رسول الله -صلى الله عليه و آله و سلم-: «المؤمن ليس بحقود». و الغالب أن الحقد يلزمه من الآفات:

الحسد، و الهجره، و الانقطاع عن المحقود، و إيذاؤه بالضرب، و التكلم فيه بما لا يحل: من الكذب، و الغيبه، و البهتان، و إفشاء السر، و هتك الستر، و إظهار العيوب، و الشماته بما يصيبه من البلاء و السرور به، و الانبساط بظهور عثراته و هفواته، و المحاكاه عنه بالاستهزاء و السخرية، و الإعراض عنه استصغارا له، و منع حقوقه من دين أو رد مظلمه أو صله رحم. و كل ذلك حرام يؤدى إلى فساد الدين و الدنيا. و أضعف مراتبه أن يحترز عن الآفات المذكوره، و لا يرتكب لأجله ما يعصى الله به، و لكن يستثقله بالباطن، و لا ينتهى قلبه عن بغضه.

ص: ٣٤٧

١- ١) قال فى البحار- فى الموضوع المذكور ص ٢٠٨-: «فى بعض النسخ- بل أكثرها-: ليستشفى».

٢- ٢) صححنا الحديث على أصول الكافى فى باب حسن الخلق، و فى نسخ جامع السعادات اختلاف كثير عما أثبتناه، و قد جاء فى أصول الكافى فى صدر الحديث: «قال أبو عبد الله- عليه السلام- يا بحر حسن الخلق يسر... ثم قال: أ لا أخبرك بحديث ما هو فى يدى أحد من أهل المدينه؟ قلت بلى إقال: بينا رسول الله... إلى آخر الحديث».

و هو أيضا من الأمراض المؤلمة للنفس، المانعه لها عن القرب إلى الله و الوصول إلى الملائه الأعلى. و يمنع صاحبه عما ينبغي أن يصدر عنه بالنسبه إلى أهل الإيمان: من الهشاشه و الرفق و التواضع و القيام بحوائجهم و المجالسه معهم و الرغبة إلى إعانتهم و مواساتهم... و غير ذلك. و هذا كله مما ينقص درجته في الدين، و يحول بينه و بين مرافقه المقربين.

و لما كانت حقيقته عباره عن العداوه الباطنه، فجميع الأخبار الوارده في ذم المعاداه تدل على ذمه،

كقول النبي -صلى الله عليه و آله و سلم:-

«ما كان جبرئيل يأتيني إلا قال: يا محمد! اتق شحنا الرجال و عداوتهم».

و قوله -صلى الله عليه و آله و سلم:- «ما عهد إلى جبرئيل قط في شيء ما عهد إلى في معاداه الرجال».

و قول الصادق (ع): «من زرع العداوه حصدا ما بذر»... و قس عليها غيرها.

و طريق العلاج في إزالته: أن يتذكر أن هذه العداوه الباطنه تؤلمه في العاجل، إذ الحقود المسكين لا يخلو عن التألم و الهم لحظه، و يعذبه في الآجل و مع ذلك لا يضر المحقود أصلا، و العاقل لا يدوم على حاله تكون مضره لنفسه و نافع له عدوه. و بعد هذا التذكر، فليجتهد في أن يعامله معاملة أحبائه:

من مصاحبته بالانبساط و الرفق، و القيام بحوائجه، و غير ذلك، بل يخصه بزياده البر و الإحسان، مجاهده للنفس و إرغامها للشيطان، و لا يزال يكرر ذلك حتى ترتفع عن نفسه آثاره هذه الرذيله بالكليه. ثم لما كان الحقد عباره عن العداوه الباطنه، و حقيقتها اضممار الشر و كراهه الخير لمن يعاديه، فضده (النصيحه) التي هي قصد الخير و كراهه الشر، لا المحبه -كما يتراءى في بادى الرأي- إذ هي ضد الكراهه دون العداوه -كما يأتي في محله- فمن معالجات الحقد أن يتذكر فوائد النصيحه و مدحها -كما يأتي- ليعين على إزالته.

## العداوه الظاهره

و هي من لوازم الحقد، لأنه إذا قوى قوه لا يقدر معها على المجامله أظهر العداوه بالمكاشفه. و الأخبار الوارده في ذمها كثيره، و قد تقدم بعضها. و علاجها كما تقدم في الحقد، و ضدها النصيحه الظاهره، أعنى فعليه الخير و الصلاح لا مجرد قصدهما، فليكلف نفسه عليها، حتى تصير ملكه له و يزيل ضدها.

## الضرب و الفحش و اللعن و الطعن

و هذه ناشئه غالبا عن العداوه و الحقد، و ربما صدرت من مجرد الغضب و سوء الخلق، و ربما صدر الفحش من الاعتياد الحاصل من مخالطه الفساق، و ربما كان الباعث في بعض أفرادها حب المال و فقده المعدود من رذائل قوه الشهوه، إلا أن الفاعل المباشره لهذه الأمور هي القوه الغضبيه، أو النفس لهيجان قوه الغضب. و إن كان الهيجان حاصلًا بوساطه فعل قوه الشهوه. و على أى تقدير يكون من رذائل القوه الغضبيه على قاعدتنا، و لذا أدرجناها تحتها فقط.

ثم لا ريب في كون هذه الأمور مذمومه محرمة في الشريعة، موجهه لحبط الأعمال و خسران المال. و جميع ما يدل على ذم الإيذاء و الإضرار يدل على ذمها، لكونها بعض أفرادهما. و العقل و الشرع متطابقان على شدة قبح كل واحد منها بخصوصه و إيجابه للهلاك:

## أما (الضرب)

-فلأنه لا ريب في أن ضرب مسلم بلا داع شرعى مما يقبحه كل عاقل، و يذمه جميع طوائف العالم،حتى نفاه الأديان،و الأخبار الواردة في ذمه كثيره،و فى عده

□  
منها: «إن من ضرب رجلا سوطا لضربه الله سوطا من النار».

## و أما (الفحش و السب و بذاءه اللسان)

-فلا ريب فى كونه صادرا عن خباثه النفس.

□ □  
قال رسول الله -صلى الله عليه و آله و سلم-: «ليس المؤمن بالطعان و لا اللعان،و لا الفاحش و لا البذى».

□ □  
و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-: «إياكم و الفحش،فإن الله لا يحب الفحش و التفحش».

□  
و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-: «الجنه حرام على كل فاحش أن يدخلها».

□  
و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-: «إن الفحش و التفحش ليسا من الإسلام فى شىء -

□  
و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-: «البذاء و البيان شعبتان من شعب النفاق»

و روى: أن المراد بالبيان: كشف ما لا يجوز كشفه.

□  
و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-: «أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى»...وعد منهم:رجلا يسيل فوه قيحا،و هو من كان فى الدنيا فاحشا.

□  
و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-: «لا تسبوا الناس فتكسبوا العداوه منهم» (1).

□ □  
و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-: «إن الله حرم الجنه على كل فحاش بذى قليل الحياء لا يبالى ما قال و لا ما قيل له،فإنك إن فتشته لم تجده إلا لغيه (2) أو شرك شيطان».

□  
و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-: «إذا رأيتم الرجل لا يبالى ما قال و لا ما قيل فيه فإنه -لغيه أو شرك شيطان».

□ □  
و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-: «إن الله ليبغض الفاحش البذى و السائل الملحف».

و قال

- 
- ١-١) و في بعض نسخ الكافي في باب السباب، (بينهم) بدل (منهم).
- ٢-٢) قال في القاموس في مادة (غوى): «ولد غيه-و يكسر-أى زنيه- فيكون معنى (لغيه) أى (لزنينه).

-صلى الله عليه وآله وسلم-: «إن من شرار عباد الله من تكبره مجالسته لفحشه».

□

و قال-صلى الله عليه وآله وسلم-: «سباب المؤمن فسوق، و قتاله كفر، و أكل لحمه معصيه، و حرمة ماله كحرمة دمه».

□

و قال-صلى الله عليه وآله وسلم-: «سباب المؤمن كالمشرف على الهلكه».

□

و قال-صلى الله عليه وآله وسلم-: «شر الناس عند الله تعالى يوم القيامة الذين يكرمون اتقاء شرهم».

□

و قال-صلى الله عليه وآله وسلم-: «المتسابان شيطانان متعاديان و متهايران».

و قال الصادق(ع): «من علامات شرك الشيطان الذى لا يشك فيه أن يكون فحاشا لا يبالي ما (1) قال و لا ما (2) قيل فيه».

و قال(ع):

«البذاء من الجفاء، و الجفاء فى النار».

و قال(ع): «من خاف الناس لسانه فهو فى النار».

□

و قال: «إن أبغض خلق الله تعالى عبد اتقى الناس لسانه».

و عن الكاظم(ع) فى رجلين يتسابان: «فقال: البادى منهما أظلم، و وزره و وزر صاحبه عليه ما لم يتعد المظلوم» (3).

(تنبيه) اعلم أن حقيقه الفحش هو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعباره الصريحه. و يجرى أكثر ذلك فى ألفاظ الوقاع و آلاته و ما يتعلق بهما فإن لأهل الفساد عبارات صريحه فاحشه يستعملونها فيه، و أهل الصلاح يتحاشون من التعرض لها، بل يكونون عنها و يعبرون عنها بالرموز. قال بعض الصحابه: «إن الله حى كريم يعف و يكنى، كنى باللمس عن الجماع».

فالمس، و اللمس، و الدخول، و الصحبه، كنيات عن الوقاع، و ليست بفاحشه و عنه عبارات فاحشه يستقبح ذكرها. و ليس هذا يختص بالوقاع، بل

ص: ٣٥١

١- ١) و فى بعض نسخ الكافى فى باب البذاء(بما) فى الموضوعين.

٢- ٢) و فى بعض نسخ الكافى فى باب البذاء(بما) فى الموضوعين.

٣- ٣) قد مضى فى الصفحه (٣٠٠) تصحيح الحديث على ما فى أصول الكافى فى باب السفه. فصححناه هنا أيضا.



الكناية بقضاء الحاجة عن التبول و التغوط أولى من لفظه التغوط و الخراء و غيرهما، و كذا التعبير عن المرأة، فهذا أيضا مما يخفى و يستحي منه، فلا- ينبغي أن تذكر ألفاظه الصريحة باللسان، بل يكتفى عنها، فلا يقال: قالت زوجك أو امرأتك، بل يقال: قيل في الحجره، أو قيل من وراء الستر، و قالت أم الأولاد، و أمثال ذلك، و كذلك من به عيوب يستحي منها، فلا ينبغي أن يعبر عنها بصريح لفظها، كالبرص، و القرح، و البطن، و أمثال ذلك بل يكتفى عنها بعبارات غير صريحه، مثل العارض الذي عرض و ما يجرى مجراه، إذ التصريح بجميع ذلك داخل في الفحش.

ثم ألفاظ الفحش لا ريب- حينئذ- في كونها محظوره بأسرها مذمومه، و إن كان بعضها أفحش من بعض، فيكون أئمه أشد، سواء استعمل في الشتم و الإيذاء أو لا- يستعمل فيه، بل في المزاح و الهزل و غيرهما. و حينئذ لما كانت هذه العبارات متفاوتة في الفحش بعضها أفحش من بعض، و ربما اختلف بعاده البلاد، فيكون بعضها مكروها و بعضها محظورا، فإن من قال لغيره مزاحا أو اعتيادا حاصلًا من مخالطه الفساق: (فرج امرأتك ضيق أم لا؟) لا ريب في كونه فحشا محرما مذموما، مع أنه لم يستعمل في الشتم. و بالجملة: أوائل هذه العبارات مكروهه و أواخرها محظوره، و بينهما درجات تتردد بين الكراهه و الحرمه.

## و أما (اللعن)

فلا- ريب في كونه مذموما، لأنه عباره عن الطرد و الإبعاد من الله تعالى، و هذا غير جائز إلا على من اتصف بصفه تبعده بنص الشريعه. و قد ورد عليه الذم الشديد في الأخبار،  
قال رسول الله- صلى الله عليه و آله-: «المؤمن ليس بلعان».

و عن الباقر(ع) قال: «خطب رسول الله- صلى الله عليه و آله و سلم- الناس، فقال: ألا أخبركم بشراركم؟ قالوا

بلى يا رسول الله! قال: الذى يمنع رفته، و يضرب عبده، و يتردد وحده.

فظنوا أن الله لم يخلق خلقا هو شر من ذلك، ثم قال: ألا- أخبركم بمن هو شر من ذلك؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال. المفتاح  
اللعان الذى إذا ذكر عنده المؤمنون لعنهم، و إذا ذكروه لعنوه».

و قال الباقر عليه السلام:

«إن اللعنة إذا خرجت من فم صاحبها ترددت بينهما فإن وجدت مساعا و إلا رجعت إلى صاحبها».

ثم لما كان اللعن هو الحكم بالبعد أو طلب الإبعاد من الله. (و الأول) غيب لا- يطلع عليه إلا الله. (و الثانى) لا يجوز إلا على من  
اتصف بصفه تبعده منه، فينبغى ألا يلعن أحدا إلا من جوز صاحب الشرع لعنه، و المجوز من الشرع إنما هو اللعن على الكافرين و  
الظالمين و الفاسقين، كما ورد فى القرآن و لا ريب فى جواز ذلك بالوصف الأعم. كقولك: لعنه الله على اليهود و النصارى.

و الحق جواز اللعن على شخص معين علم اتصافه بصفه الكفر أو الظلم أو الفسق. (و ما قيل) من عدم جواز ذلك إلا على من  
يثبت لعنه من الشرع كفرعون و أبى جهل. لأن كل شخص معين كان على إحدى الصفات الثلاثه ربما رجع عنها، فيموت مسلما  
أو تائباً، فيكون مقربا عند الله لا مبعدا عنه (كلام ينبغى) أن يطوى و لا يروى، إذا استفاد من كلام الله تعالى و كلام رسوله-  
صلى الله عليه و آله و سلم و كلام أئمتنا الراشدين: جواز نسبته إلى الشخص المعين، بل استفاد منها أن اللعن على بعض أهل  
الجحود و العناد من أحب العبادات و أقرب القربات، قال الله سبحانه:

أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ

و قال: **أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (٢)**.

و قال النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-: «لعن الله الكاذب ولو كان مازحاً».

و قال -صلى الله عليه وآله وسلم- في جواب أبي سفيان حين هجاء بألف بيت: «اللهم إني لا أحسن الشعر ولا ينبغي لي، اللهم العنه بكل حرف ألف لعنه». و قد لعن أمير المؤمنين عليه السلام جماعه.

و روى أنه كان يقنت في الصلاة المفروضة بلعن معاويه و عمرو بن العاص و أبي موسى الأشعري و أبي أعور الأسلمي، مع أنه أحلم الناس و أشدهم صفحا عن يسوء به، فلو لا أنه كان يرى لعنهم من الطاعات لما يتخير محله في الصلوات المفروضات.

و روى الشيخ الطوسي: «أن الصادق عليه السلام كان ينصرف من الصلاة بلعن أربعة رجال». و من نظر إلى ما وقع للحسن عليه السلام مع معاويه و أصحابه و كيف لعنهم، و تتبع ما ورد من الأئمة في الكافي و غيره من كتب الأخبار و الأدعية في لعنهم من يستحق اللعن من رؤساء الضلال و التصريح بأسمائهم يعلم أن ذلك من شعائر الدين، بحيث لا يعتريه شك و مرية.

و ما ورد من قوله -عليه السلام- «لا تكونوا لعانين». و مثله. نهى عن اللعن على غير المستحقين،

و ما روى: أن أمير المؤمنين -عليه السلام- نهى عن لعن أهل الشام، فإن صح، فلعله كان يرجو إسلامهم و رجوعهم إليه، كما هو شأن الرئيس المشفق على الرعية.

و بالجمله: اللعن على رؤساء الظلم و الضلال و المجاهرين بالكفر و الفسق جائز، بل مستحب، و على غيرهم من المسلمين غير جائز، إلا أن يتيقن

١-١) البقرة، الآية: ١٦١.

٢-٢) البقرة، الآية: ١٥٩.

باتصافه بإحدى الصفات الموجبه له.و ينبغي ألا يحكم باتصافه بشيء منها بمجرد الظن و التخمين، إذ لا يجوز أن يرم مسلم بكفر و فسق من غير تحقيق،

قال رسول الله-صلى الله عليه و آله و سلم-: «لا يرم رجل رجلا بالكفر فلا يرميه بالفسق إلا ارتد عليه إن لم يكن كذلك».

ثم اللعن على الأموات أشد وزرا و أعظم إثما،

لقول النبي-صلى الله عليه و آله و سلم-: «لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا». و لا ينبغي أن يلعن الجماد و الحيوان أيضا.

لما روى: «أنه ما لعن أحد الأرض إلا قالت:

اللعن على أعصانا لله»،

و ما روى: «أن النبي-صلى الله عليه و آله و سلم أنكر على أمراه لعنت ناقه، و على رجل لعن بعيرا». ثم الدعاء على المسلم بالشر قريب من اللعن عليه، فلا ينبغي ارتكابه و لو على الظالم، إلا إذا اضطر إليه لشره و إضراره، و قد ورد أن المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافيه ثم يبقى للظالم عنده فضيله يوم القيامة.

و قال على بن الحسين-عليهما السلام- «إن الملائكة إذا سمعوا المؤمن يذكر أخاه بالسوء و يدعو عليه قالوا: بثس الأخ أنت لأخيك! كف أيها المستر على ذنوبه و عورته، و أربع على نفسك، و أحمد الله الذى ستر عليك! (1) ثم ضد ذلك-أعنى الدعاء للأخ المسلم بما يحب لنفسه-من أحب الطاعات و أقرب القربات، و فوائده أكثر من أن تحصى، بل عند التحقيق دعاؤك له دعاء لنفسك،

قال رسول الله-صلى الله عليه و آله و سلم-: «إذا دعا الرجل لأخيه فى ظهر الغيب قال الملك: و لك مثل ذلك».

و قال-صلى الله عليه و آله و سلم-: «يستجاب للرجل فى أخيه ما لا يستجاب له فى نفسه».

و قال على بن الحسين-عليهما السلام-: «إن الملائكة إذا

ص: ٣٥٥

١- ١) هذه الروايه من تتمه الروايه الآتيه عن على بن الحسين عليهما السلام

سمعوا المؤمن يدعو لأخيه المؤمن بظهر الغيب أو يذكره بخير، قالوا: نعم الأخ أنت لأخيك! تدعو له بالخير و هو غائب عنك، و تذكره بالخير. قد أعطاك الله -عز و جل- مثلى ما سألت له، و أثنى عليك مثلى ما أثنت عليه، و لك الفضل عليه». و مثله ورد عن الباقر -عليه السلام- أيضا. و الأخبار فى فضيله الدعاء للإخوان أكثر من أن تحصي، و أى كرامه أعظم لك من أن تصل منك إلى المؤمن و هو تحت إطباق الثرى هدايا الاستغفار و الأذعيه، و هل تدرى كيف تسر روحه منك بهذا العمل؟ فإن أهله يقسمون ميراثه و يتنعمون بما خلف، و أنت متفرد بحزنك تدعو له فى ظلمه الليل،

و قد قال رسول الله -صلى الله عليه و آله و سلم-: «مثل الميت فى قبره مثل الغريق يتعلق بكل شىء، ينتظر دعوه من ولد أو والد أو أخ أو قريب»، و أنه ليدخل على قبور الأموات من دعاء الأحياء من الأنوار مثل الجبال، و هو للأموات بمنزله الهدايا للأحياء، فيدخل الملك على الميت معه طبق من نور عليه منديل من نور، فيقول: هذه هديه لك من عند أخيك، فلان، من عند قريبك فلان فيفرح كما يفرح الحى بالهديه (١).

### و أما (الطعن)

فهو أيضا من ذمائم الأفعال، و يورث الضرر فى الدنيا و العذاب فى الأخرى.

قال الباقر -عليه السلام-: «إياكم و الطعن على المؤمنين».

و قال -عليه السلام-: «ما من إنسان يطعن فى عين مؤمن إلا مات شرميته، و كان قمنا ألا يرجع إلى خير».

و اعلم أن هذه الأمور -أعنى الفحش و اللعن و الطعن و أمثالها مما يأتى

ص: ٣٥٦

---

١- ١) هذا الكلام من بعد الحديث الذى وضعناه بين قوسين رواه فى إحياء العلوم -ج ٢ ص ١٦٤- عن بعض السلف، و بمضمونه أحاديث مرويه عن آل البيت (ع). روى منها فى الوسائل فى أبواب الاحتضار من كتاب الطهاره (باب استحباب الصلاه عن الميت و الصوم و الحج).

فى موضعه: من الغيبه. و الكذب، و البهتان، و الاستهزاء، و المزاح، و الخوض فى الباطل، و التكلم بالفضول و ما لا يعنى: من آفات اللسان، و يأتى أن لجميع آفات اللسان ضدا عاما هو الصمت، و يأتى بيان فضيلته و كثره فوائده. و يأتى أيضا ما يدل بعمومه على ذم جميع آفات اللسان- أعنى ما ورد فى ذم اللسان، و كون شره أعظم من شر سائر الأعضاء- فإنه بعمومه يدل على ذم هذه الأمور.

### و منها- أى و من ردائل القوه الغضبيه:-

#### العجب

و هو استعظام نفسه لأجل ما يرى لها من صفه كمال، سواء كانت له تلك الصفه فى الواقع أم لا. و سواء كانت صفه كمال فى نفس الأمر أم لا، و قيل: «هو إعظام النعمه و الركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم» و هو قريب مما ذكر، و لا يعتبر فى مفهومه رؤيه نفسه فوق الغير فى هذا الكمال و هذه النعمه، و بذلك يمتاز عن الكبر، إذ الكبر هو أن يرى لنفسه مزيه على غيره فى صفه كمال، و بعباره أخرى هو الاسترواح و الركون إلى رؤيه النفس فوق المتكبر عليه، فالكبر يستدعى متكبرا عليه و متكبرا به.

و العجب لا- يستدعى غير المعجب، بل لو لم يخلق الإنسان إلا وحده تصور أن يكون معجبا، و لا يتصور أن يكون متكبرا، إلا أن يكون مع غيره و هو يرى نفسه فوق ذلك الغير فى صفه الكمال و لا- يكفى أن يستعظم نفسه ليكون متكبرا، فإنه قد يستعظم نفسه، و لكن يرى فى غيره أعظم من نفسه أو مثل نفسه فلا يتكبر عليه، فهو معجب و ليس متكبرا و لا يكفى أن يستحقر غيره، فإنه مع ذلك لو رأى نفسه أحقر أو رأى غيره مثل

نفسه لم يكن متكبرا، بل المتكبر هو أن يرى لنفسه مرتبه و لغيره مرتبه، ثم يرى مرتبه نفسه فوق مرتبه غيره.

و الحاصل: أن العجب مجرد إعظام النفس لأجل كمال أو نعمه، و إعظام نفس الكمال و النعمه مع الركون و نسيان إضافتهما إلى الله. فإن لم يكن معه ركون و كان خائفا على زوال النعمه مشفقا على تكدرها أو سلبها بالمره، أو كان فرحا بها من حيث أنها من الله من دون إضافتها إلى نفسه لم يكن معجبا، فالمعجب ألا- يكون خائفا عليها، بل يكون فرحا بها مطمئنا إليها، فيكون فرحها بها من حيث إنها صفة كمال منسوبة إليه، لا من حيث إنها عطيه منسوبة إلى الله تعالى. و مهما غلب على قلبه أنها نعمه من الله مهما شاء سلبها زال العجب.

ثم لو انضاف إلى العجب- أي غلب على نفس المعجب- أن له عند الله حقا، و أنه منه بمكان، و استبعد أن يجرى عليه مكروه، و كان متوقعا منه كرامه لعمله، سمي ذلك (إدلالا-) بالعمل، فكأنه يرى لنفسه على الله داله فهم وراء العجب و فوقه إذ كل مدلل معجب، و رب معجب لا- يكون مدلا، إذ العجب مجرد الاستعظام و نسيان الإضافه إلى الله من دون توقع جزاء على عمله، و الإدلال يعتبر فيه توقع الجزاء بعمله، إذ المدلل يتوقع إجابته دعوته و يستنكر ردها بباطنه و يتعجب منه، فالإدلال عجب مع شيء زائد.

و على هذا، فمن أعطى غيره شيئا، فإن استعظمه و من عليه كان معجبا، و إن استخدمه مع ذلك أو اقترح عليه الاقتراحات و استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه و كما أن العجب قد يكون مما يراه صفة كمال و ليس كذلك العجب بالعمل قد يكون بعمل هو مخطئ فيه و يراه حسنا، كما قال سبحانه:

أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا

(١)

ص: ٣٥٨

(١ - ١) الفاطر، الآية: ٨.

وقال أبو الحسن -عليهما السلام-: «العجب درجات: ومنها أن يزين للعبد سوء عمله فيراه حسنا، فيعجبه و يحسب أنه يحسن صنعا. ومنها أن يؤمن العبد بربه، فيمن على الله -عز و جل- و لله عليه فيه المن».

## فصل (ذم العجب)

العجب من المهلكات العظيمة و أرذل الملكات الذميمة،

قال رسول الله -صلى الله عليه و آله و سلم-: «ثلاث مهلكات: شح مطاع، و هوى متبع، و إعجاب المرء بنفسه».

و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-: «إذا رأيت شحا مطاعا، و هوى متبعاً، و إعجاب كل ذي رأى برأيه، فعليك نفسك».

و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-: «لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك، العجب العجب».

و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-: «بينما موسى (ع) جالس (1)، إذ أقبل عليه إبليس و عليه برنس ذو ألوان، فلما دنى منه خلع البرنس، و قام إلى موسى (ع) فسلم عليه، فقال له موسى:

من أنت؟ فقال: أنا إبليس، قال أنت: فلا قرب الله دارك، قال: إني إنما جئت لأسلم عليك لمكانك من الله، فقال له موسى (ع): فما هذا البرنس قال: به اختطف قلوب بني آدم، فقال موسى: فأخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه، قال: إذا أعجبتة نفسه و استكثر عمله و صغر في عينه ذنبه».

و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-: «قال الله -عز و جل- يا داود! بشر المذنبين و أنذر الصديقين، قال: كيف أباشر المذنبين و أنذر الصديقين؟ قال: بشر المذنبين أنى أقبل التوبه و أعفو عن الذنب، و أنذر الصديقين ألا يعجبوا بأعمالهم، فإنه ليس عبدا نصبه للحساب إلا هلك».

ص: ٣٥٩

١- ١) و فى بعض نسخ الكافى فى باب العجب هكذا: (جالسا) -بالنصب-



و قال الباقر(ع): «دخل رجلان المسجد، أحدهما عابد و الآخر فاسق، فخرجا من المسجد و الفاسق صديق و العابد فاسق، و ذلك أنه يدخل العابد المسجد مدلا بعبادته يدل بها، فتكون فكرته في ذلك، و تكون فكره الفاسق في الندم على فسقه، و يستغفر الله مما صنع من الذنوب».

و قال الصادق(ع) «إن الله علم أن الذنب خير للمؤمن من العجب، و لو لا ذلك ما ابتلى مؤمنا بذنوب أبدا».

و قال(ع): «من دخله العجب هلك».

و قال(ع): «إن الرجل ليذنب فيندم عليه، و يعمل العمل فيسره ذلك، فيتراخي عن حاله تلك، فلأن يكون على حاله تلك خير له مما دخل فيه».

و قال(ع): «أتى عالم عابدا فقال له: كيف صلاتك؟ فقال: مثلى يسأل عن صلاته و أنا أعبد الله منذ كذا و كذا، قال: فكيف بكاؤك؟ قال: أبكى حتى تجرى دموعي، فقال له العالم: فإن ضحكك و أنت خائف أفضل من بكائك و أنت مدلل، إن المدلل لا يصعد من عمله شيء».

و قال(ع): «العجب ممن يعجب بعمله و هو لا يدري بما يختم له، فمن أعجب بنفسه و فعله، فقد ضل عن نهج الرشاد و ادعى ما ليس له، و المدعى من غير حق كاذب و إن أخفى دعواه و طال دهره. و إن أول ما يفعل بالمعجب نزع ما أعجب به ليعلم أنه عاجز حقير، و يشهد على نفسه ليكون الحجج عليه أو كد، كما فعل يابليس. و العجب نبات حبها الكفر، و أرضها النفاق و ماؤها البغي، و أغصانها الجهل، و ورقها الضلاله، و ثمرها اللعنه و الخلود في النار، فمن اختار العجب فقد بذر الكفر و زرع النفاق، و لا بد أن يثمر» (1)

و قيل له(ع): الرجل يعمل العمل و هو خائف مشفق، ثم يعمل شيئا من البر

ص: ٣٦٠

١ - ١) صححنا هذه الروايه على ما في البحار- الجزء الثالث من المجلد الخامس عشر في باب العجب- و قد نقلها عن مصباح الشريعه، و فيه اختلاف عن نسخ جامع السعادات.

فدخله شبه العجب به، فقال: «هو في حاله الأولى و هو خائف أحسن حالا منه في حال عجبه».

وقال (ع): «إن عيسى بن مريم -عليهما السلام- كان من شرائعه السح في البلاد، فخرج في بعض سيحه و معه رجل من أصحابه قصير، و كان كثير اللزوم لعيسى، فلما انتهى عيسى إلى البحر قال: بسم الله، بصحه يقين منه، فمشى على ظهر الماء. فقال الرجل القصير حين نظر إلى عيسى جازبه بسم الله، بصحه يقين منه، فمشى على الماء، و لحق بعيسى -صلى الله عليه-، فدخله العجب بنفسه، فقال: هذا عيسى روح الله يمشى على الماء و أنا أمشى على الماء، فما فضله على؟! قال: فرمس في الماء، فاستغاث بعيسى (ع)، فتناوله من الماء فأخرجه، ثم قال له: ما قلت يا قصير؟! قال قلت: هذا روح الله يمشى على الماء و أنا أمشى، فدخلني من ذلك عجب، فقال له عيسى: لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعتك الله، فمقتك الله على ما قلت، فتب إلى الله -عز و جل- مما قلت، قال: فتاب الرجل، و عاد إلى مرتبه التي وضعه الله فيها» (1).

### فصل (آفات العجب)

العجب آفاته كثيره: (منها) الكبر لأنه أحد أسبابه -كما يأتي- (و منها) أنه يدعو إلى نسيان الذنوب و إهمالها، فلا يتذكر شيئاً منها، و إن تذكر بعضها منها يستصغرها و لا يستعظمها، فلا يجتهد في تداركها و تلافيها، بل يظن أنها تغفر له. و أما العبادات، فيستعظمها و يتبجح بها و يمن على الله بفعلها، و ينسى نعمه الله عليه بالتوفيق و التمكين منها، و إذا أعجب بها عمى عن آفاتها. و من لم يتفقد آفات الأعمال ضل سعيه، إذ الأعمال الظاهره إذا

ص: ٣٤١

١- ١) صححنا أكثر هذه الأحاديث على الكافي في باب العجب و الحسد.

لم تكن خالصه نقيه عن الشوائب قلما تنفع، وإنما يتفقد الخائف المشفق دون المعجب، لأنه يغتر بنفسه و برأيه و يأمن مكر الله و عذابه، و يظن أنه عند الله بمكان، و أن له عند الله حقا بأعماله التي هي من عطاياه تعالى و نعمه، و ربما يخرج العجب إلى تزكيه نفسه و الثناء عليها. و إن أعجب برأيه و عقله و علمه منعه ذلك من السؤال و الاستفاده و الاستشاره، فيستبد بنفسه و رأيه و يستتكف عن سؤال الأعلام، و ربما يعجب بالرأى الخطأ الذى خطر له، فيفرح بكونه من خواطره و لا يعتنى بخواطر غيره، فيصر عليه، و لا يسمع نصح ناصح و لا وعظ واعظ، بل ينظر إلى غيره بعين الاستحقار و الاستجهال، فإن كان رأيه الفاسد متعلقا بأمر دنيوى أضره و فضحه، و إن كان متعلقا بأمر دينى - (لا) سيما فى أصول العقائد - أضله و أهلكه. و لو اتهم نفسه و لم يثق برأيه، و استعان بعلماء الدين و سؤال أهل البصيره، لكان خيرا له و أحسن، و موصلا له إلى الحق المتيقن. و من آفاته أنه يفتر فى الجدل و السعى، لظنه أنه قد استغنى و فاز بما ينجيّه، و هو الهلاك الصريح الذى لا شبهه فيه.

### فصل (علاج العجب إجمالا و تفصيلا)

اعلم أن للعجب علاجين: إجماليا و تفصيليا (١)

### أما العلاج الإجمالى

- فهو أن يعرف ربه، و أنه لا تليق العظمه و العزه إلا به، و أن يعرف نفسه حق المعرفة، ليعلم أنه بذاته أذل من كل ذليل و أقل من كل قليل، و لا تليق به إلا الذله و المهانه و المسكنه، فما له و العجب

ص: ٣٦٢

(١ - ١) و فى النسخ، (اجمالي و تفصيلي).

و استعظام نفسه، فإنه لا ريب في كونه ممكنا، و كل ممكن في ذاته صرف العدم و محض اللاشئ، كما ثبت في الحكمة المتعالية، و وجوده و تحققه و كماله و آثاره جميعا من الواجب الحق، فالعظمه و الكبرياء إنما تليق بمفيض وجوده و كمالاته، لا لذاته التي هي صرف العدم و محض الليس، فإن شاء أن يستعظم شيئا و يفتخر به فليستعظم ربه و به افتخر، و يستحقر نفسه غايه الاستحقر و حتى يراها صرف العدم و محض اللاشئ. و هذا المعنى يشترك فيه كل ممكن كائنا من كان.

و أما المهانه و الذله التي تخص هذا المعجب و بنى نوعه، فكون أوله نطفه قدره و آخره جيفه عفنه، و كونه ما بين ذلك حمال نجاسات منتنه، و قد مرّ على ممر البول ثلاث مرات. و تكفيه آيه واحده من كتاب الله تعالى لو كان له بصيره، و هي قوله:

قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ. مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ.

مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ. ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ. ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ. ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ

(١)

فقد أشارت الآيه إلى أنه كان أولا في كتم العدم غير المتناهي، ثم خلقه من أقدر الأشياء الذي هو نطفه مهينه، ثم أماته و جعله جيفه منتنه خبيثه.

و أى شئ أخس و أرذل ممن بدايته محض العدم، و خلقته من أنتن الأشياء و أقدرها، و نهايته الفناء و صيرورته جيفه خبيثه. و هو ما بين المبدإ و المنتهى عاجز ذليل، لم يفوض إليه أمره، و لم يقدر على شئ لنفسه و لا لغيره، إذ سلطت عليه الأمراض الهائله، و الأسقام العظيمة، و الآفات

ص: ٣٦٣

(١-١) عبس الآيه: ١٧-٢٢.

المختلفه، و الطبائع المتضاده، من المره و الدم و الريح و البلغم، فيهدم بعض أجزائه بعضا، شاء أم أبى، رضى أم سخط، فيجوع كرها، و يعطش كرها، و يمرض كرها، و يموت كرها، لا يملك لنفسه نفعاً و ضراً و لا خيراً و شراً.

يريد أن يعلم الشىء فيجهله، و يريد أن يذكر الشىء فينساه، و يريد أن ينسى الشىء فلا ينساه، و يريد أن ينصرف قلبه إلى ما يهمله فيجول في أوديه الوسوس و الأفكار بالاضطرار. فلا يملك قلبه قلبه، و لا نفسه نفسه.

يشتهى الشىء و فيه هلاكه و يكره الشىء و فيه حياته، يستلذ ما يهلكه و يرديه و يستبشع ما ينفعه و ينجيه، و لا يأمن في لحظه من ليله أو نهاره أن يسلب سمعه و بصره و علمه و قدرته، و تفلج أعضاؤه، و يختلس عقله، و تختطف روحه، و يسلب جميع ما يهواه في دنياه، و هو مضطر ذليل، أن ترك فنى، و أن خلى ما بقى، عبد مملوك، لا يقدر على شىء من نفسه و لا من غيره، فأى شىء أذل منه لو عرف نفسه؟ و أنى يليق العجب به لو لا جهله؟. و هذا وسط أحواله.

و أما آخره، فهو الموت - كما عرفت - فيصير جيفه منتنه قدره، ثم تضمحل صورته، و تبلى أعضاؤه، و تنخر عظامه، و تتفتت أجزاؤه، فيصير رميماً رفاتاً، ثم يصير روثاً في أجواف الديدان، يهرب منه الحيوان، و يستقدره كل إنسان، و أحسن أحواله أن يعود إلى ما كان، فيصير تراباً تعمل منه الكيزان، و يعمر منه البنيان، فما أحسنه لو ترك تراباً، بل يحيى بعد طول البلى ليقاسى شدائد البلا، فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه المتفرقه، و يساق إلى عرصات القيامة، فيرى سماء مشرقه، و أرضاً مبدله، و جبلاً مسيره، و نجوماً منكدره، و شمساً منكسفه، و جحيماً مسعره، و جنه مزينه، و موازين منصوبه، و صحائف منشوره، فإذا هو في معرض المؤاخذه و الحساب و عليه ملائكه غلاظ شداد، فيعطى كتابه إما بيمينه أو شماله،

فيرى فيه جميع أعماله و أفعاله، من قليل و كثير و نقيير و قطمير. فإن غلبت سيئاته على حسناته و كان مستحقا للعذاب و النار، تمنى أن يكون كلبا أو خنزيرا لصير مع البهائم ترابا و لا يلقى عقابا و لا عذابا. و لا ريب فى أن الكلب و الخنزير أحسن و أطيب ممن عصى ربه القهار و يعذب فى النار، إذ أولهما و آخرهما التراب، و هو بمعزل عن العقارب و العذاب، و الكلب و الخنزير لا يهرب منهما الخلق، و لو رأى أهل الدنيا من يعذب فى النار لصعقوا من وحشه خلقتة و قبح صورته. و لو وجدوا ريحه لماتوا من نتنه، و لو وقعت قطره من شرابه الذى يسقاه فى بحار الدنيا صارت أنتن من الجيفه المنتنه.

فما لمن هذه حاله و العجب و استعظام نفسه! و ما أغفله من التدبر فى أحوال يومه و أمسه! و لو لم يدركه العذاب و لم يؤمر به إلى النار فإنما ذلك للعفو، لأنه ما من عبد إلا- و قد أذنب ذنبا، و كل من أذنب ذنبا استحق عقوبه، فلو لم يعاقب فإنما ذلك للعفو. و لا ريب فى أن العفو ليس يقينا، بل هو مشكوك فيه، فمن استحق عقوبه و لا يدري أ يعفى عنها أم لا، يجب أن يكون أبدا محزونا خائفا ذليلا- فكيف يستعظم نفسه و يلحقه العجب، ألا- ترى أن من جنى على بعض الملوك بما استحق به ألف سوط مثلا، فأخذ و حبس فى السجن. و هو منتظر أن يخرج إلى العرض و تقام عليه العقوبه على ملا من الخلق، و ليس يدري أ يعفى عنه أم لا، كيف يكون ذله فى السجن؟ أ فترى أنه مع هذه الحاله يكون معجبا بنفسه؟! و لا أظنك أن تظن ذلك.

□

فما من عبد مذنب، و لو أذنب ذنبا واحدا، إلا و قد استحق عقوبه من الله، و الدنيا سجنه، و لا يدري كيف يكون أمره، فكيفيه ذلك خوفا و مهانه و ذله. فلا يجوز له أن يعجب و يستعظم نفسه.

هذا هو العلاج الإجمالى للعجب.

فهو أن يقطع أسبابه-أعنى ما به العجب-و هي العلم، و المعرفه،و العباده،و الطاعه،و غير ذلك من الكمالات النفسيه،كالورع، و الشجاعه،و السخاوه،و النسب،و الحسب،و الجمال،و المال،و القوه، و البطش،و الجاه،و الاقتدار،و كثره الأعداء و الأنصار،و الكياسه، و التفطن لدقائق الأمور،و الرأى الخطأ.

### أما (العجب بالعلم):

□ فعلاجه أن يعلم أن العالم الحقيقي هو الذى يعرف نفسه و خطر الخاتمته،و أن من تليق به العظمه و العزه و الكبرياء هو الله سبحانه،و ما عداه هالك الهويه و الذات فاقيد الكمال و الصفات.و هذا العلم يزيد الخوف و الذله و المهانه و المسكنه،و الاعتراف بالقصور و التقصير فى أداء حقوق الله،و الشكر بإزاء نعمه،و لذا قيل:«من ازداد علما ازداد وجعا».

فالعلم الذى لا يوجب ذلك و يورث العجب،إما ليس علما حقيقيا،بل هو من العلوم الدنيويه التى ينبغى أن تسمى صناعات لا علوما،إذ صاحبه خاض فيه و هو خبيث النفس ردى الأخلاق لم يهذب نفسه أولا و لم يزكها بالمجاهدات و لم يرضها فى عبادته ربه،فبقى خبيث الجوهر،فإذا خاض فى العلم و إن كان علما حقيقيا صادف من قلبه منزلا خبيثا،فلم يطب ثمره و لم يظهر فى الخبر اثره،فإن العلم مثله مثل الغيث ينزل من السماء عذبا صافيا،فإذا شربته الأشجار و النباتات ازداد المر مراره و الحلو حلاوه،كذلك العلم إذا صادف القلوب ازداد القلب المظلم الخبيث ظلمه و خباثته.و الطيب الصافي طيبا و صفاء و إذا علم ذلك،يعرف أنه لا ينبغى العجب بالعلم،و يجب أيضا أن يعلم أنه إذا أعجب بنفسه صار ممقوتا عند الله مبغوضا لديه،لما تقدم من الأخبار و قد أحب الله منه الذله و الحقاره عند نفسه.

و قال بواسطه سفرائه: «إن لك عندى قدرا ما لم تر لنفسك قدرا،فإن رأيت لنفسك قدرا فلا قدر لك

وقال: «صغروا أنفسكم ليعظم عندى محلکم». فلا بد أن يكلف نفسه ما يحب مولاه، وأن يعلم أن حجة الله على أهل العلم أوكد، وأنه يتحمل من الجاهل ما لا يتحمل عشره من العالم، لأن العالم إذا زل زل بزلته كثير من الناس، ولأن من عصى الله عن علم و معرفه كانت جنايته أفحش إذا لم يقض حق نعمه الله عليه في العلم، ولذلك

قال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم:-

«يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار، فتندلق أقتابه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيطيف به أهل النار، فيقولون: ما لك؟ فيقول: كنت أمر بالخير ولا آتية وأنهى عن الشر وآتية». وقد مثل الله تعالى علماء (اليهود) بالحمار (٢)، وبلعلم بن باعوراء بالكلب (٣)، لعدم عملهم بما علموه.

وقال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم:- «يكون قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا ومن أعلم منا» ثم التفت إلى أصحابه فقال: «أولئك منكم أيها الأمة، أولئك هم وقود النار».

وقال -صلى الله عليه وآله وسلم:- «إن أهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه وإن أشد أهل النار ندامه وحسره رجل دعا عبدا إلى الله فاستجاب له وقبل منه، فأطاع الله فأدخله الله الجنة، وأدخل الداعي النار بتركه علمه واتباعه الهوى وطول الأمل»

وقال روح الله (ع): «ويل لعلماء سوء (٤) كيف

ص: ٣٦٧

١- ١) هذا كلام بنصه مذكور فى إحياء العلوم- ج ٣ ص ٣١٢- ويظهر منه أنه من كلامه هو أو مقتبس من مضامين الأخبار، لا أنه نص حديث، وكذا ما بعده وهو قوله: «صغروا...».

٢- ٢) إشاره إلى قوله تعالى- فى سورة الجمعة الآية ٥:- «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا» .

٣- ٣) إشاره إلى قوله تعالى- فى سورة الأعراف الآية ١٧٦:- «فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثْ» .

٤- ٤) فى النسخ المصححه للكافى- باب لزوم الحججه على العالم- هكذا: «للعلماء سوء بتعريف العلماء- ونحن رجحنا نسخته جامع السعادات المطبوعه فأثبتناه بلا تعريف قال صاحب مجمع البحرين- ماده (سوء):- «تقول هذا رجل سوء بالإضافه ثم تدخل عليه الألف واللام، فتقول هذا رجل سوء. ولا يقال الرجل سوء. كذا قاله الجوهرى».



تتلظى عليهم النار».

و قال الصادق(ع): يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يغفر للعالم ذنبا واحدا».

و لا ريب فى أن كل عالم يأمر الناس بالتواضع و ذل النفس و انكسارها، و ينهاهم عن العجب و الكبر، و هو معجب متكبر، يكون من علماء السوء، و ممن لم يعمل بعلمه، فيكون داخلا تحت هذه الأخبار. و أى عالم يتصور فى أمثال هذه الأزمنة أن يجزم بأنه عمل بجميع ما علم و أمر به، و لم يضع شيئا من أوامر ربه من الجنائيات الظاهرة و الذنوب الباطنة، كالرياء و الحسد و العجب و النفاق و غير ذلك؟ و كيف يمكنه القطع بأنه امتثل ما أمر به من التكاليف العامة و الخاصة به؟ فخطره أعظم من خطر غيره، كيف

و قد روى:

«أن حذيفه صلى بقوم، فلما سلم قال: لتلتمس إماما غيرى أو لتصلن وحدانا، فإنى رأيت فى نفسى أنه ليس فى القوم أفضل منى». فإذا كان مثله لا يسلم، فكيف يسلم الضعفاء من متأخرى هذه الأمة، فما أعز على بسيط الأرض فى هذه الأعصار علماء الآخرة الذين أقبلوا على شأنهم، و استوحشوا من أوثق إخوانهم، و شغلهم عظيم الأمر عن الالتفات إلى الدنيا و زهرتها، و أزعجهم خوف الرحمن عن مضاجعهم فى حنادس الليالى و ظلمتها، و لا- يشتهون من نعيم الدنيا حارا و لا- باردا، و صارت همومهم هما واحدا، هيهات! فأنى يسمح آخر الزمان بمثلهم، فهم أرباب الإقبال و أصحاب الدول، و قد انقضوا فى القرون الأولى، بل يعز أن يوجد فى زماننا هذا عالم لا تكون له استطاله و خيلاء، و لم يكن متكبرا على الفقراء، و متواضعا للأغنياء. فينبغى لكل

ص: ٣٤٨

عالم أن يتفكر فى أحواله و أعماله و ما أريد منه، و فى عظم خطره حتى تنكسر نفسه، و يظهر خوفه و حزنه و يبطل كبره و عجه.

### و أما (العجب بالعباده و الطاعه):

فعلاجه أن يعلم أن الغرض من العباده هو إظهار الذل و الانكسار، و صيرورتها ملكه للنفس ليحصل له معنى العبوديه و حقيقتها، فالعجب لمنافاته الغرض المقصود منها يبطلها، و بعد بطلانها فلا معنى للعجب بها و أيضا آفات العباده الموجه لحببها كثيره، و كذلك شرائطها و آدابها التى لا يصح بدونها كثيره، فيمكن أن تدخلها بعض الآفات، أو تفقد عنها بعض الشرائط و الآداب، فلا تكون مقبوله عند الله، و مع إمكان ردها و عدم قبولها كيف يعجب العاقل بها؟ و من يمكنه القطع بسلامه طاعته و عباداته عن جميع الآفات؟ و من قطع بذلك فهو فى غايه الجهل بحقائق الأمور. على أن فائده العباده إنما هو إذا كان عند الله سعيدا، و من جوز أن يكون عند الله شقيا، و قد سبق القضاء الألهى بشقوته، فأى نفع يتصور لعبادته حتى يعجب بها؟ و لا ريب فى أنه لا يخلو عبد عن هذا التجويز، فما لأحد إلى العجب و التكبر فى حال من الأحوال سبيل.

### و أما (العجب بالورع، و التقوى، و الصبر، و الشكر، و السخاوه، و الشجاعه، و غيرها من الفضائل النفسيه):

فعلاجه أن يعلم أن هذه الفضائل إنما تكون نافعه و منجيه إذا لم يدخلها العجب، و إذا دخلها العجب أبطلها و أفسدها، فما للعاقل أن يرتكب رذيله تضيع ما له من الفضائل، و أنى له لا- يظهر الذله و التواضع فى نفسه حتى يزيد فضيله على فضائلها، و يختم لأجلها الجميع بالخير، و تصير عاقبته محموده، و تكون مساعيه مقبوله مشكور. و ينبغى أن يعلم أن كل واحد من الفضائل التى يثبتها لنفسه موجوده مع الزيادة فى كثير من بنى نوعه، و إذا علم اشتراك الناس معه فى هذه الفضيله زال إعجابه بها. و قد نقل أن

واحدا من مشاهير الشجعان إذا قابل خصمه اصفر لونه و ارتعدت فرائصه و اضطرب قلبه، فقيل له، ما هذه الحاله و أنت أشجع الناس و أقواهم؟ فقال إنى لم أمتحن خصمى، فلعله أشجع منى. و أيضا النصر و الغلبه و حسن العاقبه مع الذله و المسكنه، لا مع الإعجاب بالقوه و الشجاعه، فإن الله عند المنكسره قلوبهم.

و من المعالجات النافعه للعجب بكل واحد من الصفات الكماليه: أن يقابل سببه بضده، إذ علاج كل عله بمقابله سببها بضده، و لما كانت عله العجب هو الجهل المحض، فعلاجه المعرفه المضاده له، فنقول:

الكمال الذى به يعجب إما أن يكون يعجب به من حيث إنه فيه و هو محله و مجراه، أو من حيث إنه نشأ منه و حصل بسببه و قوته و قدرته، فإن كان (الأول)، فهو محض الجهل، لأن المحل مسخر، و إنما يجرى ما يجرى فيه و عليه من جهه غيره، و لا مدخل له فى الإيجاد و التحصيل، فكيف يعجب بما ليس له. و إن كان (الثانى)، فينبغى أن يتأمل فى قدرته و إرادته و أعضائه، و سائر الأسباب التى بها يتم كماله و عمله، أنها من أين كانت له: فإن كان علم أن جميع ذلك نعمه من الله إليه من غير حق سبق له، فينبغى أن يكون إعجابه بجود الله تعالى و كرمه و فضله، إذ أفاض عليه ما لا يستحقه، و أثره به على غيره من غير سابقه و وسيله، فإن ظن أنه تعالى وفقه لهذا العمل لاتصافه ببعض الصفات الباطنه المحموده، كحبه له تعالى أو مثله، فيقال له الحب و العمل كلاهما نعمتان من عنده، ابتدأك بهما من غير استحقاق من جهتك، إذ لا وسيله لك و لا علاقته، فليكن الإعجاب بجوده، إذ أنعم بوجودك و بوجود صفاتك و أعمالك و أسباب أعمالك.

فإذا لا معنى لعجب العالم بعلمه، و عجب العابد بعبادته، و عجب الشجاع

بشجاعته، وعجب الجميل بجماله، وعجب الغنى بماله، لأن كل ذلك من فضل الله، وإنما هو محل لفيضان فضل الله و جوده. و المحل أيضا من فضله و جوده، فإنه هو الذى خلقك، و خلق أعضائك، و خلق فيها القوه و القدره و الصحه، و خلق لك العقل و العلم و الإراده، و لو أردت أن تنفى شيئا من ذلك لم تقدر عليه. ثم خلق الحركات فى أعضائك مستبدا باختراعها من غير مشاركه لك معه فى الـاختراع، إلا- أنه خلقها على ترتيب، فلم يخلق الحركه ما لم يخلق فى العضو قوه و فى القلب إرادته، و لم يخلق العلم ما لم يخلق القلب الذى هو محله، فتدرجه فى الخلق شيئا بعد شيء هو الذى خيل إليك أنك مستقل بإيجاد عملك، و قد غلطت، فإن تحريك البواعث، و صرف العوائق، و تهيئه الأسباب كلها من الله، ليس شيء منها إليك.

و من العجائب أن تعجب بنفسك، و لا- تعجب بمن إليه الأمر كله، و لا- تعجب بجوده و كرمه، و فضله فى إيثاره إياك على الفساق من عباده، إذ مكنهم من أسباب الشهوات و اللذات، و زواها عنك، و صرف عنهم بواعث الخير و هياها لك، حتى يتيسر لك الخير من غير وسيله سابقه منك.

روى: «أن أيوب(ع) قال: (إلهى إنك ابتليتني بهذا البلاء، و ما ورد على أمر إلا آثرت هواك على هواي). فنودى من غمامه بعشره آلاف صوت: يا أيوب! أنى لك ذلك؟ قال: فأخذ رمادا فوضعه على رأسه، و قال منك يا رب! فرجع عن نسيانه، و أضاف ذلك إلى الله تعالى، و لذلك قال الله تعالى:

وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا

(١)

ص: ٣٧١

(١-١) النور، الآية: ٢١.

وقال النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-: «ما منكم من أحد ينجيه عمله»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله! قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته».

□  
(فإن قيل): ما ذكرت من استناد الصفات والأفعال ومحلها جميعاً إلى الله تعالى، يؤدي إلى الجبر ونفي التكليف، وبطلان الثواب والعقاب، (قلنا):

هذا فرع باب مسأله يتعلق بعلم آخر، ولا يليق بيانها هنا (١). ونحن لم نسلب القدره والاختيار عن العبد بالكلية في متعلق التكليف -أعنى أفعاله العرضيه- بل نفينا استقلاله فيها. نعم، في غيرها من المحال والأسباب والصفات اللازمه، والتوفيق، وتحريك البواعث، و صرف الموانع، لا قدره له فيها أصلاً، ولا يلزم منه فساد.

**و أما (العجب بالحسب والنسب): فعلاجه يتم بمعرفه أمور:**

**الأول - أن يعلم أن التعزز بكمال الغير غاية السفاهه والجهل،**

فإنه لو كان خسيساً في صفات ذاته، فمن أين يجبر خسته كمال غيره، ولو كان أباه أوجهه، بل لو كان الذي يعجب به بالانتساب حياً لكان له أن يقول:

الفضل لى لا لك و أنت دوده خلقت من فضلتى، أفترى أن الدوده التى خلقت من فضله الإنسان أشرف من الدوده التى خلقت من فضله حماراً؟! هيهات! فإنهما متساويان فى الخسه، ان الشرف للإنسان لا للدوده،

ولذا قال أمير المؤمنين (ع):

أنا ابن نفسى و كنىتى أدبى

من عجم كنت أو من العرب

إن الفتى من يقول ها أنا ذا

ليس الفتى من يقول كان أبى

وقيل:

ص: ٣٧٢

لئن فخرت بأبَاء ذوى شرف

لقد صدقت و لكن بئس ما ولدوا

و قد روى: «أن أبا ذر قال بحضرة النبي -صلى الله عليه و آله و سلم- لرجل: (يا ابن السوداء!)، فقال النبي -صلى الله عليه و آله و سلم-:»

(يا أبا ذر! طف الصاع طف الصاع، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل).

فاضطجع أبو ذر و قال لرجل: قم فطأ على خدى».

و روى: «أن بلالا لما أذن يوم الفتح على الكعبة، قال جماعه: هذا العبد الأسود يؤذن! فنزل قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ

(١)

و قال رسول الله -صلى الله عليه و آله و سلم-: «إن الله قد أذهب عنكم عيبه الجاهليه-أى كبرها- كلكم بنو آدم و آدم من تراب». و نقل:

أن واحدا من رؤساء اليونان افتخر على غلام، فقال له: إن كان منشأ افتخارك آبائك فالتفوق لهم لا لك، و إن كان لباسك فالشرافه له دونك، و إن كان مركوب فالفضيله له لا لك. فليس لك شىء يصلح للعجب و المفاخره و لذا قال متمم مكارم الأخلاق-صلى الله عليه و آله و سلم-: «لا تأتونى بأنسابكم و ائتونى بأعمالكم».

**الثانى- أن يعرف نسبه الحقيقى،**

فإن أباه القريب نطفه قدره، و جده البعيد تراب ذليل. و قد عرفه الله نسبه فقال:

وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلَ

ص: ٣٧٣

و الأصل الذى يوطأ بالأقدام أو تغسل منه الأجسام أى رفعه يكون لفرعه!

### الثالث

-أن يعلم أن من يعجب بهم بالانتساب من أسلافه، إن كانوا من أهل الديانة و الخصال المرضيه و الشرافه الحقيقه، فظاهر أنه ما كان من أخلاقهم العجب، بل الذله و الإيزراء على النفس و مذمتها و استعظام الخلق، فإن اقتدى بهم فى أخلاقهم فلا يليق به العجب و التعزز، و إلا كان طاعنا فى نسبه بلسان حاله. و إن لم يكونوا من أهل الديانه الواقعيه و الشرافه العلميه و العمليه بل كان لهم مجرد شوكة ظاهريه، كالسلطين الظلمه و أعوانهم، فأف لمن يفتخر بهم و يعجب بنفسه لأجلهم! إذ الانتساب إلى الكلاب و الخنازير أحسن من الانتساب إليهم، كيف و أنهم ممقوتون عند الله معذبون فى النار، بحيث لو نظر إلى صورهم فى النار و ما لحقهم فيها من التنن و القذاره، لاستنكف منهم و تبرأ من الانتساب إليهم،

و لذلك قال-صلى الله عليه و آله و سلم-:

«ليدعن قوم الفخر بأبائهم و قد صاروا فحما فى جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التى تدوف بآنافهم القدر»

و روى، أنه افتخر رجلان عند موسى (ع)، فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان، حتى عد تسعه، فأوحى الله تعالى إلى موسى: «قل للذى افتخر، بل التسعه من أهل النار و أنت عاشرهم!».

### و أما (العجب بالجمال):

فعلاجه أن يعلم أنه فى معرض الزوال بالعلل و الآلام و الأمراض و الأسقام، و أى عاقل يعجب بشيء تزيله حمى يوم أو قرحه أو جدري!

ص: ٣٧٤

کآن را بشبی برند و این را به تبی (۱)

و لو لم يرتفع بها، فهل يشك عاقل بزواله بذهاب الشباب و مجيء الشيب و بالموت الذى لا بد أن تذوقه كل نفس؟ فانظر إلى الوجوه الجميله و الأبدان الناعمه، كيف تمزقت فى التراب و انتنت فى القبور، بحيث استقدرتها الطباع على أنه لو نظر نظر العقلاء فى باطنه عند اتصافه بغايه جماله، لرأى من الفضائح ما يكدر عليه العجب و التعزز به، فإنه و كلت إليه (۲) الأقدار فى جميع أجزائه: (البصاق) فى فمه، (و المخاط) فى أنفه، (و الوسخ) فى أذنه، (و التتن) تحت إبطه، (و الصديد) تحت بشرته، (و الفضلات) فى معدته، (و الرجيع) فى أمعائه، (و الديدان) فى أحشائه، (و البول) فى مثانته، (و الصفراء) فى مرارته، يتردد إلى الخلاء كل يوم مرتين، و يغسل الغائط كل يوم بيده مرتين، يخرج من باطنه ما لو رآه بعينه لاستقدره فضلاً أن يمسه أو يشمه. و فى أول أمره خلق من الأقدار الشنيعه الصور، من النطفه و دم الحيض، و خرج من مجارى الأقدار، أعنى الصلب و الذكر و الرحم و الفرج. و لو ترك نفسه فى حياته يوماً لم يتعهده بال غسل و التنظيف، لثارت منه الأنتان و الأقدار، و صار أقدر و أنتن من الدواب المهمله. هذا أوله و وسطه، و سيموت فيصير جيفه أقدر من سائر الأقدار. فما للعاقل أن يعجب و يتعزز بهيته حاصله لبدن هذه حقيقته.

### و أما (العجب بالمال):

فهو عجب بأمر خارج عن ذات الإنسان، فهو أقبح أنواع العجب. و علاجه أن يتفكر فى آفات المال، و كونه فى معرض

ص: ۳۷۵

۱- ۱) معنى البيت: (لا تغتر بمالك و جمالك، فإن ذاك يذهب بلبه و هذا بحمي واحده).

۲- ۲) و فى النسخ: «و كل به»، و رجحنا ما أثبتناه.



الفناء و الزوال، من الغضب و النهب و الحرق و الغرق، و غير ذلك من الآفات السماويه و الأرضيه، و يتذكر أن في اليهود و الهند و من يزيد عليه في المال.

و أف لشرف يسبقه اليهود و الهند! و أف لشرف يأخذه السارق في لحظه فيعود صاحبه ذليلاً مفلساً!! و يتذكر ما ورد في ذم المال و حقاره الأغنياء، و في فضيله الفقر و شرافه الفقراء، و سبقهم إلى الجنه في القيامه، و ما ورد في عقوبه المعجب بالمال بخصوصه،

كقوله -صلى الله عليه و آله و سلم-: «بينما رجل يتبختر في حله له قد أعجبتة نفسه، إذ أمر الله الأرض فأخذته، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامه» (١)، أشار به إلى عقوبه إعجابه بماله و نفسه و كيف يتصور المؤمن العاقل أن يعجب بالمال و يفرح به، مع كثره حقوقه و عظم غوائله، و إيجابه المؤاخذه و طول المحاسبه في القيامه، و العقوبه و النكال إن كان حراماً، و انحطاط المرتبه و الدرجه إن كان حلالاً، بل ينبغي له ألا يخلو ساعه عن الخوف من تقصيره، في القيام بحقوقه، و أخذه من حله، و وضعه في حقه.

### و أما (العجب بالقوه و شدة البطش):

فعلاجه أن يتذكر ما سلط عليه من العلل و الأمراض، و أن حمى يوم تضعف قوته و يتحلل منها ما لا ينجبر في مده، و أنه لو وجع عرق واحد من بدنه صار أعجز من كل عاجز و أذل من كل ذليل، و أنه لو سلبه الذباب شيئاً لم يستنقذه منه. و أن بقه لو دخلت في أنفه أو نمله دخلت في أذنه لقتلته، و أن شوكة لو دخلت في رجله لأعجزته. ثم أقوى إنسان لا يكون أقوى من حمار أو جمل أو فيل أو بقر، و أى عجب و افتخار في صفه يسبقه البهائم فيها، هذا مع أن الغالب أن من يعجب بقوته يسلبها الله تعالى عنه بأدنى آفه يسلمها عليه.

ص: ٣٧٦

## و أما (العجب بالجاه، و المنصب، و ولايه السلاطين، و كثره الأتباع و الأنصار:

من الأولاد و الأقارب و القبائل و العشائر و الخدم و الغلمان):

فعلاجه أن يعلم أن كل ذلك فى معرض الانقطاع، و عن قريب يقع بينه و بينها المفارقة إما بفنائه و موته أو بفنائها و هلاكها، بل العاقل يجدها كسراب بقيعه، و إنما هى خيالات تظن شيئاً و ليست بشىء، و ستفترق عنه إذا مات و دفن فى قبره ذليلاً. مهينا وحده، لا يرافقه أهل و أولاد و لا أعوان و أتباع، فيسلمونه إلى البلاء و إلى العقارب و الحيات و الديدان، و لا يغنون عنه شيئاً، و هو فى أحوج أوقاته إليهم، و كيف يعجب العاقل بمن يفارقه فى أشد أحواله! على أنهم فى الدنيا يتبعونه ما دام يحصل منه ما يشتهونه من البذل و الإعطاء فلا بد له من إيقاع نفسه فى المهالك و تعرضه لسخط الله و عقوبته، لتحصيل الأموال من الوجوه المحرمة و صرفها إليهم، ليستمروا على متابعتة و إعانتة، و لو نقص شىء مما يتمنونه تعرضوا لمقتته و عداوته، فضلاً عن بقائهم على حمايته و إطاعته. ثم المعجب بتمكين السلطان و ولايته بناء أمره على قلب هو أشد غليانا من القدر، إذ لو تغير عليه كان أذل الخلق.

## و أما (العجب بالعقل و الكياسه و التفطن لدقائق الأمور):

فعلاجه أن يعلم أن ذلك يزول عنه بأدنى مرض يصيب دماغه، و ربما زال عقله دفعه.

مع أنه إن كان فى الواقع فطنا كيسا فى الأمور يلزم عليه أن يشكر الله تعالى على ذلك، و يستصغر (1) عقله و فطانتة، ليبقى الله تعالى عليه تلك النعمة و لا يسلبها عنه لأجل عجبه.

## و أما (العجب بالرأى الخطأ الذى يزين له بجهله):

فهو أقبح أنواع العجب، إذ جميع أهل البدع و الضلال و الفرق الذين اختاروا مذاهب باطله

ص: ٣٧٧

١- ١) فى النسخ: «يستغفر»، فرجنا ما أثبتناه.

و آراء فاسده إنما أصروا عليها لعجبهم بها، و لذا يفتخرون بمذاهبهم على غيرهم، و بذلك هلكت الأمم إذا افتقرت فرقا، و كل معجب برأيه، و:

كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ

(١)

فكل من استحسن ما يسوقه إليه الهوى و الشبهه-مع ظن كونه حقا- يكون له هذا العجب،

و قد أخبر رسول الله-صلى الله عليه و آله و سلم-: «أن ذلك يغلب على آخر هذه الأمة». و علاجه أشد من علاج غيره، لأن صاحب الرأى الخطأ جاهل بخطئه، و لو عرفه لتركه. و لا يعالج الداء الذى لا يعرف إذ العارف يقدر على أن يبين للجاهل جهله و يزيله عنه إذا لم يكن معجبا برأيه و جهله، و إذا كان معجبا به يتهمه و لا يصغى إليه حتى يعالجه، فقد سلطت عليه بليه تهلكه و هو يظن أنها نعمه. و كيف يطلب الهرب مما يعتقد أنه سبب سعادته! و إنما علاجه فى الجملة أن يكون متهما لرأيه لا يعتر به، إلا أن يشهد له قاطع عقلى أو نقلى لا يعتر به ريب و شبهه.

و معرفه أدله الشرع و العقل و شروطها و مكان الغلط فيها موقوفه على عقل ثابت، و قريحه تامه مستقيمه، مع جد و تشمير فى الطلب، و ممارسه الكتاب و السنه، و مجالسه أهل العلم و مدارسه العلوم طول العمر، و مع ذلك لا يؤمن عليه الغلط. فالصواب للكل-إلا من أیده الله بقوه قدسيه يتمكن بها من الخوض فى غمرات العلوم-ألا يخوض فى المذاهب الباطله و لا يصغى إليها، و يتبع أهل الوحى فيما جاءوا به من عند الله فى الأصول و الفروع.

ص: ٣٧٨

١- ١) المؤمنون، الآية: ٥٣.

ضد العجب انكسار النفس و استحقارها و كونها فى نظره ذليله مهينه.

و كما أن العجب مجرد استعظام النفس من دون اعتبار استصغار الغير معه، فكذا ضده مجرد استحقار النفس من دون اشتراط إعظام الغير معه، إذ الأول مع اعتبار الثانى تكبر، والثالث مع اشتراط الرابع تواضع، وهما ضدان.

ثم لا ريب فى فوائد انكسار النفس و استصغارها، و كل من بلغ مرتبه عظيمه فإنما بلغ بهذه الصفه، لأن الله تعالى عند المنكسره قلوبهم،

و قال رسول الله -صلى الله عليه و آله و سلم-: «ما من أحد إلا - و معه ملكان و عليه حكمه (١) يمسكانها، فإن هو رفع نفسه جذباها (٢) ثم قال: اللهم ضعه، و إن وضع نفسه قال: اللهم ارفعه» (٣).

و روى: «أنه أوحى الله تعالى إلى موسى (ع): أن يا موسى! أتدرى لم اصطفيتك بكلامى دون خلقى؟ قال: يا رب! ولم ذلك؟ فأوحى الله تبارك و تعالى إليه: أنى قلبت عبادى ظهرا لبطن، فلم أجد فيهم أحدا أذل نفسا لى منك، يا موسى! إنك إذا صليت وضعت خدك على التراب».

و روى: «أنه لما أوحى الله تعالى إلى الجبال: أنى واضع سفينه نوح عندى على جبل منكن، فتطاوت و شمخت، و تواضع الجودى، و هو جبل عندكم، فضربت السفينه بجؤجؤها الجبل، فقال نوح عند ذلك: (يا مارى اتقن) و هو بالسريانيه: رب أصلح» (٤)

ص: ٣٧٩

١-١) الحكمه بالتحريك: ما أحاط بحنكى الفرس من لجامه.

٢-٢) بمعنى جذباها.

٣-٣) صححنا الحديث على ما فى احياء العلوم -ج ٢ ص ٣٢٩-.

٤-٤) هذا الحديث و ما قبله رواهما الكافى فى باب التواضع. فصححناهما عليه

## الكبر

و قد عرفت: أنه الركون إلى رؤيه النفس فوق الغير، و بعبارة أوضح:

هو عزه و تعظيم يوجب رؤيه النفس فوق الغير و اعتقاد المزيه و الرجحان عليه، فهو يستدعى متكبرا عليه. و به ينفصل عن العجب، إذ العجب مجرد استعظام النفس من دون اعتبار رؤيتها فوق الغير، فالعجب سبب الكبر و الكبر من نتائجه.

ثم الكبر- أى العزه الموجه لرؤيه النفس فوق الغير- هو خلق الباطن يقتضى أعمالا فى الظاهر هى ثمراته، و تسمى تلك الأعمال الظاهره الصادره منه تكبرا، و لذا من تعزز و رأى نفسه باطنا فوق الغير، من دون صدور فعل على جوارحه، يقال له (كبر)، و إذا ظهرت الأعمال يقال له (تكبر) و هذه الأعمال الظاهره التى هى ثمرات خلق الكبر أفعال و أقوال توجب تحقير الغير و الإضرار به، كالترفع عن مؤاكلته و مجالسته، و الاستنكاف عن مرافقته و مصاحبته، و إبعاده عن نفسه، و إباءه عن الجلوس بجانبه، و انتظاره أن يسلم عليه، و توقعه أن يقوم ماثلا بين يديه، و الاستنكاف من قبول وعظه، و تعنيفه فى إرشاده و نصحه، و تقدمه عليه فى المحافل و الطرقات، و عدم الالتفات إليه فى المحاورات، و توقع التقديم عليه فى كل ما يدل على التعظيم عرفا. و بالجمله، الأعمال الصادره عن الكبر كثيره، و لا- حاجه إلى إحصائها، لكونها مشهوره معروفه، و من جملتها الاختيال فى المشى و جر الثياب، إذ فاعلهما يرى نفسه فوق الأكثر و يقصد بهما استحقارهم، فهما يقتضيان متكبرا عليه، فيكونان من أنواع التكبر، و ما ورد فى ذمهما يدل

أيضا على ذمه، كما يأتي. وهذه الأفعال المعبر عنها بالتكبر قد تصدر عن الحقد أو الحسد أو الرياء، وإن لم تكن في النفس عزه و تعظم.

## فصل (دم الكبر)

الكبر آفة عظيمه و غائلته هائله، و به هلك خواص الأنام فضلا عن غيرهم من العوام، و هو الحجاب الأعظم للوصول إلى أخلاق المؤمنين، إذ فيه عز يمنع عن التواضع، و كظم الغيظ، و قبول النصيح، و الدوام على الصدق، و ترك الغضب و الحقد و الحسد و الغيبه و الإزراء بالناس، و غير ذلك. فما من خلق مذموم إلا و صاحب الكبر مضطر إليه، ليحفظ به عزه، و ما من خلق محمود إلا و هو عاجز عنه. خوفا من فوات عزه. و لذا ورد في ذمه ما ورد من الآيات و الأخبار، قال الله سبحانه:

كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ

(١)

و قال: سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ (٢). و قال:

و الْمَلَائِكَةُ بَاسُطُوا أَيْدِيَهُمْ أخرجوا أَنفُسَكُمْ... إلى قوله: وَ كُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٣). و قال: أَدْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ (٤).

و قال: فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُّنْكَرَةٌ وَ هُمْ

ص: ٣٨١

١-١ (١) غافر، الآية: ٣٥.

٢-٣ (٣) الأنعام، الآية ٩٣.

٣-٢ (٢) الأعراف، الآية: ١٤٦.

٤-٤ (٤) الزمر، الآية: ٧٢.

و قال: إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٢). و قال: إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ (٣).

و قال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبه من خردل من كبر» (٤)،

و قال: «من تعظم في نفسه و اختال في مشيئته، لقي الله و هو عليه غضبان».

و قال -صلى الله عليه وآله وسلم-: «لا ينظر الله إلى رجل يجز إزاره بطرا».

و قال -صلى الله عليه وآله وسلم-: «قال الله الكبرياء ردائي و العظمه إزارى، فمن نازعنى فى واحد منهما ألقيته فى جهنم» .

و قال -صلى الله عليه وآله وسلم-: «لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب فى الجبارين، فيصيبه ما أصابهم من العذاب».

و قال -صلى الله عليه وآله وسلم-: «يخرج من النار عنق له أذنان تسمعان و عينان تبصران و لسان ينطق، يقول و كلت بثلاثه، بكل جبار عنيد، و بكل من دعا مع الله إلها آخر، و بالمصورين».

و قال -صلى الله عليه وآله وسلم-: «لا يدخل الجنة جبار، و لا بخيل، و لا سىء الملكه».

و قال -صلى الله عليه وآله وسلم-: «ثلاثه لا يكلمهم الله و لا ينظر إليهم يوم القيامة، و لا يزيكهم و لهم عذاب أليم: شيخ زان، و ملك جبار، و مقل مختال».

و قال -صلى الله عليه وآله وسلم-: «بئس العبد عبد تجبر و اعتدى و نسى

١-١ (١) النحل، الآية: ٢٣.

٢-٢ (٢) غافر، الآية: ٦٠.

٣-٣ (٣) غافر، الآية: ٥٦.

٤-٤ (٤) روى الحديث فى الكافى عن أحد الصادقين -عليهما السلام- فى باب الكبر، و جاء فيه هكذا: «الكبر» بتعريف كبر..

الجبار الأعلى، بئس العبد عبد تبختر و اختال و نسي الكبير المتعال، و بئس العبد عبد غفل و سها و نسي المقابر و البلى، بئس العبد عبد عتا و بغى و نسي المبدأ و المنتهى».

□  
و قال-صلى الله عليه و آله و سلم-: «ألا أخبركم بأهل النار: كل عتل جواظ جعظرى متكبر» (١).

□  
و قال-صلى الله عليه و آله و سلم-: «إن أبغضكم إلينا و أبعدكم منا فى الآخرة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون»: أى المتكبرون.

□  
و قال-صلى الله عليه و آله و سلم-: «يحشر المتكبرون يوم القيامة فى مثل صور الذر، تطأهم الناس ذرا فى مثل صور الرجال، يعلوهم كل شىء من الصغار، ثم يساقون إلى سجن فى جهنم يقال له (يولس)، تلوهم نار شر أنيار (٢)، يسقون من طينه الخبال و عصاره أهل النار».

□  
و قال-صلى الله عليه و آله و سلم-: يحشر الجبارون و المتكبرون يوم القيامة فى صور الذر تطأهم الناس لهوانهم على الله تعالى»،

□  
و قال «ان فى جهنم واديا يقال له (ههب)، حق على الله أن يسكنه كل جبار»،

و قال:

«إن فى النار قصرا يجعل فيه المتكبرون و يطبق عليهم»،

□  
و قال: «إذا مشت أمتى المطيطاء و خدمتهم (فارس) و (الروم) سلط الله بعضهم على بعض»، و المطيطاء: مشيه فيها اختيال.

و قال عيسى بن مريم: «كما أن الزرع ينبت فى السهل و لا ينبت على الصفاء، كذلك الحكمة تعمر فى قلب المتواضع و لا تعمر فى قلب المتكبر، ألا ترون أنه من يتشمخ برأسه إلى السقف شجه، و من يطأطئ أظله و أكنه».

و لما حضرت نوحا الوفاء، دعا ابنه فقال:

ص: ٣٨٣

---

(١-١) صححنا الحديث على كثر العمال-ج ٢ ص ١٠٧-و الجواظ: المتكبر الجافى، و الجعظرى: اللفظ الغليظ.

(٢-٢) كذا فى النسخ. و فى نسخه احياء العلوم-ج ٢ ص ٢٩٠-: (نار الأنيار)، و لم نعثر على جمع نار على أنيار، و إنما من جملة مجموعها (نيار).



«إني أمر كما باثنتين و أنها كما عن اثنتين: أنها كما عن الشرك و الكبر و أمر كما بلا إله إلا الله و سبحان الله و بحمده».

و قال سليمان بن داود يوما للطير و الجن و الإنس و البهائم: «أخرجوا، فخرجوا في مائتي ألف من الإنس و مائتي ألف من الجن، فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السماوات، ثم خفض حتى مست أقدامه البحر، فسمع صوتا يقول: لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذره من كبر لخسفت به أبعد مما رفعته.

و قال الباقر (ع): «الكبر رداء الله، و المتكبر ينازع الله رداءه»،

و قال: «العز رداء الله و الكبر إزاره، فمن تناول شيئا منه أكبه الله في جهنم

و قال الصادق (ع): «إن في جهنم لواديا للمتكبرين يقال له (سقر) شكى إلى الله شدة حره و سأله أن يأذن له أن يتنفس، فتنفس فاحرق جهنم».

و قال (ع): «إن المتكبرين يجعلون في صور الذر، يتوطأهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب».

و قال (ع): ما من رجل تكبر أو تجبر إلا لذله وجدها في نفسه،

و قال (ع): «إن في السماء ملائكة موكلين بالعباد، فمن تواضع رفعاه، و من تكبر وضعاه».

و قال (ع): «الجبار الملعون من غمض الناس و جهل الحق»، قال الراوى، أما الحق فلا أجهله، و الغمض لا أدري ما هو قال: «من حقر الناس و تجبر عليهم فذلك الجبار».

و قال (ع): «ما من عبد إلا و في رأسه حكمه و ملك بمسكها، فإذا تكبر قال له: اتضع وضعك الله، فلا يزال أعظم الناس في نفسه و أصغر الناس في أعين الناس، و إذا تواضع رفعها الله - عز و جل - ثم قال له: انتعش نعشك الله، فلا يزال أصغر الناس في نفسه و أرفع الناس في أعين الناس».

## فصل (التكبر على الله و على الناس)

التكبر قد يكون على الله، كما كان لنمرود و فرعون، و سببه الطغيان و محض الجهل، و هو أفحش أنواع الكبر، إذ هو أعظم أفراد الكفر، و لذا تكررت في ذمه الآيات، كقوله تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ

(١)

و قوله: وَ مَنْ يَسْتَكْبِرْ عَنْ عِبَادَتِي وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (٢). و قوله: تَعَالَى: تَمْ لَنْزَعَنَّ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ أَيْهَمَّ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا (٣) و قوله: فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٤).

و قد يكون على الرسل من حيث تعزز النفس و ترفعها عن انقيادهم، كما كان لمن يقول:

أَهْؤَلَاءِ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا

(٥)

و لمن يقول:

أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا

(٦)

إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ

ص: ٣٨٥

١-١) غافر، الآية: ٦٠.

٢-٤) النحل، الآية: ٢٣.

٣-٢) النساء، الآية: ١٧٢.

٤-٥) الانعام، الآية: ٥٣.

٥-٣) مريم، الآية: ٦٩.

٦-٦) المؤمنون، الآية: ٤٧.

. وَ لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلُكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ (٢). و لمن قال: لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَ عَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا (٣).

و هذا فى الشناعه قريب من التكبر على الله، و إن كان دونه.

و قد يكون على العباد بأن يستعظم نفسه و يستصغرهم، و هذا و إن كان دون الأولين، إلا أنه من المهلكات العظيمه، من حيث إنه يؤدى إلى مخالفة الله سبحانه، إذ صاحبه إذا سمع من عبد استتكف من قبوله و اشمأز بجحده، و من حيث إن العز و العظمه و العلى لا يليق إلا بالعلى الأعلى، فمهما تكبر العبد نازع الله فى صفه من صفاته،

و لذا قال الله سبحانه: «العظمه إزارى و الكبرياء ردائى، فمن نازعنى فيهما تصمته».

### فصل (درجات الكبر)

للكبر درجات ثلاث:

(الأولى) أن يكون مستقرا فى قلبه، يرى نفسه خيرا من غيره، و يظهره فى أفعاله: بالرفع فى المجالس، و التقدم على الأقران، و أن يصغر خده للناس كأنه معرض عنهم، و يعبس وجهه، و يقطب جبينه. و فى أقواله:

ص: ٣٨٦

١-١) إبراهيم، الآية ١٠.

٢-٢) المؤمنون، الآية: ٣٤.

٣-٣) الفرقان، الآية: ٢١.

بإظهار الإنكار على من يقصر فيما يتوقعه، من التعظيم، وإبداء الدعوى، و المفاخره و المباحاه، و تزكيه النفس، و التشمير لغلبه الغير فى العلم و العمل، و هذه الدرجه أقبح الدرجات و أشدها، إذ صاحبها قد رسخت فى قلبه شجره الكبر و ارتفعت أغصانها و فروعها، بحيث أحاطت على جميع جوارحه.

### **(الثانيه) كالأولى، إلا فى إظهاره على اللسان،**

و هى دون الأولى، لكونها أقل أغصانا منها.

### **(الثالثه) ان يكون مستقرا فى قلبه**

بحيث رأى نفسه خيرا من غيره، إلا أنه يجتهد فى التواضع، و يفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه. و هذا و إن رسخت فى قلبه شجره الكبر، إلا أنه قطع أغصانها بالكليه، فإن كان مع ذلك منكرا على نفسه فيما رسخ فيها، و مغضبا عليها و متشمرا لإزالتها إلا أنه لم يقدر على دفعه بسرعه و سهوله، و تميل النفس إلى ما تشتهيه فى بعض الأحيان بدون اختيار، و لكنه كان فى مقام المجاهده، فلعله لم يكن عليه كثير إثم، و مثله يوفقه الله للوصول إلى ما يطلبه بمقتضى وعده.

### **فصل (علاج الكبر علما و عملا)**

الكبر كالعجب فى كيفية العلاج- إجمالا- و تفصيلا، إذ الكبر لما تظمن معنى العجب- أى استعظام النفس- و كان العجب منشأ له، فما ذكر لعلاج مطلق العجب هو العلاج لمطلق الكبر أيضا. و لكن ما به الكبر- أعنى بواعثه- هى بواعث العجب بعينها، فما ذكر لعلاج العجب بالواعث المذكوره مشترك بينهما.

و من المعالجات المختصه بالكبر: أن يتذكر ما ورد فى ذمه من الآيات

و الأخبار المذكوره و غيرها، و يتأمل فيما ورد في مدح ضده-أعنى التواضع كما يأتي. و لكون الكبر مشتملا على شىء زائد على العجب هو رؤيه النفس فوق الغير، فينبغى أن يعلم أن الحكم بخيريه نفسه من الغير غايه الجهل و السفاهه، فلعل في الغير من خفايا الأخلاق الكريمه ما ينجيه، و فيه من الملكات الذميه ما يهلكه و يرديه. و كيف يجتهد صاحب البصيره أن يرجح نفسه على الغير، مع إبهام الخاتمه و خفاء الأخلاق الباطنه و اشتراك الكل في الانتساب إلى الله تعالى، و في صدورها و ترشحها منه و معلوليتها و لازميتها له، فالواقف بخطر الخاتمه و إناطه النجاه و الهلاك بالواطن لا يرى لنفسه مزيه على غيره، و العارف بكون كل فرد من أفراد الموجودات أثرا من آثار ذاته و لمعه من لمعات أنوار صفاته، بل رشحه من رشحات فضله و جوده و قطره من قطرات تيار فيض وجوده، لا ينظر إلى أحد بنظر السوء و العداوه، بل يشاهد الكل بعين الخيره و المحبه.

## اشكال و حل

(فيان قيل): كيف يحسن أن يتواضع العالم الورع للجاهل الفاسق و يراه خيرا من نفسه، مع ظهور جهله و فسقه، و قطعه باتصاف نفسه بالعلم و الورع و خلوه عنهما؟ و كيف يجوز له أن يحب فاسقا أو كافرا أو مبتدعا و يتواضع له و لا يعاديه، مع أنه مبغوض عند الله، فيكون مأمورا ببغضه، و الجمع بين الحب و التواضع و بين البغض جمع بين النقيضين؟ (أجبنا) عن (الأول) بأن حقيقه التواضع ألا يرى النفس لذاتها مزيه واقعيه و خيريه حقيقه على الغير، لا ألا يرى مزيه لذاتها عليه في الصفات الظاهره التي يجزم باتصاف نفسه بها و عدم اتصافه بها، كالعلم و العباده و السخاوه و العداله و الاجتناب عن الأموال المحرمه و غير ذلك، إذ العالم ببعض

العلوم لا- يمكنه أن يدفع عن نفسه القطع بكونه عالما بها و كون فلان العامى غير عالم بها. لكن المزيه الواقعيه و الخيريه النفس الآمريه إنما هو بالتقرب إلى الله و الوصول إلى السعاده الدائميه، و لا شك في أن ذلك لا يحصل بمجرد تعلم بعض العلوم و المواظبه على بعض العبادات أو غير ذلك من الصفات المحموده، بل المناط فيه حسن الخاتمته، و هو أمر مبهم، إذ العواقب مطويه عن العباد، فيمكن أن يسلم الكافر و يختم له بالإيمان و يضل هذا العالم الورع و يختم له بالكفر، فعلى كل عبد إن رأى من هو شرا منه ظاهرا أن يقول:

لعل هذا ينجو و أهلك أنا، فلا يراه شرا من نفسه في الواقع خائفا من العاقبه و يقول: لعل بر هذا باطن، بأن يكون فيه خلق كريم بينه و بين الله فيرحمه الله و يتوب عليه و يختم له بأحسن الأعمال، و يرى ظاهرا لا- آمن أن تدخله الآفات فتجبطه. و بالجملة: ملاحظه الخاتمته و السابقه و العلم بأن الكمال في القرب من الله و سعاده الآخره دون ما يظهر في الدنيا من الأعمال الظاهره- يوجب نفى الكبر و التواضع لكل أحد.

و عن (الثاني) أن الحب ينبغى أن يكون لأجل النسبه الشريفه المذكوره و التواضع لأجل ملاحظه الخاتمته، و بغضه و غضبه عليه لأجل ما ظهر منه من الكفر و الفسوق. و أى منافاه بين الغضب لله في صدور معصيه من عبد، و بين عدم الكبر و الإذلال؟ إذ الغضب إنما هو لله لا لنفسك، إذ أمرك بأن تغضب عند مشاهدته المنكر، و التواضع و عدم الكبر إنما هو بالنظر إلى نفسك، بألا ترى نفسك ناجيا و صاحبك هالكا في حال غضبك عليه لأمر الله، بل يكون خوفك على نفسك مما علم الله من خفايا ذنوبك أكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمته، فليس من ضروره الغضب و البغض لله أن تتكبر على المغضوب عليه، و ترى قدرك فوق قدره.

و مثال ذلك. أن يكون لمملك غلام و ولد، و قد وكل الملك الغلام على ولده بأن يراقبه و يضربه مهما ساء أدبه، و يغضب عليه إذا اشتغل بما لا- يليق به، فإن كان الغلام مطيعا محبا لمولاه يغضب عليه إذا ساء أدبه امتثالا لأمر مولاه، و مع ذلك يحبه لانتسابه إلى مولاه بالولادة، و لا يتكبر عليه و يتواضع له، و يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه، لأن الولد أعز لا محاله من الغلام.

### تذنيب (العلاج العملي للكبر)

□  
ما ذكرناه لعلاج الكبر إنما هو العلاج العلمي، و أما (العلاج العملي) فهو أن يتواضع بالفعل لله و لسائر الخلق، و يواظب على أخلاق المتواضعين، و يكلف نفسه على ذلك إلى أن تقطع عن قلبه شجره الكبر بأصولها و فروعها، و يصير التواضع ملكه له. و للقطع الكلي و حصول ملكه التواضع امتحانات يعرفان بها، فلا- بد أن يمتحن نفسه بها حتى يطمئن بأنه متواضع، إذ النفس قد تضمّر التواضع و تدعى البراءة من الكبر، فإذا وقعت الواقعة عادت إلى طبعها و نسيت وعدها:

### (الأول) ان يناظر مع أقرانه في بعض المسائل،

فإذا ظهر شيء من الحق على لسانهم، فإن اعترف به مع السرور و الاهتزاز و الشكر لهم لتنيبهم إياه على ما غفل عنه فهو علامه التواضع، و إن ثقل عليه القبول و الاعتراف و لم يسر بظهور الحق على لسانه فهو دليل بقاء الكبر بعد. فليعالجه من حيث العلم بأن يتذكر سوء عاقبته و خسه نفسه و خباثتها، من حيث إن قبول الحق يثقل عليها، و من حيث العلم بأن يكلف نفسه على ما يثقل عليها من الاعتراف بالحق و إطلاق اللسان بالثناء و الشكر، و الإقرار على نفسه بالعجز و القصور، و يقول: ما أحسن فطانتك! لقد أرشدتني إلى الحق، فجزاك الله خيرا، فإذا

واظب على ذلك مراتب متواليه، صار ذلك له طبعاً، وسقط ثقل الحق عن قلبه و طاب له قبوله، وإن لم يثقل عليه في الخلوه و ثقل عليه في الملاء، فليس فيه كبر، بل فيه رياء، فليعالج بما يأتي في معالجه الرياء.

### (الثانى) ان يقدم الأقران و الأمثال على نفسه فى المحافل،

و يمشى خلفهم فى الطرق، فإن لم يثقل ذلك عليه فهو متواضع، و إلا فمتكبر، فليقدمهم بالتكلف، و يجلس تحتهم، و يظهر السرور و الارتياح بذلك، حتى يسقط عنه ثقله.

□  
قال أبو عبد الله الصادق(ع): «إن من التواضع أن يجلس الرجل دون شرفه».

و قال(ع): «من التواضع أن ترضى بالمجلس دون المجلس، و أن تسلم على من تلقى، و أن تترك المراء و إن كنت محقاً، و لا تحب أن تحمد على التقوى». و من المتكبرين من إذا لم يجد مكاناً فى الصدر يجلس فى صف النعال، أو يجعل بينه و بين الأقران بعض الأراذل و لا يجلس تحتهم و غرضهم من ذلك استحقار الأقران أو إيهام أن تركهم للصدر إنما هو بالفضل، فهو أشد أنواع التكبر.

### (الثالث) أن يجيب دعوه الفقير،

و يمر إلى السوق فى حاجه الرفقاء و الأقارب، و يحمل حاجتهم و حاجه نفسه منه إلى البيت، فإن لم يثقل عليه ذلك فى الخلوه و الملاء فليس فيه كبر و رياء، و إن ثقل عليه فيهما ففيه كبر و رياء، و إن ثقل عليه عند مشاهدته، الناس دون الخلوه ففيه رياء دون الكبر.

قال أمير المؤمنين(ع): «لا ينقص الرجل الكامل من كماله ما حمل من شىء إلى عياله».

و روى: «أنه اشترى لحماً بدرهم فحمله فى ملحفته، فقال له بعضهم احمل عنك يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا! أبو العيال أحق أن يحمل».

و روى:

«أن الصادق(ع): نظر إلى رجل من أهل المدينة قد اشترى لعياله شيئاً و هو يحمله. فلما رآه الرجل استحيى منه، فقال له أبو عبد الله(ع): اشتريته



لعياالك و حملته إليهم، أما و الله لو لا أهل المدينه لأحبيت أن اشترى لعياالى الشىء ثم أحمله إليهم».

#### (الرابع) ان يلبس ثيابا بذله،

فإن لم يثقل عليه ذلك أصلا فليس فيه كبر و رياء، و إلا كان متكبيرا أو مرائيا،

قال رسول الله -صلى الله عليه و آله و سلم-: «من اعتقل البعير و لبس الصوف فقد برىء من الكبر».

و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-: «إنما أنا عبد آكل فى الأرض، و ألبس الصوف، و أعقل البعير، و ألعق أصابعى، و أجيء دعوه المملوك، فمن رغب عن سنتى فليس منى» و قيل لسلمان: لم لا تلبس ثوبا جديدا؟ فقال:

«إنما أنا عبد، فإذا اعتقت يوما لبست جديدا»: أشار به إلى العتق فى الآخرة.

و قال رسول الله -صلى الله عليه و آله و سلم- البذاذه- أى الدون من اللباس- من الإيمان».

و عوتب أمير المؤمنين -عليه السلام- فى إزار مرقوع، فقال: «يقتدى به المؤمن و تخشع له القلوب».

#### (الخامس) أن يأكل مع خدامه و غلمانه،

فإن لم يثقل عليه فهو متواضع و إلا فمتكبر.

و روى رجل من أهل بلخ، قال: كنت مع الرضا (ع) فى سفره إلى خراسان، فدعا يوما بمائده، فجمع عليها مواليه من السودان و غيرهم، فقلت: جعلت فداك! لو عزلت لهؤلاء مائده، فقال (ع): إن الرب تعالى واحد، و الدين واحد، و الأم واحد، و الأب واحد، و الجزاء بالأعمال».

و الامتحانات لبقاء الكبر ليست منحصره بما ذكر، بل هى كثيره:

كأن يحب قيام الناس له أو بين يديه،

قال أمير المؤمنين (ع): «من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى رجل قاعد و بين يديه قوم قيام».

و قال بعض الصحابه: «لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله.

و كانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك».

و أن يحب أن يمشى خلفه غيره،

و قد روى «أنه لا يزال العبد يزداد من الله بعد ما مشى خلفه». و كان رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- فى بعض الأوقات يمشى مع بعض الأصحاب، فبأمرهم بالتقدم و يمشى فى غمارهم.

و ألا يزور غيره، و إن كان فى زيارته فائده دينيه. و أن يستكف من مجالسه الفقراء و المعلولين و المرضى.

روى أنه دخل على رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- و عليه جدرى قد تقشر، و عنده ناس من أصحابه يأكلون، فما جلس عند أحد إلا قام من جنبه. فأجلسه النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- إلى جنبه.

و كان -صلى الله عليه وآله وسلم- فى نفر من أصحابه يأكلون فى بيته، إذ دخل عليهم رجل به زمانه تنكره الناس لأجلها فأجلسه رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- و قال له: «اطعم»، و كأن رجلا من قریش اشماز منه و تكره، فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانه مثلها.

و مر سيد الساجدين -عليه السلام- على المجذومين (1) و هو راكب حماره، و هم يتغدون، فدعوه إلى الغداء، فقال: «أما إنى لو لا أنى صائم لفعلت»، فلما صار إلى منزله أمر بطعام فصنع، و أمر أن يتنوقوا فيه، ثم دعاهم، فتغدوا عنده و تغدى معهم...

و قس على هذه غيرها من الامتحانات.

و لقد كانت سيره رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- جامعاً لجميع ما يمتحن به التواضع، بريئه عن جميع ما يصدر من الكبر من الأفعال و الحركات، فينبغى لكل مؤمن أن يقتدى به.

و قد روى أبو سعيد الخدرى:

«أنه -صلى الله عليه وآله وسلم- كان يعلف الناضح، و يعقل البعير، و يقيم

ص: ٣٩٣

(١-١) و فى بعض نسخ الكافى المصححه فى باب التواضع هكذا: (المجذمين).

البيت، و يحلب الشاه، و يخصف النعل، و يرقع الثوب، و يأكل مع خادمه، و يطحن عنه إذا أعيى، و يشرى الشيء من السوق، و لا يمنعه الحياء أن يعلقه بيده أو يجمله في طرف ثوبه و ينقلب إلى أهله. يصفح الغنى و الفقير و الصغير و الكبير، و يسلم مبتدئا على كل من استقبله من صغير أو كبير أسود أو أحمر حر أو عبد من أهل الصلاة، ليست له حله لمدخله و لا حله لمخرجه، لا يستحيى من أن يجيب إذا دعى، و إن كان أشعث أغبر، و لا يحقر ما دعى إليه و إن لم يجد إلا حشف الرّقل (1)، لا يدفع غداء لعشاء و لا عشاء لغداء.

هين المؤمنه، لين الخلق، كريم الطبعه، جميل المعاشره، طلق الوجه، بساما من غير ضحك محزونا من غير عبوس، شديدا في غير عنف. و متواضعا في غير مذله، جوادا من غير سرف، رحيفا لكل ذى قربي، قريبا من كل ذمى و مسلم، رقيق القلب، دائم الإطراق، لم يبسم قط من شبع، و لا يمد يده إلى طمع». هذا

و قال أبو الحسن -عليهما السلام-: «التواضع: أن تعطى الناس ما تحب أن تعطاه».

و سئل عن حد التواضع الذى إذا فعله العبد كان متواضعا، فقال: «التواضع درجات: منها أن يعرف المرء قدر نفسه، فينزله منزلتها بقلب سليم لا يحب أن يأتى إلى أحد إلا مثل ما يؤتى إليه، إن رأى سيئه درأها بالحسنه، كاظم الغيظ عاف عن الناس، و الله يحب المحسنين».

### وصل (التواضع و مدحه)

قد أشير إلى أن ضد الكبر (التواضع)، و هو انكسار للنفس يمنعها من أن يرى لذاتها مزيه على الغير، و تلزمه أفعال و أقوال موجهه لاستعظام

ص: ٣٩٤

١- ١) فى إحياء العلوم- ج ٣ ص ٣٠٦- هكذا: (الدقل)، و كل من النسختين يصح به المعنى.

الغير و إكرامه، و المواظبه عليها أقوى معالجه لإزاله الكبر. و لا- بد من الإشاره إلى الأخبار الوارده فى مدح التواضع و فوائده، تحريكا للطالين إلى السعى فى تحصيله الموجب لإزاله ضده، و هذه الأخبار كثيره خارجه عن حد الإحصاء، فنكتفى بإيراد بعض منها:

قال رسول الله- صلى الله عليه و آله و سلم- «ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله».

و قال- صلى الله عليه و آله و سلم- «طوبى لمن تواضع فى غير مسكنه، و أنفق مالا- جمعه من غير معصيه، و رحم أهل الذله و المسكنه، و خالط أهل الفقه و الحكمه».

□  
و روى: «أن الله سبحانه أوحى إلى موسى:

إنما أقبل صلاه من تواضع لعظمتى و لم يتعظم على خلقى و ألزم قلبه خوفى و قطع نهاره بذكرى و كف نفسه عن الشهوات من أجلي».

□ □  
و قال رسول الله- صلى الله عليه و آله و سلم- لأصحابه: «ما لى لا- أرى عليكم حلاوه العباده! قالوا: و ما حلاوه العباده؟ قال: التواضع».

□  
و قال- صلى الله عليه و آله و سلم-:

□  
«إذا تواضع العبد رفعه الله إلى السماء السابعة».

□ □  
و قال- صلى الله عليه و آله و سلم-: «إذا هدى الله عبدا الإسلام و حسن صورته و جعله فى موضع غير شائن له و رزقه مع ذلك تواضعا، فذلك من صفوه الله».

□ □  
و قال- صلى الله عليه و آله و سلم- «أربع لا يعطيهن الله إلا من يحبه: الصمت و هو أول العباده، و التوكل على الله، و التواضع، و الزهد فى الدنيا».

□  
و قال- صلى الله عليه و آله و سلم-: «ليعجبني أن يحمل الرجل الشىء فى يده يكون مهنه لأهله يدفع به الكبر عن نفسه».

□ □ □ □  
و قال- صلى الله عليه و آله و سلم-: «من تواضع لله رفعه الله، و من تكبر خفضه الله، و من اقتصد فى معيشه رزقه الله، و من بذر حرمه الله، و من أكثر ذكر الموت أحبه الله، و من أكثر ذكر الله أظله الله فى جنته».

□ □  
و روى: «أنه أتى رسول الله- صلى الله عليه

و آله و سلم-ملك، فقال: إن الله تعالى يخيرك أن تكون عبدا رسولا متواضعا أو ملكا رسولا. فنظر إلى جبرئيل (ع) و أومى بيده أن تواضع، فقال:

عبدا متواضعا رسولا، فقال الرسول-يعنى الملك-: مع أنه لا ينقصك مما عند ربك شيئا.

و قال عيسى بن مريم (ع): «طوبى للمتواضعين فى الدنيا! هم أصحاب المنابر يوم القيامة، طوبى للمصلحين بين الناس فى الدنيا! هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة: طوبى للمطهره قلوبهم فى الدنيا هم الذين ينظرون إلى الله تعالى يوم القيامة».

و قال-صلى الله عليه و آله و سلم- «إن التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة، فتواضعوا برحمتكم الله».

و أوحى الله تعالى إلى داود (ع): «يا داود! كما أن أقرب الناس إلى الله المتواضعين كذلك أبعد الناس من الله المتكبرون».

و روى: «أن سليمان بن داود إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء و الأشراف حتى يجىء إلى المساكين فيقعد معهم، و يقول مسكين مع مساكين».

و روى: «أنه ورد على أمير المؤمنين (ع) أخوان له مؤمنان، أب و ابن، فقام إليهما و أكرمهما و أجلسهما فى صدر مجلسه و جلس بين أيديهما، ثم أمر بطعام فأحضر فأكلا- منه، ثم جاء قنبر بطست و إبريق خشب و منديل، و جاء ليصب على يد الرجل، فوثب أمير المؤمنين و أخذ الإبريق ليصب على يد الرجل، فتمرغ الرجل فى التراب، و قال يا أمير المؤمنين! الله يرانى و أنت تصب على يدي! قال: اقعد و اغسل، فإن الله- عز و جل- يراك و أخوك الذى لا يتميز منك و لا ينفصل عنك يخدمك، يريد بذلك فى خدمته فى الجنة مثل عشره أضعاف عدد أهل الدنيا. فقعد الرجل. و قال له على (ع):

أقسمت عليك بعظيم حقى الذى عرفته لما غسلت مطمئنا كما كنت تغسل لو كان الصاب عليك قنبر، ففعل الرجل ذلك، فلما فرغ ناول الإبريق محمد بن الحنفية، و قال: يا بنى! لو كان هذا الابن حضرنى دون أبيه لصيبت على يده، و لكن الله- عز و جل- يابى أن يسوى بين ابن و أبيه إذا جمعهما مكان،

لكن قد صب الأب على الأب فليصب الابن على الابن، فصب محمد بن الحنفية على الابن» (١).

وقال الصادق (ع): «التواضع أصل كل شرف نفيس و مرتبه رفيعه، و لو كان للتواضع لغه يفهمها الخلق لنطق عن حقائق ما فى مخفيات العواقب.

و التواضع ما يكون لله و فى الله، و ما سواه فكبر. و من تواضع لله شرفه الله على كثير من عباده. و لأهل التواضع سيماء يعرفها أهل السماوات من الملائكة و أهل الأرض من العارفين. قال الله عز و جل.

وَ عَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلِمَاتٍ بِسِيمَاهُمْ

(٢)

و أصل التواضع من إجلال الله و هيئته و عظمته. و ليس لله عز و جل عباده يقبلها و يرضاها إلا و بابها التواضع. و لا يعرف ما فى معنى حقيقه التواضع إلا المقربون من عباده المستقلين بوحدانيته، قال الله عز و جل:

وَ عِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا

(٣)

و قد أمر الله -عز و جل- أعز خلقه و سيد بريته محمدا -صلى الله عليه و آله- بالتواضع، فقال عز و جل:

وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

(٤)

ص: ٣٩٧

١- ١) روى هذا الحديث فى البحار فى الجزء الرابع من المجلد الخامس عشر ص ١٤٩ باب التواضع -عن الاحتجاج و التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (ع).

٢- ٢) الأعراف، الآية: ٤٦.

٣- ٣) الفرقان، الآية: ٦٣.

٤- ٤) الشعراء الآية: ٢١٥.

والتواضع مزرعه الخُضوع و الخشوع و الخشيه و الحياء، و إنهن لا- يأتين إلا- منها و فيها، و لا- يسلم الشرف التام الحقيقى إلا للمتواضع فى ذات الله تعالى (١).

و قال الإمام أبو محمد الحسن بن على العسكرى عليهم السلام:

«أعرف الناس بحقوق أخوانهم و أشدهم قضاء لهم أعظمهم عند الله شأننا، و من تواضع فى الدنيا لإخوانه فهو عند الله من الصديقين و من شيعه على بن أبى طالب-عليه السلام-حقاً» (٢).

### تتميم (الذله)

لما عرفت أن كل فضيله وسط له طرفان مذمومان، فأحد طرفى التواضع (الكبر)- كما عرفت- و هو من طرف الإفراط، و آخرهما (الذله) و التخاسس و هو من طرف التفريط. فكما أن الكبر مذموم، فكذلك المذله و التخاسس أيضا مذموم، إذ كلا طرفى الأمور ذميم، و المحمود: هو التواضع من دون الخروج إلى شىء من الطرفين، إذ أحب الأمور إلى الله أوسطها، و هو أن يعطى كل ذى حق حقه، و هو العدل، فلو وقع فى طرف النقصان فليرفع نفسه إذ ليس للمؤمن أن يذل نفسه، فالعالم إذا دخل عليه إسكاف فخلى له مجلسه و اجلسه فيه، و ترك تعليمه و إفادته، و إذا قام عدا إلى الباب خلفه، فقد تخاسس و تذل، و هو غير محمود، بل هو رذيله فى طرف التفريط. فاللازم إذا وقع فيه أن يرفع نفسه إلى أن يعود إلى الوسط الذى هو الصراط المستقيم فإن العدل أن يتواضع بمثل ما ذكر لا- مثاله و لمن يقرب درجته. فأما تواضعه للسوقى، فبالبشر فى الكلام، و الرفق فى السؤال، و إجابته دعوته، و السعى

ص: ٣٩٨

- ١- ١) روى هذا الحديث فى البحار أيضا فى الموضع المتقدم عن مصباح الشريعه.
- ٢- ٢) هذا الحديث من نفس الحديث المتقدم عن الاحتجاج و التفسير المنسوب إلى الإمام

فى حاجته، و أمثال ذلك، و ألا يرى نفسه خيرا منه، نظرا إلى خطر الخاتمه.

ثم ينبغى ألا يتواضع للمتكبرين، إذ الانكسار و التذلل لمن يتكبر و يتعزز مع كونه من التخاسس و المذله المذمومه يوجب إضلال هذا المتكبر، و تقريره على تكبره، و إذا لم يتواضع له الناس و تكبروا عليه ربما تنبه و ترك التكبر، إذ المتكبر لا يرضى بتحمل المذله و الإهانه من الناس،

و لذا قال رسول الله -صلى الله عليه و آله-: «إذا رأيتم المتواضعين من أمتى فتواضعوا لهم، و إذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم، فإن ذلك لهم مذله و صغار».

**و منها:**

الافتخار

أى المباهاه باللسان بما توهمه كمالا، و الغالب كون المباهاه بالأموال الخارجه عن ذاته، و هو بعض أصناف التكبر- كما أشير إليه- فكل ما ورد فى ذمه يدل على ذمه، و الأسباب الباعثه عليه هى أسباب التكبر. و قد تقدم أن شيئا منها لا يصلح لأن يكون منشأ للافتخار، فهو ناش من محض الجهل و السفاهه.

قال سيد الساجدين (ع): «عجبا للمتكبر الفخور الذى كان بالأمس نطفه ثم (هو) (1) غدا جيفه».

و قال الباقر (ع): «عجبا للمختال الفخور، و إنما خلق من نطفه ثم يعود جيفه، و هو فيما بين ذلك لا يدرى ما يصنع به».

و قال (ع): «صعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم- المنبر يوم فتح مكة، فقال: أيها الناس! إن الله قد أذهب عنكم نخوه الجاهليه و تفاخرها بآبائها، ألا إنكم من آدم و آدم من طين، ألا إن خير عباد الله عبد اتقاه».

و قال له (ع) عقبه بن بشير الأسدى: أنا فى الحسب الضخم عزيز

ص: ٣٩٩

١- ١) فى بعض نسخ الكافى فى باب الفخر و الكبر زياده كلمه (هو).



فى قومى، فقال له: «تمن علينا بحسبك! إن الله تعالى رفع بالإيمان من كان الناس يسمونه وضيعا إذا كان مؤمنا، و وضع بالكفر من كان الناس يسمونه شريفا إذا كان كافرا. فليس لأحد فضل على أحد إلا بتقوى الله».

و قال الصادق (ع): «قال رسول الله -صلى الله عليه و آله و سلم-: آفه الحسب الافتخار و العجب».

و قال (ع)، «أتى رسول الله -صلى الله عليه و آله- رجل، فقال:

يا رسول الله! أنا فلان بن فلان... حتى عد تسعه، فقال رسول الله: أما إنك عاشرهم فى النار!».

و نقل: أن قريشا تفاخروا عند سلمان، فقال: «لكنى خلقت من نطفه قدره ثم أعود جيفه منتنه ثم إلى الميزان، فإن ثقل فأنا كريم و إن خف فأنا لئيم». ثم ضده استحقاره نفسه و ترجيح غيره عليها بالقول.

## و منها:

### البعى

و يسمى البذخ أيضا، و هو صعوبه الانقياد و التابعيه لمن يجب أن ينقاد(له)، و قد فسر بمطلق العلو و الاستطاله، سواء تحقق فى ضمن عدم الانقياد لمن يجب أن ينقاد(له)، أو فى ضمن أحد أفعال الكبر، أو فى ضمن الظلم و التعدى على الغير. و على أى تقدير هو أفحش أنواع الكبر إذ عدم الانقياد لمن يجب أن ينقاد(له) -كالأنبياء و أوصيائهم- يؤدى إلى الكفر الموجب للهلاك الأبدى. و لقد هلك بذلك أكثر طوائف الكفار، كاليهود و النصارى و كفار قريش و غيرهم. و كذا الظلم و التعدى على المسلم و إذ لا له بالمقهوريه و المغلوبيه من المهلكات العظيمه، و لذا ورد فى ذمه ما ورد،

قال رسول الله -صلى الله عليه و آله-: «إن أعجل الشر عقوبه البعى».

و قال -صلى الله عليه و آله و سلم-: «حق على الله عز و جل ألا يبعى شىء على شىء»

إلا أذله الله، ولو أن جبلا بغى على جبل لهد الله الباغي منهما».

□  
□<sup>□</sup>  
وقال أمير المؤمنين (ع): «أيها الناس! إن البغى يقود أصحابه إلى النار. وإن أول من بغى على الله عناق بنت آدم، وأول قتيل قتله الله عناق، وكان مجلسها جريبا في جريب، وكان لها عشرون إصبعا في كل إصبع ظفران مثل المنجلين، فسلط الله عليها أسدا كالفيل، وذئبا كالبعير، ونسرا كالبغل، فقتلنها. وقد قتل الله تعالى الجبابرة على أفضل أحوالهم وآمن ما كانوا».

و قال الصادق (ع):

□  
«يقول إبليس لجنوده: ألقوا بينهم الحسد و البغى فإنهما يعدلان عند الله الشرك».

و كتب (ع) إلى بعض أصحابه: «انظر ألا تكلمن بكلمه بغى أبدا، و إن أعجبتك نفسك و عشيرتك».

و علاجه: أن يتذكر -أولا- هذه الأخبار الواردة في ذمه، و-ثانيا- ما ورد في مدح ضده -أعنى التسليم و الانقياد لمن يلزم إطاعته و تابعيته-

□<sup>□</sup>  
□<sup>□</sup>  
كقولهم -عليهم السلام-: «شيعتنا المسلمون». و الآيات و الاخبار الواردة في وجوب إطاعه الله و إطاعه النبي -صلى الله عليه و آله و سلم- و أولى الأمر، و غيرهم من العلماء و الفقهاء الذين هم نواب الأئمة في زمن الغيبة. و بعد ذلك يكلف نفسه التبعيه و الإطاعه لمن يجب أن يطاع، و يتخضع له قولا و فعلا، حتى يصير ذلك له ملكه.

**و منها:**

تزكيه النفس

أى نفى النقائص عنها، و إثبات الكمالات لها. و هو من نتائج العجب.

و قبحه أظهر من أن يخفى. إذ من عرف حقيقه الإمكان، ثم اطلع على خلق الإنسان، يعلم أنه عين القصور و النقصان، فلا- يطلق بمدح نفسه اللسان.

ص: ٤٠١

على أنه يتضمن بخصوصه قبحا يشهد به الذوق و الوجدان، و لذا

قال أمير المؤمنين (ع): «تركه المرء لنفسه قبيحه». و قد تقدم ما يكفيك لمعرفة حقه الإنسان و حساسته.

ثم ضد التزكية عدم تبرئه نفسه من العيوب و الإقرار بها و إثبات النقائص لها، فإذا كلف نفسه عليه و فعل ذلك مرات متواليه، يصير معتادا له، و يزول عنه ما اعتاده من مدح نفسه.

## و منها:

### العصبيه

و هى السعى فى حمايه نفسه أو ماله إليه نسبه: من الدين، و الأقارب، و العشائر، و أهل البلد، قولاً أو فعلاً: فإن كان ما يحميه و يدفع عنه السوء مما يلزم حفظه و حمايته، و كانت حمايته بالحق من دون خروج من الإنصاف و الوقوع فى ما لا يجوز شرعاً، فهو الغيره الممدوحه التى هى من فضائل قوه الغضب- كما مر-. و إن كان مما يلزم حمايته، أو كانت حمايته بالباطل، بأن يخرج عن الإنصاف و ارتكب ما يحرم شرعاً، فهو التعصب المذموم، و هو من رداءه قوه الغضب.

و إلى ذلك يشير كلام سيد الساجدين (ع) حيث سئل عن العصبيه، فقال: «العصبيه التى يأثم عليها صاحبها: أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين، و ليس من العصبيه أن يحب الرجل قومه، و لكن من العصبيه أن يعين قومه على الظلم».

و الغالب إطلاق العصبيه فى الأخبار على التعصب المذموم، و لذا ورد بها الذم،

□  
كقول النبى- صلى الله عليه و آله و سلم-: «من تعصب أو تعصب له فقد خلع ربق الإيمان من عنقه».

□  
و قوله- صلى الله عليه و آله و سلم-:

«من كان في قلبه حبه من خردل من عصبه بعثه الله يوم القيامة مع أعراب الجاهليه».

و قال السجاد(ع): «لم يدخل الجنه حميه غير حميه حمزه بن عبد المطلب، و ذلك حين أسلم عسبا للنبي -صلى الله عليه و آله-  
في حديث السلى الذى ألقى على النبي -صلى الله عليه و آله-».

و قال الصادق(ع): «إن الملائكة كانوا يحسبون أن إبليس منهم، و كان فى علمه أنه ليس منهم، فاستخرج ما فى نفسه بالحميه و العصب، فقال:

خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ

(١)

**و منها:**

كتمان الحق

و الانحراف عنه. و باعته إما العصبية أو الجبن، فهو من نتائج واحده منهما، فعلى (الأول) يكون من رذائل قوه الغضب من جانب الإفراط، و على (الثانى) يكون من رذائلها من جانب التفريط، و ربما كان الباعث فى بعض أفراد الطمع المالى، إلا أن الظاهر كون الفاعل المباشر النفس مع رداءه قوه الغضب، كما فى نفس الغضب و غيره، إذ ما لم يحصل فى النفس ضعف و فى القوه الغضبيه خمود لم يتحقق كتمان الحق. و يندرج تحته الميل فى الحكم، و كتمان الشهاده، و شهاده الزور، و تصديق المبطل، و تكذيب المحق، و غير ذلك.

و الظواهر الداله على ذمه مطلقا، و على كل واحد من الأصناف المندرجه تحته كثيره، و لا حاجه إلى ذكرها لاشتهارها. و علاج العصبية و كتمان الحق: أن يتذكر -أولا- إيجابهما لسخط الله و مقتته، و ربما تأديا

ص: ٤٠٣

إلى الكفر، و-ثانيا-فوائد ضدهما، أعنى الإنصاف و الاستقامه على الحق.

و بعد ذلك يكلف نفسه على إظهار ما هو الحق و العمل به، و لو بالمشقه الشديده، إلى أن يصير ذلك عاده له، فيزول عن نفسه ما صار لها ملكه من التعصب و كتمان الحق.

### وصل (الإنصاف و الاستقامه على الحق)

لما كان ضدهما الإنصاف و الاستقامه على الحق، فلنشر إلى بعض ما ورد في مدحهما تحريكا للطالبين إلى الأخذ بهما،

قال رسول الله-صلى الله عليه و آله و سلم-: «لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال:

الإنفاق من الاقتار، و الإنصاف من نفسه، و بذل السلام».

و كان-صلى الله عليه و آله-يقول في آخر خطبته: «طوبى لمن طاب خلقه، و طهرت سجيته، و صلحت سريره، و حسنت علانيته، و أنفق الفضل من ماله، و أمسك الفضل من قوله، و أنصف الناس من نفسه».

و قال-صلى الله عليه و آله و سلم-: «سيد الأعمال إنصاف الناس من نفسك...» إلى آخره.

و قال-صلى الله عليه و آله و سلم-: «من واسى الفقير من ماله و أنصف الناس من نفسه، فذلك المؤمن حقا».

و قال-صلى الله عليه و آله و سلم-:

«ثلاث خصال من كن فيه أو واحده منهن كان في ظل عرش الله يوم لا- ظل إلا- ظله: رجل أعطى الناس عن نفسه ما هو سائلهم...» الحديث.

و قال أمير المؤمنين(ع) في كلام له: «ألا إنه من ينصف من نفسه لم يزد الله إلا عزا».

و قال الصادق(ع): «من يضمن لى أربعة بأربعة أبيات في الجنة: أنفق و لا تخف فقرا، و أفش السلام في العالم، و اترك المرء و إن

كنت محقاً، وأنصف الناس من نفسك».

□

وقال (ع): «ألا أخبركم بأشد ما فرض الله على خلقه؟»، فذكر ثلاثة أشياء أولها: (إنصاف الناس من نفسك).

وقال (ع): «من أنصف الناس من نفسه رضى به حكماً لغيره».

وقال (ع): «ما تدارى اثنان فى أمر قط فأعطى أحد النصف صاحبه فلم يقبل منه إلا أدب منه».

□

وقال (ع): «ثلاثة هم أقرب الخلق إلى الله تعالى يوم القيامة حتى يفرغ من الحساب: رجل لم تدعه قدره فى حال غضبه على أن يحيف على من تحت يده، ورجل مشى بين اثنين فلم يمل مع أحدهما على الآخر بعشيرته، ورجل قال بالحق فيما له و عليه».

وقال -عليه السلام-:

□

«إن لله جنه لا يدخلها إلا ثلاثة، أحدهم من حكم فى نفسه بالحق» (١).

**ومنها:**

القساوه

وهى ملكه عدم التأثير عن ألم أبناء النوع. ولا ريب فى كونه ناشئاً من غلبه السبعيه، وأكثر ذمائم الصفات: من الظلم والإيذاء، وعدم إغاثة المظلومين، وعدم مواساه الفقراء والمحتاجين وغير ذلك يترتب عليه. وضده الرحمه والرقه، وهو التأثير عن مشاهدته تألم أبناء نوعه، ويترتب عليه من الصفات المرضيه أضداد ما ذكر. وقد ورد به المدح والترغيب فى الأخبار الكثيره،

□

□

كقول النبى -صلى الله عليه وآله وسلم-: «يقول الله تعالى:

اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادى تعيشوا فى أكنافهم، فإنى جعلت فيهم رحمتى. ولا تطلبوه من القاسيه قلوبهم، فإنى جعلت فيهم سخطى».

□

□

وقول الصادق (ع): «اتقوا الله وكونوا إخوة برره متحابين فى الله متواصلين

ص: ٤٠٥

(١-١) هذا الحديث رواه فى الكافى فى باب الإنصاف والعدل عن الباقر عليه السلام

متراحمين...إلخ» .

□  
و قوله(ع): «تواصلوا و تباروا و تراحموا و كونوا إخوة برره كما أمركم الله» .

و قوله(ع): «يحق على المسلمين الاجتهاد فى التواصل و التعاون على التعاطف و المواساه لأهل الحاجه و تعاطف بعضهم على بعض، حتى تكونوا كما أمركم الله عز و جل:رحماء بينهم متراحمين مغتمين لما غاب عنكم من أمرهم على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله-صلى الله عليه و آله-».

□  
و قد ورد: أن من ترحم على العباد يرحمه الله. و الأخبار الوارده فى فضيله مطلق الرحمه،و فى فضيله خصوص كل واحد واحد فيما يندرج تحته:من إعانه المحتاج،و إغائه المظلوم، و مواساه الفقير،و الاغتمام بمصائب المؤمنين،و أمثال ذلك،أكثر من أن تحصي.

ثم إن إزاله القساوه و اكتساب الرحمه فى غايه الإشكال،إذ القساوه صفه راسخه فى القلب لا يقدر على تركها بسهولة،فطريق العلاج أن يترك لوازمها و آثارها من الأفعال الظاهره،و يواظب على ما يترتب على الرحمه من الصفات الاختياريه،و يكلف نفسه على ذلك حتى يرتفع على التدريج مبدأ الأولى و يحصل مبدأ الثانيه.

(انتهى الجزء الأول)

ص: ٤٠٦















بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام  
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية  
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب  
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات  
توسيع عام لفكرة المطالعة  
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية  
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة  
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة  
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات  
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ( sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الإلكتروني : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.



مركز  
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية  
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

[www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com)

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩